حلف القواسم

وسياسة بريطانيا في الخليج العربي

في القرن الثامن عشر، والنصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف

ميخين فيكتور ليونوفيتش

ترجمة

سمير نجم الدين سطاس

مراجعة وتقديم

قسم الدراسات والنشر والعلاقات الثقافية

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

دبي

www.almajidcenter.org

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة... وعطاء مستمر

حلف القواسم

وسياسة بريطانيا في الخليج العربي

في القرن الثامن عشر، والنصف الأول من القرن التاسع عشر

www.almajidcenter.org

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة... وعطاء مستمر

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
ص.ب.: 55156 . دبي . الإمارات العربية المتحدة
هاتف: 00971 4 2624999 / 00971 4 2625999 فاكس: 00971 4 2696950
www.almajidcenter.org - E-mail: info@almajidcenter.org

www.almajidcenter.org

السلسلة المشتركة للبحوث والمصادر
في تاريخ الجزيرة العربية وبلدان الخليج
رقم (6)

حلف القواسم

وسياسة بريطانيا في الخليج العربي

في القرن الثامن عشر، والنصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف: ميخين فيكتوريونوفيتش

ترجمة: سمير نجم الدين سطاس

مراجعة وتقديم
قسم الدراسات والنشر والعلاقات الثقافية

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة... وعطاء مستمر

www.almajidcenter.org

956.9403
ل ا ي و ح

ليونوفيتش، ميخين فيكتور.

حلف القواسم وسياسة بريطانيا في الخليج العربي في القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر/ تأليف ميخين فيكتور ليونوفيتش؛ ترجمة سمير نجم الدين سطاس؛ مراجعة وتقديم قسم الدراسات والنشر والعلاقات الثقافية.-دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، 2008.

401 ص. ؛24 سم.-(مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث. السلسلة المشتركة للبحوث والمصادر في تاريخ الجزيرة العربية وبلدان الخليج؛ رقم 6)

ببليوجرافيا: ص. 389 -406.

ردمك 978-9948-03-862-7

1- القواسم (الإمارات العربية المتحدة)- الاستعمار البريطاني - تاريخ الإمارات العربية المتحدة - الحماية البريطانية للإمارات العربية المتحدة 1766 - 1971. أ. العنوان. ب. سطاس، سمير نجم الدين، مترجم . ج السلسلة.

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٩ م

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة،سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ"فوتوكوبي" أو التسجيل، أو التخزين أو الاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

No parts of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior permission of the publisher.

www.almajidcenter.org



www.almajidcenter.org

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة... وعطاء مستمر

www.almajidcenter.org

مقدمة المترجم

يكرس هذا الكتاب لدراسة موضوع قل ما تناوله الباحثون في كتاباتهم بشكل مفصل، وهو موضوع تشكيل حلف من قبائل عربية عُرفت باسم القواسم في القرن الثامن عشر على أرض تُعرف الآن باسم دولة الإمارات العربية المتحدة، وعمل بريطانيا على القضاء على هذا الحلف أثناء توسعها الاستعماري في منطقة الخليج العربي.

استطاع الباحث من خلال تحليل الكثير من الوثائق الأرشيفية أن يتوصل إلى نتيجة تدحض ادعاءات الإنكليز فيما يخص تاريخ عرب منطقة الخليج. وقد برهن بما لا يدع مجالاً للشك على زيف مزاعم المؤرخين الإنكليز بأن عرب الخليج قراصنة، وأنّ بريطانيا العظمى ما هي سوى دولة وضع القدر على عاتقها مسؤولية إقرار النظام القانوني في حوض الخليج العربي.

لقد تعمد المؤرخون الغربيون وفي مقدمتهم الإنكليز إلصاق تهمة القرصنة بالقواسم وترديدها حتى ألفتها الآذان وإن مجتها الأذهان. ومما يؤسف له أن من المؤرخين العرب من سار في ركب المؤرخين الإنكليز وعزف على نغمتهم وأيد قولهم بأن العرب قراصنة.

والسبب الذي دفع الإنكليز إلى ابتداع تهمة القرصنة وإلصاقها بعرب الخليج وفي مقدمتهم القواسم، هو أن تتخذ بريطانيا من ذلك ذريعة لترسخ قبضتها بالقوة العسكرية على سواحل الخليج، وتضمن سيطرتها على المياه العربية المتحكمة في طرق مواصلاتها إلى الهند، ولتبرر وجودها في المنطقة بأكملها، حفاظاً على مستعمرتها الهند التي تعدها أغلى جوهرة في التاج البريطاني. وهذه التهمة لا تثبت أمام التحقيق الصحيح والتحليل العميق والموضوعي.

www.almajidcenter.org

صحيح أن مياه الخليج العربي شهدت الكثير من الحروب والغزوات، إلا أن تلك الحروب والغزوات كانت من الأمور الشائعة في الحياة البدوية العربية. تغزو القبيلةُ القبيلةَ طمعاً في أرضها ومائها وكلئها، أو انتقاماً من عمل سابق أو غزوة سابقة، أو دفعاً لإهانة لحقتها، أو لأسباب أخرى متعددة، وقد تتحالف القبائل فيما بينها فتغزو الأحلاف بعضها بعضاً فتأخذ الغزوات شكل الحروب.

فالحرب قوام الحياة القبلية، والشجاعة والإقدام أول صفات العربي. والقواسم اكتسبوا عادات الحرب والغزو. وعندما استوطنوا السواحل واندفعوا إلى ركوب البحر نقلوا معهم إلى سطح الماء ما اعتادوا عليه في البر من حروب وغزوات، ليس من أجل القرصنة بل لاستعادة حق لهم أو للدفاع عن هذا الحق.

وقد تعرض الخليج العربي منذ القديم إلى هجمات أجنبية، وأطماع دولية للسيطرة عليه، ونهب ثرواته، وإفقار أهله، ولاتخاذه طريقاً للتجارة بين الشرق والغرب. وكان هذا الخليج أشبه بالبحيرة العربية، تقطن سواحله الشرقية والغربية القبائل العربية المعروفة بأصالتها، وعراقتها. وطمعاً باستعمار الخليج استغل الأوروبيون الخلافات القائمة بين سكانه وراحوا يكيلون لهم التهم، وعدوهم برابرة يعيشون على القرصنة ، ولهذا أطلقوا على الساحل الذي حباهم الله إياه اسم ساحل القراصنة.

وبحجة القضاء على القرصنة وجهت بريطانيا، التي أمكن لها أن تحرز قصب السبق في صراعها الاستعماري الذي دخلت حلبته مع كل من البرتغال وهولندا وفرنسا حملاتها ضد القواسم إلى أن قضت على قوتهم في أوائل القرن التاسع عشر، ثم عمدت إلى إغراء رؤساء قبائل الساحل بعقد اتفاقيات ومعاهدات مكنتها من تنصيب نفسها حكماً في شؤون عرب الساحل . وفي عام ١٨٥٣ صادقت الحكومة البريطانية على تغيير اسم ساحل

www.almajidcenter.org

القراصنة ، الذي لا يليق بالمنطقة التي تحكمها وجعله الساحل المتصالح أو المهادن أو ما يعرف بعمان المتصالحة.

وإيماناً منا بأهمية الوثائق التاريخية الموضوعية نقدم هذا الكتاب الذي يزخر بمثل هذه الوثائق ويسلط الضوء من خلالها على تاريخ التوسع الاستعماري للدول الأوروبية في الخليج العربي من وجهة نظر روسية، وليظهر أن القواسم ما هم إلا بعض من قبائل عرب الجزيرة، أقاموا على سواحل الخليج، وأخذوا بالدفاع عن حقوقهم من هجمات الأساطيل والقوى الأجنبية الاستعمارية، التي عملت جاهدة على أن تثبت أقدامها وأن تستغل المنطقة لتحقيق مصالحها الاقتصادية وتنفيذ مآربها السياسية .

سمير نجم الدين سطاس

دبي في: ١ / ١ / ٢٠٠٨

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

www.almajidcenter.org

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة ... وعطاء مستمر

www.almajidcenter.org

المقدمة

يتطلب الخليج العربي الكثير من الأقلام القادرة على تنقيته من التحريف وسوء الفهم، والقادرة أيضاً على أن تنحو به منحى الموضوعية التي تخدم القضايا العربية، وتبرزها في إطارها الإنساني.

استحوذ تاريخ الخليج العربي على اهتمام الكثير من العلماء والباحثين منذ القدم، ولهذا ليس غريباً أن تصدر الكتب والأبحاث والرسائل العلمية التي تسلط الضوء على هذه المنطقة وعلى تاريخ الإمارات العربية المتحدة بأعداد كبيرة جداً. وكان البرتغاليون من أوائل من بدأ الكتابة ونشر المعلومات عن منطقة الخليج العربي؛ ذلك أنهم كانوا من المستعمرين لها في بداية القرن السادس عشر. ثم تلاهم الهولنديون، فالفرنسيون، وأخيراً الإنكليز، الذين سيطروا على المنطقة سيطرة تامة دامت قرابة قرنين من الزمان.

والجدير بالذكر أن المؤرخين الإنكليز كثيراً ما كانوا بعيدين عن التجرد في كتاباتهم. فقد كانوا يكتبون التاريخ بنزعة معينة، وبالشكل الذي يتناسب مع نظرة الساسة البريطانيين لهذه المنطقة، ويزيفون الوقائع صراحة بغية تبرير استعمارهم لها. فتارة كانوا يتهمون العرب بالقرصنة، وتارة أخرى بتجارة الرقيق. وكانوا يزيفون الوقائع، ويختلقون الأحداث بحيث يحملون المرء على الاعتقاد بأن الأمن في المنطقة لم يكن ليستتب لولا وجود الإنكليز فيها.

ومما يؤسف له أن وجهة نظرهم الظالمة حول التأريخ العالمي انتشرت ولم تجد من يدحضها حتى الآن. وعمل المؤرخون الإنكليز ما في وسعهم لتبرير ما أسموه الحقوق المشروعة لبريطانيا العظمى في الخليج العربي، وزعموا بأن القدر قد فرض على بريطانيا التضحية في سبيل إقرار النظام القانوني المتحضر في المنطقة.

www.almajidcenter.org

مما لا شك فيه أن الموقع الإستراتيجي الهام الذي يشغله الخليج العربي بين القارات الثلاث: آسيا وأوروبا وإفريقيا، جعله محط أنظار القوى الأوروبية التي تطمح بأن يكون لها موطئ قدم، طمعاً في الاستفادة منه لتسويق منتجاتها، وجني أرباح تجارية كبيرة. وكون هذا الخليج يشكل حلقة وصل بري وبحري مع الهند التي تعد أثمن جوهرة في التاج البريطاني، فقد عملت بريطانيا على فرض سيطرتها عليه منذ وقت مبكر، بغية منع أي نفوذ من الوصول إلى هذه الجوهرة، ومن ثَمَّ كي تكون لها اليد الطولى في توجيه إمكانات هذه المنطقة بما يخدم مصالحها.

ولتحقيق هذا الهدف كان لا بد لبريطانيا من خوض منافسة شديدة مع القوى الأوروبية الأخرى. وعندما تمكنت بريطانيا من إبعاد هذه القوى في أوائل القرن التاسع عشر لم تجد الطريق إلى الخليج معبدة، فقد اصطدمت مع القوى العربية التي أحست بالنزعة الاستعمارية لبريطانيا فهبت لمقاومتها وإفشال مخططاتها. وعندها ما كان من هذه الأخيرة إلا أن لجأت إلى القوة وحياكة الدسائس في مواجهة المقاومة العربية، وتذرعت بذرائع شتى لتبرير ما تقوم به.

وقد دون الباحثون الكثير من الأخبار التي تتناول قضية ما يسمى بمكافحة بريطانيا **"للقرصنة وتجارة الرقيق"** في المنطقة. وكيف أن الإنكليز كانوا يلجأون إلى حياكة المؤامرات والدسائس، ويوقعون الظلم بأهالي المنطقة، ويقومون بسلبهم ونهبهم، ودب الرعب في نفوسهم لتحقيق أهدافهم.

وكانت بريطانيا آنذاك تنتهج سياستها في هذه المنطقة من خلال **شركة الهند الشرقية البريطانية**، التي كانت تجرد الحملات التأديبية ضد السكان العرب، وتدعي بأن هدفها من هذه الحملات إعادة ما كانت تسميه **النظام القانوني**.

www.almajidcenter.org

وكان الموظفون الإنكليز يزعمون، كالمؤرخين بأن القبائل العربية التي تقيم في منطقة الخليج العربي عاجزة عن إدارة شؤونها، وتقرير مصيرها بنفسها. وكانت هذه الشركة تفرض على الحكام العرب التوقيع على معاهدات جائرة، وكانت تسمي هذه المعاهدات **اتفاقيات سلام أو معاهدات صداقة.**

وفي غضون ذلك أعير اهتمام خاص لحلف القواسم القبلي، الذي دخل في صراع طويل ومرير ضد بريطانيا ومخططاتها الهادفة إلى بسط السيطرة الإنكليزية على منطقة الخليج. وكان هذا الحلف يشغل أحد مراكز الصدارة بعد مقتل نادر شاه في فارس سنة ١٧٤٧؛ حيث أخذت القوة العربية تلعب الدور الرئيس في المنطقة: الوهابيون في البر، والقواسم في البحر.

عندما كان القواسم يشغلون قسماً من الساحل العربي على الخليج الذي سمي منذ القديم باسم صير، كانوا يمارسون المهن البحرية: صيد السمك، والغوص لاستخراج اللؤلؤ، والتجارة البحرية التي كانت تدر على القواسم أرباحاً كبيرة قبل غزو الدول الغربية لمنطقة الخليج. وهذه الأرباح كانت تشكل دخلهم الرئيس.

كانت الصفة المميزة للسكان المحليين في تلك الفترة التنافس الدائم فيما بينهم، وخوض الحروب، وشن الغارات بعضهم على بعض؛ الأمر الذي لم يغير من الطبيعة السياسية للمنطقة بشكل عام، كما لم يمنع السير الطبيعي لظهور بنية دولة من عدد من القبائل العربية. إلا أن الحالة تغيرت بصورة جذرية عندما بدأت شركة الهند الشرقية البريطانية تتدخل بقوة في الشؤون الخاصة لهذه القبائل.

عندما حطم المستعمرون الإنكليز مقاومة القواسم بقوة السلاح، ودمروا أساطيلهم التجارية والحربية لم يحرموهم من مصادر دخلهم الأساسية الثابتة، ويحكموا عليهم بالجوع

www.almajidcenter.org

والمعاناة من الفقر والمرض فحسب، بل شتتوا حلفهم، وأقصوهم عن المضمار السياسي كقوة مستقلة.

عندما حصلت شركة الهند الشرقية البريطانية على أول امتياز تجاري لها في فارس في عام ١٦١٦ أخفقت في منافسة التجار المحليين في الخليج العربي. وفي نهاية القرن الثامن عشر تدهورت تجارة هذه الشركة بشكل كبير، وتعرضت إلى خسائر فادحة. وقد أرجع جون لوريمر (J. G. Lorimer) الذي يُعترف له بأنه ضليع في شؤون الخليج العربي ما أصاب شركة الهند الشرقية البريطانية إلى عدة أسباب، من أهمها: ازدياد نشاط قبيلة كعب وشيوخ المنطقة في القرصنة، وازدياد نشاط القواسم وتهديداتهم للإنكليز، وتفشي مرض الطاعون في العراق في سنة ١٧٧٣، والاحتلال الفارسي للبصرة (١٧٧٦ - ١٧٧٩)، واندلاع الحرب الأهلية في فارس سنة ١٧٧٩.

ويتفق مع لوريمر في ذلك مؤرخ آخر ذو اطلاع أيضاً على شؤون الخليج، هو جون كيلي (J. Kelly) الذي يقول في هذا الصدد: "الذي حدث في الواقع هو أن دور الشركة قد تغير من مشاركة فعالة في التجارة في الخليج إلى مجرد حماية للتجارة المحلية مع الهند"[1]. في تلك الفترة برزت على الساحة القبائل العربية ومن ضمنها القواسم.

كانت محاولات شركة الهند الشرقية البريطانية تصحيح أوضاعها والسيطرة على التجارة في المنطقة تعني الإساءة إلى مصالح التجار المحليين – العمانيين، وسكان البحرين، والقواسم. إلا أن عرب آل خليفة من العتوب (بني عتبة)، أهل البحرين تمكنوا من تنظيم تجارة مزدهرة مع الهند، في حين تطلع العمانيون إلى أن يصبحوا قوة مهيمنة على الخليج العربي.

1- Kelly, J. B. Britain and the Persian Gulf 1795-1880. L. 1968. p. 57

www.almajidcenter.org

غير أن محاول الأخيرين القضاء على العتوب، والاستيلاء على قاعدتهم في البحرين بقوة السلاح باءت بالفشل، كما لم تكن لديهم القوة البحرية الكافية للقضاء على أعدائهم القواسم.

وحتى يتمكنوا من ذلك ما كان من حكام عمان إلا أن تحالفوا في أواخر القرن الثامن عشر مع شركة الهند الشرقية البريطانية، التي كانت تتطلع بدورها إلى عقد مثل هذا التحالف، إدراكاً منها بأن المقاومة الفعلية للإنكليز لا يمكن أن تصدر عن غير القواسم.

وهناك سبب آخر جعل عمان تقدم على التحالف مع الإنكليز بلهفة، وهو أن هذه الدولة، التي كانت في أواخر القرن الثامن عشر من القوة بحيث أخضعت لها معظم القبائل والأحلاف القبلية، واتحادات الجزيرة العربية الجنوبية والشرقية تعرضت إلى أزمة شديدة بلغت ذروتها في سنة ١٧٨٩، عندما أقدم الإمام سعيد بن أحمد على نقل السلطة الزمنية (الدنيوية) إلى ابنه حمد، واحتفظ لنفسه بمنصب الحاكم الروحي (الديني)، خلافاً للقوانين الدينية للطائفة الأباضية.

وعندها شهدت البلاد حروباً أهلية، واشتدت العداوة بين السكان مما أدى إلى انقسام الدولة فعلياً إلى إمامة عمان، وسلطنة مسقط المتنازعتين.

عندما عقدت شركة الهند الشرقية في عام ١٧٩٨ تحالفاً مع سلطان مسقط، الذي كان على عداء مع القواسم، كانت تستهدف – بالدرجة الأولى – القضاء على منافسيها القواسم بأيد عربية، و لا سيما إن هذه الشركة لم تكن تملك ما يكفي من السفن الحربية للقضاء على أسطولهم القوي.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

وفي الوقت نفسه كان الإنكليز يشنون حملة دعائية ضد القواسم لإظهارهم كقراصنة. وعندها زعموا بأن القواسم يهاجمون السفن التجارية، ويشكلون تهديداً خطيراً للنشاط البحري في الخليج العربي والمحيط الهندي.

كثيراً ما كان الإنكليز يلفقون تهمة القرصنة للقواسم. و كانوا ينسبون لهم أية حادثة مأساوية تقع لأي مركب في منطقة الخليج دون تقديم أي دليل. وبذلك ابتدعوا استراتيجية الكذبة الكبرى. وفي الوقت نفسه بات اسم القواسم مرادفاً لاسم القراصنة، وتحول اسم موطنهم، بإرادة المؤرخين الإنكليز إلى ساحل القراصنة.

وكان شعار الحرب الذي تطلقه شركة الهند الشرقية البريطانية، في البداية مكافحة القرصنة، ومن ثم مكافحة تجارة الرقيق. وإذا قدِّر أن شيئاً لم يحدث خلال فترة ما، فقد كان من السهل على الإنكليز الادعاء بوقوع حوادث مأساوية، ونسبها إلى القراصنة الوهميين القواسم.

والجدير بالذكر أنه عندما كان " ف. فرنسيس" عضواً في البرلمان البريطاني، صرح أن بإمكان الحاكم العام في الهند وأعضاء مجلس شركة الهند الشرقية افتعال الأحداث التي تخدم مصالحهم، و تتلاءم مع أهدافهم في أية لحظة، ولا سيما إذا ما رغبوا بشن حرب على جيرانهم[1].

تم في السنوات ١٨٠٦ و ١٨٠٩ و ١٨٢٠ خلق ظروف مشابهة للظروف التي وقعت فيها أزمة السويس في عام ١٩٥٦. والاختلاف الوحيد بين هذه الظروف وتلك أنه تم أخيراً القضاء على القواسم، وحلفهم القوي. وبعد ذلك تم التوصل إلى عدد من الاتفاقيات والمعاهدات، كان آخرها معاهدة عام ١٨٥٣ التي اعترف المؤرخون الإنكليز بأن

1- Philups, C, H. The East India Company 1784-1834. Manchester, 1940. pp. 32-33.

www.almajidcenter.org

نصها يعد من أهم الوثائق الدولية العائدة إلى منتصف القرن التاسع عشر، الخاصة بمنطقة الخليج العربي.

وبغية إعطاء هذه الوثيقة حق قدرها غيَّر الإنكليز التسمية التي ألصقوها بمنطقة إقامة القبائل العربية، ومن ضمنها القواسم من ساحل القراصنة إلى ساحل عمان المتصالح، أو الساحل المهادن.

عندما أكد المؤرخون والباحثون الإنكليز أن قبائل الساحل الجنوبي للخليج العربي اشتهرت بالقرصنة على مدى قرون عديدة، كانوا بذلك يساهمون كثيراً بنشر الأكاذيب والشائعات المغرضة[١]. ولا شك بأن مزاعمهم عارية عن الصحة تماماً؛ بدليل أن سكرتير حاكم بومباي "واردن" (Warden)، الذي عاصر الكثير من الأحداث، وكان شاهد عيان عليها، كتب في مذكراته المشهورة سنة ١٨١٩ أن "القرصنة في الخليج العربي لم تكن من الظواهر المألوفة"[٢].

كانت منطقة الخليج طريقاً بحرية آمنة. ولم تكن هذه الطريق في يوم من الأيام تشكل فاصلاً بين السكان الذين أقاموا على سواحله وامتهنوا التجارة؛ بل كانت صلة الوصل فيما بينهم. فقد كان الخليج العربي خالياً من القرصنة بكل ما لهذه الكلمة من معنى. ولم يكن الخليج يحوي قراصنة باستثناء رجل واحد لقب "بالقرصان" ويدعى رحمة بن جابر الجلاهمة. وقد كان هذا القرصان في الواقع حليفاً لشركة الهند الشرقية البريطانية.

يوجد بين المؤرخين الإنكليز من يسير في كثير من الحالات على نهج لوريمر عندما يعرض أحداث ما يسمى بالقرصنة، وينسب معظمها إلى القواسم دون أن يدعم أقواله

2- Kelly, op. cit., p. 19.
3- Summary of the proceedings relative to boats captured in the Persian Gulf, Vol. 77/1819- 1820. Minute by Mr. F. Warden. p. 12.

www.almajidcenter.org

بإثباتات دامغة. ومن بين هؤلاء المؤرخ المعروف جون. كيلي، الذي يشعر شخصياً بضعف حججه، حتى أنه كثيراً ما يناقض نفسه بنفسه. فمثلاً يقول في أحد مؤلفاته: ". . . . وبسبب أعمال القواسم بالذات، بات ساحل الشمال، الواقع إلى الجنوب من الرمس معروفاً للأوروبيين على أنه ساحل قراصنة"، ويقول هنا: "إن شهرة القواسم مرتبطة لدرجة كبيرة بالصراع الطويل الذي خاضوه ضد آل بوسعيد ـ حكام مسقط"[١].

ويقول أيضاً: "من المعروف أن القرصنة تؤثر سلباً على التجارة، بيد أن ذلك لم يكن يحدث في الخليج العربي قبل عام ١٨٢٠. وفي الوقت نفسه لا يمكن القول بأن النهضة التجارية التي حدثت بعد تراجع القرصنة كان سببها الوضع الذي تشكل بعد عام ١٨٢٠، ولكن من الممكن أن تكون العلاقات التي كانت قائمة بين القراصنة والتجار، الشبيهة بالعلاقة التي كانت قائمة بينهم قبل عام ١٨٢٠ السبب الذي جعل الخليج بعيداً عن تأثير القوانين التجارية الطبيعية"[٢].

إن تفسيراً بهذا الشكل، وحجة مكافحة القرصنة ليؤكد جهل الباحثين الإنكليز لواقع الخليج العربي، ولمختلف العوامل المؤثرة فيه. فسكان المنطقة الأصليين أناس لا يختلفون عن سواهم بشيء. فلهم دوافعهم الإنسانية الطبيعية، ويمارسون أنشطة بشرية عادية كالتجارة، التي كانت مهنتهم على مر القرون. والعامل الوحيد، غير الطبيعي هنا هو غزو الدول الغربية للمنطقة، ولا سيما شركة الهند الشرقية التي كان هدفها الأساسي استعباد القبائل المقيمة في الخليج واستغلالها.

لقد تمكنت حملات الاستعمار البريطاني التبشيرية من نشر تصورات كاذبة، واتهام القبائل العربية في الخليج العربي بأنها شاركت بشكل فعال، عبر مئات السنين، ولا سيما على

1- Kelly, op. cit., p. 19 .
2-Kelly, op. cit., p. 251 .

www.almajidcenter.org

مشارف القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، في مؤامرة قرصنة كبيرة ضد التجارة الدولية، ليس في مياه الخليج العربي فحسب، بل في البحر الأحمر، وبحر العرب، وفي المحيط الهندي.

ويريد أنصار هذا الاتهام الباطل حمل المرء على التصديق بأن القبائل العربية وفي مقدمتها القواسم لم تتمكن من التخلص من هذا العمل الشنيع إلا بفضل الجهود المضنية لشركة الهند الشرقية البريطانية، التي كان الهدف الوحيد من تدخلها في شؤون الخليج الإبقاء على الشرعية والنظام فيه. وبهذا الشكل زعموا بأن السيطرة اللاحقة لبريطانيا العظمى على الخليج العربي، التي دامت نحو قرنين، لم تكن سوى مسؤولية ملقاة على عاتق الشركة رغماً عنها.

أطلق القواسم على موطنهم اسم صير، وعلى منطقة بقية العرب الشمال. وبقيت هذه التسمية على مدى قرون، إلى أن ظهر المستعمر الغربي في المنطقة. وعندها أطلق الإنكليز على المنطقة اسم ساحل القراصنة لأهداف دعائية، إلى أن غيروا هذه التسمية وجعلوها الساحل المهادن أو ساحل عمان المتصالح.

وقد أكد الإنكليز بالتسمية الأولى (ساحل القراصنة) تهمة القرصنة التي ألصقوها بالقبائل المحلية. وفي غضون ذلك ظهر بين الباحثين الإنكليز من كتب عن المنطقة كما لو أنها مهد القرصنة العالمية، معتبراً أن السكان المحليين في عجز تام عن القيام بأي عمل غير القرصنة.

والواقع أن هذه التسمية المهينة انتقلت من الإنكليز إلى المؤرخين الغربيين، بل إلى العرب أيضاً، الذين خدعتهم الافتراءات الدعائية التي أطلقها الإنكليز القائلة بأن العرب يمارسون أعمال قرصنة ويقومون بأعمال بربرية. أما في الآونة الأخيرة فقد أصبح المؤرخون

www.almajidcenter.org

والباحثون العرب كثيراً ما يستخدمون الاسم الحقيقي لموطن القواسم "الصير"، وهذا ما سنفعله نحن أيضاً في هذا البحث.

يهدف هذا البحث إلى إزالة بقعة بيضاء أخرى في تاريخ الخليج العربي بإجراء دراسة منطقية وموضوعية لدور الحلف القبلي، حلف القواسم في تطور هذه المنطقة، ومقاومة هذا الحلف لمخططات شركة الهند الشرقية البريطانية، التي سعت إلى فرض سيطرتها الكاملة على هذه المنطقة الإستراتيجية المهمة من الكرة الأرضية، وضمها إلى قوام الإمبراطورية البريطانية.

والواقع أنه نتيجة للأحداث التي شهدتها المنطقة في أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر أصبحت بريطانيا العظمى القوة المهيمنة على المنطقة، وقد استمر هذا الوضع قرابة مائتي عام، وهي المرحلة الأساسية في تاريخ هذه المنطقة.

ومن الأهداف المهمة لهذا البحث أيضاً العمل على تحطيم أسطورة ما يسمى قرصنة القواسم، أو القراصنة القواسم بصورة علمية، وهي التسمية التي أدخلها الباحثون الإنكليز ظلماً إلى تاريخ الخليج العربي، واتخذتها بريطانيا ذريعة لغزو المنطقة، ومن ثم استعباد القبائل العربية المقيمة فيها لعقود طويلة.

www.almajidcenter.org

الفصل الأول

دراسات تاريخية: مراجع البحث

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة... وعطاء مستمر

www.almajidcenter.org

www.almajidcenter.org

مراجع البحث:

تعد المراجع العلمية ـ السياسية والمذكرات التي تتحدث عن الخليج العربي كثيرة، ومتنوعة إلى حد ما، وهي في تزايد مستمر. والواقع أن المؤرخين الغربيين، وفي مقدمتهم الإنكليز كانوا ولا يزالون يصدرون الكثير من الكتب التي تتحدث عن تاريخ هذه المنطقة، بما في ذلك تاريخ القواسم، ولكن على طريقتهم الخاصة.

وإذا ما قورنت أبحاث المؤرخين الغربيين من حيث الكم بأبحاث المؤرخين العرب التي تناولت تاريخ الخليج العربي وتحديداً تاريخ القواسم لتبين أن أبحاث العرب قليلة جداً. ولعل مرد ذلك أن الأخيرين لم يلموا بهذا الموضوع بشكل جيد إلا في العقدين أو الثلاثة الأخيرة. ومما يؤسف له أنه لا توجد حتى الآن أبحاث حول هذا الموضوع لمؤرخين روس. ولهذا بقي تاريخ حلف قبائل القواسم، وصراعهم ضد الهيمنة الإنكليزية، وسياسة بريطانيا في حوض الخليج العربي في القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر بقعة بيضاء تنتظر من يزيلها.

بعد دراسة العديد من المراجع، وفي مقدمتها الوثائق الأرشيفية في بريطانيا والهند وهولندا ومصر والعراق والكويت والإمارات العربية المتحدة، ووثائق الإدارة الأنجلو ـ هندية، ولا سيما المحفوظة في مكتبة المتحف البريطاني، وكذلك المدونات التاريخية، والتقارير، والمخطوطات العربية، والمذكرات لأعضاء أسرة آل بوسعيد الحاكمة في عمان؛ والإطلاع على ما كتبه المشاركون المباشرون في صناعة الأحداث المتعلقة بموضوع هذا البحث؛ ودراسة تقارير الرحالة الغربيين، والدبلوماسيين، والباحثين، ورجال الأعمال، بعد هذا كله عكفتُ على إعداد البحث الحالي. وقد استفدت كثيراً من المراجع العلمية السياسية المدونة باللغات الغربية، وكذلك من كتابات المؤرخين العرب، والفهارس.

www.almajidcenter.org

ومما ساعدني على رسم الصورة الحقيقية للأحداث التاريخية التي جرت في الخليج العربي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر على ضوء جديد، الإطلاع الواسع على الوثائق المحفوظة في الأراشيفات، وقد عملت، خلافاً للمؤرخين الغربيين وفي مقدمتهم الإنكليز، على إظهار بعض نواحي التطور التاريخي للقواسم، والقبائل العربية المقيمة في هذه المنطقة، ونضالها ضد الهيمنة الإنكليزية.

تعد المخطوطات العربية والمدونات التاريخية التي تتناول تاريخ القواسم من القلة بمكان. وحتى الموجود منها لم يتناول هذا الموضوع كموضوع بحد ذاته، وإنما تناوله بشكل عام.

ومن بين أهم هذه المخطوطات مخطوط لمؤلف مجهول بعنوان "لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب" المحفوظ في مكتبة المتحف البريطاني، قام المؤرخ المعروف أحمد مصطفى أبو حاكمة بتحقيقه ونشره باللغة العربية.

ويمكن أن نجد في هذا المخطوط وقائع مقاومة القواسم لمحاولات الوهابيين الأولى لإخضاعهم إلى نفوذهم. ومما يؤخذ عليه أنه عبارة عن مدونات لأقوال وأخبار وتفسيرات مشاركين في أحداث غير مؤرخة، الأمر الذي يحول دون إمكانية مقارنة هذه الأحداث والاستنتاج الصحيح [1].

ولا بد من الإشارة إلى مخطوط على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لبحثنا الحالي وهو بعنوان "درر المفاخر في أخبار العرب الأواخر" لمحمد البسام، الذي يذخر بالمعلومات

١- لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب. المؤلف مجهول، تحقيق أحمد مصطفى أبو حاكمة، بيروت (بلا تاريخ). [جرى طبع ونشر تحقيق أحمد مصطفى أبو حاكمة لهذا المخطوط في بيروت عام ١٩٦٧ دون ذكر لإسم المؤلف. وفي عام ٢٠٠٥ جرى في الرياض نشر دراسة وتحقيق وتعليق لعبد الله الصالح العثيمين على مخطوط لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب، والذي يعتقد أن كاتبه هو حسن بن جمال بن أحمد الريكي]. المترجم.

www.almajidcenter.org

عن القبائل العربية في شبه الجزيرة العربية، واليمن، والعراق، وسورية. فمثلاً يورد هذا المؤلف معلومات عن عدد الفرسان، والمقاتلين المشاة في كل قبيلة. وهذه المعلومات يصعب الحصول عليها من أي مصدر آخر، وكذلك معلومات مختلفة عن القواسم.

وأهمية هذا المخطوط تكمن في إبراز النفوذ الذي كانت تتمتع به هذه القبيلة في الخليج العربي خلال العقدين الأولين من القرن التاسع عشر. ويعكس أهمية هذا الحلف القبلي والدور الذي يؤديه، بشكل يتناقض كثيراً مع رؤية المؤرخين الإنكليز له؛ إذ أن الأخيرين ينظرون إلى القواسم على أنهم قراصنة وتجار رقيق[١].

وهناك مخطوط لنور الدين عبد الله بن حميد السالمي "تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان"، نُشر في القاهرة، يعد المرجع العربي الأساسي الذي يتحدث عن تاريخ عُمان حتى القرن العشرين. وهذا المخطوط يتضمن معلومات عن حلف قبائل القواسم وعلاقتهم مع عمان، ويقيِّم في بعض الحالات الأحداث الموصوفة فيه[٢].

ومن المراجع التي أفادتنا لإنجاز بحثنا الحالي عدد من المخطوطات والمدونات التاريخية السعودية، نذكر منها:

– تاريخ نجد ـ روضة الأفكار والإفهام، لحسين بن غنام، نشر في القاهرة وحققه ناصر الدين الأسد؛

– عنوان المجد في تاريخ نجد، لعثمان بن عبد الله بن بشر؛

١ – البسام، الشيخ محمد: درر المفاخر في أخبار العرب الأواخر (مخطوط محفوظ في المتحف البريطاني تحت رقم ٧٣٥٨)

٢ – السالمي، نور الدين عبد الله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، القاهرة، المجلد الأول، ١٣٥٠ هـ / ١٩٣١م (مج. ٢، ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م).

www.almajidcenter.org

- تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، لإبراهيم بن صالح بن عيسى؛
- تحفة المستفيد بتاريخ الإحساء في القديم و الجديد، لمحمد بن عبد الله الإحسائي
- تاريخ نجد، لمحمود شكري الآلوسي (تحقيق محمد بهجة الأثري، نُشر في القاهرة).

تتضمن هذه الأعمال معلومات متنوعة ليس عن الأحداث التي وقعت في نجد والأحساء ، وعلى ساحل الخليج العربي فحسب، بل عن انتشار مذهب الوهابيين، والعلاقات القائمة بين مختلف القبائل بمن فيها القواسم، والحروب سواء التي وقعت بين العرب، أو بين العرب وبين الدول الأخرى التي كانت لها مصلحة في منطقة الخليج العربي، مثل فارس، والإمبراطورية العثمانية، والبرتغال، وهولندا، وبريطانيا، وفرنسا.

والذي يؤخذ على هذه المراجع أنها تغفل التواريخ في كثير من الحالات، وفي حالات أخرى تصف العديد من الأحداث غير المؤكدة، مما يصعّب في بعض الأحيان إنعاش التاريخ الصحيح لهذه المنطقة[1].

تعد المراجع المحفوظة في ما يسمى بأرشيف بومباي من أهم المراجع التي جرى استخدامها لتقديم هذا البحث. ومما يجدر بالذكر أن استخدام هذا الأرشيف كان قليلاً سواء من قبل الباحثين الغربيين أو العرب، على الرغم من أن الإطلاع على هذا الأرشيف كان مباحاً منذ عام ١٩٥٤.

١ - انظر: - الآلوسي، محمود شكري: تاريخ نجد، تحقيق محمد بهجة الأثري، القاهرة ١٤٣٧ هـ؛
- ابن بشر، عثمان: عنوان المجد في تاريخ نجد، الرياض (بدون سنة)؛
- ابن غنام، حسين: تاريخ نجد: روضة الأفكار والأفهام، حرره وحققه ناصر الدين الأسد، القاهرة، ١٩٦١؛
- ابن عيسى، إبراهيم بن صالح: تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم، وبناء بعض البلدان من ٧٠٠ إلى ١٣٤٠ هـ الرياض ١٩٦٦؛
الإحسائي، محمد بن عبد الله: تحفة المستفيد بتاريخ الإحساء في القديم و الجديد، الرياض ١٩٨٢.

www.almajidcenter.org

صحيح أن وثائق حكومة بومباي في حالة سيئة جداً من حيث حفظها وتخزينها، وإمكانية العثور عليها، وهي مبعثرة لدرجة تصعب الاستفادة منها، إلا أنها تعد في الوقت نفسه من الأهمية بمكان، كونها تذخر بالمعلومات أكثر من وثائق أرشيف ما يسمى بوزارة شؤون الهند، ولا سيما تلك التي تعود إلى مرحلة علاقة العرب مع بريطانيا قديماً.

وهذه الوثائق هي تقارير كاملة لحكومة شركة الهند الشرقية في بومباي. وقد احتُفِظَ بصورة عن جميع المراسلات التي صدرت أو وردت إلى هذه الوزارة.

والجدير بالذكر أن وجود هذه الوثائق يقتصر على بومباي فقط؛ لأنها لم تكن تُرسَل إلى لندن. كما توجد صور لرسائل كتبت باللغتين العربية والفارسية، وهي الرسائل التي وردت من مكتب حاكم بومباي وإليه. وهذه الرسائل لم تكن ترسل إلى لندن أيضاً. ومن الممكن إيجاد ترجمة لعدد قليل منها في أرشيف وزارة شؤون الهند.

يضم أرشيف بومباي ما يقرب من سبعة آلاف مجلد وثائق تعود لما قبل عام ١٨٢١، وهو العام الذي تغير فيه نظام الكتابة. ومن هذه الوثائق:

وثائق المحطات التجارية، والمقيميات؛

وثائق حكومة بومباي؛

وثائق بعثات ولجان خاصة؛

تقارير صادرة من مجلس مديري شركة الهند الشرقية البريطانية وإليه؛

وثائق مختلفة تتحدث عن قضايا محددة أو شخصيات معينة.

تعود أقدم وثائق أرشيف بومباي إلى عام ١٦٣٠، وهي عبارة عن صور لرسائل وُجِّهتْ من محطة سورات التجارية، التي كانت آنذاك المقر العام لشركة الهند الشرقية. وقد

www.almajidcenter.org

بدأ تجميع هذه الوثائق في عام ١٦٥٠، وهذا العمل استمر طيلة القرن السابع عشر. وهذه الوثائق عبارة عن مذكرات لمحطة سورات التجارية.

تعد وثائق حكومة بومباي كاملة ابتداء من عام ١٧٢٠ باستثناء وثائق الأعوام ١٧٢١-١٧٢٣، ١٧٢٥ - ١٧٢٧، ١٩٢٩، ١٧٣٠، ١٧٣٢. وهي تأخذ شكل مذكرات؛ إذ جرت العادة أن يدوَّن كل ما يحدث في مكتب سكرتير حاكم بومباي، كالمعلومات والرسائل التي يتلقاها المكتب على شكل مذكرات، وكذلك التي تصدر عنه، والبروتوكولات، وتعليمات مجلس مديري الشركة حسب اجتماعاتهم. وقد أخذت عملية جمع وتصنيف هذه المذكرات تتحسن وتتطور مع مرور الزمن، وقد شمل ذلك جميع المحطات التجارية، ومكاتب شركة الهند الشرقية[1].

كانت كتابة الوثائق في عام ١٧٥٥ موزعة على إدارتين أُنشئتا حديثاً في حكومة بومباي؛ هما: **الإدارة السياسية – السرية، والإدارة العامة**. غير أن ما يهمنا في بحثنا هذا المذكرات التي كتبتها الإدارة السياسية السرية، لاحتوائها على معلومات عن قضايا سياسية، وعن العلاقات مع الدول الأخرى، ومع القبائل العربية.

وهذه المذكرات تتضمن أسماء المقيمين والوكلاء السياسيين لشركة الهند الشرقية. وفيها كذلك معلومات عن مباحثات جرت مع القواسم، ومعلومات عن تجريد حملات عسكرية في منطقة الخليج العربي؛ والقرارات التي اتخذتها حكومة بومباي.

1-Bussora Residency Diaries ،19 vols. (nos. 194- 212).
- Secret and Political Department Diaries (1755- 1808), 268 vols. Nos.1- 260, Nos. 14,17, 19, 33, 41, 66, 164, 165.
- Secret Department Diaries (1809- 1820), Nos. 261, 312, 310. 318- 497.
- Political Department Diaries (1809- 1820) , 180 vols. Nos. 318- 497 №. 38/1762.
- Selections on pirates in the Persian Gulf (Not indexed), 5 vols., Nos. 71, 73- 76.
- Selection – 124,Vol. 72 (N. 1) proceedings for the year 1816.

www.almajidcenter.org

وفي عام ١٨٠٩ جرى فرز هذه الوثائق إلى مذكرات سياسية، وأخرى سرية للإدارتين المعنيتين، بعد أن وُضع لها فهارس. وكان ذلك في بداية عام ١٧٥٥. وفي عام ١٩٥٤ جرى نشر هذه الفهارس.

بدأ في عام ١٧٧٩ تأسيس إدارات جديدة في حكومة بومباي. وأخذت هذه الإدارات تسجل مذكراتها الخاصة بها. وفي عام ١٨١٨ ظهرت أول مذكرات لإدارة **الأسطول البحري، واقتصاد زراعة الغابات**. وحتى عام ١٨٢٠، على سبيل المثال جُمع ٢٤ مجلد مذكرات لهذه الإدارة.

إلا أن المذكرات التي تخص العمل الأساسي لهذه الإدارة، أي المذكرات الخاصة بالإنشاء والاستثمار، وتجهيز عناصر السفن الحربية، ليست مهمة بالنسبة لبحثنا الحالي، كأهمية مذكرات مدير هذه الإدارة، المدير العام لشؤون الأسطول البحري؛ ذلك أن هذا الشخص كان يعد حلقة الوصل الأساسية بين حكومة بومباي، وقواته البحرية. وقد تم جمع ١٨٦ مجلد مذكرات له. وهذه المذكرات تتضمن معلومات قيمة جداً، ولا سيما عن الحملات البحرية، وعن تحرك السفن الحربية البريطانية في الخليج العربي.

ومذكرات هذا المدير هي مجموعة واحدة فقط من ٥٨ مجموعة مدونات مهمة، وجد منظمو أرشيف بومباي أن من الأنسب تصنيفها تحت اسم **وثائق متنوعة**. ولعلهم اقترفوا خطأً في هذا التصنيف؛ إذ أن ذلك يترك انطباعاً بأن هذه الوثائق أقل أهمية من غيرها، ومن ثَمّ يجري تجاهلها، أو على الأقل تركها للحالات الحرجة فقط.

www.almajidcenter.org

وعلى أية حال تتضمن هذه "الوثائق المتنوعة" وصف أعمال مهمة لمختلف الدوائر والمنظمات القديمة، والمفوضيات السياسية، واللجان المشكَّلة لحل القضايا الإدارية، ومدونات أعمال الإدارات المرؤوسة، وسجلات، وتقارير متنوعة"[١].

الغريب أن من قام بتصنيف الأرشيف من الهنود، أسموا هذه المراجع "**وثائق متنوعة**"، ومن ثم استخدموا هذا المصطلح للإشارة إلى أن هذه الوثائق عبارة عن مختارات، أو مستخرجات مكونة من ثلاث مجموعات على الأقل؛ تتألف إحداها من ١٨٤ مجلداً.

وهذه المجلدات تحوي بعض الوثائق الأصلية، التي تخص قضايا معروضة على حكومة بومباي. وقد استفدنا من بعضها لإنجاز بحثنا الحالي، والمجموعة الثانية مؤلفة من ١٨٤ مجلداً أيضاً تتضمن وثائق تتحدث عن قضايا عامة. والمختارات الأكثر أهمية تتألف من ١٩ مجلداً لـ ف. واردن تعد على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لبحثنا.

ومما يجدر ذكره أن السكرتير العام لحكومة بومباي استخدم هذه الوثائق الخاصة إما للدفاع عن وجهة نظره، أو عن وجهة النظر الرسمية، ولا سيما لشركة الهند الشرقية البريطانية. وقد استخدم "واردن" هذه الوثائق أيضاً لكتابة مذكراته الشهيرة، التي كان ينظر فيها إلى تاريخ الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية في تلك المرحلة، من وجهة نظر موظف بريطاني رفيع المستوى[٢].

1-The Handbook of the Bombay Archives, compiled by Sanuiv P. Dasai. Department of Archives, Govt. of Maharashtra. Bombay, 1978. p. 105

2- Warden, Francis. "Extract from Brief Notes Relative to the Rise and Progress of the Arab Tribes of the Persian Gulf" in S. R. B. G. №. 24 Bombay. 1856.

- Warden, Francis. "Historical Sketch of the Joasmee Tribe of Arabs from the year 1747 to the year 1819", in S. R. B. G. №. 24. Bombay. 1856.

- Warden, Francis. "Historical Sketch of the Rise and Progress of the Government of Muscat; commencing with the year 1694-1695 and continued to the year 1819" in S. R. B. G. №. 24. Bombay, 1856.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

www.almajidcenter.org

ومن مصادر الوثائق القيمة جداً هناك أيضاً **أرشيف وزارة شؤون الهند**، التي أصبح اسمها في عام ١٩٤٧، بعد استقلال الهند وباكستان "وزارة الخارجية وشؤون التعامل". ويضم أرشيف هذه الوزارة من الوثائق الخاصة بمنطقة الخليج العربي، وعلاقة بريطانيا مع القواسم ما يلي:

(١)- وثائق شركة الهند الشرقية وسجلات الوكالات التابعة لها:

تتضمن هذه المواد معلومات عن تأسيس شركة الهند الشرقية، ومراسلات، ومعلومات عن التنافس بينها وبين الشركات التجارية العائدة إلى دول أوروبية أخرى، ومعلومات عن العلاقات في منطقة الخليج العربي والمناطق الأخرى التي توجد فيها أنشطة لهذه الشركة.

وتوجد هنا تقارير ومعلومات عن المحطات التجارية التي أنشأتها الشركة في البصرة وجمبرون [غمبرون]. (الاسم القديم لبندر عباس)، وبوشهر، وجاسك، وغير ذلك من الموانئ العربية والفارسية؛ كما تتضمن وثائق مهمة عن تجارة الإنكليز مع الفرس وعرب الجزيرة العربية، ووثائق عن الحركة الوهابية في سواحل الخليج العربي، وفي العراق في السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر.

- Warden ،Francis. "Historical Sketch of the Wahabee Tribe of Arabs ،from the year 1795 to the year 1817" in S. R. B. G. №. 24. Bombay, 1856.
- Warden, Francis. "Historical Sketch of the Uttoobbee Tribe of Arabs (Bahrein) from the year 1716 to the year 1817" in S. R. B. G. №. 24. Bombay, 1856.
- Warden ،Francis. "Sketch of the Proceedings (from 1809 to 1818) of Rahman bin Jabir ،Chief of Khor Hassan" in S. R. B. G. №. 24. Bombay, 1856.

www.almajidcenter.org

كما توجد وثائق عن الحملات العسكرية الإنكليزية ضد القبائل العربية، ولا سيما القواسم في الفترة من عام ١٨٠٥ إلى عام ١٨٢٠، الأمر الذي أسفر عن توقيع الاتفاقية العامة بين شركة الهند الشرقية وبين شيوخ الصير والبحرين.

والجدير بالذكر أن معظم وثائق شركة الهند الشرقية مكتوبة بخط اليد، وصفحاتها في حالة سيئة لدرجة أنه تصعب قراءتها في بعض الحالات، فضلاً عن أن طريقة الكتابة الإنكليزية وأشكال الحروف التي كانت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تختلف عن الطريقة الحالية. كما إن جميع هذه الوثائق غير مصنفة، خلافاً لأرشيف بومباي، الأمر الذي يشكل عائقاً كبيراً أمام دراستها.

أما وثائق الوكالات التجارية في البصرة وجمبرون وبوشهر وجاسك، والمراسلات المبعوثة من ممثلي الشركة، الذين كانوا في مختلف موانئ الخليج العربي، فتعد من الأهمية بمكان، وخصوصاً أنها مدونة بخط يد شهود عيان مباشرين. وهذه الوثائق تبين حالة التجارة، وتصف عدداً من الأحداث التاريخية. وهي تقسم إلى المواد التالية:

١ - مذكرات جمبرون (بندر عباس):

قد تكون هذه المذكرات أفضل مرجع يحوي معلومات عن منطقة الخليج في نهاية القرن الثامن عشر، وهي مجموعة في ١٣ مجلداً، (المجلدات من رقم ٧ حتى رقم ١٢ لا تحتوي على فهارس). ومن هذه المجلدات الثلاثة عشر ثمانية مجلدات مكرسة للفترة من عام ١٧٤٦ إلى عام ١٧٦٣، إلا أنه يوجد فيها سقط من ٣١ يوليو عام ١٧٤٩ حتى ١ أغسطس عام ١٧٥٠، ومن ١٧ يوليو عام ١٧٥٢ حتى ٢٢ يونيو عام ١٧٥٣.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

www.almajidcenter.org

إلا أنه يمكن الاستعاضة عن هذا النقص لدرجة كبيرة بوثائق من سلسلة أخرى. والسلسلة الأخيرة من هذه الوثائق مؤرخة في ٧ فبراير عام ١٧٦٣، أي بعد نقل المحطة التجارية إلى البصرة مباشرة.

تضم هذه المذكرات وثائق عن نشاط وكالات شركة الهند الشرقية في جمبرون، مدون فيها تقارير يومية لنشاط وكالات شركة الهند الشرقية، وعن الأحداث التي شهدها الخليج العربي في تلك الفترة. وإلى جانب الترتيب الزمني للأحداث تضم مذكرات جمبرون صوراً عن جميع المراسلات الصادرة من الشركة أو الواردة إليها.

ومما تجدر الإشارة إليه أنه على الرغم من أهمية السلسلة، إلا أن استخدامها لا بد أن يكون بحذر شديد، ولا سيما فيما يتعلق بالأحداث التي وقعت في مناطق أخرى من الخليج العربي؛ ذلك أن موظفي الشركة كثيراً ما كانوا يكتبون عن تلك الأحداث معتمدين على معلومات شفهية، قد يكون فيها الكثير من المبالغة، وعلى أقاويل غير مؤكدة.

٢- رسائل من جمبرون والبصرة إلى لندن (١٧٠٣-١٧٢٩، ١٧٢٧-١٨١١):

توجد خمسة مجلدات من هذه السلسلة (أرقامها من ١٤ إلى ١٨) لا تحوي فهارس (من عام ١٧٤٧ إلى عام ١٧٨٠)، والذي يميز هذه السلسلة أنها تضم عدداً، ولو قليلاً من الصور الأصلية، أو نسخاً لرسائل موجهة إلى لندن مؤرخة حتى عام ١٧٦٣. إلا أنه يوجد إلى جانب ذلك الكثير من السقط.

فمثلاً من عام ١٧٥٥ إلى عام ١٧٦٠ لا توجد سوى رسالة واحدة مرسلة من جمبرون، ورسالتان مرسلتان من البصرة، أما بعد عام ١٧٦٣ فتزداد أهمية هذه السلسلة كثيراً كونها تحوي جميع الرسائل الموجهة من وكلاء الشركة إلى لندن، وصوراً لجميع

www.almajidcenter.org

مراسلات المحطات التجارية لشركة الهند الشرقية مع مختلف السلطات المحلية، بما في ذلك القواسم.

٣- مراسلات رسمية (مسودات رسائل مستعجلة إلى البنغال، ومدراس، وبومباي، وبينكولن، وجزيرة القديسة هلانة، وعناوين أخرى في الشرق):

جرت هذه المراسلات بين لندن والبلاد المذكورة عن طريق البحر. وتم في الفترة من عام ١٧٤٦ حتى ١٧٥٣ جمع ثلاثة مجلدات تحمل الأرقام من ٨ إلى ١٠. وكل مجلد يضم بعض الرسائل التي عادة ما توجه بالبريد السنوي إلى جمبرون. وتنتهي هذه السلسلة في عام ١٧٥٣.

٤ - دليل المراسلات (رسائل إلى الهند، ونسخ عن رسائل، ورسائل مستعجلة إلى البنغال، ومدراس، وبينكولن، وسورات، وغيرها):

توجد ثلاثة مجلدات لمراسلات مؤرخة من عام ١٧٤٣ إلى عام ١٧٥٣ تحمل الأرقام ٢٦، و٢٧، و٢٨. وجميع هذه المجلدات تحتوي على فهارس، وهي مكونة بصورة أساسية من نسخ لوثائق موجودة في السلاسل آنفة الذكر.

يحوي المجلد رقم ٢٧ المؤرخ عام ١٧٤٣ نسخاً لرسائل مرسلة عن طريق البر. وهذه السلسلة على درجة كبيرة من الأهمية لاحتوائها على بوليصات شحن سنوية، مرسلة من لندن إلى الخليج العربي، تبين فيها كمية البضائع والسلع التي كانت ترسل إلى هذه المنطقة في كل سنة، مع بيان أسعارها بدقة. كما تكمن أهمية هذه الوثائق في أنها تبين النزعة التوسعية لشركة الهند الشرقية، ونشاطها الهادف إلى التغلب على تجارة القبائل العربية في منطقة الخليج العربي في النصف الثاني من القرن الثامن عشر.

www.almajidcenter.org

(٢)- وثائق اجتماعات حكومة بومباي:

تأتي أهمية هذه السلسلة في المرتبة الثانية (بعد مذكرات جمبرون)، وهي تستخدم مرجعاً للحصول على معلومات متنوعة عن الخليج العربي. وتضم هذه الوثائق نصوصاً لاجتماعات واستشارات حاكم بومباي، ومجلس بومباي ابتداءً من عام ١٧٠٤. وعلى الرغم من أهمية هذه الوثائق إلا أنها كانت ولا تزال قليلة الاستخدام من قبل الباحثين في تاريخ الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

والجدير ذكره أنه يوجد في هذه السلسلة بعض النقص يعود لبداية القرن الثامن عشر، وهناك ٣٢ مجلداً يضم وثائق تعود للفترة من عام ١٧٤٦ إلى عام ١٧٨٠ تحت رقم ٣٤١، وللمجلدات من رقم ١٥ إلى ٤٧ فهارس.

نظراً لأن المحطات التجارية، والمقيميات، والوكالات في الخليج العربي كانت خلال الفترة التي نبحث بها الآن تتبع إلى بومباي فقد كانت تسيَّر من قبل الحاكم ومجلس بومباي. ولهذا تحوي هذه السلسلة مقتطفات من رسائل موجهة من جمبرون والبصرة وأماكن أخرى إلى بومباي وبالعكس. كما تحوي أوامر وتعليمات تتعلق بالأحداث التي تجري في الخليج العربي.

(٣) – وثائق الإدارة السرية – السياسية والإدارة العامة التابعتين إلى حكومة بومباي:

يرمز إلى وثائق هاتين الإدارتين: (الأولى "السرية – السياسية" تأسست في ١٠ مارس عام ١٧٥٥، والثانية "العامة" تأسست في ١٥ سبتمبر من العام نفسه) بحرف د "باللاتيني". وهي مجموعة من أربعة مجلدات أرقامها من ٤٨ إلى ٥١ تخص الفترة من عام

www.almajidcenter.org

١٧٥٥ إلى عام ١٧٦٣. وفي هذه المجلدات معلومات مختلفة عن الأحداث التي شهدتها منطقة الخليج العربي في تلك الفترة.

(٤)- مختارات من رسائل موجهة إلى بومباي:

يوجد في هذه السلسلة مجلدان يخصان القارة من عام ١٧٣٥ إلى عام ١٧٨٥، يرمز إلى إحداها بـ ١، وللآخر بـ ١ A. إلا أن أهمية هذين المجلدين قليلة؛ إذ أن النصوص الأصلية للرسائل والمراسلات موجودة في سلسلة وثائق أخرى.

(٥)- مختارات من رسائل بومباي:

تحوي هذه السلسلة، التي تدخل فيها ثلاثة مجلدات (B1 - 3) تخص الفترة من عام ١٧٥١ إلى عام ١٧٨٣ مختارات من رسائل موجهة من جمبرون والبصرة وبعض الأماكن الأخرى في الخليج العربي (منها عدة رسائل موجهة من بغداد) إلى لندن. وهذه السلسلة مهمة جداً لاحتوائها على جميع الرسائل التي تلقتها لندن. وفي الكثير من هذه الرسائل معلومات يصعب الحصول عليها من أي مصدر آخر.

وهذه المجموعة فيها من الرسائل ما يزيد عن الرسائل الموجودة في سلسلة وثائق شركة الهند الشرقية، وأرشيفات وكلائها. وما عدا ذلك فإن كل رسالة في هذه السلسلة تحمل تاريخ كتابتها، وكذلك تاريخ ورودها إلى لندن. ويتضح عليها أيضاً الطريق الذي سلكته حتى وصلت إلى لندن (عبر بغداد وحلب. . . . الخ).

www.almajidcenter.org

(٦) – الرسائل الموجهة إلى حاكم بومباي من أماكن مختلفة من الهند وغيرها:

يوجد لهذه المجموعة من الوثائق ١٢ مجلداً، ورمزها هو الرقم (٤١٨)، وأرقام هذه المجلدات تبدأ من العدد ٤١ وتنتهي بالعدد ٥٢.

(٧) – الرسائل الموجهة من حاكم بومباي إلى أماكن مختلفة من الهند وغيرها:

يوجد لهذه المجموعة من الوثائق ٧ مجلدات تخص الفترة من عام ١٧٤٧ إلى عام ١٧٨٠، والرمز الذي يوحدها هو الرقم (٤٢٠)، وأرقام هذه المجلدات من ٥٣ إلى ٥٩، (المجلد رقم ٥٤ الخاص بالفترة من عام ١٧٤٨ إلى عام ١٧٧٤ مفقود).

(٨) – دوريات بومباي:

يبلغ عدد المجلدات التي تجمع هذه الدوريات ٦٠ مجلداً، وهي خاصة بالفترة من عام ١٧٤٦ إلى عام ١٧٨٠، ورمزها هو الرقم ٤٢٠، وأرقام هذه المجلدات من ٣١ إلى ٩٠. ولهذه المجلدات أهمية كبيرة لاحتوائها على أخبار الصحف التي تختلف وجهات نظرها عن وجهات النظر الرسمية فيما يخص الأحداث التي وقعت في منطقة الخليج العربي.

(٩) – الرسائل الرسمية التي تلقتها بومباي:

تضم هذه المجموعة من الوثائق الرسائل الموجهة من مجلس مديري شركة الهند الشرقية إلى موظفيها في بومباي، والخليج العربي. وهذه الرسائل مجموعة في ٥ مجلدات، وهي تخص الفترة من عام ١٧٥٣ إلى عام ١٧٨٠.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

www.almajidcenter.org

(١٠) – وثائق خاصة بالملاحة:

جُمِعت وثائق الملاحة في مجلد واحد يحمل الرقم ٨٩١، وتحوي هذه الوثائق معلومات مهمة عن التجارة والملاحة في منطقة الخليج العربي، ومعلومات عن العلاقات المتبادلة بين القبائل العربية، بما في ذلك القواسم.

(١١) – مجموعة الوثائق الداخلية:

من أهم هذه الوثائق ما جُمِع في المجلد الذي يحمل الرقم ١٠١. وهذه الوثائق خاصة بمفوضية السير جون ليندس في بومباي.

(١٢) – الوثائق والمراجع التي تحتفظ بها المكتبة السياسية السرية، والمكتبة السرية لوزارة شؤون الهند:

يوجد في المكتبة السياسية السرية التابعة لوزارة شؤون الهند عدد كبير من الوثائق والمراجع المهمة، منها مجموعة وثائق "جي. آي. سالدانا" (J. A. Saldanha)[1]. وهذه المجموعة تضم وثائق لحكومة بومباي حول نشاط شركة الهند الشرقية وعلاقاتها مع منطقة

1- Saldanha, J. A. ed. Selections from State Papers, Bombay regarding the East India Company, s Connection with the Persian Gulf, with a Summary of Events. 1600 -1800. Calcutta, 1908.
- Saldanha, J. A. ed. Précis of Correspondence Regarding the Affairs of the Persian Gulf, 1801- 1853. Calcutta, 1906.
- Saldanha, J. A. ed. Précis of Turkish Arabia Affairs 1801-1905. Simla, 1906.
- Saldanha, J. A. ed. Précis on Commerce and Communication on the Persian Gulf, 1801- 195. Calcutta, 1906.
- Saldanha, J. A. ed. Précis of Nejd Affairs 1804- 1904. Simla, 1904.
- Saldanha, J. A. ed. Précis of Bahrain Affairs 1854- 1904. Simla, 1904.
- Saldanha, J. A. ed. Précis of Correspondence Regarding Trucial Chiefs, 1854-1905. Calcutta,1906.

www.almajidcenter.org

الخليج العربي خلال الفترة من عام ١٦٠٠ إلى عام ١٨٠٠. إلى جانب ذلك أعد سالدانا بعض المعلومات التاريخية عن البحرين، وقطر، ومسقط، والاتحادات القبلية على ساحل عمان.

تضم مجموعة سالدانا تقارير رسمية، وخطابات موجهة من الموظفين الإنكليز العاملين في البصرة والعراق، وفي عدد من الموانئ في الخليج العربي إلى مجلس مديري شركة الهند الشرقية. وهذه التقارير والخطابات متباينة المضمون كونها تجارية الطابع. وتوجد أيضاً تقارير سياسية وعسكرية، ووصف للأحداث التاريخية التي جرت في المنطقة أثناء كتابة هذه التقارير؛ وكذلك وصف للظروف التي عاشها الموظفون في المحطات التجارية والمقيميات وعملوا فيها.

وتوجد في هذه المجموعة أيضاً مراسلات كثيرة لمتعهدين في شركة الهند الشرقية موجهة من فارس والإمبراطورية العثمانية. ومما لا شك فيه أن شركة الهند الشرقية كانت حريصة على إزاحة المنافسين عن طريقها، للحصول على الامتيازات من الحكام المحليين. وتضم هذه المجموعة تقارير مهمة للسير جون مالكولم (Sir John Malcolm) جول السفرات التي قام بها إلى منطقة الخليج العربي في بداية القرن التاسع عشر، وكذلك تقارير الموظفين في البصرة، وبوشهر، وجبرون.

مما لا شك فيه أن هذه التقارير ذللت لنا الكثير من العقبات التي اعترضتنا أثناء إعداد هذا البحث لكنها لم تكن كافية لحسم المسألة بشكل نهائي.

تتضمن مجموعة مواد قسم المكتبة "البلاغات الرسمية التي وردت من الوكلاء العسكريين وإدارة الأسطول البحري البريطانية" معلومات سياسية، وعامة عن الخليج العربي والجزيرة العربية.

www.almajidcenter.org

تجدر الإشارة إلى أن من أهم المراجع دليل أعدته إدارة الاستطلاع العسكري الجغرافية التابعة للأسطول البحري البريطاني تحت إشراف "هوغارت" (Hogart)، صاحب الخبرة في شؤون الجزيرة العربية. وأُعدَّ هذا الدليل في سنوات الحرب العالمية الأولى؛ عندما استدعت الضرورة إجراء تحليل سريع للأوضاع التي تشكلت في الخليج العربي.

ويلاحظ في هذا الدليل الاهتمام الخاص الذي أعير لتاريخ هذه المنطقة، وللعلاقات بين القبائل العربية، بما فيها القواسم. وكذلك للمناطق الداخلية في الجزيرة العربية، الواقعة خارج نفوذ بريطانيا. وعلى الرغم من أن صدور هذا الدليل كان في عام ١٩١٦، إلا أنه لم يوضع تحت تصرف الجمهور إلا بعد انتهاء الحرب[1].

كما إن المواد التي تختزنها المكتبة (التقارير الرسمية لوزارة الخارجية) لم ترى النور إلا بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، عندما نشرت الحكومة البريطانية وثائق رسمية أعدتها مديرية العلاقات التاريخية التابعة لوزارة الخارجية. ويطلق عادة على هذه التقارير اسم **دليل عقد اتفاقيات السلام**. وكان الهدف الرئيس منها مساعدة المبعوثين الإنكليز على إجراء مباحثات السلام، وإبرام الاتفاقيات، وعقد المعاهدات بعد الحرب العالمية الأولى.

وتشمل هذه المجموعة من الوثائق موضوعات متنوعة عن منطقة الخليج العربي، وجميع المناطق التي رزحت تحت النفوذ البريطاني آنذاك.

1- Admiralty, War office, Intelligence Division. A Handbook of Arabia (ed. By Y. Hogart) Vol. 1, 4. 1916. Vol. 11, n. 1917.

www.almajidcenter.org

تحمل المواد الخاصة بالخليج العربي الرقم ٦٧. ومن ضمن هذه المواد دليل الخليج، وهو السجل التاريخي للخليج وعمان وأواسط الجزيرة العربية لجون لوريمر[1]، الغني بالمعلومات التي تتحدث عن تاريخ الخليج العربي من القرن السادس عشر إلى بداية القرن العشرين. وهو يقع في قسمين: تاريخي وجغرافي. ويعد القسم التاريخي حتى الآن من أهم المراجع التي تتحدث عن شؤون الخليج العربي، وفارس، والعراق التركي.

والدليل هذا يعد رسمياً لأنه نُشر عن طريق حكومة الهند. وقد صدر القسم الجغرافي من دليل لوريمر في عام ١٩٠٨، أما القسم التاريخي فقد كان صدوره في كالكوتا (Calcutta) عام ١٩١٥. وكان عدد النسخ المطبوعة قليلاً، ولهذا اقتصر توزيعها على الشخصيات الرسمية من أصحاب الرتب العليا.

وقد عد هذا الدليل أثناء نشره وثيقة سرية. ولهذا لم يتمكن الباحثون والقراء من الإطلاع عليه قبل مرور الفترة التي حددتها الحكومة البريطانية. صحيح أن هذا الدليل ينسب إلى جون لوريمر، أحد كبار موظفي الحكومة الهندية. غير أن إعداد هذا العمل الضخم جداً لم يكن ملقى على عاتق شخص واحد، أي لوريمر فقط؛ إذ شارك في إعداده، بلا شك، عدد من الاختصاصيين في السياسة، والجغرافيا، والعلوم العسكرية، والاثنوغرافيا. وكان هؤلاء خير معين للوريمر على جمع المعلومات اللازمة لإصدار هذا المجلد التوضيحي، وتقديمه هدية إلى نائب الملك في الهند اللورد كيرزون (Curzon) (من عام ١٨٩٩ إلى ١٩٠٤).

في عام ١٩٠٣ تقرر إصدار دليل كامل خاص بالخليج العربي، بقسميه التاريخي والجغرافي. ومن الممكن جداً أن يكون هذا القرار قد صدر عن اللورد كيرزون، عندما كان

1- Lorimer, J. G. Gazetteer of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia. 2 vols. Calcutta, 1915.

www.almajidcenter.org

في زيارة إلى سواحل وإمارات الخليج العربي في العام نفسه، أي ١٩٠٣. وعندها كان يرافقه في هذه الزيارة جون لوريمر شخصياً.

وكان الهدف من إعداد هذا الدليل جمع ما يلزم من المعلومات التي يمكن أن يستفيد منها الموظفون البريطانيون من أصحاب الرتب العليا في عملهم، في الوقت الذي ازدادت فيه الأهمية السياسية والعسكرية لمنطقة الخليج العربي من جهة، وتعرض بريطانيا لمنافسة الإمبراطورية العثمانية، وروسيا، وفرنسا، وألمانيا من جهة أخرى.

وفي العام التالي، ١٩٠٤ قام لوريمر بجولة إلى ساحل الخليج العربي رافقه فيها عدد من المسؤولين والضباط في حكومة بومباي من أمثال "ج. جسكين"، والملازم "ج. غابريل" لجمع المعلومات اللازمة. وعندها زار لوريمر مسقط، وصحار، والشارقة، والبحرين، والكويت، وبغداد، وكربلاء. ثم عبر الساحل الشرقي وزار محمرة، و بوشهر، وبندر عباس، وجاسك.

وفي الوقت نفسه اهتمت بعثة حكومة الهند بقيادة السير "جانيج" برسم خرائط لبعض المناطق. و أكثر هذه الخرائط تفصيلاً ووضوحاً كانت لجزر البحرين، والكويت، وعمان، ومنطقة بوشهر.

كما استعان لوريمر برحلات برسي كوكس(P. Cox) التي قام بها في المناطق الداخلية في عمان في عام ١٩٠١ وتمكن أن يسجل فيها معلومات هامة عن الظاهرة والبوريمي وغيرهما من مناطق عمان الداخلية، وكذلك رحلته في الساحل الغربي من الخليج العربي من مسقط حتى أبو ظبي.

www.almajidcenter.org

إضافة إلى ذلك وضعت حكومة الهند عدداً من الوثائق والمراجع المهمة تحت تصرف لوريمر. وهذا ما ساعده على إنتاج عمل بحثي عظيم؛ ولا سيما أنه اعتمد على عدد كبير من المراجع، والوثائق العلمية والرسمية، من ذلك التقارير والمراسلات التي كانت تتلقاها شركة الهند الشرقية البريطانية من موظفيها في الوكالات التابعة لها، وكذلك وثائق حكومة بومباي، ومجموعة ج. سالدانا، وتقارير السفارات، وأخبار البعثات السياسية والتجارية المختلفة، والمراجع العلمية الأولى ،ككتاب الأميرال "لو" (Low)، الذي يتحدث عن تاريخ الأسطول البحري الهندي، ومجموعة معاهدات إيتشيسون (Aitchison)، ومذكرات الرحالة الأوروبيين، سواء المرسلين من شركة الهند الشرقية، أو ممثلي الدول الأوروبية الأخرى من أمثال الدانمركي " نيبور" (Niebuhr)، الذي يعد أول من فتح لجزيرة العربية للارتياد الأوروبي.

في النصف الأول من القرن الثامن عشر كتب نيبور مذكراته عن رحلته إلى هذه المنطقة. وتعد هذه المذكرات الأفضل، ولعلها الوحيدة التي يمكن الإطلاع من خلالها على تاريخ الخليج العربي والجزيرة العربية. ومما لا شك فيه أن لوريمر استفاد كثيراً من المعلومات التي حصل عليها من رحالة أوروبيين آخرين أمثال ج. بكنجهام، (Buckingham)، وولستد ،(Welsted)، وويلسون (Wilson)، و بيلجريف، (Belgrave) والكثير غيرهم.

ومما يؤخذ على لوريمر أنه كانت له نزعة معينة في إعداد مؤلفه. فقد غلبت عليه في كثير من الأحيان النزعة البريطانية الاستعمارية، شأنه في ذلك شأن غيره من الإنكليز الذين تناولوا بالدراسة قضايا منطقة الخليج العربي ، وتاريخها، وجغرافيتها، وجميع نواحي الحياة فيها دراسة دقيقة، وأيد بني جلدته بأن الإنكليز أتوا بالأمن والسلام والاستقرار إلى هذه المنطقة، ورأى أن القبائل العربية التي قاومت اعتداءات الإنكليز وسيطرتهم هي قبائل قراصنة، وأن عمل أي دولة أخرى في المنطقة هو اعتداء على بريطانيا العظمى.

www.almajidcenter.org

وتكمن هذه النزعة الواضحة جداً في أن لوريمر لم يعر المراجع العربية التي تتحدث عن الخليج العربي والجزيرة العربية أي اهتمام، واكتفى بما قدمته له حكومة الهند من وثائق، بالإضافة إلى المراجع الأوروبية.

يقول ج. كيلي في هذا الخصوص: ". . . جرى جمع عدد من الوثائق والأخبار الموجزة من الإدارة الأجنبية التابعة للحكومة الهندية (قام بهذا العمل بشكل أساسي سالدانا) بغرض إعداد مجلد تاريخي، "دليل". وعلى الرغم من أن هذه الوثائق والأخبار (مختارات واسعة من مراسلات مأخوذة من أرشيف حكومتي الهند وبومباي) تتعلق بالأوضاع في الخليج، إلا أن فيها الكثير من النقص، لدرجة أنه لا يمكن الاعتماد على قيمتها التاريخية".

ومع أن للوريمر ميولاً واضحة، ووجهة نظر خاصة به، إلا أن عمله يعد بحق فريداً من نوعه، ومرجعاً قيماً لدراسة تاريخ الخليج العربي والجزيرة العربية.

يصف لوريمر في القسم التاريخي من دليل الخليج الأحداث التي وقعت في الخليج العربي منذ وصول البرتغاليين إلى المنطقة في بداية القرن السادس عشر (سنة ١٥٠٧)، حتى بداية القرن العشرين. وقد أعير في هذا القسم اهتمام خاص لتشكل وتطور المصالح الإنكليزية في المنطقة منذ تأسيس شركة الهند الشرقية البريطانية في عام ١٦٠٠، وعلاقات هذه الأخيرة مع فارس، والقبائل العربية المقيمة على الساحل العماني، وصراع بريطانيا، في البداية مع البرتغال، ومن ثم مع هولندا، وفرنسا.

ويتضمن هذا القسم تحليلاً لسير السياسة البريطانية، وكيف أدى الأمر إلى حمل الحكام المحليين على الرضوخ لبريطانيا سياسياً وعسكرياً في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. ومن ثم يتحدث هذا القسم عن اصطدام المصالح البريطانية بالادعاءات الاستعمارية

www.almajidcenter.org

لألمانيا، وروسيا، وفرنسا، والعقبات التي اجتازتها لندن في سعيها لفرض السيطرة على المنطقة.

وهنا لم يكتف لوريمر بالإشارة إلى المنافسين الأوروبيين، بل أشار أيضاً إلى مقاومة القبائل والإمارات العربية والدول الإقليمية كفارس، والدولة السعودية الثانية، وإلى الحملة العسكرية المصرية في عهد محمد علي على الجزيرة العربية، وصراع الإنكليز مع الإمبراطورية العثمانية. وقد جاء لوريمر بكل هذه الموضوعات مفصلة حسب تسلسلها التاريخي. كما خصص فصلاً خاصاً لكل منطقة تاريخية. وتحدث عن تاريخ عمان، وعن القبائل العربية على ساحل عمان، وعن قطر، والبحرين، ومنطقة الأحساء، ونجد، والعراق، والساحل الجنوبي لفارس.

واختتم لوريمر القسم التاريخي من مؤلفه بملاحق أشار فيها بالتفصيل إلى المراجع التي استخدمها، وببلوغرافيا كاملة لها، وملحق خاص بزيارة نائب الملك في الهند اللورد كيرزون إلى منطقة الخليج العربي في عام ١٩٠٣. وفي نهاية هذا القسم توجد قوائم، وجداول بأسماء الممثلين السياسيين، والمقيمين البريطانيين وغير البريطانيين، ومخططات توضح نسب عدد من أسر الحكام المحليين.

أما القسم الجغرافي فهو أشبه ما يكون بمعجم جغرافي يعرض فيه لإمارات الخليج وأواسط الجزيرة العربية، والمناطق المجاورة (فارس والعراق). وقد جرى ترتيب الموضوعات حسب التسلسل الأبجدي. وهذا الجزء يتحدث عن المدن، والقرى، والموانئ، والزراعة، والقبائل، وطرق العيش، وكل ما تتصف به المنطقة.

www.almajidcenter.org

(١٣)- المذكرات السياسية والسرية:

قام فرع السياسة والسياسة الخارجية في حكومة الهند بإعداد وإصدار القسم الأكبر من هذه المذكرات. وجرى جمع بعض منها في مجلدات، في حين نشر البعض الآخر على أجزاء. وتعد هذه المذكرات ثمينة وهي من الأهمية بمكان؛ ذلك أنها تحتوي على أرقام ومواضيع تتضمن معلومات تاريخية قيمة تعكس وجهات النظر في هذه القضية السياسية أو تلك وتطوراتها. غير أن ما يؤسف له أن هذه المذكرات مؤرخة اعتباراً من عام ١٨٧٩، ولا يوجد إلا في القليل منها غوص في أعماق الماضي حيث يجري تناول الأحداث التي تهم بحثنا المرتبطة بتاريخ القواسم.

(١٤)- وثائق الإدارة السياسية والسرية في الحكومة الهندية:

تعد الوثائق مادة قيمة للباحث في منطقة الخليج العربي، والجزيرة العربية؛ لكونها، بالدرجة الأولى تقارير لقناصل، ومقيمين سياسيين، ووكلاء، مرسلة إلى حكومة الهند. وهذه الوثائق تصف الأحداث التي وقعت في المنطقة بالتفصيل. وبذلك تتكشف أمام الباحثين الأحداث ذات الأهمية المحلية لدراستها وتحليلها. إضافة إلى ذلك تضم هذه الوثائق نصوصاً أصلية لمراسلات جرت بين الشيوخ وحكام الإمارات والمقيمين السياسيين والوكلاء البريطانيين.

ولكن، نظراً لأن تاريخ هذه الوثائق يبدأ من عام ١٩٠١، فإن أهميتها بالنسبة لبحثنا الحالي تقتصر على إيضاح تطور العلاقات مع السلطات البريطانية، وفقاً للاتفاقيات والمعاهدات التي فُرضت على القواسم وبقية القبائل العربية في بداية القرن العشرين.

www.almajidcenter.org

(١٥) – مراسلات وأخبار تتعلق بقضايا الخليج العربي بشكل مباشر:

جرى حفظ هذه المعلومات في عدة ملفات متباينة من حيث الحجم، وهي معلومات خاصة بالحياة الداخلية للإمارات العربية والعلاقات التي تربطها مع الحكومة البريطانية. وقد كتبت معظم هذه المعلومات بخط يد الوكلاء المحليين، وأُرسلت إلى المقيمية البريطانية في بوشهر.

والجدير ذكره أن هؤلاء الوكلاء لم يكونوا من المواطنين المحليين الأصليين، فقد كان الكثير منهم من الهنود أو الفرس الذين استوطنوا في الإمارات العربية، وكانت الشارقة المقر الرئيس لهم. ونظراً لأن هؤلاء الأشخاص كانوا يقيمون في الإمارات العربية بشكل دائم، وعرفوا الأحداث التي شهدتها المنطقة بشكل جيد فقد جاءت تقاريرهم مفصلة ودقيقة.

تعود هذه المواد إلى منتصف القرن التاسع عشر وأواخر الخمسينات من القرن العشرين. وفيها الكثير من الوثائق التي تتناول الأحداث التي شهدتها جميع إمارات ساحل الخليج العربي، وتسلط الضوء على الأوضاع الداخلية لتلك الإمارات، كما توجد وثائق تضم معلومات عن الكويت وقطر والبحرين وغيرها من الإمارات العربية ذات التكوين القبلي، بما في ذلك القواسم، وكذلك معلومات عن العلاقات مع الدول المجاورة: العراق و فارس ونجد.

وبعض هذه الوثائق تشير إلى الخلاف على الحدود بين مختلف الإمارات العربية الواقعة على ساحل عمان، وبينها وبين نجد والكويت والعراق.

www.almajidcenter.org

ومن المواد التي تسترعي اهتماماً خاصاً الوثائق السياسية والإدارية والقنصلية للوكلاء الإنكليز، والشخصيات الرسمية، وكذلك وثائق الوكيل البريطاني في مسقط. وقد كان هؤلاء الأشخاص يخدمون حكومة الهند والحكومة البريطانية في آن واحد؛ ذلك أن الوكالة كانت تعد رسمياً بريطانية ذات تبعية مركزية للندن، في حين أن العمل السياسي كان يقع على عاتق حكومة الهند. والوكيل البريطاني في مسقط يحتل المرتبة الثانية من الأهمية بعد المقيم البريطاني في بوشهر.

من الشخصيات البريطانية المهمة التي ظهرت في مسقط وكان لها دور في الأحداث التي شهدتها المنطقة، وتركت مؤلفات مهمة هناك: إدوارد روس" (E. Ross)، و س. مايلز (S. Miles) و بيرسي كوكس، الذي شغل في البداية منصب المعتمد السياسي البريطاني، ومن ثم أصبح مبعوثاً سياسياً للحكومة البريطانية، ومندوباً مفوضاً لبريطانيا العظمى في العراق. ونظراً لتبعية هؤلاء الممثلين الحكوميين المزدوجة، للهند ولندن فقد كان عليهم القيام بأعمال معروفة. وهذا كله يظهر في التقارير والبلاغات والمذكرات، وغير ذلك من الوثائق الخاصة بالشؤون السياسية والإدارية والقنصلية.

وبصرف النظر عن أن أقدم الوثائق في هذه المجموعة تعود إلى منتصف القرن التاسع عشر، فإنها تحتوي على الكثير من المواد التي تتناول المرحلة التي تسبق الفترة من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر، أي الفترة التي هي موضوع بحثنا.

يحتفظ الأرشيف المركزي لبريطانيا العظمى بعدد كبير من المراجع والوثائق والمعلومات الخاصة بالخليج العربي تعد مهمة إلى حد ما بالنسبة إلى بحثنا الحالي. ويتكون هذا الأرشيف من الأقسام التالية:

١- أرشيف وزارة شؤون المستعمرات؛

٢- الوثائق السرية و"الخضراء"؛

www.almajidcenter.org

٣- وثائق مجلس وزراء بريطانيا العظمى؛

٤- أوراق ومراسلات خاصة؛

٥- أرشيف وزارة خارجية بريطانيا العظمى.

ونظراً لأن وثائق أرشيف وزارة الخارجية البريطانية مؤرخة من بداية السبعينات من القرن التاسع عشر، حيث بات بإمكان الوزارة إدارة الجهاز السياسي في منطقة الخليج العربي والإشراف عليه، ونظراً لأن وثائق بقية الأقسام تعود لبداية القرن العشرين، فإن المهم بالنسبة لبحثنا هو بعض المراجع التي فيها ما يشير إلى مرحلة تاريخية أكثر قدماً، أو التي فيها ما يشير إلى مجريات الأحداث التي تعود بدايتها إلى القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر.

ومع ذلك تعد هذه الوثائق مهمة لكونها تبين، على سبيل المثال لا الحصر، تطور المصالح السياسية لبريطانيا، ومن ثمَّ تبين النوايا الحقيقية للندن في هذه المنطقة. والواقع أن دراسة وثائق وزارة الخارجية يبين جوهر تلك القرارات السياسية التي اتُّخذت في القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر.

يحاول المؤرخون الغربيون، وفي مقدمتهم الإنكليز، على مدى عقود عديدة إثبات أسطورة ما يسمى قرصنة القواسم أو القواسم القراصنة، معتمدين على عدد من المراجع المنتقاة بدقة. لكنهم يتجاهلون، لسبب ما وثيقة يحتفظ بها قسم المراسلات الخاصة التابع للأرشيف المركزي البريطاني تتضمن كلمة لوزير خارجية بريطانيا آنذاك، والنائب السابق للملك في الهند لنسداون (Lansdown) (١٨٨٨- ١٨٩٤)، التي كان قد ألقاها في مجلس اللوردات بتاريخ ٥ مايو عام ١٩٠٣. وقال فيها: "يجب عدم السماح بدخول أية دولة أجنبية إلى الخليج العربي. ولا بد من جعل هذا الخليج منطقة نفوذ إنكليزي مغلقة".

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

www.almajidcenter.org

يتضح من هذه الوثيقة أن وجود بريطانيا في منطقة الخليج ليس من أجل إحلال السلام، واستتباب الأمن، ومكافحة القرصنة كما يدعي الإنكليز، بل لأهداف استعمارية تشكل أساس السياسة البريطانية الهادفة إلى استعباد منطقة الخليج العربي والجزيرة العربية.

توجد في مكتبة المتحف البريطاني مجموعة من الوثائق المنشورة المهمة، منها عمل لإيتشيسون جمع فيه وثائق اتفاقيات ومعاهدات والتزامات بريطانيا العظمى مع الهند، والدول المجاورة، بما فيها إمارات الخليج العربي والجزيرة العربية. وهذه المجموعة أعدها إيتشيسون بتكليف من حكومة الهند. وقد صدرت ثلاث طبعات منها في الأعوام: ١٨٧٦، و١٨٩٢، و١٩٣٣.

وكانت كل طبعة جديدة تصحح الطبعة السابقة، وتضيف إليها مواد وثائقية جديدة. وهذا العمل يتألف من ١٢ مجلداً. ونظراً لأن المجلد العاشر من هذه المجلدات يضم نصوصاً لمعاهدات مبرمة بين بريطانيا وإمارات الخليج العربي فقد كان مفيداً لنا لتقديم بحثنا الحالي. كما استفدنا من المجلد الحادي عشر الذي يضم أيضاً نصوصاً لمعاهدات موقعة مع بلاد الجزيرة العربية، ومسقط، وعدن، والبلاد الواقعة على سواحل شرق إفريقيا.

وإلى جانب نصوص المعاهدات جمع إيتشيسون تعليقات وتفسيرات تخص هذه المعاهدات، ظهرت أثناء التوقيع عليها. غير أن وجود نقص غير مبرر في طبعة إيتشيسون لبنود كاملة من الاتفاقيات - الأمر الذي غالباً ما يخفي حقيقة هذه الاتفاقيات- يحتم على من يتناولها أن يكون شديد الحذر، وأن يتحقق من المعلومات الواردة فيها في مجموعات وثائق أخرى[1].

1- Aitchison, C. U. A collection of Treaties. Engagements and Sanads relating to India and Neighbouring Countries. 13 Vols. L. 1929- 1933.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

www.almajidcenter.org

كما توجد مجموعة أخرى لـ "ت. هيوجس" تتضمن نصوصاً لاتفاقيات ومعاهدات أبرمتها شركة الهند الشرقية مع الحكام في غرب الهند، والبحر الأحمر، والخليج العربي. وقد جمع هيوجس هذه الوثائق بتكليف من حكومة بومباي. وتعد هذه الوثائق من أقدم الوثائق، ولا سيما تلك التي تتعلق بالخليج العربي، والتي قام هيوجس بنشرها شخصياً في عام ١٨٥١.

ومن هذه الوثائق نصوص لاتفاقيات أبرمتها شركة الهند الشرقية البريطانية مع مسقط، والإمارات العربية على الساحل العماني؛ إذ أن النفوذ البريطاني لم يكن قد وصل في الفترة التي وضعت فيها هذه المجموعة إلى أبعد من منطقة الساحل العماني. والجدير بالذكر أنه يصعب إيجاد مثيل للعديد من هذه الاتفاقيات في مجموعات وثائقية أخرى.

ومن الوثائق المهمة التي تحتفظ بها مكتبة المتحف البريطاني، منشورات لحكومة بومباي[1]، وهي مختارات من وثائق أرشيفية تشكل مجموعة وثائق تحوي معلومات تاريخية وغير تاريخية عن تشكيلات قبلية، منها القواسم، ومعلومات عن البحرين، وقطر، وعمان، وغيرها من إمارات الخليج العربي. وهذه المجموعة تضم أيضاً الكثير من الوثائق السياسية، وأخبار عامة عن أوضاع الإمارات العربية، وعن تطور علاقات شركة الهند الشرقية وحكومة بومباي مع الخليج العربي من السنوات الأولى من القرن الثامن عشر حتى منتصف القرن التاسع عشر.

وقد ساهم في جمع هذه الوثائق المقيمون السياسيون، ووكلاء شركة الهند الشرقية، الذين كانوا يعملون في بلدان الخليج العربي حتى عام ١٨٥٦، وكذلك بعض ضباط الأسطول الهندي، الذين شاركوا في عمليات مسح بحري لهذه المنطقة. ولهذا توجد في

1- Bombay Government. Selections from the Records of Bombay Government, №. 24, New Series, the Persian Gulf. Bombay, 1956.

www.almajidcenter.org

المجموعة نصوص لعدد من الاتفاقيات وقعها المقيمون السياسيون البريطانيون مع حكام عمان ومسقط والإمارات العربية. إذ أن الممثلين البريطانيين كانوا يملكون الصلاحية التامة للتوقيع على أية وثيقة رسمية باسم شركة الهند الشرقية، وحكومة بومباي.

ففي ذلك الحين (في منتصف القرن التاسع عشر) أخذت بريطانيا تحكم سيطرتها على الخليج العربي بقوة. أي إنها ملكت الحق في عقد المعاهدات مع الحكام المحليين، والعمل في المنطقة بمطلق الحرية.

تضم المجموعة معلومات مفصلة إلى حد ما عن تاريخ مسقط، وعمان منذ ظهورهما كوحدة سياسية (في بداية القرن الثامن عشر). كما تحتوي على العديد من الوثائق التي تخص علاقات شركة الهند الشرقية مع قبائل ساحل عمان في الفترة من عام ١٨٠٦ إلى عام ١٨٥٣، أي الفترة التي أُرغم فيها القواسم على التوقيع على العديد من الاتفاقيات والمعاهدات الجائرة وغير المتكافئة.

تضم مجموعة "مختارات من وثائق حكومة بومباي" معلومات مهمة عن قبيلة القواسم تعود إلى الفترة الواقعة ما بين عامي ١٧٤٧ و ١٨٥٣. تكمن أهمية هذه المجموعة في إمكانية تحليل قوة وإمكانيات القواسم من أواخر القرن الثامن عشر إلى عام ١٨٥٣، أي حتى انتهاء نشاطهم البحري، وتقويض قوتهم نتيجة للحملات الشرسة التي كانت بريطانيا تجردها ضدهم، والتي أسفرت عن التوقيع على ما يسمى **معاهدة السلام الدائم في البحر** مع بريطانيا.

وأكثر هذه المعلومات أهمية تلك التي تتحدث عن قبيلة العتوب التي تضم (آل خليفة، وآل صباح، والجلاهمة). كما توجد في المجموعة معلومات مهمة أيضاً عن الحركة الوهابية، وعن انتشار هذه الحركة بين القبائل العربية على ساحل عمان: القواسم، وبني

www.almajidcenter.org

ياس، والبوفلاسا، وفي عجمان، وأم القيوين. وهناك معلومات قيمة عن صراع رحمة بن جابر الجلاهمة مع شيوخ آل خليفة في البحرين حتى وفاة رحمة في عام ١٨٢٨.

في الواقع يمكن أن تساعد هذه المجموعة على تحليل أسس السياسة البريطانية في منطقة الخليج العربي في النصف الأول من القرن التاسع عشر، الهادفة إلى تعزيز الوجود البريطاني في المنطقة بحجج مبتكرة، منها مكافحة القرصنة، وضمان سلامة الملاحة، وممارسة التجارة. وهذا ما يتضح من الصفحات العديدة التي تسلط الضوء على تفاصيل الوجود العسكري البريطاني القسري في منطقة الخليج العربي.

توجد في مكتبة المتحف البريطاني أيضاً مجموعة من الوثائق نشرتها الإدارة العامة لحكومة الهند في كالكوتا، وإدارة السياسة والشؤون الأجنبية للحكومة نفسها في "سملا" (Simla)[1]. وتضم هذه الوثائق نصوصاً لاتفاقيات وقعها الشيوخ العرب المقيمون على ساحل عمان، وفي الخليج العربي مع بريطانيا منذ عام ١٨٢٠. والمهم في هذه المجموعة أنها تحوي نصوصاً لتعهدات ومعاهدات واتفاقيات باللغة الإنكليزية، والعربية، والفارسية.

ولكن ما يلفت النظر أن النصوص العربية مكتوبة بأسلوب ركيك، وتوجد في بعض الكلمات أحرف غير مقروءة. ويبدو أن من كتب تلك النصوص هم المترجمون الذين كانوا يعملون لدى السلطات البريطانية. وكان معظمهم من الهنود والفرس. ولعله لهذا السبب

١- انظر:

- Letter from Percy Cox, Political Resident in the Persian Gulf to the Foreign Department, Government of India on the boundaries of Kuwait. Government of India, Foreign and Political Department. Simla, 1913;
-Treaties & Undertakings in Force Between the British Government & the Sultans of Muscat &Oman 1825- 1914. Calcutta, 1914;
-Treaties & Undertakings, etc., in Force Betwen the British Government & the Rulers of Bahreein 1820- 1914. Calcutta, 1914.

www.almajidcenter.org

تتضمن معظم الوثائق فقرة تشير إلى إنه في حال الالتباس في فهم أو تفسير نص الاتفاقية، أو وجود اختلاف في العبارات يكون النص الإنكليزي هو المرجع والمعتمد الأساسي[١].

توجد إلى جانب نصوص المعاهدات وثائق تخص بلدان الخليج العربي معدة من قبل المقيمين السياسيين، والوكلاء، والمعتمدين البريطانيين. والمهم في هذه الوثائق أنها تبين الوضع الحقيقي في المنطقة، وتعطي المعلومات الصحيحة عن أهداف وأساليب السياسة البريطانية في إمارات الخليج العربي.

تحوي هذه المواد التي نشرتها حكومة الهند، المحفوظة حالياً في مكتبة المتحف البريطاني، العديد من الوثائق المهمة التي تتحدث عن قضايا إمارات الخليج العربي، والاتحادات القبلية العربية، ومن بينها القواسم. ومن أهم هذه الوثائق مخطوطات لـ سليل بن رزيق، وسرحان بن سعيد.

وقد نُشِر المخطوط الأول بعد ترجمته إلى اللغة الإنكليزية في عام ١٨٧١ في لندن بوساطة "ج. بادجر" (G. Badger)، الذي عمل في حكومة الهند لعدة سنوات، وهو المعروف بأبحاثه عن تاريخ عمان. وكان عضواً في اللجنة التي أرسلها نائب الملك في الهند اللورد كانينج إلى عمان في عام ١٨٦١ لتقسيمها إلى مسقط وزنجبار.

ويحمل مخطوط سليل بن رزيق، المترجم إلى الإنكليزية عنوان "تاريخ أئمة وسادة عمان من عام ٦٦١ إلى عام ١٨٥٦"؛ غير أن بادجير لم يكتف بترجمته فقط، فوضع لمحة تاريخية، ومقدمة تحليلية لسير الأحداث التي امتدت إلى عام ١٨٧٠[٢].

1- Treaties & Undertakings in Force Betwen the British Government & the Sultans of Muscat & Oman 1825- 1914. Calcutta, 1914. p. 57.
2- Badger, G. P. History of the imam and Seyyids of OMAN by Salil ibn Razik (1661- 1858). L. 1871.

www.almajidcenter.org

يعد هذا المخطوط قيماً؛ إذ أنه، لأول مرة يتطرق مؤلف عربي إلى موضوع التوسع الاستعماري البريطاني في منطقة الخليج العربي، ويتحدث عن الحملات العسكرية التي جردتها بريطانيا ضد القواسم في بداية القرن التاسع عشر، وعن المعاهدات غير المتكافئة التي فُرضت على الشيوخ العرب.

أما مخطوط سرحان بن سعيد، الذي يحمل عنوان "مدونات تأريخ عمان" فقد ترجمه ونشره في عام ١٨٧٤ "روس" (Ross)، الذي عمل في بداية السبعينات من القرن الماضي ممثلاً سياسياً في مسقط، وأجرى أبحاثاً تاريخية مهمة عن الخليج العربي. وتكمن قيمة هذا الكتاب المخطوط بأنه يساعد على التحقق من مختلف الأحداث التي جرت ليس في عمان فحسب، بل في مناطق أخرى من الجزيرة العربية[١].

تشكل أعمال الأوروبيين الذين عايشوا الأحداث التي شهدتها منطقة الخليج العربي وشاركوا فيها بشكل مباشر، مجموعة خاصة من المراجع. من هذه الأعمال كتاب لـ"بريدجس" (Brydges) بعنوان "تقرير بعثة حكومة صاحبة الجلالة، ملكة بريطانيا إلى البلاط الفارسي (١٨٠٧ – ١٨١١)"، الذي يحتوي على معلومات مهمة عن تاريخ الحركة الوهابية، وقيام الدولة السعودية الأولى، ومعلومات عن علاقة بريطانيا بشيوخ الإمارات العربية، والتكتلات القبلية، وعن نشاط شركة الهند الشرقية.

ويبين هذا العمل بشكل خاص الموقف الرسمي للحكومة البريطانية من الأحداث التي وقعت في أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر في منطقة الخليج العربي[٢].

1-Ross, E. C. Annals of OMAN by Sirhan bin Said bin Sirhan of the Benu Ali Tribe of OMAN. Calcutta, 1874.
2- Brydges H. J. An Account of the Transactions of H. M. Mission to the Court of Persia in the years 1807-11. To which is Appended a Brief History of the Wahauby. 2 vols. L. 1834.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

وهناك بحث فريد من نوعه لـ "ش. جين" يتعلق بالوثائق التاريخية والجغرافية والتجارية لشرقي إفريقيا، يعد من أهم المراجع الخاصة بتاريخ عمان، وساحل عمان، واتحادات القبائل العربية التي كانت موجودة هناك. وفيه يروي المؤرخ الأحداث التي وقعت حتى وفاة سعيد بن سلطان (عام ١٨٥٦)[١].

ومن المراجع المهمة على وجه الخصوص كتاب لـ" مريزي"(Maurizi)، وهو طبيب إيطالي من روما، كان شاهد عيان للأحداث التي جرت في أواخر القرن التاسع عشر في الخليج العربي، بل إنه كان من المشاركين المباشرين في تلك الأحداث[٢]؛ إذ كان يعمل في الشرق، ثم انتقل للعمل في خدمة سعيد بن سلطان، وأخذ لقب "الشيخ منصور". وفيما بعد شارك مع القوات العمانية في حملة ضد القواسم (١٨٠٩ - ١٨١٠).

وألف كتاباً عن حياة سعيد بن سلطان، وتاريخ عمان. ذكر فيه الكثير من المعلومات عن قبائل المنطقة، وبخاصة القواسم، والوهابيين. وقد تُرجم هذا الكتاب المخطوط إلى اللغة الإنكليزية، ونشر في لندن في عام ١٨١٩.

ومن الأبحاث القيمة جداً التي تتحدث عن تاريخ الخليج العربي وقبائله بحث يقع في مجلدين من حجم كبير للعقيد "س. ب. مايلز"، الذي شغل منصب المعتمد السياسي البريطاني في مسقط في الثمانينات من القرن التاسع عشر[٣]. وكان مايلز يعير، كنظيره روس أهمية كبيرة لتاريخ منطقة الجزيرة العربية، وتراثها الثقافي.

١ - للأسف لم يذكر الباحث هنا البحث المعني المترجم

2- Mansur, Shaikh (Maurizi, Vincenzo). History of Seyd Said, Sultan of Muscat together with an Account of the Countries and people on the Shores of the Persian Gulf particularly of the Wahabees. L., 1819.

3- Miles, Colonel S. B. Countries and Tribes of the Persian Gulf. 2 Vols. L. 2nd imp. 1966.

www.almajidcenter.org

توجد في المجلد الأول دراسة لبلدان الخليج العربي في عصر الإسلام، أي أثناء ازدهار التجارة والملاحة في هذه المنطقة. ويصف المؤلف مايلز المرحلة الأولى من استعمار الخليج العربي الذي بدأ مع بداية القرن السادس عشر عندما ظهر البرتغاليون على سواحله، واستمر حتى بدأ تغلغل بقية الدول الأوروبية فيه: هولندا، وبريطانيا، وفرنسا. والمهم في عمل مايلز أنه أعار أهمية كبيرة لعصر ازدهار القوة العربية، ولا سيما لنهضة دولة اليعاربة في عمان، وصراعهم ضد البرتغاليين.

ويتحدث مايلز في المجلد الثاني عن سلالة آل بوسعيد الحاكمة في عمان وزنجبار. ويعطي فيه وصفاً مفصلاً لقبائل الخليج العربي، وميزاتها، وتاريخها، وثقافتها، واقتصادها، ونشاطها البحري والتجاري.

ومن سلبيات عمل مايلز أنه لا يحتوي على أسانيد، ويعتمد أسلوب البحث أكثر مما هي طبيعة بحثية. لكنه مع ذلك يجد اهتماماً من جميع المؤرخين، الذين يدرسون مختلف قضايا الخليج العربي والجزيرة العربية.

توجد أيضاً كتابات وتقارير كثيرة عن الجولات والبعثات التي قام بها الأوروبيون إلى منطقة الخليج العربي والجزيرة العربية. والواقع أن مثل هذه المؤلفات تعد كثيرة وتتطلب اهتماماً خاصاً ابتداءً من جولة الدانمركي "نيبور"(Niebuhr)، أول من اكتشف الجزيرة العربية بنظر الأوروبيين في منتصف القرن الثامن عشر، وانتهاءً بجولات الرحالة، والباحثين، والدبلوماسيين، والمغامرين. ومن هؤلاء: بكنجهام، بوركهاردت (Burckhardt)، كاروزيرس (Carruthers)، شسني (Chesney)، فرانكلن (Franklin)، فريزر (Fraser)، غيربيرت"(Herbert)، هيد (Heude)، هوود، حوراني، " أي. إيب"، بيلجريف (Belgrave)، بارسونس (Parsons)، ولستد (Welsted)، " أ. رايت"، "سادلر"(Sadlier)، " س. م. زويمر" (Zwemer).

www.almajidcenter.org

يعد كتاب الرحالة الإنكليزي "ج. بكنجهام" بحق من المراجع المهمة التي تتحدث عن القواسم[١]. وهذا الكتاب يقع في مجلدين. ويوجد في المجلد الثاني فصلان يتحدث فيهما المؤلف عن قبيلة القواسم بدقة عالية؛ نظراً لأنه كان شاهد عيان، وكان مشاركاً في الأحداث التي يصفها. ولا سيما إنه زار رأس الخيمة في عام ١٨١٦ واجتمع مع شيخ القواسم حسن بن رحمة. والمعلومات التي دونها بكنجهام عن هذا الحدث دقيقة، وهي تتطابق مع ما يحتفظ به أرشيف حكومة بومباي من معلومات تعد سرية.

وبما إن بكنجهام لم يكن من الشخصيات الرسمية، ومن ثمَّ لم تكن لديه أسباب جوهرية تحمله على تمويه أهداف ومهام السياسة البريطانية في هذه المنطقة فقد تحدث صراحة عن سعي بريطانيا لقمع القبائل المحلية، وقهرها بأي ثمن كان، ولو أدى الأمر إلى إبادتها كلياً. وهو يصف كيف أن بريطانيا نجحت في تحقيق أهدافها من خلال الحملات التأديبية التي جردتها ضد القواسم[٢].

لا بد من الإشارة أيضاً إلى عمل بحثي يقع في مجلدين للرحالة الإنكليزي ولستد (Welsted) الذي زار المناطق الداخلية لساحل عمان في عام ١٨٣٥ - ١٨٣٦. تمتاز مراقبة ولستد للأحداث وتحليله لها بالدقة والإنصاف للقواسم. وتعد كتاباته بحق مكملة لوثائق حكومة بومباي الخاصة بتلك الأحداث[٣].

ومن المراجع التي تخص بحثنا الحالي بشكل أو بآخر بحث للقسيس الأمريكي زويمر، الذي تحدث فيه عن نشاطه الديني في بلدان الخليج العربي والجزيرة العربية[٤].

1- Buckingham, y. s. Travels in Assyria, Media and Persia. 2 vols. L. 1830 .
2- Buckingham, op. cit.
3-Welsted, J. R. Travels in Arabia, vols. L. 1838.
4-Zwemer, S. M. Arabia: The Cradle of Islam. L. 1900.

www.almajidcenter.org

وكذلك عمل جيد آخر لـ "ف. كيار" تناول فيه النزاع بين بريطانيا وفرنسا على سلطنة مسقط من وجهة نظر القانون الدولي والعلاقات الدولية[١].

من الواضح أن معظم الوثائق والمراجع الأساسية التي تتحدث عن قضايا الخليج العربي والجزيرة العربية إنكليزية. وهي بالطبع تعكس وجهة النظر الرسمية البريطانية مع تغيير بسيط جداً.

ولكن على الرغم من الاختلاف بين كل من حكومة الهند، وحكومة بومباي، ووزارة شؤون المستعمرات البريطانية، ووزارة الخارجية، وغيرها من الدوائر الحكومية البريطانية التي يدخل ضمن دائرة مصالحها الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية، إلا أن جميعها مشتركة بهدف واحد، وهو خدمة مصالح الاستعمار البريطاني؛ كون العلاقات ذات الطابع العملي هي التي تربط الدولة المستعمِرة بهذه المنطقة. ولهذا قبل استخلاص النتائج النهائية، لا بد من إجراء تحليل دقيق لجميع هذه المراجع والوثائق الرسمية، والمصادر المعلوماتية، التي يجري تناولها، حتى يتحقق التعرف بشكل دقيق على كيفية تناول الأحداث التاريخية الموصوفة.

من الأبحاث المهمة، والمفيدة جداً التي تتحدث عن تاريخ عمان، وكذلك عن عادات وتقاليد القبائل العربية، أعمال أصحابها من أسرة آل بوسعيد الحاكمة. ومن هذه الأعمال كتاب مذكرات أميرة عربية، تأليف الأميرة سالمة بنت السيد سعيد بن سلطان. والمعروف عن هذه الأميرة أنها تزوجت بالضابط الألماني روث، وأخذت اسم أميلي روث (E. Ruette).

صدر كتاب مذكرات أميرة عربية في البداية باللغة الألمانية، وبعد ذلك تُرجم إلى اللغتين الإنكليزية والفرنسية. ولم تتطرق أميلي روث في كتابها إلى تاريخ وطنها فحسب، بل

١ – للأسف لم يشر الباحث إلى عنوان البحث المقصود المترجم

www.almajidcenter.org

وصفت جميع نواحي الحياة البشعة، سواء داخل القصور الملكية، أو خارجها، وكيف كانت القرارات المهمة التي تتعلق بالسياسة الداخلية أو الخارجية تتخذ بشكل عارض في بعض الأحيان.

وتحدثت أميلي روث في كتابها عن الخلافات بين أخويها ثويني وماجد على وراثة عرش أبيهم، الأمر الذي أدى في النهاية إلى تقسيم البلاد، وضعفها، وتراجع نفوذها ومن ثم استسلامها التدريجي أمام بريطانيا[١].

وهناك فرد آخر من الأسرة الحاكمة هو " رودولف روث " ابن أميلي روث، وحفيد سعيد بن سلطان ألف كتاب " سلطنة عمان خلال حكم السيد سعيد بن سلطان (١٧٩١ – ١٨٥٦)، نشر باللغة الإنكليزية في عام ١٩٢٩.

يحاول رودولف روث أن يبرز في هذا الكتاب شخصية جده السيد سعيد بن سلطان، وعن السياسة الخارجية لعمان، وعلاقات عمان الدولية الواسعة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر. وهذا الكتاب يحتوي على فهرس المراجع، وفهرس لسلسلة نسب أسرة آل بوسعيد الحاكمة ابتداءً من مؤسسها الإمام أحمد بن سعيد (١٧٤١) وانتهاءً بوفاة سعيد بن سلطان[٢].

ومما لا شك فيه إطلاقاً أن المؤرخين الإنكليز الذين يملكون جميع المواد الوثائقية المهمة (الأرشيفات، ونصوص المعاهدات، والاتفاقيات، والمراسلات الرسمية، والمذكرات. . .) استطاعوا سرد رواياتهم عن تاريخ الخليج العربي، ولا سيما عن الأحداث التي شهدتها المنطقة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، بالشكل الذي يناسبهم ويبرر

1- Ruette, E. Memoirs of the Arabian princess. L. 1888.

٢- روث، رودولف سعيد. سلطان عمان خلال حكم السيد سعيد بن سلطان (١٧٩١ - ١٨٥٦). البصرة، ١٩٨٣.

www.almajidcenter.org

السياسة التي انتهجتها بريطانيا في هذه المنطقة من العالم. إلا أن ذلك لا يعد "الطامة الكبرى". فالطامة الكبرى أن وجهة النظر الإنكليزية حول تاريخ الخليج العربي بقيت، مع الأسف هي السائدة وبشكل مطلق حتى الآونة الأخيرة.

في العقود الأخيرة فقط بدأ المؤرخون العرب يقومون ببعض المحاولات في كتابة التاريخ الحقيقي لشعوبهم، وتغيير الشكل الاستعماري – التاريخي الذي فرضه الاستعمار على شعوب الجزيرة العربية.

من المؤرخين الإنكليز الذين كان لهم الباع الأكبر في الكتابة عن تاريخ الخليج العربي نذكر: " ويلسون "، مؤلف كتاب " الخليج الفارسي ـ دراسات في تاريخ الخليج الفارسي منذ القديم حتى بداية القرن العشرين " (نشر في عام ١٩٢٨)، و " كيلي"، مؤلف كتاب بريطانيا والخليج الفارسي (١٧٩٥ـ ١٨٨٠) ، و " بوش" (Busch)، مؤلف كتاب بريطانيا والخليج الفارسي (١٨٩٤ـ ١٩١٤)، ودليل بلدان الخليج الفارسي، الذي صدر في عام ١٩٨٠ ومقالات تشمل جميع نواحي الحياة في هذه المنطقة بما فيها النواحي التاريخية. وكل هذه الأعمال تكرر الرواية الإنكليزية الواحدة عن تاريخ الخليج العربي[١].

تمتاز جميع هذه الأعمال بنزعة مشتركة، وهي البرهان على بعض حقوق بريطانيا غير المشروعة في التدخل في شؤون شعوب الخليج العربي والجزيرة العربية، وفرض السيطرة

١- انظر:

- Wilson, A. T. The Persian Gulf. Oxford, 1954;
- Kelly, Britain and the Persian Gulf 1795-1880. Oxford, 1968;
- Cottrell, A. J. (ed.) The Persian Gulf States: A General Survey. Baltimore, 1980;
- Busch, B. G. B. Britain and the Persian Gulf 1894-1914. Berkley California, 1967.

www.almajidcenter.org

البريطانية بأشكال مختلفة. وقد جرى ذلك في البداية عن طريق قمع القبائل العربية التي قاومت الاستعمار الإنكليزي، ولا سيما القواسم.

وكان لا بد للإنكليز من ذريعة لتبرير قمعهم للمقاومة العربية؛ فوجدوا أن الذريعة المناسبة لذلك **مكافحة القرصنة** التي زعم الإنكليز أنها موجودة. وبعد ذلك أخذت بريطانيا تبحث عن حجة أخرى لتجرد الحملات الجديدة لإخضاع القبائل العربية. وكانت حجتها في هذه المرة مكافحة تجارة الرقيق. ومن جديد كان الإنكليز السباقين في الحديث عن **الدور الإنساني** الذي تلعبه بلادهم.

يبين تحليل مؤلفات الإنكليز وأبحاثهم بوضوح أن مؤلفيها، الذين توافرت لديهم مختلف مصادر المعلومات الحقيقية المهمة عن الأحداث التي جرت في منطقة الخليج العربي، تعمدوا كتابة تاريخ هذه المنطقة بالشكل الذي يلائم بريطانيا. وأثناء ذلك كانوا يختارون فقط المراجع والوثائق التي يسهل عليهم التعامل معها في رواياتهم.

والواقع أن ويلسون، و كيلي، و بوست وغيرهم كثير من المؤرخين الإنكليز، كانوا يتجنبون استخدام مراجع لباحثين عرب؛ لعلمهم أن هؤلاء الأخيرين كثيراً ما دحضوا في كتاباتهم الروايات التي كان يقدمها الباحثون الإنكليز عن الأحداث التاريخية.

وجدير بالذكر أن المؤرخين الإنكليز كانوا يستخدمون حتى الأرشيفات، بحيث تبقى الوثائق (وإن كان أصحابها من الإنكليز)، التي تدحض وجهة النظر الإنكليزية عن **قرصنة القواسم** على سبيل المثال مخفية دائماً، ويصعب الحصول عليها للاستشهاد بها.

من الشخصيات البارزة التي كتبت عن تاريخ القبائل العربية في الخليج العربي بنزعة معينة واضحة جداً، أولئك الذين اهتموا بتطبيق سياسة بريطانيا الاستعمارية عملياً وفي

www.almajidcenter.org

مقدمتهم حاكم بومباي، جون مالكولم (J. Malcolm)، الذي وضع الخطة الخاصة باستعمار الخليج العربي، ونفذها، وأشرف على تجريد الحملات العسكرية ضد القواسم.

ويتضح من كتاب مفصل له بعنوان "تاريخ فارس"، ومن بحث عنه لـ"جون كي" (J. Kaye) بعنوان "حياة ومراسلات جون مالكولم" أن هذين الشخصين يقران صراحة بضرورة استخدام القوة العسكرية لقمع أي مقاومة تبديها القبائل العربية ضد الإنكليز، والسيطرة على الخليج العربي، الذي يعد من وجهة نظرهما جزءاً هاماً لا يتجزأ من الإمبراطورية البريطانية[1].

وفي الأربعينات من القرن التاسع عشر كان "إتش. لو" (Ch. Low)، قائد إحدى العمارات البريطانية في الخليج العربي ممن شاركوا بشكل مباشر في الصراع ضد القبائل العربية، التي كان من ضمنها القواسم. وقد قدم في كتاب له بعنوان "تاريخ الأسطول الهندي" وصفاً لسير الحملات العسكرية التي جردتها بريطانيا ضد القواسم والقبائل العربية الأخرى، بشكل لا يمكن الحصول على تفاصيل أفضل منه من أي مصدر أو مرجع آخر. و كان " لو" ممن يبررون الأعمال الهمجية والفظائع التي ارتكبتها القوات البريطانية ضد القواسم، باستخدام أكثر أنواع العتاد القتالي تطوراً، دون أن يشعر بوخز الضمير، أو بأي حرج في ذلك.

ومثل تلك الأعمال التي نفذتها القوات البريطانية ضد العرب لا يمكن تسميتها في الوقت الراهن بغير **الإبادة الجماعية للعرب**[2].

1-Kaye, J.W. The Life and Correspondence of Major General Sir John Malcolm from unpulished Letters and Journals. 2 vols. L. 1856. pp. 294- 296.
2-Low, History of the Indian Navy 1613- 1862. 2 vols. L. 1877.

www.almajidcenter.org

ومن الكتب المهمة أيضاً التي تتحدث في نفس الموضوع كتاب "ساحل القرصنة" لبيلجريف، المقيم البريطاني في البحرين، الذي شغل هذا المنصب على مدى ٣٠ عاماً تقريباً. وإلى جانب المعلومات والمراجع التي جمعها بيلجريف خلال هذه المدة الطويلة في عمله والخاصة بمختلف نواحي الحياة على الساحل العربي للخليج العربي، فقد استخدم بيلجريف أيضاً يوميات الكابتن ف. لوك (F. Locke)، قبطان الفرقاطة البريطانية "إيدن"، وهي اليوميات التي لم تُنشر حتى الآن. وقد ذكر فيها لوك تفاصيل الحملة العسكرية التي جرى تجريدها ضد القواسم في عام ١٨١٨ - ١٨١٩. كما أورد في هذه اليوميات التفاصيل المهمة لعمل الطغمة العسكرية البريطانية في تلك الفترة[١].

وهناك كتاب آخر لنائب الملك في الهند ج. كيرزون بعنوان "فارس والقضية الفارسية" يبرر فيه السياسة التي انتهجتها بريطانيا في الخليج العربي، والأعمال البربرية التي نفذتها ضد القواسم، وبقية القبائل العربية في المنطقة[٢].

عندما تمكنت بريطانيا من بسط سيطرتها شبه التامة على منطقة الخليج العربي والجزيرة العربية في بداية القرن العشرين وجد الساسة الإنكليز أنه لم يعد من الضروري إخفاء مطامعهم واهتمامهم الكبير بهذه المنطقة. وقد ألقى اللورد ج. كيرزون كلمة أمام شيوخ عمان المتصالحة في ٢١ نوفمبر عام ١٩٠٣ قال فيها:

". . . لقد كنا هنا قبل أن ترفع أي قوة أخرى علمها على هذه المياه. لقد وجدنا النزاع فأقمنا النظام. وكانت تجارتنا مهددة تماماً كما كان أمنكم مهدداً، وكانا في حاجة إلى حمايتنا. وفي كل ميناء على امتداد هذه السواحل، كان رعايا ملك بريطانيا، وما يزالون، يسكنون

1-Belgrave, Ch. The Pirate Coast. L., 1966.
2-Curzon, G. N. Persia and the Persian Question. 2 Vols., L. 1892.

www.almajidcenter.org

ويتاجرون. وكانت الإمبراطورية الهندية العظيمة، التي من واجبنا الدفاع عنها تقع على أبوابكم...". وقال أيضاً: "يجب أن يبقى نفوذ الحكومة البريطانية هو الأعلى"[1].

بدأ المؤرخون العرب في العقدين الأخيرين يكتبون عن الخليج العربي بشمولية ونشاط، ولا سيما عن تاريخ القبائل العربية في المنطقة، ونضالها الطويل في سبيل الاستقلال عن الدول الأوروبية. ومن هؤلاء المؤرخين من اختار المراجع والوثائق وعالجها بمهنية عالية، وكان يعمل في الدول الغربية أو أنه نشر مؤلفاته باللغة الإنكليزية. منهم أحمد مصطفى أبو حاكمة، وحسين محمد البحارنة، وعبد الأمير محمد أمين، وعلي محمد خليفة، ومحمد مرسي عبد الله، وسلطان بن محمد القاسمي.

لقد تحدث هؤلاء المؤلفون بشكل أو بآخر عن قضايا تاريخ حلف القواسم القبلي، وعلاقات القواسم مع جيرانهم، ومع الدول الأوروبية. وغالباً ما كان المؤرخون العرب، إن لم يكن دائماً يذكرون تفاصيل عدد من الأحداث التاريخية، بشكل يختلف تماماً عما يذكره المؤرخون الغربيون.

دافع أحمد مصطفى أبو حاكمة عن رسالة الماجستير في جامعة القاهرة، وحصل على الدكتوراه من لندن، وعمل أستاذاً للتاريخ في جامعة العاصمة الأردنية عمان، وفي الآونة الأخيرة عمل أستاذاً لتاريخ الخليج العربي في جامعة "ماك جيل" (مونتريال ـ كندا).

وقد ركز في أبحاثه على تاريخ الكويت بشكل خاص. وبالطبع تحدث عن القواسم وتاريخهم الذي تشابك بقوة مع قبيلتي بني خالد، وبني عتبان (العتوب)، وهي القبيلة التي تنتسب لها أسرة آل الصباح، أمراء الكويت حالياً. ووصف أبو حاكمة البنية الداخلية للمجتمع البدوي، وتطوره الاجتماعي والاقتصادي بشكل مفصل. واستعرض الكثير من

1-Wilson, op. cit., Vol. 2, p. 192.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

الأحداث التاريخية، وأشار إلى علاقات القبائل العربية مع الدول الأوروبية التي سيطرت على الخليج العربي.

عندما كان أحمد مصطفى أبو حاكمة يسلط الضوء على الأحداث التاريخية التي جرت في هذه المنطقة، ويستخلص النتائج منها، كان يستند إلى عدد كبير من المراجع والوثائق. ويكفي أن القسم الأول في الجزء الثاني من كتابه "تاريخ الكويت" يتضمن مجموعة كبيرة من الوثائق تخص تاريخ الخليج العربي[١].

ومن الباحثين العرب هناك محمد مرسي عبد الله الذي دافع عن أطروحة الماجستير في جامعة القاهرة عام ١٩٦١، وكان موضوعها "العلاقة بين عمان والدولة السعودية الأولى". وبعدها عمل في قطر والإمارات العربية المتحدة مدة ٢٥عاماً. غير أن عمله لم يثنه عن أبحاثه العلمية، وهذا ما جعله يحصل على درجة الدكتوراه من جامعة كمبريج، وكان موضوع أطروحته لهذه الدرجة " بريطانيا وعمان المتصالحة (١٨٩٢-١٩٣٩).

ونشر على أساس هذه الأطروحة في عام ١٩٧٨ كتاباً باللغة الإنكليزية بعنوان: "الإمارات العربية المتحدة - التاريخ المعاصر"[٢]. وفي عام ١٩٨١ نشر نسخة من هذا الكتاب باللغة العربية تحوي بعض الإضافات.

١- انظر: أبو حاكمة، أحمد مصطفى. تاريخ الكويت، الجزء الثاني، القسم الأول، الكويت، ١٩٧٠ [١٩٧٣]؛
- أبو حاكمة، أحمد مصطفى. محاضرات في تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصور الحديثة، القاهرة، ١٩٦٧؛
- Abu Hakima, A. M. History of Eastern Arabia Rise and Development of Bahrain and Kuwait (1750- 1800). Beirut, 1965. ;
- Abu Hakima, A. M. The Modorn History of Kuwait, 1750-1965. Montreal, 1982.

2- Abdullah, M. The United Arab Emirates: A Modern History. H. 1978.

www.almajidcenter.org

تكمن قيمة أعمال محمد مرسي عبد الله، في أنه استعان بعدد كبير من الوثائق التي احتُفظ بها في أرشيفات بريطانيا وفرنسا وألمانيا وتركيا والولايات المتحدة الأمريكية، بالإضافة إلى الوثائق والمواد التي تحتفظ بها الأسرة الحاكمة والمكتبات في قطر والإمارات العربية المتحدة. وكثيراً ما تحدث هذا الباحث في أعماله عن الأحداث التي شهدتها المنطقة خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، حيث أقيمت العلاقات الحديثة بين القواسم وبقية قبائل ساحل عمان وبريطانيا.

ومن المنطقي جداً أن استخدام الوثائق فضح الخطة الأساسية التي سارت عليها بريطانيا من أجل إخضاع، بل استعباد القبائل العربية، ومنع الدول الأوروبية الأخرى من أن يكون لها أي تواجد في منطقة الخليج العربي.

يعد كتاب المصالح البريطانية في الخليج العربي (١٧٤٧-١٧٧٨) للباحث عبد الأمير محمد أمين، الذي نُشر باللغة الإنكليزية ثم ترجم إلى اللغة العربية ونشر بها أيضاً، يعد كتاباً أوسع بكثير من عنوانه؛ إذ لم يقتصر عمل المؤلف على دراسة ظهور بريطانيا في هذه المنطقة، وازدياد مصالحها وإنشاء محطاتها التجارية، بل تطرق أيضاً إلى تحليل ودراسة وضع بقية القوى العربية والأجنبية، وسعيها من أجل فرض سيطرتها الاقتصادية والسياسية على منطقة الخليج العربي[1].

ويعد عمله قيماً لكونه يسلط الضوء على بداية نشاط القواسم، ودور شيوخهم في المنطقة، ولا سيما الشيخ رحمة بن مطر. وتجدر الإشارة إلى أن هذا الكتاب يحتوي على ملاحق تشير إلى نشاط هولندا في منطقة الخليج العربي من عام ١٧٤٧ إلى عام ١٧٦٥. أي قبل طرد الهولنديين من آخر حصن لهم في جزيرة خرج.

1- Amin, A. A. British Interest in the Persian Gulf, 1747-1778. Heiden, 1967.

www.almajidcenter.org

يُعدّ كتاب المصالح البريطانية في الخليج العربي (١٧٤٧-١٧٧٨) بحثاً عالي المستوى وعملاً كبيراً أنجزه المؤلف بالاستعانة بمراجع ووثائق أصلية محفوظة في الأرشيف الإنكليزي. والنتيجة التي يمكن استخلاصها من هذا البحث أن مصلحة بريطانيا الأساسية في منتصف القرن الثامن عشر هي توسيع تجارة شركة الهند الشرقية، والاحتكار التام للتجارة في هذه المنطقة.

كما يمكن أن نستخلص نتيجة ثانية مهمة جداً لبحثنا من كتاب محمد وهي أن دخول شركة الهند الشرقية إلى الخليج العربي أدى إلى تقويض تام لتجارة القبائل المحلية، وحمل العرب، ولا سيما القواسم على إبداء المقاومة المسلحة ضد التجار الإنكليز المتطفلين من خلال نشاطهم المركز على البحر.

وهناك كتاب آخر لعبد الأمير محمد أمين بعنوان "القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر" يصف فيه العلاقات التجارية المتبادلة بين ثلاث قوى بحرية أساسية في المنطقة: فارس، وعمان، والقبائل العربية وفي مقدمتها القواسم. كما يصف عبد الأمير محمد أمين في هذا الكتاب سياسة شركة الهند الشرقية تجاه السكان المحليين في الخليج العربي. تكمن أهمية هذا الكتاب في أن مؤلفه استخدم أثناء إعداده الكثير من المراجع والوثائق الأجنبية[1].

وتوجد أيضاً مؤلفات مكرسة للحديث عن مختلف جوانب الإمارات العربية المتحدة، بما في ذلك النواحي التاريخية لكل من علي محمد خليفة، و "ك. غ. فينيلون"، وحسين محمد البحارنة. وعند الإعداد لهذه المؤلفات كانت المراجع الغربية الأساس الذي استند إليه المؤلفون، ومع ذلك فقد حاولوا إظهار وجهة نظرهم العربية للكثير من الأحداث

١- أمين، عبد الأمير محمد: القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر، بغداد، ١٩٦٦.

www.almajidcenter.org

التي وقعت في المنطقة مع الابتعاد عن القوانين الإنكليزية، سواء عند تحليل بنية المجتمعات المحلية، أو تحليل العلاقات بين القبائل العربية وبريطانيا[١].

ومن الأعمال التي تعد من الأهمية بمكان كتابان لسلطان بن محمد القاسمي تكمن أهميتهما في أن المؤلف عمل بموضوعية على تحليل تاريخ علاقة القواسم مع شركة الهند الشرقية والسلطات البريطانية، التي كانت المسؤولة عن سياسة بريطانيا في منطقة الخليج العربي من القرن السابع عشر حتى نهاية القرن التاسع عشر، وإظهار المذنب الحقيقي في توتر العلاقات، ومن الذي مارس القرصنة فعلاً في هذه المنطقة.

أثناء إعداد هذين الكتابين استخدم المؤرخ إلى جانب أرشيفات حكومة بومباي، ووزارة شؤون الهند مجموعة يملكها من الوثائق الأصلية عددها ٥٩ وثيقة، تبين الأحداث التي جرت في المنطقة في بداية القرن التاسع عشر. ومن خلال التحليل المفصل والدقيق لعدد كبير من الوثائق المنتقاة من أرشيفات مختلفة استطاع سلطان بن محمد القاسمي استخلاص نتيجة مهمة، وهي أن الإنكليز أنفسهم كانوا أصحاب المبادرة في كثير من أحداث ما يسمى **قرصنة القواسم**، وكانوا يستفزون العرب للاشتباك معهم[٢].

وهناك مجموعة أخرى من الباحثين العرب نشروا أعمالهم باللغة العربية، مع أنهم استخدموا الكثير من المراجع الغربية، ولا سيما الإنكليزية. نذكر منهم: عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، وسالم بن حمود السيابي، و سليم طه التكريتي، وصالح محمد العابد، و جمال زكريا قاسم، و صلاح العقاد، وفؤاد سعيد العابد، و سيد نوفل.

1- Albaharna, H. M. The Arabian Gulf States. Their legal and Politicalstates and their international problems. Beirut, 1975.

2- Al-Qasimi, S. M. The Myth of Arab Piracy in the Gulf. L. 1986;
- Al-Qasimi, S. M. Arab "Piracy" and the East India Company Encroachment in the Gulf 1797- 1820. - D. Thesis, University of Epeter, 1985.

www.almajidcenter.org

يبرز من بين هؤلاء عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، الذي نشر خمسة كتب، والكثير من المقالات التي تفيدنا في بحثنا هذا. والجدير بالذكر أن مقارنة بحث "علاقة ساحل عمان ببريطانيا"، الذي نشر في الرياض في عام ١٩٨٢ مع كتاب "بريطانيا وإمارات الساحل العماني" تبين أن الأول يحوي فصلاً واحداً إضافياً يتحدث عن قضايا الحدود.

ومن الممكن تسمية أعمال هذا المؤلف، دون مبالغة بالموسوعة العربية في العلاقات في منطقة الخليج العربي والجزيرة العربية من القرن السابع عشر حتى القرن التاسع عشر، لما فيها من معلومات، وبيانات، ومواد، ووثائق كثيرة حول هذا الموضوع. والمهم جداً فيها أنها تعرض وتحلل السياسة الداخلية لمختلف دول، وقبائل الخليج العربي، بما في ذلك قبيلة القواسم، وارتباطها مع السياسة الخارجية، والعلاقات مع الدول الأخرى، سواء الشرقية أو الغربية، التي أظهرت اهتمامها بهذه المنطقة في تلك الفترة[1].

ولكن على الرغم من أهمية هذه الأعمال بالنسبة لأي باحث في تاريخ الخليج العربي، إلا أن فيها، مع الأسف سلبيتين كبيرتين. الأولى أنها ليست على مستوى عال من البحث؛ إذ أنها مجرد عرض مطلق، وتعليق على المراجع، والوثائق المستشهد بها. والسلبية الثانية، الأكثر

١- إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني: بريطانيا وإمارات الساحل العماني، دراسة في العلاقات التعاهدية، بغداد. ١٩٧٨؛

- إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني: سياسة الأمن لحكومة الهند في الخليج العربي، ١٢٧٥-١٣٣٣هـ/ ١٨٥٨-١٩١٤م: دراسة وثائقية، الرياض، ١٩٨٢؛

- إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني: السلام البريطاني في الخليج العربي ١٨٩٩-١٩٨١. دراسة وثائقية، الرياض، ١٩٨١؛

- إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني: حكومة الهند البريطانية والإدارة في الخليج العربي، دراسة وثائقية، الرياض ١٩٨١؛

- إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني: التوسع الإقليمي الإيراني في الساحل العماني، البصرة، ١٩٧٨؛

- إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني: علاقات ساحل عمان ببريطانيا، دراسة وثائقية، الرياض، ١٩٨٢.

www.almajidcenter.org

خطورة أن المؤلف يوافق سلفاً على تفسير المؤرخين الإنكليز للأحداث التي وقعت في منطقة الخليج العربي، ويسير مندفعاً بقوة في مجرى نظريتهم،

وهذا ما يؤدي في بعض الأحيان إلى عدم المنطقية في مادة البحث، أو في النتائج المستخلصة، ولا سيما أن المؤلف أورد قدراً من المعلومات لم يسبق أن أشار إليها المؤرخون الإنكليز، الأمر الذي يوصل إلى نتائج تختلف تماماً عن النتائج التي توصل إليها هذا المؤلف.

يعد كتاب سالم بن حمود السيابي "إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان" معلومات مختارة باللغة العربية عن القواسم، مأخوذة من دليل الخليج لجون لوريمر الإنكليزي. وهنا تجدر الإشارة إلى أن هذا الأخير كان يعمل دائماً على استخلاص النتائج، في حين أنّ السيابي اكتفى بعرض الأحداث والوقائع دون التعليق عليها متبعاً بذلك قوانين التأريخ العربي في القرون الوسطى. ومع ذلك يمكن أن يعد كتابه مرجعاً منهجياً عن تاريخ حلف القواسم القبلي.

وهناك عملان لسليم طه التكريتي، أستاذ التاريخ في جامعة بغداد يمكن الاستفادة منهما في بحثنا الحالي[1]؛ إذ يتحدث فيهما هذا المؤرخ، ولو بصورة عارضة، عن تاريخ القواسم، فضلاً عن الصراع على الخليج العربي، ومقاومة العرب لتغلغل الدول الغربية في الخليج العربي.

إلا أن الطابع الاستعراضي الذي يمتاز به هذان العملان يجعل مستوى البحث سطحياً، ولا سيما إن المؤلف تحدث كثيراً عن الباحثين الآخرين، عرباً كانوا، أم غربيين، دون الإشارة إلى مراجعهم، الأمر الذي يقلل من أهمية العملين لدرجة كبيرة.

١- التكريتي، سليم طه: الصراع على الخليج العربي، بغداد، ١٩٦٦؛
- التكريتي، سليم طه: المقاومة العربية في الخليج العربي، بغداد، ١٩٨٢.

www.almajidcenter.org

ومثل هذا الطابع الاستعراضي تحمله أيضاً مؤلفات أخرى لكل من جمال زكريا قاسم، وصلاح العقاد، وسيد نوفل، الذين تناولوا في كتاباتهم موضوع تاريخ الخليج العربي منذ الستينات. إلا أن مستوى البحث العالي، واستخدام عدد كبير من المراجعوالوثائق، ساعد المؤلفين كثيراً على إعادة النظر في وجهة النظر الإنكليزية الثابتة، وإعطاء تفسير جديد لبعض الأحداث التاريخية.

ومن الأعمال التي تجدر الإشارة اليها كتاب "التيارات السياسية في الخليج العربي" لصلاح العقاد. فهذا الكتاب يحتوي على معلومات عن تاريخ المنطقة ذات قيمة عالية وعلى درجة من الأهمية[١]. وهناك كتاب آخر، ليس بكبير، ولكنه مفيد للغاية، عنوانه "مختارات من وثائق الكويت والخليج العربي"، عرض وتعليق جمال زكريا قاسم، فيه مقدمة مفصلة ومهمة[٢].

ومن المؤرخين العرب الذين بحثوا بالتفصيل في تاريخ حلف القواسم القبلي صالح محمد العابد، أستاذ التاريخ في جامعة بغداد (كلية القانون والسياسة)، الذي تمتاز أبحاثه بعمقها، وبالسرد العلمي الرفيع لما يختاره من مواضيع. ويظهر في أعمال هذا الباحث أنه استخدم عدداً كبيراً من الوثائق المهمة.

غير أن ما يؤخذ على صالح محمد العابد أنه سار على نهج المؤرخين الإنكليز، واعترف بنظريتهم القائلة بأن القواسم قراصنة. ومرد ذلك أن العابد أمضى أثناء تأليف كتابيه: "دور القواسم في الخليج العربي"[٣]، و "موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي" خمسة أشهر في مكتبة المتحف البريطاني. وكان يستشير الإنكليز في كثير من القضايا.

١- العقاد، صلاح: التيارات السياسية في الخليج العربي. القاهرة، ١٩٧٤.

٢- قاسم، جمال زكريا: مختارات من وثائق الكويت والخليج العربي، الكويت، ١٩٧٢.

٣- العابد، صالح محمد: دور القواسم في الخليج العربي، ١٧٤٧ - ١٨٢٠ م، بغداد ١٩٧٦.

www.almajidcenter.org

وهذا ما يظهر بوضوح في كتابه الثاني، الذي يتناول فيه موضوع التنافس الإنكليزي الفرنسي في عمان. والواقع أن هذا الكتاب يبين كيف أن هذا المؤرخ يؤيد بشكل مسبق وجهة النظر الإنكليزية حول تاريخ الخليج العربي والجزيرة العربية[١].

ومن المؤلفات المكتوبة بمستوى مهني رفيع هناك أيضاً كتاب "سياسة بريطانيا في الخليج العربي"، لفؤاد سعيد العابد، أستاذ التاريخ في جامعة الكويت. ففي الجزء الأول من هذا الكتاب يصف المؤرخ بشكل مفصل الحملات التأديبية التي جردتها شركة الهند الشرقية ضد القواسم في الأعوام ١٨٠٥ و١٨٠٩ و١٨١٩، وسعيها لتحطيم حلفهم القبلي باستمرار بحجة مكافحة القرصنة؛ وموقف بريطانيا من الحملة المصرية على الجزيرة العربية. كما يصف فؤاد سعيد العابد تزايد النفوذ البريطاني في مسقط، وفي الإمارات العربية على الساحل العماني في النصف الأول من القرن التاسع عشر[٢].

ومن المؤلفات المهمة مؤلفات لفالح حنظل[٣]، و حميد بن سلطان بن حميد الشامسي[٤] نُشرت في دولة الإمارات العربية المتحدة. وفيها يسلط الضوء على أهم الأحداث التي شهدتها منطقة الخليج العربي والجزيرة العربية حسب تسلسلها التاريخي.

ويعد كتاب فالح حنظل الموسوم بـ "المفصل في تاريخ الإمارات العربية المتحدة"، الذي يقع في جزأين، أكثر أهمية؛ إذ يروي الأحداث التي وقعت في المنطقة منذ فترة موغلة في القدم وحتى عام ١٩١٠. ليس هذا فحسب، بل يعطي مواصفات مختصرة لهذه المنطقة.

١- العابد، صالح محمد: موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي، بغداد، ١٩٧٩.
٢- العابد، فؤاد سعيد: سياسة بريطانيا في الخليج العربي، الكويت، ج. ١، ١٩٨١.
٣- حنظل، فالح: المفصل في تاريخ الإمارات العربية المتحدة، مجلدان الإمارات العربية المتحدة، ١٩٨٣.
٤- الشامسي، حميد بن سلطان بن حميد: كتاب نقل الأخبار في وفيات المشايخ و حوادث هذه الديار، أبو ظبي، ١٩٨٦

www.almajidcenter.org

يتضح من مؤلفات هذين الباحثين أنهما قاما بتحليل عدد كبير من المراجع العربية والأجنبية، وكتب، وتقارير، ومذكرات.

من المؤسف أن المراجع العلمية التاريخية الروسية التي تتناول تاريخ القواسم، ونضالهم من أجل بسط النفوذ في منطقة الخليج العربي قليلة جداً. وهذا ما جعل الباحثة الروسية نتاليا نيكولايفنا تومانوفيتش تتطرق في بحثها التاريخي "الدول الأوروبية في الخليج العربي من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر" إلى هذا الموضوع، ولو بشكل مختصر، حيث خصصت أحد الفصول للحديث عن سياسة بريطانيا تجاه الإمارات العربية[1].

استطاعت نتاليا تومانوفيتش، التي اعتادت على دراسة العديد من المراجع الفارسية، والكتب الصادرة باللغات الغربية، إثبات الطابع التوسعي الذي امتازت به سياسة الحكومة البريطانية، وشركة الهند الشرقية، التي استهدفت تحويل هذه المنطقة إلى منطقة تجارية تخصها وحدها. وأوضحت الباحثة كيف أن المستعمرين الإنكليز استخدموا السلاح لقمع المقاومة التي خاضتها القبائل العربية، ومن ضمنها القواسم ضد المحتلين الأوروبيين.

وهذا الكتاب يتحدث عن المفهوم الجغرافي لساحل القراصنة، وعمّا يسمى **قرصنة القواسم** بشكل موضوعي. والشيء المهم أن هذه الموضوعات تعرض في الكتاب في سياق الحديث عن السياسة البريطانية العامة في منطقة الخليج العربي.

١- تومانوفيتش، ن. ن. الدول الأوروبية في الخليج العربي من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر، موسكو، ١٩٨٢. [في عام ٢٠٠٦ تُرجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية. انظر: تومانوفيتش، ن. ن: الدول الأوروبية في الخليج العربي من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر، ترجمة سطاس، سمير نجم الدين، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ٢٠٠٦].

www.almajidcenter.org

بيد أن ما يؤخذ على الباحثة نتاليا تومانوفيتش أنها عجزت في بحثها عن الوصول إلى الوثائق المحفوظة في الأرشيفات الإنكليزية والهندية التي تعد ذات أهمية كبيرة لدراسة تاريخ الخليج العربي. ولهذا اضطرت لاستخدام المواد التي طاب للمؤرخين الغربيين، ولا سيما الإنكليز اختيارها ونشرها بنزعة معينة، الأمر الذي أدى، باعتراف الباحثة نفسها إلى إغفال بعض التفاصيل المهمة والنقاط الجوهرية في بعض الأحيان.

وهناك بحث آخر لـ "أ. م. فاسيليف" تاريخ العربية السعودية / ١٧٤٥ ـ ١٩٧٣/ يسلط فيه الضوء على بعض قضايا القواسم. تتحدث الفصول الأولى من هذا البحث، الذي يستند إلى تحليل عدد كبير من المراجع العربية والغربية عن بعض القضايا المهمة، كالبنية الاجتماعية السياسية والاقتصادية للمجتمع العربي، وعن تشكيل الدولة السعودية الأولى (١٧٤٥ – ١٨١١)، وسياستها، وعلاقتها بالقواسم، وظهور الحركة الوهابية في الجزيرة العربية، وتأثيرها في العديد من القبائل العربية بما فيها القواسم.

يعد دليل أ. م. فاسيليف "ببلوغرافيا المملكة العربية السعودية"، الذي يجمع بين الكتب العربية والغربية، وأوائل الكتب والمقالات الروسية كتاباً قيماً لأي مؤرخ يهتم بدراسة نواحي الحياة المختلفة في الجزيرة العربية[1].

ومن الضروري التوقف عند مؤلفات "ف. ل. بوديانسكي"، الذي يعد أول باحث روسي يفتتح عهد الدراسة الجدية لمختلف قضايا الخليج العربي والجزيرة العربية.

في عام ١٩٦٢ نشر بوديانسكي كتاباً بعنوان "البحرين (من تاريخ بلدان الخليج العربي)". وهذا الكتاب يعد بداية لدراسة التطور التاريخي لدول وإمارات منطقة الخليج العربي والجزيرة العربية[1].

١- فاسيليف، أ. م. ببلوغرافيا المملكة العربية السعودية، موسكو، ١٩٨٣.

www.almajidcenter.org

يتحدث بوديانسكي في فهارسه، وكتابه الأخير "جزيرة العرب الشرقية ـ التاريخ والجغرافيا والسكان والاقتصاد" عن القواسم بشكل أو بآخر. وتعد أعماله التي تمتاز بمستوى مهني عال، والتي اعتمد في كتابتها على عدد كبير من المراجع العربية والغربية، ذات قيمة عالية؛ ولا سيما إنها تطرح عدداً من قضايا تاريخ الخليج العربي الأساسية، وتحلل البنية الداخلية للمجتمع العربي. وهي في الوقت نفسه تبين الصورة الحقيقية لأسس السياسة الاستعمارية التي تنتهجها بريطانيا اتجاه القبائل العربية في هذه المنطقة[٢].

قدمت غ. ل. بوندار يفسكي بحثاً بعنوان السياسة الإنكليزية والعلاقات الدولية في حوض الخليج العربي (أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين)، استخدمت في الأرشيفات الإنكليزية، والهندية ذات الصلة لأول مرة في علم التأريخ السوفيتي.

وهذا البحث يساعد على الفهم الصحيح لجوهر السياسة الاستعمارية وأهدافها، ومهماتها، التي انتهجتها بريطانيا خلال الفترة التي نحن بصدد دراستها، وكانت حجتها على الدوام مكافحة القرصنة، ومكافحة تجارة الرقيق، التي تمارسها القبائل العربية[٣].

من الطبيعي جداً أن يحتاج الباحث، أثناء كتابة أي موضوع إلى فهارس كتب (ببليوجرافيا) ليختار منها ما يلزمه من هذه الكتب. وهذا ما يدعونا إلى الإطلاع على الفهارس العربية المتعلقة بتاريخ الخليج العربي والجزيرة العربية.

١- بوديانسكي، ج. ل. : السياسة البريطانية والعلاقات الدولية في حوض الخليج العربي (نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين)، موسكو، ١٩٦٨.

٢- بوديانسكي، ف. ل. : البحرين الحديثة، موسكو، ١٩٧٦؛

بوديانسكي، ف. ل. : الكويت الحديثة، موسكو، ١٩٧١.

٣- بندار يفسكي، ف. ل. : البحرين (من تاريخ بلدان الخليج العربي)، موسكو، ١٩٦٢.

www.almajidcenter.org

وفي مقدمة هذه الفهارس فهرس الخليج العربي القيم، وهو من إصدار المركز الإعلامي لدول الخليج العربية في بغداد. وهو يضم ٩٠٠ عمل بحثي. وهذه الأعمال مقسمة حسب دول الخليج العربية، كما يضم أسماءً لمؤلفين، وعناوين لمؤلفاتهم[١].

ويوجد فهرس آخر لعبد الله حسين يونس علي بعنوان " قائمة بالكتب والمراجع العربية حول البصرة" يضم أسماء كتب تتحدث عن القواسم، لوجود ترابط وثيق بين تاريخ البصرة وساحل عمان.

كما يوجد كتاب "مقدمة في دراسات مصادر التاريخ العماني :الخليج العربي" لفاروق عمر، وكتاب "مختارات من وثائق الكويت والخليج العربي" لجمال زكريا قاسم، وكتاب "تاريخ الكويت". وكل هذه الأعمال تتحدث بإسهاب عن مختلف الوثائق الأرشيفية الخاصة بالخليج العربي وشبه الجزيرة العربية، وفيها فهرسة للمراجع، وخلاصات مفصلة للكتب و المؤلفين والأعلام[٢]. والسلبية في هذا النوع من المراجع تكمن في قلة عدد الكتب المستشهد بها.

أما فهارس الكتب الإنكليزية فهناك فهارس لـ "لوريا كابيل" (L. Kabeel) فيها أسماء لجميع الكتب الصادرة حتى عام ١٩٧٥ باللغات الغربية. وهذه الفهارس تمتاز بجودة تصنيفها الداخلي. الأمر الذي يساعد على سهولة اختيار الأعمال اللازمة[٣].

١- الخليج العربي، قائمة مؤلفات المعرفة، بغداد، ١٩٨٦.

٢- أبو حاكمة، أحمد مصطفى. تاريخ الكويت، ، الجزء الثاني، القسم الأول، ١٩٧٠[١٩٧٣]؛ و عمر، فاروق: مقدمة في دراسات مصادر التاريخ العماني، الخليج العربي، بغداد، ١٩٧٩.

3-Loraya M. Kabeel. Selected bibliography on Kuwait and the Arabian Gulf. Kuwait. 1969;

- Loraya M. Kabeel. Souree book on Arabian Gulf States: Arabian Gulf in General, Kuwait, Bahrain, Katar and OMAN. Kuwait, 1975

www.almajidcenter.org

وتجدر الإشارة إلى أن اللغة الإنكليزية، التي كُتبت بها آنذاك معظم المراجع والوثائق المستخدمة حالياً، وكذلك القواعد اللغوية والنطق بها تختلف إلى حد ما عن اللغة الإنكليزية الحديثة. كما لا بد من الإشارة أيضاً إلى أن الموظفين والضباط الإنكليز، ومن كان يعاونهم، ولا سيما السكان المحليين، لم يكونوا من أصحاب الشهادات العليا؛ وكذلك لم يكونوا على درجة كبيرة من الثقافة.

ومن الممكن أيضاً أنه بسبب حجم العمل الكبير المنوط بأمناء السر، الذين كانوا يصورون الوثائق، والتقارير، والرسائل وغير ذلك من المراسلات الرسمية، كانوا يخطئون في نسخ الصور الأصلية. حتى إن المؤرخين الآن كثيراً ما يخطئون في لفظ أسماء الأعلام وكتابتها. وهذا ما يفسر ورود بعض هذه الأسماء في الوقت الحاضر بشكل غير صحيح.

وعلى أية حال لن نعمل في بحثنا هذا على تصحيح الأخطاء، وإن كانت ظاهرة، ولا سيما عند الاستشهاد والاقتباس، وسنراعي لغة النص الأصلي. أما ما عدا ذلك فسنحاول مراعاة ما يسمى نظام التحويل الصحيح والموحد. وستعطى الأفضلية في غضون ذلك إلى اللغة العربية، والكتابة التقليدية للأسماء باللغة الإنكليزية.

الجدير بالذكر أن الباحثين السوفيت " ف. ل. بوديانسكي "، و " أ. م. فاسيليف "، و " ن. ن. تومانوفيتش " قاموا بضبط المسميات الجغرافية، وأسماء الأعلام في أبحاثهم، التي كتبوها باللغة الروسية قدر المستطاع.

www.almajidcenter.org

الفصل الثاني
الخليج العربي في القرنين السابع عشر والثامن عشر

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة... وعطاء مستمر

www.almajidcenter.org

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة ... وعطاء مستمر

www.almajidcenter.org

تفصل شبه جزيرة رؤوس الجبال بين الخليج العربي وخليج عمان بقوة. وهذان الخليجان يشكلان بحراً داخلياً رحباً لحوض المحيط الهندي. وهما على شكل إهليلج بارز من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي. وحسب المحور مضيق هرمز ـ شط العرب يبلغ طول الخليج العربي ١.٠٠٠ كم وعرضه من ٤٠٠ م إلى ٨٤ كم.

المواصفات العامة للخليج العربي:

تقع على يمين المدخل إلى مضيق هرمز جزيرة هرمز، التي كانت في غابر الزمان مستودعاً لجميع ثروات الهند، ومخبأً لكنوز سمرقند، وبخارى، ولمنتجات كل أوروبا وآسيا[1]. تتصف جزيرة هرمز بشكلها البيضوي. تبلغ مساحتها ٢٠ كم، وتربتها صخرية بركانية، وهي تفتقر إلى المياه الحلوة، والزراعة، والطقس فيها شديد الحرارة معظم أوقات العام.

كانت هرمز في القرنين الرابع عشر والخامس عشر مركزاً رئيساً لتجارة الخليج العربي بأكمله. وهرمز اسم أطلق في البداية على مدينة تقع على الساحل الشمالي لمضيق هرمز، بالقرب من بندر عباس. وفي بداية القرن الخامس عشر انتقل هذا الاسم إلى جزيرة قريبة كانت تسمى آنذاك بجيرون، وبعد ذلك انتقل اسم المدينة إلى الجزيرة.

يعود السبب في أن هرمز كانت في القرون الوسطى الميناء التجاري الأساسي إلى الموقع الجغرافي الجيد الذي تشغله على المدخل إلى الخليج العربي، وكذلك إلى مناعتها، الأمر الذي جعلها كذلك ملجأً آمناً للتجار. وفي ذلك الوقت كان يستخرج الملح والتربة الحمراء من المناجم الموجودة فيها.

1-Kolonia Archief. Vol,11838 , p. 421.

www.almajidcenter.org

إلى الشرق من هرمز ينبسط ساحل مكران، الذي يمتد من مدينة ميناب، حيث يصب في البحر تيار خور يحمل اسم المدينة نفسه (خور ميناب). وباتجاه الساحل يقع ميناء جاسك القريب من رأس يحمل نفس الاسم أيضاً. وهو المكان الذي سمح الشاه عباس لشركة الهند الشرقية البريطانية باستخدامه في عام ١٦١٩ لممارسة التجارة مع فارس.

وتوجد على ساحل مكران العديد من المدن والموانئ الأخرى التي كان لها تبادل تجاري مع سكان البر الذين كانوا يمدونها بالخضراوات والفواكه. وعلى امتداد الساحل كان يقيم البلوش، الذين أخطأ نيبور بعدهم من العرب[1]. وقد كان لدى هؤلاء عدد كبير من المراكب، وكانوا يمتهنون التجارة مع سكان المناطق البعيدة كالبصرة، وساحل مالابار.

إلى الجنوب من هرمز توجد جزيرة لارك، التي يبلغ طولها ١١ كم، وعرضها ٥.٦ كم. وهذه الجزيرة قائمة على صخور بركانية. وكان يسكنها في القرن الثامن عشر ٢٠٠ شخص فقط. وكان عملهم صيد السمك، واستخراج اللؤلؤ. وعلى بعد ١٩ كم عنها تقع على الساحل الفارسي مدينة جمبرون (التي أخذت فيما بعد اسم بندر عباس). وكانت جمبرون تستخدم ميناءً لكرمان على الرغم من أن السفن ذات الغاطس الذي يزيد عن أربعة أمتار كانت تجد صعوبة بالغة في الرسو فيه. وهذا هو السبب في جعل المرسى يقع على بعد ٣- ٥ كم عن الساحل. ويذكر أن نيبور (C. Niebuhr) وصف جمبرون بأنها أكثر الأماكن روعة على الساحل الفارسي[2].

وجمبرون هذه كانت مركزاً تجارياً للمقيمين فيها، الذين كان عددهم يتراوح بين ٤٠٠٠ و٥٠٠٠ نسمة، منهم العرب، ومنهم الأكراد، والقليل من الأرمن، وبعض

1 -Niebuhr C. Voyage en Arabie en d, autres pays circonvoisins. Amsterdam, Vol. I, 1776, Vol. II, 1780. p. 296.
2 - Niebuhr, op. cit., p. 296.

www.almajidcenter.org

البلوش[١]. وقد افتتحت الدول الأوروبية محطات تجارية لها في هذه المدينة، إلا أن هذه المحطات قد أُغلقت جميعها فيما بعد.

كانت المحطة التجارية الفرنسية أول من أغلق أبوابها في هذه المدينة في العشرينات من القرن الثامن عشر، تلتها المحطة التجارية الهولندية في عام ١٧٥٩ ثم المحطة التجارية الإنكليزية في عام ١٧٦٣. وفي عام ١٧٨٤ جرى تأجير ميناء جمبرون إلى حاكم مسقط.

وإلى الغرب من جمبرون كانت هناك ثلاث قرى صغيرة: خمير، وبندر هيلام، وكونك. وعلى بعد ١٠٠ كم تقريباً إلى الغرب من جمبرون تقع مدينة لنجه. وقد حدث أن عُثر على منابع كبريتية غنية بالقرب من خمير. وكان الكبريت ينقل إلى مسقط بكميات كبيرة. وفي كونك افتتح البرتغاليون محطة تجارية، كان من عملها الإشراف على إدارة مناجم النحاس الموجودة في أطرافها[٢].

إلى الجنوب من جمبرون تقع جزيرة قشم، وهي أكبر جزيرة في الخليج العربي إذ يبلغ طولها ١٠٨ كم، وعرضها وسطياً ١٨ كم. ويقع طرفها الشمالي الشرقي على بعد ٢٢ كم عن جمبرون، وطرفها الجنوبي الغربي ٣٦ كم عن لنجه. ويفصلها عن الساحل مضيق حورية (حوران)، الذي يمتد من جمبرون حتى لنجه. وعمق هذا المضيق يسمح بمرور السفن التي لا يزيد غاطسها عن ستة أمتار. وهذه السفن تحتاج أثناء إبحارها في هذه المنطقة إلى مرشد بحري ليوجهها بين الجزر المليئة بأدغال المانجروف.

توجد في جزيرة قشم ٣٦ قرية صغيرة. وفي السابق كان هذا العدد أكبر من ذلك. بيد أن الانحطاط أصابها، وباتت لا تصلح للسكن[٣]. بلغ عدد سكان جزيرة قشم في القرن

1 - Van de. Oostindische Compagnie (United East – India ompany). Vol. 2936. p. 18.
2 -Kelly, op. cit., p .51.
3 -Vande . op. cit., Vol.11838, p. 423

www.almajidcenter.org

الثامن عشر نحو ٥٠٠٠ نسمة، وكان هؤلاء يتجمعون في ثلاث مدن أو بلدات صغيرة هي: باسيدو، وقشم، ولافت. و باسيدو تقع في الجهة الغربية للجزيرة، أما قشم، التي تحمل نفس اسم الجزيرة فتقع إلى الشرق منها، وتعد نقطة مهمة لإمداد السفن القادمة من مختلف مناطق الخليج العربي بالحطب[١].

أما مدينة لافت فتقع مقابل قرية خمير، وهي الأقرب إلى الساحل الشرقي. وعلى الطرف الآخر من الجزيرة، على بعد ٢ كم منها باتجاه الجنوب الشرقي توجد جزيرة صغيرة لا يزيد طولها وعرضها عن ٩ كم، هي جزيرة هنجام.

تعد لنجه من المدن المهمة على الساحل الفارسي. وكانت ميناءً يمتاز بحجم تجارة كبير[٢]. في عام ١٨٠٩ قال عنها القبطان روبرت بادين (R. Budden)، من أسطول شركة الهند الشرقية: "لنجه مدينة صغيرة تقع على الساحل الفارسي، على المدخل الغربي لمضيق قشم، وهي خالية من أية تحصينات، ومكشوفة لأي هجوم، ولا يوجد فيها خور ومرافئ، باستثناء منطقة أشبه بحوض سفن يشكله كاسر أمواج، حيث تستطيع من ثمانية إلى عشرة داوات فقط الرسو في وقت واحد. غير أن السفن التي تستطيع الرسو هنا يسهل إجبارها على الخروج منه ومن ثم تدميرها. إلا أنه يوجد مكلأ آمن جداً فيه مرسى جيد يقي من الرياح الجنوبية الغربية"[٣].

ولكن توجد على بعد ٢٠٠ م عن الساحل وعلى محاذاته صخور بحرية. ويعد القسم الشرقي من المدينة ملائماً جداً للإنزال؛ إذ أن الساحل هناك رملي. تستطيع السفن

1 -Vande. op. cit., Vol. 11838, p. 423
2 - Bussora Residency Diaries, 19 vols. (nos. 194- 212). № 194, p. 151.
3 -Extract from a letter from Captain Robert Budden of the Honourable Company, s Marine to W. C. Bunce. Dated 31 August 1809 (EB/150). p.4.

www.almajidcenter.org

التي يصل غاطسها إلى سبعة أمتار الرسو على بعد ١٢٠٠ م تقريباً عن الساحل، أما السفن التي يبلغ غاطسها تسعة أمتار فترسو على بعد ١٨٠٠ م عن الساحل.

إلى الغرب من لنجه تقع مباشرة قرية شناص، التي تعد ملاذاً آمناً للسفن من الرياح الشمالية والشرقية، ولها رصيف لتفريغ الحمولات، وإنزال ركاب السفن. وبالقرب من شناص توجد قرية البستان الصغيرة. وهنا لا تستطيع أن ترسو سوى المراكب الصغيرة.

وبالقرب من هذه القرية تقع مدينة شيراك، التي كان يقيم فيها ٢٠٠ شخص من قبيلة بني بو علي، امتهنوا صيد السمك والتجارة، وكانوا يملكون ست سفن من نوع بغلة. وشيراك تقع داخل خليج يحمل الاسم نفسه، توجد عليه بلدة صغيرة تدعى شيرو، يسكنها ١٥٠ نسمة، يملكون عدداً قليلاً من المراكب التجارية. وكان سكان شيرو يمدون السفن العابرة بالمؤن والمياه، ولديهم أفضل مرسى في الخليج العربي[1].

وبالقرب من شيرو تقع قرية مغوه (Mughu)، التي تعد ملجأً جيداً للحماية من الرياح الشمالية الشرقية الباردة؛ حتى وإن كان ساحلها صخرياً. وتوجد في هذه المنطقة مدينة مهمة صغيرة، كان يسكنها ٨٠٠ شخص تسمى نخيلوه.

وعلى الطرف المقابل للساحل توجد عدة جزر صغيرة، وهي: فرور، وقيس، وهند رابي، و"شيخ شعيب" (لاوان). غير أن جزيرتي فرور وهند رابي صغيرتان لدرجة أنه لا أهمية تذكر لهما، أما جزيرة قيس فهي أكبر من الأخيرتين؛ إذ يبلغ طولها ١٥ كم، وعرضها ٧ كم فقط، وتقع على بعد ١٧ كم عن الساحل، وسكانها يعيشون بشكل أساسي على صيد السمك، واستخراج اللؤلؤ.

1 - Thomas, R. H. (Comp. &. ed.) Historical and other information connected with the Province of OMAN, Muscat, Bahrein and other places – in the Persian Gulf. Bombay, 1856. pp. 596-597.

www.almajidcenter.org

أما جزيرة شيخ شعيب (لاوان) فتقع على بعد ٧ كم عن الساحل. يبلغ طول هذه الجزيرة ٧ كم، وعرضها ٥ كم، وسكانها يعيشون على صيد السمك فقط.

توجد بالقرب من نخيلوه مدينة بندر مقام، وتأتي بعدها قرية عسيلوه ، ثم مدينة كمغان، التي يعمل سكانها بشكل أساسي في التجارة الساحلية[١].

تقع مدينة بوشهر الكبيرة في شبه جزيرة تفصلها عن اليابسة أهوار بعرض ٤ كم، يصعب اجتيازها في فترة هطول الأمطار. وفي الجهة الشمالية للمدينة يقع خليج دير، الذي يوجد فيه مرسى سفن. غير أن السفن التي يبلغ غاطسها ستة أمتار ترسو على بعد ستة أمتار عنه، بينما ترسو السفن التي يزيد غاطسها عن ذلك على بعد ٧ كم. وهناك أيضاً خور سلطانة الذي يوجد فيه كاسر أمواج من أجل السفن الكبيرة.

في عام ١٧٦٢ وجد وكيل شركة الهند الشرقية، بعد أن تعرف على جميع موانئ الخليج العربي أن بوشهر تعد أفضل مكان لافتتاح محطة تجارية؛ إذ أن المدينة محمية من المياه من ثلاث جهات، وهذا ما يساعد على حماية المحطة التجارية إذا ما تعرضت إلى هجوم ما، عدا عن أنه توجد في بوشهر حرية نسبية، ولا توجد ضرورة لدفع شيء إلى أحد، سوى شيخ المنطقة.

والميزة الأخرى التي تمتاز بها بوشهر من وجهة نظر وكيل شركة الهند الشرقية أن فيها عدداً كبيراً من التجار المحليين، الذين يمكن من خلال التعامل معهم ببيعهم الصوف، والمعادن جني أرباح كبيرة[٢].

١- إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني، (مرجع سابق)، ص ٣٤- ٣٥.

2 -Political Department Diaries (1809- 1820), 180 vols. Nos. 318- 497. №. 38/1762, p. 73.

www.almajidcenter.org

ويقول ك. نيبور عن بوشهر إن المرسى العميق الموجود فيها، والقريب من المدينة ساعد نادر شاه على بناء السفن، وتجميع أسطول كامل في الميناء. وقال أيضاً: "على الرغم من أن بوشهر كانت ميناء لشيراز، إلا أنها كانت مستوطنة عربية. وأهم العائلات التي سكنت المدينة كانت تنتمي إلى ثلاث قبائل عربية: الزعاب، والبومهير، والمطاريش"[١].

كانت هذه المدينة الدائرية الشكل ذات الأميال الثلاثة في القرن الثامن عشر محاطة بجدار حجري فيه بوابتان من جهة اليابسة. إلا أن هذه المدينة كانت تفتقر إلى القلاع والمدافع[٢].

يمتد الساحل من بوشهر باتجاه الشمال غرب، ويصل إلى سهل منخفض يقع فيه ميناء بندر ريك، الذي يصل ارتفاعه إلى ٢٠٠ م. ونظراً لأهمية هذا الميناء افتُتِحت فيه محطة تجارية لشركة الهند الشرقية. بيد أن المشاغبات والاضطرابات التي وقعت في فارس في القرن الثامن عشر أدت إلى تدهور هذا الميناء.

والجدير بالذكر أن معظم البيوت التي كانت مشيدة في بندر ريك كانت من الحصائر، وكان جميع سكانها من العرب[٣]. وعلى الاتجاه المقابل لبندر ريك، على بعد ٣٠ كم توجد في البحر جزيرة خرج، التي يبلغ طولها ٨ كم، وعرضها ٤ كم وسطياً.

وكانت السفن المتجهة من خرج باتجاه الغرب تمر بالقرب من مدينة بندر ديلم، وخليج بوموسى، إلى أن تصل إلى نهر شط العرب. وعلى الضفة اليمنى للنهر توجد مدينة محمرة، التي تسيطر عليها قبيلة بني كعب. وعلى الضفة اليسرى للنهر، وعلى بعد ١٥٠ كم

1 - Niebuhr, C. Dscription de L, Arabie, faite snr des obcervations propres et des avis recueillis dans les lieux me. Amsterdam, 1774. p. 299.
2 - Vande . op. cit., Vol. 11840, p. 317.
3 - Kolonia, Archief .vol.10753 ، p. 49 .

www.almajidcenter.org

عن الساحل تقع مدينة البصرة. وقد كانت هذه المدينة مبنية على بعد ٥ كم عن النهر، الذي كانت إحدى أفرعه تنتهي بها. وكان بإمكان السفن التي تبلغ حمولتها من ٥٠ إلى ٦٠ طناً عبوره أثناء الفيضانات.

جاء وصف البصرة على لسان رحالة القرن الثامن عشر ج. جيكسون الإنكليزي بأنها مدينة كبيرة مأهولة تماماً بالسكان، وأن فيها سوقاً يصل طولها إلى ميلين تقريباً، وهي مجهزة بالمؤن بشكل جيد[1].

من الطبيعي أنه كان لشركة الهند الشرقية محطة تجارية في البصرة، إلا أن أهمية هذه المدينة كانت تفوق أهمية النشاط التجاري لهذه المحطة لدرجة كبيرة؛ إذ كانت البصرة تشكل حلقة وصل مهمة بين الهند وبريطانيا. عند خروج السفن من شط العرب تمر بخليج خور عبد الله، وجزيرتي بوبيان، و فيلكة من جهة اليسار، وتصل إلى مدينة الكويت، التي تقع على الساحل الأيسر للخليج، والتي بلغ عدد سكانها ٢٥٠٠٠ نسمة.

يبلغ عدد مراكب الكويت ٣١ مركباً من نوع البغلة، والبتيل، التي تتراوح حمولتها بين ١٥٠ و٣٠٠ طن. وقد كانت هذه المراكب تستخدم بشكل أساسي للتجارة مع الهند[2]. وتعد أراضي الكويت في الداخل صحراء رملية. والمسافة من الكويت إلى خليج القطيف عبارة عن ساحل رملي لم تقم عليه أية مدينة أو قرية.

وميناء القطيف يقع على ساحل الخليج، وفيه أماكن ضحلة تمتد حتى أرخبيل البحرين. وعلى الرغم من أن القطيف كانت مركزاً تجارياً كبيراً يخدم المنطقة المتاخمة له، حيث توجد مزارع النخيل الكبيرة، إلا أن الرسو فيها لم يكن مناسباً؛ إذ أن السفن التي يزيد غاطسها عن ست أقدام لا تستطيع الدخول إلى المرسى الداخلي في أي ظرف كان. وخليج

1 - Boards Collections, 17855, E/4/651. P. 49.
2 -Thomas, op. cit., p. 109 .

www.almajidcenter.org

القطيف غير آمن لحركة السفن الكبيرة لوجود شِعب صخرية في البحر تمتد لمسافة عشرة أميال.

وعلى الطرف الجنوبي لخليج القطيف توجد بلدة الدمام، التي لم يكن لها دور يذكر في ذلك الحين. وعلى مسير يوم واحد بمركب شراعي باتجاه جنوب القطيف يوجد على الطرف المقابل للبحرين ميناء العقير القديم، الذي يعد مدخل منطقة الأحساء إلى البحر. وقد لعب هذا الميناء دوراً كبيراً في التجارة مع البحرين، و فارس أيضاً[1].

تبلغ مساحة الجزيرة الرئيسة في أرخبيل البحرين التي تحمل نفس الاسم، البحرين نحو ٥٣٠ كم. والميزة الأفضل لهذه الجزيرة أنها تعد ميناءً محمياً بشكل جيد، وفيها عدد من ينابيع المياه الحلوة. والمدن الرئيسة في أرخبيل البحرين هي: المنامة، والمحرق. في القرن الثامن عشر كان عدد سكان الأولى نحو ٢٥ ألف نسمة[2].

اشتهرت البحرين باللؤلؤ، وكان عدد المراكب التي تعمل في صيد اللؤلؤ في البحرين يتراوح بين ٥٠٠ إلى ٦٠٠ مركب، بالإضافة إلى ذلك كانت البحرين تملك من ٣٠ إلى ٤٠ مركباً من نوع بغلة، تستخدم للتجارة النشطة مع كامل الخليج العربي والمحيط الهندي.

تشاهد من البحرين شبه جزيرة قطر، التي تقع على طرفها الشمالي الزبارة، وخور حسان. وكانت منطقة خور حسان مركزاً لقبيلة الجلاهمة التي اشتهرت بقوتها البحرية. وعلى الطرف الشرقي لشبه جزيرة قطر التي كانت تقطنها قبيلتا الدواسر و سودان يوجد ميناء البدع (الدوحة). وكان يشكل خليجها شعبان صخريان خطران، يوجد داخلهما مرسى آمن للمراكب الصغيرة. أما السفن الكبيرة فلا تستطيع الرسو إلا بعيداً عن الساحل.

1 - Boards Collections, 17855, E/4/651. p. 51.
2 -Low, op. cit., p. 349 .

www.almajidcenter.org

مما قاله ج. كيلي عن "البدع" "أنها كانت في يوم ما مدينة كبيرة شهدت تطوراً كبيراً بعد حصار الفرس للبصرة في عامي ١٧٧٥ - ١٧٧٦، الأمر الذي أدى إلى تحول القسم الأكبر من التجارة من شمال الخليج العربي إلى البدع"، وهجرة بعض التجار إليها[1].

تبدأ مصائد اللؤلؤ من جزيرة حالول في شرقي قطر، وتمتد حتى الشارقة. ويشكل خور العديد نهاية لساحل شبه جزيرة قطر. وتوجد على ساحل الخليج العربي جزيرة صير بني ياس، التي يفصلها عن الساحل ممر ضيق. وبالقرب منها، من ناحية الجنوب توجد جزيرة دلما التي تقع في منتصف مصائد اللؤلؤ.

وتوجد أيضاً أبو ظبي، التي كانت في القرنين السابع عشر والثامن عشر جزيرة ذات أخوار على الجانبين. وفيها مرسى على الساحل. وفي عام ١٧٦١ اكتُشفت المياه الحلوة فيها وانتقلت قبيلة بني ياس إليها، ما زاد من عدد سكانها بشكل كبير.

توجد على بعد مائة ميل إلى الشرق من أبو ظبي، في عمق اليابسة واحة البريمي التي وصفها ج كيلي بأنها "مفتاح عمان الموجود في عمق الأرض". وقد كانت المنطقة الوحيدة المأهولة بالسكان بسبب وجود احتياطات كبيرة من المياه فيها وسط مئات الأميال من صحراء تمتد حتى واحة الأحساء. وهي تقع على تقاطع طرق بين عمان، وما كان يسمى **بساحل القراصنة**.

وعلى بعد عشرة أميال تقريباً باتجاه الشرق تظهر تلال الحجر الغربي السفحية التي يمر منها وادي الجزي الذي يصل إلى ساحل خليج عمان، وصحار. وباتجاه الشمال والغرب توجد طرق تؤدي إلى الشارقة، ورأس الخيمة، وأبو ظبي. وجنوباً توجد طرق تصل إلى

1 - Kelly, op. cit., p .26 .

www.almajidcenter.org

ضنك، وعبري، ونزوى، وجبرين، وازكي الواقعة في قلب عمان. وللبريمي شكل غريب جداً كوضعها[1].

يتصف الساحل من أبو ظبي إلى رأس الخيمة بأنه قاحل عدا أماكن مزارع النخيل القريبة من المدن والقرى. إلا أن المياه الحلوة فيه جيدة، باستثناء قسم من الساحل المتاخم لـ أبو ظبي. ولكل مدينة خور يحمل اسمها، ومرسى جيد يبعد عن الساحل ميلاً واحداً تقريباً. وهذه المدن هي دبي، والخان، والشارقة، وعجمان، وأم القيوين، وجزيرة الحمراء، ورأس الخيمة، والرمس.

تقع دبي على الساحل كمعظم المدن الأخرى. ويقطنها من ٧٠٠ إلى ٨٠٠ نسمة من قبيلة بني ياس. وفيها ميناء محمي بعدد من الأبراج. وكانت دبي تملك عدداً قليلاً من السفن التجارية، ومراكب صيد اللؤلؤ. ومرساها يقع على بعد ميل ونصف تقريباً عن الساحل. أما المدينة نفسها فتقع على الضفة الجنوبية للخور، وعلى أحد أطراف خور آخر ـ الخان يقيم سكان أبو هيل. والخان يقع على الضفة الشمالية. وقد وصل عدد السكان الذين أقاموا في المكانين نحو ٢٥٠ نسمة، وهم من قبائل مختلفة، ومعظمهم من الصيادين.

تقع الشارقة على امتداد الساحل الشرقي لخور صغير.لا يسمح بالمرور إلا للسفن الصغيرة، والمراكب المخصصة لصيد اللؤلؤ. وهذه المدينة تمتاز بأنها طويلة، وضيقة، ومكشوفة، وتحميها طابية، ومدافع، وعدد من الأبراج المتفرقة. والسكان الذين أقاموا فيها هم من القواسم، وبني بو علي، والشويهين، آل بومهير، ومن بعض القبائل المختلطة. وكان عدد السكان الذين يقيمون فيها يتراوح بين ٣٥٠٠ و ٣٨٠٠ نسمة.

1 - Kelly, op. cit., p. 102 .

www.almajidcenter.org

وكان عدد المراكب التي تملكها الشارقة يتراوح بين ٣٠٠ و٤٠٠ مركب من أنواع مختلفة. وقد كانت هذه المراكب تستخدم لصيد اللؤلؤ. وكان شيخ الشارقة يحصل على لاك (١٠٠٠٠٠) تالير ماريا تيريزا من الضرائب التي تُجمع عن هذه المراكب، وذلك بمعدل من ١ـ ٢,٥ تالير لكل مركب أو زورق.

كان يقيم في المدينة بنيانيون (سماسرة هنود)، وكان هؤلاء أيضاً من تجار اللؤلؤ، والصاغة، وتجار الأقمشة، والحبوب. و في المدينة توجد مياه عذبة، ومرسى بعمق ٥ سواجن بحرية (كل ساجن بحري يساوي ٦ أقدام ويساوي ١,٨٣م)، يبعد عن الساحل ١- ١,٤ ميل، و ٢ ـ ٣ سواجن بحرية قرب الشاطئ الرملي. وعلى بعد ميل واحد شمالي المدخل إلى خور الشارقة تقع قرية الفشت.

وإلى الشمال من مدينة الشارقة تقع عجمان على الساحل الجنوبي لخور عجمان، الذي له مدخل مريح جداً. يبلغ عمق المياه فيه خمسة أقدام في الجزر، وعشرة أقدام في المد. ومدينة عجمان صغيرة، يسكنها نحو ١٥٠٠ نسمة من بني نعيم. وفيها مرسى بعمق ٥ سواجن بحرية، يقع على بعد ١ - ١,٤ ميل عن الساحل. وإلى الشمال من عجمان تقع في الجهة الشمالية لخور الحمرية مدينة الحمرية.

ثم تأتي مدينة أم القيوين مع خورها الرحب الذي يصل طوله إلى عدة أميال، ويصل عمقه في بعض الأماكن إلى ٧ سواجن؛ غير أن المدخل محاط بشعاب صخرية كبيرة.

هناك تقرير حول أوضاع القبائل العربية في الخليج العربي شارك في وضعه عام ١٧٥٦ المقيم الهولندي في جزيرة خرج، "ت. ف. فان كنيبهاوسن"، و "ي. فان دير هيلست" يشير إلى أنه "توجد على الساحل بين القطيف وصير (رأس الخيمة) ثلاث مدن

www.almajidcenter.org

هي: "عجير"، وقطر، والشارقة. ويوجد في كل منها عدد قليل من البيوت، يرد إليها من البصرة التمور، والأرز لبيعها إلى عرب الصحراء، وصيادي اللؤلؤ"[١].

ويصف التقرير جزيرة الحمراء بأنها قطعة أرض كبيرة تمتد في البحر إلى قرب الصير، وتتحول إلى بحيرة أثناء الفيضانات، وتقيم فيها قبيلة الزعاب العربية، التي تعمل بصيد اللؤلؤ. وأفراد هذه القبيلة يخضعون لشيخ القواسم، ويدفعون له إتاوة كبيرة.

أما رأس الخيمة فيصفها التقرير بالشكل التالي: "تعد مدينة رأس الخيمة محصنة بشكل جيد. ويوجد فيها عدد من المدافع، ويسكنها القواسم وشيخهم الذي يسمونه القائد وهو رحمة بن مطر"[٢].

تقع رأس الخيمة على رأس رملي تتفرع عنه طريق ترابية ضيقة باتجاه الشمال الشرقي، وتشكل ميناءً هادئاً للسفن، وملاذاً آمناً من الرياح. ومن البحر يتدفق مجرى مياه باتجاه الجنوب الغربي إلى خلف المدينة. وهنا يوجد مرسى داوات. وبعد ذلك يتحول المجرى باتجاه الجنوب الشرقي إلى عمق الأراضي.

يبلغ عمق ميناء رأس الخيمة أربعة أقدام أثناء الجزر، وتسعة أقدام أثناء المد. وقاع الميناء رملي ونتيجة لتأثير المد تصبح التربة مختلطة كل ستة أشهر، حتى إن المرسى الذي يكون على أحد طرفي الساحل لمدة ستة أشهر، ينتقل إلى الطرف المقابل في بقية أشهر العام.

وهناك ممر مائي يصل إلى رأس الخيمة يحيط بـ"ديحان"، يبلغ عمقه عادة ١١ قدماً أثناء المد، و ٦ أقدام أثناء الجزر. ولا تستطيع السفن التي يبلغ غاطسها ١٣ أو ١٤ قدماً

1 - Admwinste le Afdeling, 1889, 23 B .
2 -Vande. op. cit., pp. 3371-3373 .

www.almajidcenter.org

الاقتراب إلى أكثر من ١,٥ أو ٢ ميل عن الميناء لوجود المضاحل[١] على هذه المسافة تقريباً، وهذه المضاحل موازية للساحل. أما المراكب التي يقل غاطسها عن ذلك فيمكن أن تقترب لمسافة ٥٠٠ م عن الساحل.

وإلى الشمال من رأس الخيمة توجد على بعد ١٠ كم بلدة الرمس، التي توجد فيها طابية، وخور قليل العمق. ومن الرمس إلى خصب شمالاً تأخذ الجبال بالاقتراب من البحر. وتوجد على الساحل ست قرى؛ ثلاث منها يمكن بلوغها من جهة البحر، والثلاث الأخرى تقع على الأخوار. والسكان هناك يعيشون على صيد السمك، والزراعة. وخصب، بلدة صغيرة تقع على أحد أخوار شبه جزيرة مسندم، التي يعمل سكانها في زراعة القمح، والشعير، والبصل، وكذلك التمر.

تصل عمق المياه في الأخوار إلى نحو ٣٠ ساجناً بحرياً. وإذا ما التفت السفن حول الجبال وتجنبت المدخل الصخري إلى الخليج العربي فإنها تصل إلى رأس مسندم، الذي يعد أبعد نقطة شمالية على الساحل العربي. وعند عبور رأس مسندم تخرج السفن من الخليج العربي، وتدخل إلى خليج عمان، الذي يعد جزءً من بحر العرب.

عند التوجه جنوباً بمحاذاة الجبال و الأخوار على الجانب الشرقي لشبه جزيرة مسندم يمكن الوصول إلى دبا. والمنطقة من دبا حتى كلبا في الجنوب جاء وصفها في عام ١٦٦٦ في تقرير عن سفرة السفينة الهولندية "ميركات".

ودبا قرية كبيرة. فيها ٣٠٠ منزل من سعف النخيل. وتوجد فيها أيضاً قلعة واحدة من أصل أربع قلاع قام البرتغاليون بنصبها. وتمتاز هذه القرية بمياهها الحلوة التي تستخرج من الآبار، ومزارع النخيل الكبيرة. وفي الطرف الشمالي للقرية يوجد نهر صغير،

١ - أماكن قليلة العمق المترجم

www.almajidcenter.org

يبلغ طوله من القطاع العرضي الجنوبي لـ دبا وحتى قرية البدية ٢أ٥ ميل، وعمقه من ١٩ إلى ٢٢ ساجناً بحرياً، وقاعه رملي.

يبلغ عدد بيوت قرية البدية ٢٠٠ بيت مبني من سعف النخيل. والبدية قريبة من الشاطئ. وفيها مياه حلوة تستخرج من الآبار. ويوجد في هذه القرية أيضاً عدد كبير من أشجار النخيل، وعدد قليل من أشجار التين، وينمو فيها البطيخ الأحمر والأصفر (الشمام). وكانت طواقم السفن التي ترد إلى هذه المنطقة تشتري منها الأبقار، والماعز، والدواجن. ويقع المرسى على بعد أربعة أميال عن الساحل، وعمقه من ١٠ إلى ١٢ ساجناً بحرياً، وقاعه رملي.

وباتجاه الجنوب تقع خور فكان، التي تمتد من الطرف الجنوبي لقرية البدية إلى الزاوية الجنوبية لخليج خورفكان. ومدينة خورفكان تقع على ساحل خليج عميق، قاعه رملي، عمقه من ١٦ إلى ٣٥ ساجناً بحرياً. ويوجد في المدينة نحو مائتي منزل من سعف النخيل.

توجد في الناحية الشمالية لخليج خورفكان قلعة مثلثة الشكل بناها البرتغاليون، لكنها صارت أطلالاً، وأخرى مشيدة على جبل من الجهة الغربية للخليج تحولت أيضاً إلى أنقاض. ووادي خورفكان منطقة جميلة نمت فيها أشجار النخيل، والليمون، والبرتقال، والتين، كما يزرع فيها البطيخ الأحمر، والأصفر. وفيها بئر مياهها حلوة، تستخدم للري.

أما الأرض الواقعة خلف خورفكان فهي هضبة صخرية جرداء. وكان الناس الذين أقاموا هنا يعانون من الفقر، ويعيشون من الزراعة. ولم تكن التجارة تشكل عملاً رئيساً لهم. وفي خورفكان يمكن ابتياع الأبقار، والدواجن، والفواكه.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

يبلغ عرض خليج خورفكان نصف ميل. وتوجد على طرفه الجنوبي جزيرة صغيرة تتقدم من البحر لمسافة ١٠٠ متر. وعند التوجه من الطرف الجنوبي لخليج خورفكان وحتى كلبا يلاحظ أن السواحل خالية من الصخور أو الجلاميد. يبلغ عمق المراسي التي تبعد أربعة أميال عن الساحل من ١٨ إلى ٥٧ ساجناً بحرياً. وتربة قاعه رملية سوداء.

وعلى الطريق من خور كلبا إلى مسقط يوجد وادي الباطنة، الذي يمر بين الجبال والبحر. وقد كان ذلك ساحلاً رملياً قامت عليه قرى عديدة محاطة بمزارع النخيل الكثيفة. وفي القسم الشمالي تقع شناص، التي يعمل سكانها في التجارة الساحلية، وصيد السمك، والزراعة.

وعلى بعد ٢٧ ميلاً عن شناص باتجاه الجنوب تقع مدينة صحار، التي كانت مركزاً تجارياً قديماً لهذه المنطقة الساحلية. وكان عدد سكانها ٤٠٠٠ نسمة، كانوا يعملون في زراعة الخضراوات والفواكه، وتربية الماشية، والطيور، وصيد السمك.

وإلى الشمال من مسقط على بعد ميلين ونصف تقع مدينة مطرح الكبيرة والغنية. وقد سكن في هذه المدينة من ١٥ إلى ١٨ ألف نسمة منهم ١٠٠٠ من البنيانيين. وكانت مطرح تملك نحو ٥٠ سفينة تجارية، بحمولة تتراوح بين ٣٠ و٣٠٠ طن[1].

تقع مسقط على خليج يحمل اسمها، يشكله رأس مسقط في الشرق، ورأس صير في الغرب وقد بلغ عدد سكان مسقط نحو ١٢ألف نسمة، منهم ١٧٠٠ بنياني يعملون في التجارة، وسماسرة لتجار عرب، ووكلاء لجميع السفن الأوروبية التي تتاجر مع مسقط. ومدينة مسقط محاطة بجدار فيه مداخل محصنة، وفيها كنيسة بناها البرتغاليون عام ١٥٣٠، وبقيت حتى القرن الثامن عشر.

1 - Thomas, op. cit., p. 629 .

www.almajidcenter.org

كانت مسقط ميناء تجارياً هاماً جداً، وكانت تملك ٢٠٠ سفينة تجارية، وكان ميناء مسقط مستودعاً، ومركزاً لتجارة الترانزيت مع فارس، والعراق، والهند. وهنا كان يجري التبادل التجاري، السلع العمانية مقابل بضائع شرق إفريقيا.

يقول جون كيلي في هذا الخصوص: "إن وجود مسقط على تقاطع طرق تجارية مع البحر الأحمر والخليج العربي، ومع طرق الهند، وإفريقيا جعل منها مستودعاً حقيقياً للتجارة على بحر العرب، وفي الخليج العربي[1].

الموانئ التجارية الأساسية في الخليج العربي:

البصرة:

تعد البصرة مخرج العراق الوحيد إلى البحر، وهي الميناء الرئيس للتجارة بين المناطق التركية والهند. من أهم البضائع التي كانت ترد إلى البصرة: منتجات تباع بالمفرق، أقمشة المفروشات، أقمشة الملابس الداخلية القطنية، غزل القطن، وشاش الموصلين، والأقمشة القطنية الناعمة والخشنة، وأقمشة الصوف الإنكليزي، والحرير، والقهوة العربية، والسكر، والقند السكري، والعقاقير، والتوابل، والعطور، والأدوية، والخزف الصيني [البورسلين]، والمعادن. وكان من هذه السلع ما يصدر إلى فارس أو إلى المناطق التركية.

أما فارس فكانت تصدر إلى البصرة: الخيول، واللؤلؤ، والحرير، والديباج، والسجاد، ونصال السيوف، والخناجر، وأسطوانات البنادق (السبطانات)، والزجاج، وماء الورد، والزيتون، والأقمشة القطنية، والمناديل، والجلود، والقطن الخام، والقليل من النيلة،

1 - Kelly, op. cit., p. 14 .

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

والتبغ، والراوند، وعقاقير مختلفة الأنواع، والفواكه المجففة، والحديد، والنحاس، والصوف، والخمور، والقليل من الفضة، و الذهب، والنقود.

في حين كانت ترد من الممتلكات التركية: النقود الفضية والذهبية، والنحاسيات، والمناديل الأنقرية، والأقمشة، والحرير، والساتان، والتخاريم الذهبية والفضية، والجوخ الفرنسي الناعم، والحلي، والمجوهرات، والزجاج، والتبغ. وكانت البصرة تصدر مباشرة: التمور، والعسل القديم والجديد، والعفص، والتبغ، والأفيون، والقطران، والأنابيب، والقصب. وكانت تصدر إلى الهند بشكل خاص الخيول.

يقول ج كيلي في هذا الصدد إن أسطول مسقط كان ينقل في كل عام محاصيل تمور من البصرة بقيمة ١٠٠٠٠٠ جنيه إسترليني حسب التسعيرة في ذلك الوقت (وللمقارنة قُدِّر حجم تجارة اللؤلؤ آنذاك بـ ١١٢,٥٠٠ جنيه إسترليني). وكانت البضائع تصل إلى العراق، وعربستان بالمراكب النهرية.

كانت تسعيرة نقل البالة [حزم مربوطة] الواحدة (زنة ٣٠٠- ٤٠٠ رطل إنكليزي) من البصرة إلى بغداد عن طريق نهر دجلة ١٢ روبية بومبي، وإلى الحلة، عن طريق نهر الفرات ١٥ روبية بومبي، وإلى الشطرة، عن طريق نهر قارون ٤ روبيات بومبي.

عندما تُنقل الأقمشة التي تباع بالقطعة من الكويت أو البصرة إلى حلب على الجمال تكون أجرة نقل كل رحال جمل من الأقمشة زنة ٧٠٠ رطل ١٣٠ روبية بومبي، و٩٠ روبية بومبي لنقل حمولات أثقل.

تقوم شركة الهند الشرقية البريطانية بجمع الضرائب والرسوم القنصلية بنسبة ٦ ٪ على جميع البضائع، التي تستوردة وتُنقل بالسفن الإنكليزية. وتأخذ في البصرة رسوماً

www.almajidcenter.org

جمركية من الأجانب بنسبة ٣ ٪ ، ومن بقية التجار ٨ ٪ . وهناك رسوم أخرى تفرض على البضائع التي ترد من البصرة إلى حلب مباشرة، وتخضع البضائع التي تأتي من البصرة وتمر من بغداد إلى رسوم إضافية تدفع في بغداد.

يقول ج. كيلي في هذا الصدد "إن التجار غير الأوروبيين يدفعون ٧,٥ ٪ ضريبة على البضائع، و ٣ ٪ رسوماً قنصلية بالنسبة للأوروبيين، و٥,٥ ٪ بالنسبة للتجار الآسيويين. ويجري التبادل بالمحمدية، التي تساوي ١٠٠ فلس. وكل ١٠٠ محمدية تساوي تومناً واحداً، والتومان الواحد كان يعادل آنذاك ١٥ روبية هندية. وكانت وحدات الوزن المستخدمة عادة الأوقية، والمن. وكل ٢٥ أوقية تساوي مناً واحداً، والمن العراقي يساوي ٢٨ رطلاً و٨ أوقيات"[١].

بندر عباس:

كانت بندر عباس تعرف في السابق بـ جمبرون، وهي مدينة عادية لصيادي السمك. انتقلت التجارة إلى ميناء بندر عباس في عام ١٦٢٢، وكانت البضائع ترد إليها من الهند وإفريقيا، ومن ثم تُنقل بالقوافل إلى المناطق الداخلية في فارس. وفي المدينة كانت هناك محطات تجارية لكل من بريطانيا، وهولندا، وفرنسا. وقبل إغلاق هذه المحطات التجارية في القرن السابع عشر كانت بندر عباس مركزاً تجارياً لفارس[٢].

يبين الجدول التالي البضائع التي كان يجري تبادلها، وأحجامها، وأسعارها. ولكن تجدر الإشارة أولاً إلى أن كمية البضائع التي استوردتها فارس في عام ١٧١٤عن طريق

١- انظر:
- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. pp. 164-167;
- Kelly, op. cit., p. 367.
2 -Kolonia, Archief . Vol. 2 . pp. 462-463.

www.almajidcenter.org

شركة الهند الشرقية الهولندية بلغت قيمتها الإجمالية ٥١٥.٥٦٤ غولدن[1]، وكذلك تجدر الإشارة إلى أن (الوزن كان يقاس بالرطل الأمستردامي، وكل رطل واحد يساوي ٤٩٤ غراماً):

نوع البضاعة	الوزن (رطل)	السعر (غولدن)
رصاص	٢٠٠٠٠	٦٥٠٣
قرنفل	٤٠١٣٩	١٢٥٤٣
قرفة	٢٤٠٠٠	٧٢٠٠
جوز الطيب	٢٥١٦٩	١٥٧٣
فلفل أسود	١٠٠٠٠٠٠	١٣٢٠٠٠
بخور	٢٠٤٣٣	١٠٧٢٣
كافور ياباني	٦٠٦١	٥٣٨٧
عاج	٥٠٠٠	٨٧٥٧
قند سكري	٢٥٠٠٥٦	٣٤٨٣١
سكر ناعم	٨٠٠٢٢٢	٥٧٧٩١
أخشاب	٦٠٠٠٠	١٧٣٥
قطع أقمشة قطنية متنوعة	٣٩٤٠٠	٢٢١٠٠٠

١- الغولدن: وحدة نقدية بدأ التعامل بها في الأراضي المنخفضة سنة ١٨١٦. والغولدن يقسم إلى ١٠٠ سنت. وكان الغولدن يسمى في السابق بالفلورين نسبة إلى مدينة فلورنس، حيث جرى سكه أول مرة. المترجم.

www.almajidcenter.org

ويبين الجدول التالي دفعة أخرى من البضائع أوصلتها سفينة واحدة وبيعت في بندر عباس في عام ١٧٥٧[١]:

نوع البضاعة	الوزن (رطل)	السعر (غولدن)
قرنفل	٥٢٧٧	٢١٥٠
جوز الطيب	٤٦٧٥	٩٥٣
قصدير	١٥٩١٤	غير معروف
فلفل	٢٨٥٢٤	٢١٠٠٠
سكر ناعم	١٨٩١٧١	١٧٧٠٢
قند سكري	١٠٥٠٩٤ رطل	١٤٤٥٠
بن جاوه	٢٨٠٠ رطل	٣٦٥
كتان قطني هندي	٥٠٠٠ قطعة	١٥٠٩٤
جوخ هولندي	٣٥٠٠ قطعة	١٢١٧٥

في ١٧ يوليو عام ١٧٥١ وصلت إلى بندر عباس سفينة تسمى "المحمودي" قادمة من الهند، وكانت محملة بـ ١٨٨ بالة من الجوخ الناعم، و٦٢ بالة من أقمشة شبه مخملية، وسبع قطع من الديباج، وست قطع من الساتان، و١٢ طناً من الحديد، و٣ أطنان من الرصاص[٢].

1 - Vande .op. cit., Vol, 2937, p. 38.
2 - Gumbroon Diary, 8 vols. k Nos. 7-14. op. cit., Vol. 7, p. 601.

www.almajidcenter.org

إلا أن المستودعات الهولندية في المدينة كانت ممتلئة بالبضائع والسلع كالسكر، والقند السكري، والفلفل، والأرز، والجلود، والتوابل المختلفة الأنواع، والرصاص، والحديد، والأقمشة الناعمة شبه المخملية، وأنواع مختلفة من الأقمشة الناعمة[١].

البضائع والسلع التي تجري المتاجرة فيها في بندر عباس هي البضائع الهندية والأوروبية، والسجاد، والتبغ، والفواكه المجففة، والصوف الكرماني، والملح.

في عام ١٧٨٤ استأجر حاكم عمان ميناء بندر عباس. وأخذ هذا الميناء يدر عليه دخلاً سنوياً يتراوح بين ٨٦٠٠ و ١٠٠٠٠ - تالير ماريا تيريزا. وفي العشرينات من القرن التاسع عشر بلغت قيمة واردات بندر عباس السنوية ثلاثة لاكات روبية (أي نحو ٣٠٠٠٠ جنيه إسترليني)[٢].

وكانت الحسابات تجرى بالوحدة النقدية المحمدية، ووحدة الوزن المستخدمة لوزن الذهب والفضة، وغير ذلك من النفائس هو المثقال (كل ٥, ٢ مثقال يساوي تولاً سوراتياً واحداً، وهو وزن الروبية الواحدة). في حين كان يوزن السكر والعسل وغير ذلك من السلع الاستهلاكية العادية بالمن (والمن الفارسي يساوي سبعة أرطال ونصف).

أما وحدات القياس المستخدمة فكانت الذراع و"الجوز"، (وكل ٩٣ جوزاً يساوي ١٠٠ يارد إنكليزي)[٣].

1 -Salsanha, op. cit., p. 99.
2 -Kelly, op. cit., pp. 44-45.
3 -Aduwinste le Afdeling, 1889, 23 B;
- Kolonia, Archief.

www.almajidcenter.org

بوشهر:

كانت بوشهر مدينه على درجة كبيرة من الأهمية، فقد كانت مركزاً لتجارة بريطانيا، ودول أخرى مع فارس. وقد تحولت بوشهر إلى ميناء رئيس لفارس. وكان بإمكان التجار التزود منها بكميات كبيرة من البضائع التي كانت ترد إليها من الهند وأوروبا.

والبضائع التي كانت ترد إلى بوشهر من الهند ومسقط بشكل مباشر: القطن، وغزل القطن، وحب الهيل، والقرنفل، والقرفة، والبورسلين [الخزف الصيني]، والرصاص، والفولاذ، والمناديل، والمنتجات الحريرية، والكركوم، والتبغ، والقصدير، والمنتجات الصوفية.

وكان قسم من الواردات يخصص لتركيا والجزيرة العربية، والقسم الآخر لفارس. وكانت بوشهر تصدر إلى الهند العقاقير بمختلف أنواعها، والسجاد، وماء الورد، والخمر الشيرازي. وقد اتصف الميزان التجاري بزيادة واردات فارس عن صادراتها بنسبة ٢٠ ٪[١].

ذكر ج. كيلي أن واردات بوشهر من الهند تقدر بحدود ٢٠ لاك روبية سنوياً، بينما لا تزيد صادراتها عن ثلث هذا المبلغ[٢]. يحصل شيخ بوشهر من صيد اللؤلؤ فقط على لاك روبية سنوياً (١٠٠٠٠ جنيه إسترليني تقريباً).

كانت شركة الهند الشرقية الإنكليزية تأخذ رسوماً ٣ ٪ من كل من يقوم بتصدير أو استيراد البضائع تحت حمايتها. كما أجاز الحاكم والمجلس في بومباي أخذ رسوم قنصلية

1 - Bussora, op. cit., №. 195, p.183.
2 - Kelly, op. cit., p. 44.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

بنسبة ١ ٪ عن التجارة الإنكليزية مهما كان نوعها. وكان نصف المبلغ الذي يُحصَّل كرسوم قنصلية يحول إلى المقيمية، والنصف الآخر يحول إلى الوكيل في بوشهر[١].

يقول لوريمر إن ٢ ٪ من الرسوم القنصلية التي تجبى في بوشهر والبصرة كانت توزع بين المقيم المحلي وحاكم بومباي. غير أن هذه الرسوم بدأت تتحول إلى حسابات شركة الهند الشرقية الخاصة منذ عام ١٧٨٤[٢].

ويقول كيلي إن رسوم الاستيراد الأساسية بلغت ٥ ٪ بالنسبة للأقمشة التي تباع بالقطعة، و ١٠ ٪ للمعادن، و ١٥ روبية على كل صندوق نيلة، و ٦ روبيات على كل كيس توابل، و روبيتين على كل كيس بن[٣].

كانت وحدة الوزن المستخدمة في بوشهر المن التبريزي الذي يساوي سبعة أرطال، وكانت المحطة التجارية تنجز أعمال استلام وتسليم البضائع حسب المعايير الإنكليزية[٤]. وكانت العملة المتداولة في بوشهر: العملة الأوروبية، والآسيوية. وكانت المخالصات الحسابية تتم بالفلس والمحمدية والتومان (كانت كل ١٠٠ محمدية تساوي تومانا واحداً).

جزيرة خرج:

لم تكن لهذه الجزيرة أهمية تذكر في التجارة إلا في المرحلة الممتدة من عام ١٧٥٣، عندما افتتح الهولنديون محطتهم التجارية فيها بعد رحيلهم عن البصرة في عام ١٧٥٢، إلى ديسمبر من عام ١٧٦٥، عندما استولى المير مهنا على الجزيرة.

1 - Bussora, op. cit., №. 193, pp. 31- 34.
2 -Lorimer, op. cit., p. 168.
3 -Kelly, op. cit., p. 44.
4 -Saldanha, op. cit., p. 177.

www.almajidcenter.org

غير أن لوائح البضائع التي باعها الهولنديون في جزيرة خرج غير متوافرة باستثناء لائحة البضائع الخاصة بعام ١٧٦٠، التي تتضمن المواد التالية: السكر، والقرنفل، وجوز الطيب، والقصدير السيامي، والرصاص الهولندي، والإطارات الحديدية، والفلفل الأسود، وخشب "السابون" المانيلي، وبن جاوه، والدهان الهولندي، والمسك الصيني، وحب الهيل الملقي، والأواني القصديرية، والحرير الصيني، وغزل الحرير، والجوخ الهولندي، وأقمشة قطنية من أماكن مختلفة (الهند، وفيتنام، وجاوه، والصين)، وكذلك الخزف الصيني[1].

يبين الجدول التالي أسعار الشراء والمبيع لبعض السلع مقدرة بالغولدن:

إجمالي الكمية	سعر الشراء	سعر المبيع
توابل(قرنفل وجوز الطيب)	١٠٣٣٧	١٣٥٣٦٤
سلع أخرى تباع بالقطعة (بالرطل)	١٤١٧٤٧	٢٥٤٩٦٠
الأقمشة	١٧٦٢٧	٢٠٨٥٩

البحرين:

نظراً للموقع الجيد الذي تشغله البحرين، وقرب بعض الموانئ الصغيرة منها كميناء العقير، والقطيف، وخُبر، والبدع، فقد شهدت نشاطاً تجارياً كبيراً. وكان اللؤلؤ من أهم صادراتها. ويذكر لوريمر أن القيمة السنوية لتجارة البحرين بلغت في عام ١٧٩٠ نصف مليون روبية بومبي. وبعد عشرة أعوام رأى القبطان جون مالكولم أن قيمة الصادرات السنوية من اللؤلؤ بلغت نحو مليون روبيه[2].

1 -Vande . op. cit., Vol. 3027, pp. 10-11.
2 -Lorimer, op. cit., p. 164.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

في عام ١٧٩٠ بلغت صادرات البحرين من اللؤلؤ إلى البصرة خمسة لاكات روبية، أي نحو ٥٠٠٠٠ جنيه إسترليني[١]. وفي العشرينات من القرن التاسع عشر وصل عدد مراكب صيد اللؤلؤ في البحرين إلى نحو ٢٥٠٠ مركب[٢]. وكان شيخ البحرين يأخذ ضرائب سنوية تقدر بـ ١٠٠٠٠ جنيه إسترليني لقاء الحماية التي يقدمها[٣].

ويذكر ج. كيلي أن الدورة الكلية لتجارة البحرين بلغت ٢,٤٥٩,٢٠٠ تالير ماريا تيريزا (نحو ٤٩٠,٠٠٠ جنيه إسترليني) منها ثلث للواردات، وثلثان للصادرات[٤]. وكانت المواد التي تنقلها مراكب البغلة من البحرين: الأرز، والسكر، والأقمشة، والنيلة، والنحاس، والسمن العربي، وكذلك لب الخشب من سواحل مالابار مرتين سنوياً.

والبضائع التي كانت تنقل من موانئ الخليج العربي عن طريق البحرين هي: التمر، والسكر، والسمن العربي، والأقمشة، والسيوف، وبنادق الشطف. وكان يصدر من منطقتي الأحساء والقطيف الماعز، والجواميس، والأبقار، والحمير، والخيول بالإضافة إلى التمور[٥].

أخذت البحرين شهرة البصرة بوصفها مركزاً تجارياً رئيساً في الخليج العربي حتى نهاية القرن الثامن عشر. ويعود السبب في ذلك إلى تدهور التجارة في البصرة، إلى جانب الموقع الملائم الذي تمتاز به البحرين، وكذلك بسبب المرونة التي كان يتمتع بها حكام البحرين تجاه التجار وأصحاب السفن[٦].

1 - Kelly, op. cit., p. 29.
2 - Salsanha, op. cit., p. 29.
3 - Belgrave. op. cit., p. 166.
4 - Kelly, op. cit., p. 30.
5 - Milburh, W. Oriental Commerce or the East India. Trader's Complete Guide. L. 1813. p. 130.
6 -Kelly, op. cit., p. 29.

www.almajidcenter.org

رأس الخيمة:

كانت رأس الخيمة في السابق تحمل اسم جلفار، التي عرفت به كمدينة تجارية. وقد ورد هذا الإسم في سجلات هولندية مدونة في البصرة مؤرخة في عام ١٦٤٦ فيها أن سفينة محملة بمائة صندوق من قوالب السكر قدمت من جلفار على الساحل العربي[١].

كما ورد اسم جلفار أيضاً في تقرير حاكم عام "بتافيا[٢]" (Batavia) موجه إلى مديري شركة الهند الشرقية الهولندية في هولندا، مؤرخ في ١١ نوفمبر عام ١٦٥٤ يتعلق بتجارة اللؤلؤ في الخليج العربي. فقد جاء في ذلك التقرير:

". . . نرى أنه إذا رغب "مقامكم" في الاستمرار في هذه التجارة فيجب إرسال تاجرين فطنين وخبيرين إلى المنطقة قبل بدأ الموسم العادي لصيد اللؤلؤ في البحرين، أوفي جلفار حيث يجري استخراج هذا النوع من المجوهرات، ويجب أن يوجه لهما أمر بالحضور إليها في بداية موسم صيد اللؤلؤ، والبقاء فيها حتى نهاية الموسم، والوقوف شخصياً على كيفية سير التجارة فيها"[٣].

ويوجد تقرير آخر موجه من رئيس المقيمية الهولندية في جمبرون إلى الحاكم العام للهند الشرقية الهولندية مؤرخ في ٢٧ يناير عام ١٧٠٢ ورد فيه اسم جلفار أثناء الحديث عن سفينة "دويت سلامة" التي قدمت من الهند إلى جلفار. وقد جاء في هذا التقرير حديث للبحار المحلي إسماعيل، الذي كان على متن السفينة قال فيه:

1 - Family Archive, Geleynseen Jongh-nr 260 e, Travel to Basra 1645-6. pp. 1645 - 46.

٢- بتافيا حسب الموسوعة السوفيتية الكبرى هي التسمية الهولندية القديمة لجاكرتا – عاصمة إندونيسيا ... المترجم

3 - Family Archive. op. Cit.

www.almajidcenter.org

"قبل سنة وثلاثة أشهر توجهنا من كوتشين (ساحل مالابار) إلى مسقط. وأثناء الطريق تعرضت سفينتنا إلى ريح قوية وعاصفة رعدية. وعندها قرر النوخذة العودة والرسو في باسيدو، لتفريغ السفينة وتكديس البضائع في مستودع شركة الهند الشرقية الهولندية إلى أن تهب الرياح الموسمية الحسنة.

وبعد ذلك أعيد تحميل البضائع على السفينة، مع سلع أخرى لأحد العرب واثنين من سكان "كنورا"، وتوجهنا إلى مكان يسمى جلفار، يقع على الساحل العربي من الخليج الفارسي لإفراغ بعض الحمولة فيه، ومن إجل القيام بذلك خرجنا من باسيدو قبل شهرين"[1].

كان قواسم رأس الخيمة، ومن يدفع الإتاوة منهم يعملون بالتجارة، وزراعة حقول واسعة من النخيل، ويمتهنون مهنة الغوص لاستخراج اللؤلؤ، التي كانت تدر عليهم أرباحاً كبيرة. وكان يعود عليهم سنوياً نحو ٨٠ ألف روبية من بيع التمور. وكان عُشر هذا المبلغ يذهب إلى شيخهم.

كان أسطول القواسم المكون من عدد كبير من السفن الضخمة يرتاد موانئ الهند، واليمن، والسند، وكوشن، ومسقط، والبصرة. وكانت حصة البحار الواحد في كل رحلة من الرحلات البحرية المختلفة التي يقوم بها تبلغ إلى الهند ٥٠ ـ ٨٠ روبية؛ إلى اليمن ٨٠ روبية؛ إلى إفريقيا ٤٠ روبية؛ إلى السند، وكوشن ٢٥ ـ ٣٠ روبية؛ إلى مسقط ١٢ روبية[2].

لم يكن البحارة القواسم يكسبون شيئاً من المال عند سفرهم إلى البصرة، لكنهم كانوا يحمّلون السفن من هناك بالتمور الطازجة، والجافة ويبيعونها في موانئ أخرى. وكانت

1 -Vande. op. cit., Vol. 1667. p. 418.
2 -Vande . op. cit., Vol. 1667. p. 419.

www.almajidcenter.org

السفن الصغيرة الحجم تتاجر عادة مع البحرين والقطيف، وكانت تذهب إلى البصرة أيضاً. وهناك يتم تحميلها بالحبوب لإيصالها إلى رأس الخيمة والقبائل التابعة لها. ومثل هذه العملية كانت تعود على كل بحار بـ ١٠ روبيات.

كما كانت السفن الصغيرة تقوم بمثل هذه السفرات أيضاً إلى كنعان، وعسيلو، ولنجه، وقشم. وكان كل بحار يكسب في السفرة الواحدة من ٢ إلى ٣ روبيات. كما كان الشيخ أيضاً يحصل من أرباح كل سفرة على ما يعادل حصة البحار الواحد. وكان عدد المراكب آنذاك ٦٠ مركباً كبيراً، و٢٠٠ مركب صغير.

تقع مصائد اللؤلؤ المشهور بجودته العالية على بعد عدة أميال عن الساحل على عمق من ٦ إلى ٧ سواجن بحرية. ويبلغ عدد المراكب التي تستخدم سنوياً لاستخراج اللؤلؤ ٤٠٠ مركب بأحجام مختلفة؛ منها ٢٠٠ مركب كبير الحجم، و١٠٠ مركب متوسط الحجم، و١٠٠ مركب صغير الحجم.

وكان المردود السنوي من استخراج اللؤلؤ يقدر بنحو ٤٠ ألف تومان[1]. وكانت الضرائب التي تجبى من كل غطاس، ومساعده متباينة بين الشيوخ العرب من ٠.٥ إلى ٧ تالير ماريا تيريزا. ويمكن أن تتغير قيمة هذه الضريبة من موسم إلى آخر حسب رغبة الشيخ.

ذكر ف. وايتلوك أن بإمكان رأس الخيمة تجهيز نحو ١٠٠ سفينة، تتراوح حمولة معظمها ما بين ٣٠٠ و٤٠٠ طن، وكان شيخ كل " مدينة " يأخذ ضريبة مقدارها ١ أو ٢ ماريا تيريزا، حسب حجم السفينة. ولم تكن طواقم سفن الغوص المستخدمة في استخراج

1 - Residensy Records, Bushire, ref, R/15/1/20. p. 13.

www.almajidcenter.org

اللؤلؤ تعمل لقاء أجر محدد، وإنما لقاء نسبة من الأرباح. وكان الشيخ يأخذ الضريبة على جميع أنواع البضائع، وكذلك ١٠٪ من بيع التمور[١].

كانت التجارة تمارس على نطاق واسع سواء مع موانئ الخليج العربي، أو مع موانئ دول أخرى. والبضائع والسلع التي تستورد من الخارج هي[٢]:

من البصرة والبحرين: التمور والخيول؛

من فارس: الجوز، والتبغ، والسجاد، والأقمشة، والسكر، والسيوف، وبنادق الشطف؛

من مكران: الحديد، والسمن العربي، والسكر، والزيت النباتي، والسجاد؛

من الباطنة: التمور والسمن العربي؛

من بومباي: الحديد، والأرز، والنحاس، والفولاذ، والمسلات، والغزل، والقطن، والخيوط؛

من اليمن: البن، والعبيد؛

من زنجبار: العبيد.

مسقط:

مارست مسقط تجارة السمسرة بين الهند والخليج العربي بشكل واسع بفضل الموقع الجيد الذي تشغله على الطريق بين بومباي والبصرة. وبإلقاء نظرة على قائمة السفن التي ارتادت البصرة خلال عام واحد، من سبتمبر عام ١٧٣٥ إلى سبتمبر عام ١٧٣٦ يتضح حجم هذا النوع من التجارة في القرن الثامن عشر: خمس سفن من مسقط، ثلاث سفن من بوشهر، وسفينتان من بندر ريك، وثلاث سفن من مسلمي الهند، وسفينتان هولنديتان، وسفينتان فرنسيتان، وأربع سفن بريطانية[٣].

1 - Bussora, op. cit., №. 211. p.103.
2 - Bussora, op. cit.
3 - Vande op. cit., №. 3795. pp. 2953-2954 .

www.almajidcenter.org

وصل عدد السفن التي كان يملكها تجار مسقط في أواخر القرن الثامن عشر ١٥ سفينة حمولة من ٤٠٠ إلى ٧٠٠ طن، وثلاث سفن صغيرة ذات صاريتين، و٥٠ سفينة داو كبيرة، و٥٠ صغيرة. كانت بعض السفن تتجه إلى الهند، والبعض الآخر إلى زنجبار، وشرق إفريقيا، والبحر الأحمر.

كانت السفن التي تتجه إلى الهند تنقل الأدوية، واللؤلؤ، والنحاس، والزرنيخ، والملح. وكانت هذه السفن تعود من هناك محملة بالدامور، والنيلة، والأرز، والسكر، ولب الخشب، وخشب الصندل، والمنتجات القطنية التي تباع بالقطعة، والخزف الصيني (البورسلين)، والمعادن، ومنتجات الصناعة الأوروبية. أما السفن التي كانت تتجه إلى البحر الأحمر فكانت تحمل عادة التمور، واللؤلؤ، والبضائع التي تباع بالقطعة، والدامور.

وكانت تتم عمليات مقايضة هذه المواد في كل من ميناء المخا، والحديدة بالبن، والأدوية، والعبيد الأحباش. وكانت السفن القادمة من زنجبار، وشرق إفريقيا تحمل الرمل الذهبي، والعاج، والعبيد[1].

كان لحكام مسقط علاقات تجارية وثيقة مع "كوشن" في الهند، ومع أفغانستان في الشمال[2]. وأصبحت مسقط مكاناً لتخزين البضائع، وطريقاً لعبور السفن القادمة من الهند، وشرق إفريقيا، والبحر الأحمر، المحملة بالبضائع لتوزيعها على مناطق عمان الداخلية، وجميع سواحل الخليج العربي، وفي البحرين، والبصرة.

وكانت مسقط تشتري من مناطق عمان الداخلية اللوز، والمواشي من الغنم، والبقر، والضأن، والأدوية المتنوعة، والقار، والجلود، والمنتجات الجلدية، والعسل، والشموع، ومحار اللؤلؤ، والخيول، والزبيب.

1 -Kelly, op. cit., pp .15-16.
2 -Salsanha, op. cit., p. 25.

www.almajidcenter.org

أما تجار مناطق عمان الداخلية فكانوا يجلبون البضائع الهندية، والزنجبيل، والحبوب، والأفيون، والسلع التي تباع بالقطعة، والفلفل، والسكر، والتوابل، والقواطع [السكاكين] المعدنية الأوروبية، والمصنوعات الزجاجية، والبزور، والجوخ الناعم. وكان أسطول البن يتجه من مسقط إلى البصرة محملاً ببن بومباي، ومن هناك يتم نقله إلى أوروبا.

وقد قدِّر حجم تجارة مسقط بمليون جنيه إسترليني؛ إذ كانت كميات كبيرة من هذه السلعة يعاد تصديرها إلى جهات مختلفة. وعادة ما كان يجري حسم على الرسوم الجمركية الأولية بنسبة ٢,٥ ٪[١].

كانت جمارك مسقط تمنح البنيانيين الأغنياء امتيازات بقيمة ١٨٠ ألف تالير في العام. وكانت تجني رسوماً جمركية من الأجانب نسبتها ٥ ٪، ومن المسلمين ٢,٥٪ فقط[٢].

يذكر ج كيلي في هذا الخصوص أن الأوروبيين كانوا يدفعون في عهد أحمد بن سعيد رسوماً جمركية بنسبة ٥ ٪ والمسلمين ٦ ٪ والبنيانيين واليهود ٩ ٪ وفي عام ١٧٩٠ حُدِّدت النسبة الجمركية بـ ٦,٥ ٪ لجميع التجار[٣].

وكانت تؤخذ في مسقط أيضاً ضرائب على العبيد مقدارها تالير واحد عن كل أفريقي أو حبشي، وتالرين عن كل جورجي أو أرمني. وكان دخل مسقط يصل إلى ٣٠٠ ألف روبية بالإضافة إلى ٣٠٠ ألف روبية من ملح بندر عباس[٤].

1 - Kelly, op. cit., p .14 .
2 - Kelly, op. cit., pp. 29-30 .
3 - Kelly, op. cit., p. 14 .
4 - Salsanha, op. cit., p. 25 .

www.almajidcenter.org

وكانت العملة المتداولة في مسقط: الفارسية، والهندية، والتركية. وكانت روبية سورات الواحدة تساوي ٣,٥ محمدية، وروبية بومباي الواحدة كانت تساوي ٤ محمديات، بينما كان التالير الإسباني الواحد يساوي ٧,٥ محمدية.

مارس سكان الخليج العربي التجارة بشكل واسع مع العديد من المناطق. ويمكن معرفة حجم تلك التجارة بالإطلاع على قائمة بأعداد السفن التي رست في جزيرة خرج فقط في أوقات مختلفة.

رست على هذه الجزيرة في السنة المنتهية ١٧٥٥ - ١٧٥٦ إحدى عشرة سفينة، منها ست سفن إنكليزية، وثلاث سفن فرنسية، وسفينتان من سورات. وفي السنة المنتهية ١٧٥٦ – ١٧٥٧ وصل عدد هذه السفن إلى الثمانية، منها خمس سفن إنكليزية، وثلاث من سورات.

بينما كان عدد السفن التي رست في جزيرة خرج في السنة المنتهية ١٧٥٧ – ١٧٥٨ عشر سفن، منها ست سفن إنكليزية، وسفينة واحدة فرنسية، وسفينة هولندية، وسفينتان من سورات. أما في السنة المنتهية ١٧٥٨ – ١٧٥٩ فقد كان عدد هذه السفن تسع، منها سبع سفن إنكليزية، وسفينة واحدة هولندية، وسفينة واحدة من سورات.

ومن شهر مارس حتى شهر أغسطس عام ١٧٦٠ بلغ عدد السفن التي رست في جزيرة خرج ١٤ سفينة، منها عشر سفن إنكليزية، وسفينتان هولنديتان، وسفينة من سورات، وسفينة من مالابار؛ ومن شهر سبتمبر عام ١٧٦٠ حتى أغسطس عام ١٧٦١ وصل العدد إلى ١٩ سفينة، منها تسع سفن إنكليزية، وأربع سفن من سورات، وثلاث سفن هولندية، وسفينتان من البصرة، وسفينة واحدة من مالابار[1].

1 - Vande, op. cit., Vol., 2909., p 55; Vol., 2937., p. 29; Vol.,2968, p. 29.

www.almajidcenter.org

في عام ١٧٠٣ أبحرت سفينتان من فارس إلى "بتافيا" بحمولة قيمتها ٢٣٥,٥٠٤ جنيه إسترليني[١]. وفي عام ١٧١٥ وصلت سفينة واحدة فقط من "بتافيا" بحمولة قيمتها ٢١٧,١٧٨ جنيه إسترليني[٢]. وفي عام ١٧٣٥ توجهت إليها سفينتان من فارس محملتان ببضائع بقيمة ٣١٢,٦٩٥ جنيه إسترليني[٣].

التوسع التجاري للدول الأوروبية:

أدى الخليج العربي دوراً رئيساً في تجارة الترانزيت؛ فقد كانت البضائع ترد إليه من جنوب، وجنوب شرق آسيا، ومن الشرق الأدنى، وأوروبا. وكانت التجارة تجري هنا بالسلع المحلية كالأرز، والبن، والأقمشة، والتوابل الهندية. فقد كانت فارس، والعراق التركي من البلدان المستوردة والمستهلكة لهذه السلع. وكان من طبيعة القبائل العربية، ومن بينها القواسم أن تشارك في تجارة الترانزيت، ليس من أجل الاستهلاك لهذه السلع، بقدر ما هو من أجل التجارة الفعلية بها.

عند مجيء الدول الأوروبية إلى الخليج العربي في القرن الخامس عشر كان السكان المحليون ـ العرب، والتجار الهنود، وأصحاب السفن يسيطرون على تجارة الترانزيت. وكان الجميع يمارسون هذه التجارة، ويقيمون معاً بحرية تامة، ودون أن تعترضهم أية عقبات.

وظل الوضع على هذه الحال حتى ظهر المستعمرون البرتغاليون في منطقة الخليج العربي في بداية القرن الخامس عشر، وأخذوا يسيطرون على المنطقة وتجارتها مستخدمين القوة، والمعاملة الخشنة. وعند ذلك تغيرت أوضاع السكان العرب بشكل كبير.

1 - Kolonia, Archiefp, op. cit., Vol.,10753., p. 53 .
2 -Kolonia, Archief, op. cit., Vol.,10760., p. 207 .
3 -Kolonia, Archief, op. cit., Vol., 10769., p. 51 .

www.almajidcenter.org

وازدادت الأوضاع تفاقماً عندما ظهر الهولنديون، والفرنسيون، والإنكليز في المنطقة؛ وأخذوا يتنافسون بقوة من أجل زيادة حصتهم في تجارة الترانزيت، وحرموا السكان المحليين من المشاركة في هذه التجارة. وعندها كانت فارس، التي تعد أكبر سوق محلية مكاناً لاستقرار المنافسين الأوروبيين.

في عام ١٦١٦ حصلت شركة الهند الشرقية البريطانية على موافقة الشاه عباس الأول على ممارسة التجارة في فارس. وبعد سنة واحدة جرى تفريغ أول دفعة من البضائع الهندية في جاسك. وفي العام نفسه أُنشئت محطتان تجاريتان في شيراز و أصفهان. وفي عام ١٦١٩ أُنشئت المحطة التجارية الثالثة في جاسك[١]. وسرعان ما حصل الهولنديون بعد ذلك على امتيازات تجارية، وكان ذلك في عام ١٦٢٣، عندما افتتحوا محطة تجارية لهم في جمبرون[٢].

في عام ١٦٦٦ وصلت إلى أصفهان بعثة فرنسية وعلى الفور جرى السماح للفرنسيين بممارسة التجارة في فارس[٣].

قبل ذلك الوقت كان السكان المحليون يعيشون بهدوء، ولم تجري أية محاولة لاستبدال المحتلين البرتغاليين للموانئ العربية بمحتلين آخرين من أية دولة أوروبيةأخرى. غير أن الهنود، ولا سيما مسلمي سورات كانت لهم رغبة في منافسة الغرباء الأوروبيين. ولهذا أرسلوا في عام ١٦٥٥ إلى الخليج العربي ٤٠ سفينة محملة بالبضائع[٤]. وفي العام نفسه أرسلوا بضائعهم على متن السفينة البريطانية "يهروس"[٥]. ووصلت في هذا العام أيضاً

1 - Salsanha, op. cit., P.50.
2 - Vande, op. cit., Vol, 1255, p. 855.
3 - Vande, op. cit., Vol, 1255, p. 870.
4 - Vande, op. cit., Vol, 1209, pp. 101-102.
5 - Vande, op. cit., Vol, 1209, p. 105.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

سفينة من سورات إلى جمبرون محملة ببضائع تصل قيمتها إلى ٢.١ مليون غولدن، أي ما يزيد عن كامل حجم تجارة الهولنديين[١].

غير أن النجاح الذي حققه هنود سورات في التجارة كان مؤقتاً؛ إذ جعلت الامتيازات التي منحها الشاه للهولنديين، والإنكليز تَدهور تجارة سورات أمراً حتمياً[٢].

وفي بداية القرن الثامن عشر لمس تجار سورات تراجعاً كبيراً في حجم تجارتهم، فقد انخفض عدد سفنهم التجارية من ١١٢ عام ١٧٠١ إلى نحو ٢٠ سفينة في عام ١٧٥٠[٣]. وفي الوقت نفسه اشتد التنافس بين الدول الأوروبية نفسها.

كان الفرنسيون أول من تكبد الخسائر في هذا التنافس، واضطروا إلى إغلاق محطتهم التجارية في جمبرون في العقدين الأولين من القرن الثامن عشر، وحاولوا الاستقرار في البصرة، ومسقط. إلا أن نجاحهم في هذه المحاولة كان بسيطاً جداً. وفي عام ١٧٨٥ سُمح لهم بممارسة التجارة في مسقط بعد أن اضطروا إلى إيقاف تجارتهم في البصرة في عام ١٧٦٥[٤].

كان الهولنديون أشداء في منافستهم للإنكليز، لدرجة أنهم تمكنوا من السيطرة على جزيرة هرمز لبعض الوقت قبل أن يضطروا إلى مغادرتها[٥]. والمعطيات التالية تبين بوضوح تام كيف تدهورت تجارة هولندا في الخليج العربي في القرن الثامن عشر[٦].

1 - Vande, op. cit., Vol, 1209, p. 123.
2 - Vande, op. cit., Vol, 562, p. 256.
3 -Cambridse Histry of India the Dilhi, 2nd rep. 1963, Vol. 1., p. 412
4 - Kelly, op. cit., p. 54.
5 -Vande, op. cit., Vol. 2105., pp. 148-149.
6 -Vande, op. cit., Vol. 2105., pp. 671-705; Vol. 2138., pp. 38,277.

www.almajidcenter.org

متوسط الأرباح (بالغولدن)	من سنة	إلى سنة
٥٨١٠٢٧	١٧٠٠	١٧١٠
٤٧٥٣٤٤	١٧١٠	١٧٢٠
٢١٩٨٦٨	١٧٢٠	١٧٣٠
١٠٢٥٦٥	١٧٣٠	١٧٤٠
٤٦٥٦٢	١٧٤٠	١٧٥٠
٤٧٩٥٦	١٧٥٠	١٧٥٧

وهذه البيانات بليغة في حد ذاتها.

في عام ١٧٥٢ خرج الهولنديون من البصرة، وفي عام ١٧٥٩ أغلقوا محطتهم التجارية في جمبرون، و في عام ١٧٦٥ طُردوا أخيراً من جزيرة خرج على يد الفرس بعد نشاط دام ١٢ عاماً[1].

لعل ازدياد نفوذ الإنكليز بدأ يظهر عندما نقلوا مؤسساتهم الرئيسة من جمبرون إلى بوشهر في عام ١٧٦٣. وقد تلا ذلك مباشرة وصول المستر وليم أندريه برايس، وكان ذلك في إبريل من عام ١٧٦٣، حيث جرى تعيينه وكيلاً "لشؤون الأمة البريطانية"[2]. وفي هذا العام أيضاً وقع مع شيخ بوشهر على الاتفاقية التجارية التي تنص على ما يلي:

"تنص بنود الاتفاقية الموقعة في ١٢ إبريل عام ١٧٦٣ بين وليم أندريه برايس الموقر، وكيل "شؤون الأمة البريطانية" في الخليج العربي باسم شركة الهند الشرقية المتحدة

1 -Vande , op. cit., Vol.,3179., p. 405-422.
2 -Bussora, op. cit, №. 193., p. 22

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

الموقرة، الذي يشكل الطرف الأول، وشيخ بوشهر سعدون، الذي يشكل الطرف الثاني على ما يلي:

١- يعفى الإنكليز من دفع الضرائب أو الرسوم الجمركية على صادراتهم، وواردتهم، بينما تجبى رسوم فقط ونسبتها ٣ ٪ من التجار الذين يشترون البضائع من الإنكليز، أو يبيعونهم إياها.

٢- يقتصر استيراد وبيع المنتجات الصوفية على الإنكليز فقط. وإذا قام شخص ما باستيراد المنتجات الصوفية بطريقة سرية، يحق للإنكليز ملاحقته قضائياً. يدخل هذا البند حيز التنفيذ بعد أربعة أشهر من التوقيع على هذه الاتفاقية.

٣- لا يسمح لأي أوروبي بالإقامة في بوشهر ما دامت المحطة التجارية الإنكليزية تعمل فيها.

٤- يعد مترجمو الوكيل، والخدم، وكل من يتبع للإنكليز تحت حماية بريطانيا وإشرافها، ولا يحق للشيخ أو أتباعه الاساءة إليهم، أو التدخل في شؤونهم بأي شكل كان.

٥- إذا تبين أن أحد السكان مدين لإنكليزي ويرفض أداء الدين فعلى الشيخ إجباره على إعطاء الإنكليزي مايرضيه.

٦- يحصل الإنكليز على قطعة أرض لإنشاء محطة تجارية عليها، وتشيد لهم أبنية تجارية على نفقة الشيخ الخاصة، ويكون لهم الحق في رفع علمهم عليها، والاحتفاظ بواحد وعشرين مدفعاً لإطلاق التحية في المناسبات.

٧- تخصص للإنكليز قطعة أرض مناسبة لجعلها حديقة، وأخرى لجعلها مقبرة .

٨- يحق للإنكليز ولمن في حمايتهم ممارسة طقوسهم الدينية دون أن تعترضهم عقبات.

٩- يجب أن لا يحصل الجنود، والبحارة، والخدم، والعبيد، وكل من هو في تبعية للإنكليز، في حال فرارهم من الخدمة، على رعاية الشيخ أو رجاله ، وإنما تتم حراستهم وإعادتهم بنزاهة وإخلاص.

www.almajidcenter.org

١٠- إذا قامت السفن الإنكليزية ببيع أو شراء بضائع من التجار المحليين دون علم المحطة التجارية، يجب إبلاغ المسؤول في الجانب الإنكليزي عن ذلك فوراً. ولهذا يتوجب على أحد ممثلي الإنكليز التواجد في مبنى الجمارك الحكومي عند وزن جميع البضائع وإعطاء الترخيص لبيعها.

١١- في حال تعرض أية سفينة إنكليزية إلى أمر يضطرها إلى اللجوء إلى الساحل في منطقة تقع تحت سلطة الشيخ، يجب أن يحال دون تعرضها إلى النهب، بل على الشيخ مساعدة الإنكليز في كل ما يلزم إنقاذاً لأنفسهم وممتلكاتهم. وعلى الإنكليز دفع تعويض إلى الشيخ.

١٢- على الشيخ منع رعيته من شراء أية سلعة من السفن الإنكليزية أثناء إبحارها، والسماح لهم بذلك من على الساحل فقط"[١].

في عام ١٦٤٠ أقامت إنكلترا علاقات تجارية مع العراق التركي. وفي عام ١٧٢٣ أنشأت شركة الهند الشرقية البريطانية محطة تجارية في البصرة، اعترف بها الباب العالي عام ١٧٦٤ قنصليةً خاضعة لنظام الامتيازات الأجنبية.

وفي فارس تأثرت شركة الهند الشرقية البريطانية من الصعوبات التي كانت تعاني منها البلاد في عهد كريم خان، واضطرت إلى إغلاق محطتها التجارية في شهر فبراير عام ١٧٦٩، وفي عام ١٧٧٥ أعيد فتح هذه المحطة[٢].

1 -Kelly, op. cit., pp.50- 52.;
- Bussora, op. cit, №, 193, pp. 26-30.
2 - Kelly, op. cit., p. 53.

www.almajidcenter.org

أما في البصرة فقد كان المقيم البريطاني يتدخل في شؤونها السياسية، الأمر الذي أساء إلى سمعة الإنكليز[١]. وفي الفترة من عام ١٧٧٣ حتى عام ١٧٧٩ لم تكن التجارة مربحة لهم في هذه المدينة بسبب احتلال الفرس لها، وتفشي مرض الطاعون فيها.

وفي عام ١٧٩٣ انتقل المقيم البريطاني من البصرة إلى الكويت، وأقام فيها فترة مؤقتة. أما في مسقط، حيث لم يكن من المسموح به وجود مقيم، فقد كان العاملون في المحطة التجارية، التابعة لشركة الهند الشرقية البريطانية من السكان المحليين[٢].

وعلى العموم توزعت التجارة في الخليج العربي في الربع الأخير من القرن الثامن عشر بين شركة الهند الشرقية البريطانية، ومؤسساتها (المقيمين في البصرة، وبوشهر، والمحطة التجارية في مسقط)، والتجار الفرس، والأرمن، وكذلك العرب (بشكل خاص)، والهنود، وأصحاب السفن[٣].

كانت التجارة بين الهند والخليج العربي تتم باستخدام بعض سفن شركة الهند الشرقية البريطانية، وعدد كبير من سفن التجار الهنود، التي كانت في الأصل ملكاً للعرب[٤]. إلا أن ازدياد حصة شركة الهند الشرقية في التجارة كان على حساب الهنود، والعرب، الذين كان منهم القواسم.

وكما كان متوقعاً، استطاعت شركة الهند الشرقية البريطانية التغلب على الهنود بسهولة. أما مع العرب فقد كان الأمر أكثر صعوبة مع العلم أن هؤلاء الأخيرين لم يكونوا متحدين، وكانت مصالحهم متباينة.

1 - Salsanha, op. cit., P56-57.
2 - Lorimer, op. cit., p .157.
3 - Kelly, op. cit., p .57.
4 - Lorimer, op. cit., p. 166.

www.almajidcenter.org

إلا إنه في العقود الثلاثة الأولى تقريباً من القرن الثامن عشر شهدت عمان حرباً أهلية وصراعاً على الحكم بين أعضاء الأسرة الحاكمة . وقد شارك في هذا الصراع بعض القبائل العربية المجاورة، في حين بقيت قبائل أخرى بعيدة عن ذلك، في محاولة منها للاستفادة من الضعف المفاجئ الذي أصاب أكبر دولتين في الخليج العربي – عمان وفارس.

من الغريب أن الفرس لم يقوموا خلال تاريخ بلادهم ببناء أسطول قوي، ولم يستطيعوا إعداد الكوادر اللازمة لذلك، على الرغم من أن لفارس سواحل بحرية طويلة جداً. وهذا الواقع الغريب كان يضطر الفرس إلى الاعتماد على العرب فقط في جميع الحالات التي تستوجب القيام بأية حملة بحرية، وقد أدى ذلك إلى ظهور أحلاف غير متوقعة.

والغريب أيضاً في تاريخ الفرس أن حكومة فارس المركزية لم تسيطر بصورة كاملة على الشيوخ والزعماء المقيمين على سواحلها، حتى في الوقت الذي كانت تتمتع فيه بالقوة. وقد كان هؤلاء القادة عملياً حكاماً لمناطقهم أو مدنهم يتمتعون بالحكم الذاتي. وقد وجدوا أن بإمكانهم عقد تحالفات تعد مفيدة لهم.

والواقع أنه بسبب هذين الواقعين الغريبين، إلى جانب الضعف المزمن لحكومة فارس المركزية، تشكلت ظروف في المنطقة أوصلت الأحلاف العربية ـ الفارسية المحلية إلى نزاعات حتمية، وهذا أيضاً ما ساعد القواسم على أن تكون لهم نقاط استناد على الساحل الشرقي للخليج.

بعد مقتل نادر شاه في عام ١٧٤٧ شهدت البلاد اضطرابات خطيرة، وبرزت شخصيات قوية مثل ناصر خان، خليفة حاكم " لار"، الذي ادعى أنه أعظم شخصية في هذه المنطقة، وملا علي شاه، الذي كان حتى ذلك الحين يشغل منصب قائد أسطول نادر شاه الحربي، والذي استغل الفرصة بوفاة هذا الأخير للاستيلاء على بندر عباس. وكان ملا علي

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

www.almajidcenter.org

شاه يدرك أن الشيخ راشد بن مطر خليفة حاكم القواسم يميل إليه، ويعده من المقربين له. وفي عام ١٧٥١ جرى تحالف بين هذين القائدين[١].

من الطبيعي أن تطور الأحداث بهذا الشكل أزعج ناصر خان، ولهذا حاول طرد ملا علي شاه من بندر عباس، لكنه أخفق في ذلك[٢]. وفي عام ١٧٥٥ شن ملا علي شاه هجوماً مع حلفائه القواسم على جزيرتي قشم، ولافت واستولى عليهما. وقد كانت هاتان الجزيرتان آنذاك بيد قبيلة بني معين، التي توجهت إلى ناصر خان تستنصره. وعندها حدث تحالف جديد بين العرب والفرس. إلا أن النتيجة النهائية للنزاع كانت انتصار القواسم، واحتفاظهم بنقاط استناد في قشم، ولنجه.

إضافة إلى ذلك في عام ١٧٧٧ تزوج شيخ القواسم الجديد، صقر بن راشد من ابنة شيخ قبيلة بني معين، وانقلب هذان الشيخان إلى صديقين حميمين، وهذا ما ساعد على زيادة قوة القواسم، وإمكانياتهم في السيطرة على سواحل الخليج العربي[٣].

في عام ١٨٠٧ ذكر ديفيد سيتون (D.Seton)، المقيم البريطاني في مسقط[٤] أن القواسم لم يحتلوا الساحل الغربي المعروف باسم صير فحسب، بل احتلوا أيضاً جزيرتي قشم، وقيس القريبتين من الساحل الفارسي.

وقد شكلت سفن هاتين الجزيرتين إضافة كبيرة إلى أسطول القواسم، الضخم أساساً، الذي وصل عدد سفنه إلى ما لايقل عن ٥٠٠ سفينة. ويؤكد سيتون أن القواسم

1 - Gumbroon Diary, op. cit., Vol. 8 .p. 9 .

2 - Salsanha, op. cit., p. 76 .

3 - Summary of the proceedings relative to boats captured in the Persian Gulf, Vol. 77/1819- 1820. Minute by Mr. F. Warden. pp. 81-82.

٤ - الصحيح أن ديفيد سيتون كان في هذه الفترة يشغل منصب المقيم البريطاني في مسقط وليس القنصل البريطاني، انظر النسخة العربية لـ ج. لوريمر: دليل الخليج، القسم التاريخي ج. ٧ ، ص.٣٩٢٧ المترجم.

www.almajidcenter.org

قادرون على إخراج أكثر من ٢٠ ألف مقاتل، إذا ما اعتمدوا على حلفائهم في المناطق البعيدة. ويرى الإنكليز أن جميع هؤلاء من القواسم ، مع إن الكثير من القبائل التي أقامت في الصير، واعترفت بحكم شيخ رأس الخيمة تنسب لها[١].

استطاع العرب توسيع تجارتهم في عهد الشيخ صقر بن راشد بشكل كبير[٢]. وهذا ما أثار مخاوف آل بوسعيد، حكام عمان، وجدد النزاعات بين العمانيين والقواسم. غير أن الصدام الأكثر خطورة بالنسبة للأخيرين، كان عندما استدرجوا للصدام مع الإنكليز الذين سرعان ما أصبحوا حلفاء عمان.

تدهورت التجارة الإنكليزية في الخليج العربي في أواخر القرن الثامن عشر، ومنيت بخسائر جسيمة. وعندها قررت شركة الهند الشرقية البريطانية اللجوء إلى القوة لاستعادة موقعها التجاري القديم، واكتساب مواقع جديدة في آن واحد، ولا سيما إنها تمكنت بهذه الطريقة من التأثير في تجار دولة ميسور الهندية المنافسين لها، والتنكيل بهم.

والجدير بالذكر أن حاكم ميسور، حيدر علي وابنه تيبو سلطان (Tipu Sultan) الذي خلفه في الحكم في عام ١٧٨٢، أقاما علاقة تجارية وثيقة مع كل من تركيا، وفارس، وعمان. وجرى إرسال الوفود والسفراء إلى هذه الدول[٣]. وأخذ حاكم ميسور تيبو سلطان يقوم ببعض المشاريع التجارية، وأمر بإنشاء مستودعات للتجار الصغار في ممتلكاتهم. وقد أدى ذلك إلى ازدهار التجارة المحلية؛ كما افتتح أيضاً العديد من المؤسسات التجارية الحكومية، منحت شعبه رؤوس أموال بنسبة سنوية مقدارها ١٢ ٪.

1 - Secret and Political Department Diaries (1755- 1808), 268 Vols.Nos.1- 260, Nos. 14, 17, 19, 33, 41, 66, 164, 165. Vol. 208/1807, p. 4937.
2 -Summary, op. cit., p. 82 .
3 - Lorimer, op. cit., p .156 .

www.almajidcenter.org

وكان تجار ميسور الهنود يتعاملون مع وكلاء نقل بحري من جنسيتهم. والواقع أن اللغة المشتركة، والعادات المتشابهة قد سهلت هذا التعامل. وقد أدى ذلك إلى اشتداد المنافسة مع الإنكليز. إلا أن سفن شركة الهند الشرقية البريطانية كانت أفضل تسليحاً، وحماية من سفن ميسور، وكانت واردات أصحاب السفن الهنود أقل؛ إذ كان سعر استئجار السفن منخفضاً، لأن أصحاب السفن الهنود، الذين يحددون سعر النقل البحري، كانوا يقتنعون بالربح القليل.

إضافة إلى ذلك كان وكلاء النقل البحري الهنود يوزعون الحمولات على جميع السفن الموجودة في المنطقة أثناء التحميل، وكان هدفهم من ذلك الحد من المخاطر التي تصاحب عمليات النقل. وهذا في الواقع ما أدى إلى تدهور تجارة شركة الهند الشرقية[1].

اشتدت المنافسة التي تعرضت لها شركة الهند الشرقية بشكل كبير، وبات على التجار الإنكليز، إذا ما أرادوا استمرار تجارتهم في الخليج العربي، إيجاد طريقة تضمن لهم هذه الاستمرارية.

ومما لا شك فيه أن الإنكليز لم يقدموا الحماية إلى تيبو سلطان، بل على العكس، فقد شنوا عليه هجوماً، وقضوا عليه، بعد أن وضعوا حداً لمؤسساته التجارية. وكذلك شركة الهند الشرقية لم تقدم أية حماية إلى التجارة المحلية في ميسور، بل إنها قضت عليها. ومع ذلك كله يؤكد ج. كيلي على أن "العبء الأكبر لحماية التجارة "المحلية" وقع بشكل أساسي على عاتق أسطول بومباي الحربي، وعلى الفرع العسكري للإدارة البحرية للشركة"[2].

من الواضح تماما أنه لم يكن في نية شركة الهند الشرقية البريطانية حماية أية تجارة. غير أن ازدياد المنافسة حملها على وضع خطة تتلخص باستخدام "الحماية" ذريعة لاستخدام

1 - Cambridse Histry of India the Dilhi, 2nd rep. 1963. p. 417, p. 428.
2 -Kelly, op. cit., p .56 .

www.almajidcenter.org

قوى أسطول بومباي الحربي للقضاء على المنافسين. وبذلك تحولت التجارة السلمية في الخليج العربي، بمساعدة بريطانيا العظمى، إلى تجارة السفن الحربية الصغير، كتلك التي تستخدم للدفاع عن السواحل.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة ... وعطاء مستمر

www.almajidcenter.org

الفصل الثالث

العلاقات السياسية في الخليج العربي في القرن السابع عشر والنصف الأول من القرن الثامن عشر

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة ... وعطاء مستمر

www.almajidcenter.org

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة ... وعطاء مستمر
www.almajidcenter.org

قبل البدء في بحث حلف القواسم، وتحليل سياسته ونشاطه، نرى بدايةً، ضرورة التعرف على الوضع العام الذي كان عليه الخليج العربي في القرن السابع عشر والنصف الأول من القرن الثامن عشر، والوقوف على الأسباب التي دعت إلى تشكيل هذا الحلف العربي القبلي.

تمثلت القوى في هذه المرحلة بثلاثة محاور رئيسة: الأول- القوى الأوروبية، والثاني- القوى العمانية، والثالث - القوى الفارسية. وهذه القوى حددت سير الأحداث التاريخية في منطقة الخليج العربي، وتطورها.

وفي ذلك الحين لم يكن للقوة العثمانية دور يذكر في المنطقة؛ إذ منيت الإمبراطورية العثمانية بالهزيمة على يد البرتغاليين في عدد من المعارك البحرية[١]،التي بقيت آثارها حتى النصف الثاني من القرن السادس عشر[٢].

أولاً: توسع الدول الأوروبية :

إذا كان النصف الأول من القرن السابع عشر شاهداً على صراع الدولتين: هولندا، وبريطانيا ضد الهيمنة البرتغالية على الخليج العربي، فإن ما يميز النصف الثاني من القرن

١- للاطلاع على سير المعارك البحرية بين الإمبراطورية العثمانية والبرتغال انظر:
- سرهنك، الميرعلي إسماعيل: حقائق الأخبار عن دول البحار، القاهرة، ص٥٤٧- ٥٥٠؛
- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a ،pp. 6-7;
- Wilson, op. cit., pp. 124-126.

٢- للاطلاع على توزيع القوى في الخليج العربي في هذه الفترة انظر: أمين، عبد الأمير محمد، القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر، بغداد، ١٩٦٦، ص ١١.

www.almajidcenter.org

نفسه هو السيطرة الهولندية المؤقتة على المنطقة، ومنافسة بريطانيا لها. وهي المنافسة التي شاركت فيها فرنسا أيضاً في النصف الثاني من القرن الثامن عشر[١].

من المعروف أن البرتغال كانت من أوائل الدول الأوروبية الحديثة التي شقت طريقها إلى المحيط الهندي، الأمر الذي مكنها من اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح، الذي بات قناة تجارية مضمونة طيلة القرون الثلاثة والنصف التالية.

بعد مضي عدد من السنين على رحلة فاسكو دي غاما إلى الهند (١٤٩٧ـ ١٤٩٨) أسس البرتغاليون مركزاً تجارياً لهم في مدينة "جوا" (Goa) الواقعة على الساحل الغربي للهند. وأصبح هذا المركز، منذ عام ١٥٠٩ القاعدة الرئيسة للبرتغاليين في شبه جزيرة هندوستان. وتابع البرتغاليون اندفاعهم نحو الشرق، واستولوا على الأرخبيل الهندي – جزر ملايو[٢]، وتمكنوا على مدى السنوات المائة التالية من احتكار تجارة التوابل، والعقاقير مع أوروبا. وكانت المحطة التجارية الكبيرة التي أقاموها في ملقا مركزاً رئيساً لهم[٣].

١- دخلت فرنسا الصراع في البحار الشرقية في النصف الثاني من القرن السابع عشر؛ إذ أن مستعمراتها لم تقم في الهند الشرقية إلا في سنة ١٦٦٤. وكان نشاطها التجاري مركزاً في البداية على الهند، إلا إنها سعت فيما بعد لنقل هذا النشاط إلى الخليج العربي. وعلى الرغم من أن فرنسا افتتحت محطتها التجارية في جمبرون على الساحل الفارسي في أواخر القرن السابع عشر، إلا أن نشاطها التجاري في الخليج العربي كان متقطعاً، ولم يكن بإمكانها ممارسة الأعمال التجارية على نطاق واسع كما كانت تفعل هولندا وبريطانيا. ولمزيد من الاطلاع على نشاط فرنسا في الشرق انظر:

- Mariowe, J. The Persian Gulf in the Twentieth Century. L.1962. p. 43;
- Parkibson, C. N. War in the Eastern Seas, 1793- 1815, L. 1945;
- Parkibson, C. N. Trade in the Eastern Seat, 1793- 1815, L. 1966.

2 - Mariowe, J .op. cit., pp.4-5 .

٣- تقع ملقا على ساحل جزيرة ملقا، حيث يوجد مضيق بين القارة ومضيق سومطرة. وقد كان لملقا دور عظيم في التجارة الإسلامية، كونها الميناء المهم المؤدي ليس إلى الصين فحسب، بل إلى جميع جزر الهند الشرقية (إندونيسيا، التي تصدر معظم أنواع التوابل إلى أوروبا). وقد تحولت ملقا إلى ميناء محصن جداً يشرف على المحيط الهندي، ومفتاح لجزر التوابل التي استولى عليها الفونسو دي البوكيرك سنة ١٥١١. لمزيد من الاطلاع انظر:

- Parkibson, C. N. War in the Eastern Seas, 1793-1815, L. 1945;
- Philups, op. cit.

www.almajidcenter.org

في عام ١٥٠٧ بدأ البرتغاليون بغزو الخليج العربي وكان ذلك جزءاً من خطة واسعة امتزجت فيها الجوانب التجارية مع الدينية. وقام بوضع هذه الخطة الملاح البرتغالي الفونسو دي البوكيرك (A. De. Albuguergue) مستهدفاً توجيه ضربة حساسة إلى الوجود الإسلامي في البحار الشرقية، وحرمان العرب من الاحتكار التجاري.

تمكن البرتغاليون من بسط سيطرتهم على أهم الطرق البحرية المؤدية إلى الشرق: البحر الأحمر، والخليج العربي، ومضيق ملقا. وتمكنوا في الوقت نفسه من السيطرة على الطريق حول رأس الرجاء الصالح[١].

في عام ١٥٠٧ قاد القبطان الفونسو دي البوكيرك عمارة[٢] وهاجم هرمز واستولى عليها. إلا أنه سرعان ما اضطر إلى الانسحاب منها بسبب تمرد عدد من بحارته. وفي سنة ١٥١٥ أعاد الكرة، وكان في هذه المرة على رأس عمارة أكثر قوة، ما سهل عليه إعادة احتلال هرمز.

كما استولى أيضاً على جزيرة قشم الكبيرة، وعلى قسم من الساحل الفارسي في شمال، وشمال غرب جزيرة هرمز. وكان الهدف الظاهر من ذلك تعزيز النفوذ البرتغالي في الخليج العربي، بينما كان الهدف الحقيقي تأمين القاعدة البرتغالية في هرمز بمياه الشرب والمؤن.

وفي السنوات التالية عزز البرتغاليون من وجودهم في نقاط إستراتيجية مهمة على الخليجين العربي والعماني، وعلى الساحلين الشمالي والجنوبي، وفي جزر هذه المنطقة. وبذلك

1 -James, W. The Naval History of Great Britain 1793-1827. vol. 4, L. 1886. p. 110.;
Kelly, op. cit., p.1.

٢- العمارة: أسطول من السفن الحربية المترجم

www.almajidcenter.org

عدوا أنفسهم، لأكثر من قرن أسياد الموانئ الرئيسة على جانبي الخليج: هرمز على الساحل الفارسي، ومسقط والبحرين على الساحل العربي. وتحولت هذه الموانئ إلى قواعد ارتكاز رئيسة لهم.

بعد بسط السيطرة البرتغالية على المنطقة بدأ البرتغاليون بمنع جميع السفن الأجنبية (أوروبية كانت أم عربية، أم هندية) من ممارسة أي نشاط تجاري فيها. وبذلك تمكنت السفن البرتغالية من السيطرة المطلقة على كامل مياه الخليج. وأسرع حكام البرتغال بتنظيم تجارتهم، دون الخوف من أية منافسة، ولا سيما إن الطريق الوحيدة المؤدية إلى مياه الخليج العربي تمر عبر هرمز. وهذه الأخيرة محصنة بقوة، وهي تحت قبضتهم[1].

في أوائل القرن السابع عشر بدأت شمس الهيمنة البرتغالية تأفل عن المنطقة لعدة أسباب أهمها:

أولاً - قيام اتحاد بين العرشين الإسباني والبرتغالي عام ١٥٨٠. وعندها ضُمَّت البرتغال إلى إسبانيا في مملكة واحدة، وهذه الأخيرة أخذت تعير جل اهتمامها إلى مستعمراتها في أمريكا[2].

ثانياً- تأجج مشاعر الحقد والغضب في نفوس سكان الخليج، وثورتهم على المستعمرين البرتغاليين أكثر من مرة، نتيجة لتعصب هؤلاء الأخيرين، وقسوتهم على السكان، إلى جانب جشع حكامهم وموظفيهم.

ثالثاً - استمرار حروب فارس وعمان ضد البرتغاليين.

رابعاً - حدوث أزمة داخل "المتروبول" [الدولة المستعمِرة] في النصف الثاني من القرن السادس عشر، وضعف البرتغاليين في حروبهم مع الدول الأوروبية المنافسة في منطقة

1 - Kelly, op. cit., p. 2 .
2 - James, W. op. cit., p. 78.

www.almajidcenter.org

الخليج العربي : هولندا وبريطانيا وفرنسا التي سلكت طريق التطور الرأسمالي قبل البرتغال[١].

في أواخر القرن السادس عشر بدأت إنكلترا تظهر بين الدول الأوروبية قوةً بحرية ضاربة. وأخذت تبحث لنفسها عن طرق لبلوغ مناهل الثراء في الشرق، وكسر الاحتكار البرتغالي[٢]. وقد بدأت بريطانيا نشاطها المنظم في التجارة البحرية في المياه الشرقية، بشكل فعلي بعد تأسيس شركة الهند الشرقية البريطانية، بمرسوم ملكي صدر في ٣١ ديسمبر عام ١٦٠٠.

في السنوات الاثنتي عشرة الأولى من عمر هذه الشركة كانت ترسل إلى الهند سنوياً، عن طريق رأس الرجاء الصالح، مجموعة من السفن التجارية بصورة منتظمة. وفي هذه الفترة كانت الشركة تبحث جاهدة عن أماكن على السواحل المهمة، التي تؤدي إلى الهند، تصلح لافتتاح محطات تجارية لها[٣].

وكانت البداية في سنة ١٦٠٨، عندما أنشأت شركة الهند الشرقية البريطانية محطة تجارية في سورات، على الساحل الغربي للهند، بالقرب من مستعمرة جوا البرتغالية[٤]. وفي سنة ١٦١٦ أرسلت هذه المحطة التجارية سفينة بريطانية محملة بالبضائع من سورات إلى جاسك. وكان على متن السفينة أعضاء بعثة الشركة إلى فارس.

1 - Cambridge, History of the British Empire. The Cambridge, 1961. p 118.

٢- للاطلاع على محاولات الإنكليز الأولى لترسيخ نفوذهم في الشرق انظر:

Villiers, A. The India Ocean. L., 2 nd imp., 1953.
Williams, J.B. British Commercial policy and Trade Expansion, 1750- 1850. Oxford, 1972.

٣- للاطلاع على تفاصيل هذه الرحلات ونتائجها انظر:

- List of Marine Records of the Late East India Company. L., 1896.

4 -Mariowe, J, op. cit., p. 5.

www.almajidcenter.org

وبعد استقبال السلطات الفارسية لهذه السفينة بالحفاوة تابع قائد البعثة وجهته إلى أصفهان، حيث نجح في إقناع الجانب الفارسي بافتتاح محطة تجارية فيها، والحصول كذلك على ثلاثة فرمانات شاهانية لمصلحة بريطانيا، تبعها التوقيع على اتفاقية، حصلت شركة الهند الشرقية البريطانية بموجبها على تسهيلات كبيرة للتجارة مع فارس[١].

كان هدف بريطانيا من اختراق الخليج العربي في تلك الفترة مقايضة الصوف الإنكليزي بالحرير الفارسي[٢]. وبعد ثلاث سنوات منح الشاه عباس الممثل الإنكليزي توماس بيكر الحق باحتكار الحرير، ورخصة بإنشاء محطتين تجاريتين في جاسك وشيراز في عام ١٦١٩[٣]. كما حظر الشاه بيع الحرير إلى البرتغاليين[٤].

إن ما يفسر هذا الموقف الإيجابي الذي اتخذه الشاه عباس من شركة الهند الشرقية، رغبته في الاستعانة بالإنكليز وسفنهم ضد البرتغاليين، الذين خاض ضدهم صراعاً مسلحاً. وهو الصراع الذي بدأ في عام ١٦٠٢، إثر اندلاع ثورة مناوئة للبرتغال في البحرين. وعندها حاول الشاه استغلال هذه الثورة لبسط سيطرته على الجزيرة[٥].

1 - Factory Records of thd tate East India Company, G/29, Persia and Persian Gulf, vols. 20 - 32. Vol. 21. p. 22

٢- بعد مرور عدة سنوات على النشاط التجاري لشركة الهند الشرقية في الهند ظهر أن السوق المحلية عاجزة عن تصريف كميات كبيرة من البضائع الصوفية المكدسة في سورات، التي كانت ترد من إنكلترا باستمرار. وهذا ما جعل موظفي الشركة يبحثون بجد عن أسواق جديدة، وسرعان ما استرعت إيران اهتمامهم. ذلك أن الظروف المناخية تحتم على سكان الجبال في الشمال ارتداء ملابس دافئة مدة نصف عام تقريباً. انظر: أمين، عبد الأمير محمد، القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر، بغداد ١٩٦٦.

3 - Amin, op. cit., p. 4.

٤- تقع جاسك على بعد ٩٠ ميلاً إلى الشرق من هرمز، وتعد مكاناً ملائماً لرسو السفن بالقرب من مدخل الخليج العربي

5 -Lockhart, L. Nadir Shah, a Critical Study based mainly upon Contmprorary Sources. L. 1938. p. 6.

www.almajidcenter.org

وهكذا التقت مصالح الفرس مع مصالح الإنكليز لمواجهة عدوهم المشترك، البرتغال[١]. وقد بلغ الخطر الأنجلو فارسي على مركز البرتغاليين ذروته في عام ١٦٢٢، بعد الهجوم المشترك الذي شنه الإنكليز والفرس على هرمز، وانتهى بطرد البرتغاليين منها[٢].

شكل سقوط هرمز ضربة قاسية للوجود البرتغالي في منطقة الخليج العربي؛ إذ فقد البرتغاليون بذلك إحدى قواعد ارتكازهم الرئيسة، المحصنة بشدة في المنطقة. وفي الوقت نفسه أدى سقوط هذه الجزيرة إلى وضع حد لازدهارها التجاري؛ إذ اضطر الشاه عباس لتدمير جميع المنشآت العسكرية فيها، ونقل الميناء، والتجارة منها إلى جمبرون على الساحل الفارسي.

ومما لا شك فيه أن افتقار الشاه عباس إلى القوة البحرية كان السبب في الانتقال من جزيرة هرمز إلى جمبرون، التي غير اسمها إلى بندر عباس.

لم يكن التحدي الأنجلو فارسي الخطر الوحيد الذي هيمن على البرتغال في الخليج بعد سقوط هرمز، إذ برز لهم، بعد هزيمتهم في هرمز أعداء آخرون: الهولنديون، والعمانيون.

ففي ذلك الوقت تعاون الهولنديون مع الإنكليز للقضاء على منافسيهم البرتغاليين. وفي عام ١٦٢٥ نجح أسطول إنكليزي هولندي مشترك مؤلف من ثمان سفن بإلحاق هزيمة شديدة بعمارة برتغالية مؤلفة من ثمان سفن صغيرة بالقرب من هرمز.

١ - جرت صدامات عدة بين إنكلترا والبرتغال في المحيط الهندي وخليج عمان في سنة ١٦١٢، وسنة ١٦١٨ لمزيد من الاطلاع على ذلك انظر: أمين، عبد الأمير محمد (مرجع سابق)، ص ٥.

٢- للاطلاع على تفاصيل هذه العملية وعلى شروط الاتفاق بين الإنكليز وإيران. انظر: أمين، عبد الأمير محمد (مرجع سابق)، ص ٦.

www.almajidcenter.org

ومن الجانب العربي، تمكن حكام عمان، من سلالة اليعاربة من إلحاق هزائم متتالية بالبرتغاليين، وانتزاع مواقعهم الساحلية الواحد تلو الآخر. ففي البداية تمكن العمانيون من طرد البرتغاليين من خورفكان، وفي عام ١٦٤٣ حرروا صحار، وفي عام ١٦٥٠ حرروا مسقط. ونتيجة لهذه الهزائم[١]، عجز البرتغاليون عن تهديد منافسيهم في أي مجال خاص في التجارة الشرقية[٢].

لم يستمر التعاون الإنكليزي الهولندي ضد البرتغاليين طويلاً؛ إذ ما إن تحقق الانتصار على هؤلاء الأخيرين حتى نشبت الخلافات الحادة بين الدولتين: إنكلترا وهولندا حول الاحتكار التجاري في المياه الشرقية.

بعد طرد الإسبان من أراضيها، واستقلالها على حدود القرنين السادس عشر والسابع عشر تمكنت هولندا من إنعاش تجارتها بصورة سريعة في مختلف المناطق، بما فيها المناطق الشرقية، وبرزت في البحر كقوة لا يستهان بها منذ انتهاء الحكم الإسباني للأراضي المنخفضة في سنة ١٥٩٥. وعندها سنحت للهولنديين فرصة جيدة لإنعاش تجارتهم في مختلف المناطق، ولا سيما المناطق الشرقية.

ومما هو جدير بالذكر أن الهولنديين أسسوا شركة الهند الشرقية الهولندية في سنة ١٦٠٢، أي أن الاندفاعَين: الإنكليزي والهولندي في هذا الاتجاه، كانا متعامدين زمنياً. وبعد

١- منيت البرتغال في الوقت نفسه بعدة هزائم، وتنازلت عن جزء من مستعمراتها إلى هولندا؛ ففي سنة ١٦٥٦ استولت هولندا على كالكوتا، وفي سنة ١٦٥٨ أجبر البرتغاليون عن التخلي عن سيلان.

2 -Coupland, Sir Reginald. East Africa and it ' s Invadors, from the Earliest Times to the Death of Seyyid Said in 1856. Oxford, rep. 1961. p. 53.

www.almajidcenter.org

وقت قصير على تأسيس هذه الشركة بات الهولنديون المنافسين الرئيسيين للبرتغاليين في تجارة العقاقير والتوابل[١].

وفي عام ١٦٢٥ افتتح الهولنديون محطتهم التجارية في بندر عباس، وعملوا فوراً على احتكار تجارة التوابل، وهي التجارة التي عجز الإنكليز عن إيجاد الوسيلة للوصول إليها حتى ذلك الحين. إلى جانب ذلك كان الهولنديون يتطلعون إلى تجارة الحرير التي يحتكرها الإنكليز، وإلى الامتيازات الجمركية التي منحها الشاه عباس للإنكليز، اعترافاً منه بمساعدتهم له في استعادة هرمز.

في بداية المنافسة سجل الهولنديون تفوقاً واضحاً على الإنكليز، وكانت محطتهم التجارية في بندر عباس أكثر نشاطاً وازدهاراً. ولم يكن هذا التفوق الهولندي يقتصر على منطقة الخليج العربي، بل شمل معظم المناطق الأخرى. وفي عام ١٦٤٤ أقامت هولندا مستعمرات لها في موريشس (Mauritius)، وفي خليج التيبل عام ١٦٥٢.

وفي عام ١٦٥٨ تمكنت هولندا من حمل البرتغاليين على الرحيل عن سيلان. وفي أواخر القرن كانت محطاتها التجارية، وقلاعها المحصنة منتشرة في أنحاء الشرق: في الخليج العربي، وعلى سواحل الهند، وأرخبيل الملايو.

عندما إندلعت الحرب الإنكليزية – الهولندية في أوروبا عام ١٦٥٢ مني الإنكليز بخسائر جسيمة. ففي جاسك أُغرقت لهم ثلاث سفن، وفقدوا سفينتين في بندر عباس[٢].

١- بعد استيلاء هولندا على ملقا في عام ١٦٤١ وفرض سيطرتها على مضيق ملقا تمكنت من احتكار تجارة التوابل مع أوروبا. للمزيد من التفاصيل انظر:

Miles, op. cit,. p .210 .

٢- للاطلاع على التفوق الهولندي في هذه الفترة، والنتائج التي أسفرت عنها الحروب الإنكليزية – الهولندية، انظر:

Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. pp. 41-42; 46-47.

www.almajidcenter.org

وفي سنة ١٦٨٠ تحصن الهولنديون في بندر عباس والبصرة بقوة[١]. وباتت لهم في هذه المنطقة قوة كتلك التي كانت للبرتغاليين في بداية القرن السادس عشر.

غير أن نجاحات هولندا كانت مؤقتة؛ إذ أخذ نفوذها ينهار في أواخر القرن السابع عشر لصالح بريطانيا التي خاضت ضدها صراعاً مستمراً على المستعمرات، وعلى السيطرة التجارية والبحرية في مناطق مختلفة من العالم. وقد أسفر هذا الصراع عن إنهاك قوة هولندا العسكرية، وإضعاف قدرتها السياسية، والحد من توسعها التجاري والاستعماري.

ويرجع ذلك على وجه الخصوص إلى الحروب الضارية التي نشبت في أوروبا ضد فرنسا (١٦٧٢ - ١٦٧٨، و ١٦٨٨-١٦٩٧، و ١٧٠٢ - ١٧١٣) والتي خاضتها هولندا بالتحالف مع دول أوروبية أخرى. عدا عن ذلك انتهج الـ"ستاتهاودر" (النائب) الهولندي، وليم أورنج الثالث، الذي تسنم عرش إنكلترا سنة ١٦٨٩، ودعم التحالف الأنجلو هولندي (١٦٨٩ - ١٧٠٢)، سياسة الحد من مصالح البورجوازية الهولندية لصالح الإنكليز لقاءَ هذا التحالف المناوئ لفرنسا. كما بدأت الأساليب التي تتبعها هولندا للمحافظة على سيطرتها على الشرق تمتاز بالخشونة والقسوة[٢]، وأصبحت هولندا تراهن على القوة وحدها[٣].

١- عانى الإنكليز في بندر عباس عام ١٦٣٩ من صعوبات جمة، الأمر الذي حملهم على تركها والانتقال إلى البصرة، حيث حصلوا من الوالي العثماني على إذن بالتجارة، وتأسيس محطتهم التجارية، التي أصبحت عام ١٦٤٤ من أحد المراكز التجارية المهمة في المنطقة. انظر:

List of Factory Records of the Late East India company. L., 1897.

إلا أن هولندا نقلت معاركها ضد الإنكليز إلى العراق أيضاً. فقد أرسلت عبارة مؤلفة من ثماني سفن قامت بتدمير شبه تام للمحطة التجارية الإنكليزية في البصرة. انظر أمين، عبد الأمير محمد (مرجع سابق)، ص. ٤٨؛ وكذلك أنظر:

Lorimer, op. cit., Vol.1/a. p. 41.

2 - James, W .op. cit., p. 19 .

٣- في عام ١٦٤٥ سعى الهولنديون لتعزيز نفوذهم في فارس بأية وسيلة كانت، حتى باستخدام القوة العسكرية، وهذا ما جعلهم يرسلون أسطولاً كبيراً إلى فارس، ويطالبون حكومتها بإعادة ٤٩٠٠ تومان، كان الفرس قد أخذوها من ممثل هولندا في بندر عباس ضريبةً. ونظراً لعدم التوصل إلى أي اتفاق مع الفرس شن الهولنديون هجوماً

www.almajidcenter.org

عندما احتل الهولنديون جزيرة قشم بالقوة عام ١٦٤٥ أثاروا مشاعر الحقد والكراهية في نفوس السكان المحليين، الذين عبروا عن ذلك في كثير من الأحيان بالقيام بمسيرات منددة بهولندا، وبمهاجمة سفنها في البحر. وعندها أظهر الهولنديون نظامهم الاستعماري بوضوح، وكان يتمثل في الغدر وتقديم الرشاوى، والقتل، والدناءة بأبشع صورها[١].

في الواقع احتفظ الهولنديون بمحطاتهم التجارية في النصف الأول من القرن الثامن عشر ليس فقط في جمبرون، بل في أماكن أخرى في الخليج العربي. وظلت تجارتهم واسعة ورائجة. إلا أن سيطرتهم على المنطقة لم تكن قوية كما في السابق. ويعد النصف الثاني من القرن الثامن عشر شاهداً على التراجع الكبير لدور هولندا في المنطقة.

ففي عام ١٧٥٩ كان على الهولنديين مغادرة بندر عباس مكرهين، وفي عام ١٧٦٦، عندما دمر لهم العرب آخر مواقعهم المحصنة في جزيرة خرج[٢]، لم تعد هولندا تملك أي نفوذ عملي في المنطقة.

على جزيرة قشم في خريف عام ١٦٤٥، وعلى إثر ذلك رضخ الشاه إلى مطالبهم فوراً، والتي منها السماح لهم بشراء القطن والحرير من فارس وتصديره دون دفع رسوم جمركية. انظر:

أمين، عبد الأمير محمد (مرجع سابق)، ص ٧-٨؛ وانظر كذلك:

Lorimer, op. cit., Vol.1/a. pp. 40-41.

١- العابد، فؤاد سعيد: سياسة بريطانيا في الخليج العربي، الكويت، الجزء الأول، ١٩٨١، ص ١٩٦.

٢- للاطلاع على نشاط المحطة التجارية الهولندية في جزيرة خرج، التي تعد مركزاً تجارياً لهولندا في منطقة الخليج العربي، انظر:

Ives, E. A. Voyage from England to India in the year 1754, also A Jourhey from Persia to England by an Unusual Route. -L., 1773. pp. 207- 226.

وللاطلاع على وصف لهذه الجزيرة ولأعمال سكانها، وأميرها. انظر: أمين، عبد الأمير محمد، (مرجع سابق)، ص. ١٤٩-١٥٠.

www.almajidcenter.org

" إن قصة انهيار هولندا بوصفها أمة تجارية مسيطرة هي قصة إخضاع رأس المال التجاري إلى الصناعي"[١].

أما بالنسبة لشركة الهند الشرقية البريطانية فقد حدثت تطورات على درجة كبيرة من الأهمية والخطورة في أواخر القرن السابع عشر، كان لها تأثير كبير على تغيير طابع الشركة التجاري، وذلك عندما أحرزت بريطانيا انتصاراً على هولندا، وأصبحت شيئاً فشيئاً الدولة الأوروبية الوحيدة التي بسطت سيطرتها على المنطقة.

كانت الشركة حتى ذلك الوقت مجرد مشروع تجاري؛ إلا أن النجاح الكبير الذي أصابته، والتطورات السياسية التي حدثت في الشرق أكسبها إلى جانب التجارة، الصفة السياسية والعسكرية. وعليه أصدر ملك بريطانيا كارلوس [Carlos] الثاني عام ١٦٦١ مرسوماً ملكياً منح بموجبه شركة الهند الشرقية البريطانية الحق بإعلان الحرب أو إقرار السلام مع أي حاكم غير مسيحي، وعقد أية معاهدة باسم التاج البريطاني[٢].

وفي عام ١٦٦٨ جرى اتفاق بين الحكومة البريطانية وشركة الهند الشرقية البريطانية تنازل الملك بموجبه عن جزيرة بومباي إلى الشركة[٣]، وهي الجزيرة التي آلت ملكيتها إلى التاج البريطاني في سنة ١٦٦١ جزءاً من هدية زواج قدمتها ابنة ملك البرتغال إلى الملك كارلوس الثاني عندما تزوج بها[٤]. وقد رافق هذه التطورات التي شهدتها شركة الهند

١- العابد، فؤاد سعيد، (المرجع السابق)، ص ١٩٧.

2 - Albahrna, H. M .op. cit., p. 8.

٣- تعد جزيرة بومباي الواقعة بالقرب من الساحل الغربي للهند من أفضل موانئ شبه الجزيرة. لمعرفة الأهمية الإستراتيجية والتجارية لها انظر:

Milburh, op. cit., pp. 122-127.

٤- تنازلت البرتغال لإنكلترا عن جزيرة بومباي بموجب معاهدة عقدت في ٢١ يونيو عام ١٦٦١ بين ملك بريطانيا كارلوس الثاني وملك البرتغال الفونسو (Alfonsus) السادس. وهذه المعاهدة عكست الضعف الذي أصبحت عليه البرتغال؛ إذ نصت المادة الحادية عشرة منه مثلاً على ما يلي: "..... بغية تمكين ملك بريطانيا العظمى من تقديم

www.almajidcenter.org

الشرقية اتخاذ موقف سياسي، أخذ يطغى بشكل متزايد على الطابع التجاري، إلى أن أصبحت التجارة تحتل المرتبة الثانية من الأهمية.

إلا أن بريطانيا لم تكن تملك السيطرة المطلقة سواء في نهاية القرن السابع عشر أو خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر؛ بسبب مقاومة القوى المحلية من جهة، والنشاط التجاري المتزايد لهذه الأخيرة من جهة أخرى[١].

عانى الخليج العربي في النصف الأول من القرن الثامن عشر من الكثير من الحروب والاضطرابات على كلا جانبيه، الأمر الذي ترك أثراً واضحاً على تزايد النفوذ التجاري الأوروبي، ولا سيما النفوذ الإنكليزي. ففي فارس اندلعت حروب كثيرة، ووقعت صدامات، وحدثت اضطرابات على مدى القرن بكامله تقريباً. وعندها أصيبت السلطة المركزية بالوهن، الأمر الذي أثر سلباً على محطات الدول الأوروبية التجارية، التي منيت بخسائر، وأضرار فادحة[٢].

المساعدة، وحماية ممتلكات ملك البرتغال في هذه المناطق فإن ملك البرتغال ينقل إلى ملك بريطانيا العظمى وورثته إلى الأبد ميناء وجزيرة بومباي بجميع حقوقها وممتلكاتها...". للاطلاع على نص المعاهدة انظر:

Thomas, R. H. (Comp.). Treaties, Agreements and Engagements Between the H. E. I. C. and the Nature Princes, Chiefs and State in Western India, the Red Sea, the Persian Gulf. Also Between H. B. Majesty's Govrt, and Persia, Portugal and Turkey. Bombay, 1851. pp 563-564.

وللاطلاع على المرسوم الملكي الذي صدر في ٢٧ مارس عام ١٦٦٨، ونقلت بموجبه الجزيرة وميناؤها إلى شركة الهند الشرقية البريطانية انظر (نفس المرجع) ص. ٥٦٥-٥٦٧.

١ -Amin, op. cit., p 14 .

٢- انظر على سبيل المثال كتاب هاملتون (Hamilton) الذي يصف دفاع الإنكليز والهولنديين عن محطاتهم التجارية عندما هاجم البلوش بندر عباس عام ١٧٢١. وهنا تجدر الإشارة إلى أن هاملتون شارك في الدفاع عن المحطة التجارية البريطانية، وقدم صورة واضحة عن تدهور الأوضاع الداخلية في إيران في ذلك الوقت:

Hamilton, A. A NSW Account of the east Indies, ed. Sir W. Foster. Vol. 1, L. 1930. pp. 283-284.

www.almajidcenter.org

كما تضررت التجارة البريطانية في المنطقة كثيراً من جراء الغزو الأفغاني لفارس (١٧٢٢ - ١٧٢٩). وكان لفقدان السيطرة على مناطق واسعة من البلاد، وخوض حرب ضد روسيا، وقيام القوات العثمانية بغزو فارس أثره السلبي على هذه الأخيرة، وجعلها تعاني من أزمات اقتصادية كبيرة.

ومن ناحية أخرى خابت آمال شركة الهند الشرقية البريطانية أثناء الازدهار والاستقرار الذي نعمت بهما فارس بعد طرد الأفغان بفضل المآثر العسكرية لنادر شاه. ذلك أن هذا الأخير لم يكن رجلاً اقتصادياً يهتم بالتجارة، ويشجعها، بل كان رجل حرب، يهتم بزيادة عدد قواته، وتجهيزها تجهيزاً قتالياً جيداً. وكذلك كان يهتم بجمع الكثير من الأموال للاستمرار في تنفيذ مشاريعه العسكرية. ولم يكن نادر شاه يرى أن ذلك يمكن أن ينعكس سلباً على بلاده أويضر بها[1].

وكان من الطبيعي جداً أن تؤدي اهتمامات شاه فارس هذه إلى تأزم الوضع الاقتصادي لبلاده أكثر فأكثر. وهذا ما أدى أيضاً إلى حمل الإنكليز على إغلاق محطتهم التجارية في أصفهان عام ١٧٣٥[2].

في السنوات الأخيرة من حكم نادر شاه ساءت الأوضاع في فارس بشكل خطير، وعمت الانتفاضات الشعبية كافة أرجاء البلاد. وفي هذا الوقت أثبت الشاه أنه شديد المراس على مصالح كل من بريطانيا وهولندا. وقد أثرت هذه الظروف سلباً على الحياة

1 - Lockhart, op. cit., pp. 283-284.

٢- أعادت شركة الهند الشرقية البريطانية افتتاح محطتها التجارية في صيف عام ١٧٤٢ بهدف مواجهة النشاط التوسعي للتجار الروس في شمال إيران، وكذلك بغية انتزاع قسم من تجارة البضائع الصوفية من أيديهم، انظر:
Lockhart, op. cit., pp.284-285.

www.almajidcenter.org

التجارية للبلاد، لدرجة أن المقيم البريطاني داريل (Darrill) كتب إلى لندن في ديسمبر عام ١٧٤٥ يقول: " إن كلمة التجارة باتت منسية. . . في فارس"[١].

وفي بداية عام ١٧٤٧ ذكر مقيم بريطاني آخر في أصفهان، هو بيرسون (Pierson) أن "الأعمال الوحشية التي يرتكبها الشاه قد وضعت حداً لكل أنواع التجارة. وفي فارس لا يمارس أي عمل سوى تكديس الأموال له"[٢].

نتيجة لتطور الأحداث بهذا الشكل اضطر مجلس مديري شركة الهند الشرقية للتفكير أكثر من مرة بتقليص التجارة، وإغلاق المحطات التجارية للشركة في فارس. إلا أن الأهمية الكبيرة التي تحظى بها هذه الأخيرة جعلت الإنكليز يعيدون التفكير في الأمر، ووجدوا أن من الضرورة البقاء فيها. وبمرور الوقت "صمدوا أمام العاصفة واجتازوها"[٣].

لم تكن أوضاع الهولنديين أفضل من أوضاع منافسيهم الإنكليز مطلقاً. ففي هذا الوقت كانت الدولة الأوروبية الثالثة التي دخلت المنافسة، أي فرنسا تعمل على تحسين وضعها التجاري، ولهذا أعادت فتح محطتها التجارية في بندر عباس في عام ١٧٤٠. إلا أن الأوضاع العامة بقيت صعبة، والظروف التجارية كانت سيئة جداً. ولهذا اضطرت فرنسا لإعادة إغلاق محطتها التجارية.

1 -Lockhart, op. cit., p .286 .
2 -Amin, op. cit., p .19 .
3 -Lockhart, op. cit.,. 1938،op. cit., p.286 .

www.almajidcenter.org

وفي عام ١٧٤٣ غادر الوكيل التجاري الفرنسي بندر عباس. غير أن السفن الفرنسية استمرت في التردد على الموانئ الفارسية بين الحين والآخر لممارسة بعض النشاط التجاري في بندر عباس وبوشهر[1].

إن تحليل سياسة ونشاط الدول الأوروبية: هولندا، وبريطانيا، وفرنسا في الخليج العربي يدل بوضوح على أن هدف هذه الدول لم يكن تأسيس إمبراطورية على غرار الإمبراطورية البرتغالية، بل توسيع نشاطها التجاري، وتثبيت الاحتكار التجاري قدر الإمكان.

والواقع أن عدم وجود أية دولة بحرية تهيمن بمفردها على المنطقة ساعد على ظهور وتطور القوة البحرية للقواسم، الذين خاضوا نضالاً من أجل بسط سيادتهم على مياههم الإقليمية. كما يدل التحليل على أن ظهور هذه الدول الأوروبية، بعد البرتغال لم يكن له سوى أثر طفيف على قبائل الساحل العربي، موطن القواسم؛ إذ أن أي من الدول الأوروبية آنفة الذكر، ولا سيما فرنسا، لم تعر أهمية تذكر لمنطقة القواسم.

غير أن التطورات السياسية التي شهدتها المنطقة، وازدياد قوة حلف القواسم العربي القبلي حمل الإنكليز وشركة الهند الشرقية على إعارة هذا الحلف أهمية متزايدة في أوائل القرن التاسع عشر.

ثانياً: القوة العمانية:

كانت عمان في القرنين السابع عشر والثامن عشر العنصر الهام الآخر في توزيع القوى السياسية والعسكرية في المنطقة. وكانت عمان أكبر وأقوى دولة عربية على الساحل

1 - Lockhart, op. cit., p. 287

www.almajidcenter.org

الجنوبي للخليجين العربي والعماني[١]. وبما إن هذه الدول تقع في الزاوية الجنوبية الشرقية من شبه الجزيرة العربية فهي ذات أهمية بالغة من الناحيتين الإستراتيجية والتجارية.

وقد سكن عمان عرب كان معظمهم من الأزد الذين أتوا من اليمن، والبقية أتت من نجد، وكان لهم دور هام في تطوير التجارة العربية ليس في الخليج فحسب، بل في المحيط الهندي أيضاً.

اشتهر سكان عمان في القرن الحادي عشر ببناء السفن، وقد كانوا مهرة في ذلك[٢]. وعندما ازدهرت المنطقة اقتصادياً قبل تعرضها للغزو البرتغالي، كانت ملاحة وتجارة عمان، ولا سيما في ميناء صحار، من أهم عناصر الحياة التجارية للشرق.

وكان العمانيون من أوائل المسلمين الذين شقوا طريقهم البحرية إلى الصين، ولعبوا دوراً أساسياً في إنشاء العديد من الموانئ البحرية التجارية على امتداد سواحل شرقي إفريقيا. كما أقام العمانيون علاقات تجارية متينة مع السواحل الهندية[٣].

كان حاكم عمان يحمل عادة لقب الإمام، أي الزعيم الروحي للدولة. وكان الإمام يجمع بين السلطتين الزمنية (السياسية والعسكرية)، والسلطة الروحية (الدينية).

امتلكت عمان في عهد ناصر بن مرشد، من قبيلة اليعاربة[١]، الذي جرى انتخابه في الرستاق عام ١٦٢٤ قوة كبيرة[٢]. وفي عهده أيضاً أنعش اليعاربة النفوذ العماني سواء في

١ – للاطلاع على تاريخ عمان، الذي يسبق فترة موضوع بحثنا، والأباضية انظر:
- Mansur, Shaikh (Maurizi, Vinzenzo)., op. cit.,;
- Badger, op. cit.,;
- Wilson, op. cit.,;
- Coupland, Sir Reginald. East Africa ., op. cit.,
2 -Coupland, Sir Reginald. op. cit., p .21.
3 - Landen, R. G. Oman since 1856. Princeton, 1967. pp. 52- 53.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

سياسة المنطقة، أو في الملاحة الشرقية. وقد ذكر أحد المؤرخين أن "الإمبراطورية البحرية التي عزم اليعاربة على بنائها قد تكون أشبه بالقوة الأوروبية. ومن جديد أصبحت عمان دولة مزدهرة لقرن من الزمان"(٣).

انتهج ناصر بن مرشد منذ بداية عهده سياسة نضالية نشطة، وعمل على توحيد العمانيين جميعهم في دولة واحدة. وفي السنوات الأولى من حكمه جرَّد عدة حملات، كان منها حملات عسكرية، بغرض تحقيق الوحدة الوطنية. وبعد عدة سنوات من الصراع ضد القبائل النزارية، تمكن ناصر بن مرشد من وضع حد لمقاومتها. وعلى أثر ذلك وجد نفسه قوياً لدرجة تمكنه من خوض الصراع ضد المستعمرين البرتغاليين.

وخلال الفترة من عام ١٦٣٠ إلى عام ١٦٤٩ كان النصر حليف هذا الحاكم العماني. فبعد معارك ضارية ضد البرتغاليين، تمكنت قواته من الاستيلاء على عدد من القلاع التي شيدها البرتغاليون في عمان: في جلفار، وصور، وقريات، وخورفكان. كما تمكن من فرض حصار على مسقط التي حصنها البرتغاليون بقوة. وعندما توفي الإمام ناصر بن مرشد في ٢ إبريل عام ١٦٤٩ لم يكن لدى البرتغاليين قلاع محصنة، سوى في مسقط، ومطرح. وفي يوم وفاته جرى انتخاب ابن عمه، وقائد جيشه سلطان بن سيف إماماً جديداً لعمان.

١ - اليعاربة قبيلة من القحطانيين، وهم من أوائل العرب الذين هاجروا من اليمن إلى عمان. ويشكل من بقي منهم إلى الآن طائفة الغافرية، وهم يعيشون في عزلة. وكان حاكم عمان من سلالة آل بوسعيد قد استولى على ممتلكاتهم في القرن التاسع عشر. انظر:

Philips, W. Oman. A History. L., 1967. p. 44 .

٢ - يحدد المؤرخ الإنكليزي فيليبس تاريخ انتخاب ناصر بن مرشد بالاعتماد على عدة مصادر؛ إذ تارة يحدد ذلك بسنة ١٦٢٠، وتارة أخرى بسنة ١٦١٥ - ١٦١٦ انظر:

Philips, op. cit., p , 43, 223 .

3 - Hopwood, D. (ed. The Arabian Peninsula. Society and Politics.L.1972.p. 82.

www.almajidcenter.org

وتابع الإمام المنتخب النضال الذي بدأه سلفه ببسالة، وتمكن من طرد البرتغاليين من مسقط في يناير عام ١٦٥٠[١]. وقد ألهب الانتصار الكبير الذي حققه الحماس في نفوس العمانيين، حتى إنهم لم يكتفوا بطرد البرتغاليين من جميع مناطق عمان، بل لاحقوهم إلى وسط الهند، حيث شنوا عليهم حرباً تمثلت بسلسلة من الغارات على قلاعهم، ومواقعهم المحصنة: (في بومباي عام ١٦١٦، وفي ديو في شهري نوفمبر عام ١٦٦٨، ويناير عام ١٦٧٢، وفي كونك عام ١٦٧٠، وفي باسين عام ١٦٧٤)[٢].

وامتدت المعارك لتشمل القسم الغربي من المحيط الهندي، وكان من أطولها وأكثرها ضراوة تلك التي خاضها الجانبان من أجل السيطرة على ساحل شرقي إفريقيا[٣]. ولخوض هذه المعارك استخدم العمانيون بشكل واسع أنواعاً جديدة من السفن والمدفعية. وأدخلوا في تسليحهم سفناً أوروبية الطراز ذات هياكل قوية، وأشرعة عالية بدلاً من السفن العربية، التي تبنى بطريقة تقليدية، والتي كانت هياكلها تخاط بألياف النخيل.

وحتى في تلك الحالات التي كانت السفن العربية تبنى فيها بطرق تقليدية كان العمانيون أول من استخدم المسامير المعدنية بين عرب الخليج العربي. ومع بداية القرن الثامن عشر أصبحت جميع الدول التي تسعى للسيطرة على الخليج العربي تملك سفناً أوروبية الطراز، مجهزة بمدافع أوروبية حديثة[٤].

توفي سلطان بن سيف الأول في سنة ١٦٨٠، وخلفه ابنه بلعرب بن سلطان بن سيف اليعربي، الذي جعل من عمان دولة مزدهرة، بلغت أوج عظمتها واستقرارها إبان

1 -Lorimer, op. cit., P .492 .
2 - Low, op. cit., Vol. 1, p. .311
3 -Miles, op. cit., p .212 .
4 - Landen, op. cit., p. 54.

www.almajidcenter.org

حكمه الذي دام نحو عشرة أعوام. وكان هذا الإمام مسالماً، يبغض الحروب والنزاعات، فانصرف إلى البناء والعمار.

غير أن أخاه سيف بن سلطان ساءه أن يرى بلعرب مسالماً، بينما يرزح العرب على سواحل شرقي إفريقيا تحت نير الاستعمار البرتغالي، الذي قهر شعبه لأكثر من مائة عام. ولهذا قاد سيف بن سلطان ثورة سنة ١٦٩٠ أطاحت بأخيه بلعرب، وبددت شمل أعدائه، وأعمل القتل بعدد من أنصار بلعرب دون أن يعير اهتماماً لمن يعارضه في عنفه وقسوته. وعلى أثر ذلك اعتلى العرش، وبات الإمام اليعربي الرابع لعمان.

وجه سيف بن سلطان في السنة الأولى من حكمه جل اهتمامه لشؤون قواته. وأخذ ببناء أسطول، وتشكيل قوة بحرية. وقبل عام ١٧١٨ جعل الحكام اليعاربة من عمان أكبر قوة بحرية غير أوروبية في المياه الشرقية.

في العقد الثاني من القرن الثامن عشر بات العمانيون يملكون أقوى أسطول منظم في المنطقة. وفي عام ١٧١٥ ذكر هاملتون بهذا الخصوص: "أن عمان تملك أسطولاً يتألف من: سفينة مسلحة بـ ٧٤ مدفعاً، وسفينتين تسليح كل منهما ٦٠ مدفعاً، وسفينة تسليحها ٥٠ مدفعاً، و١٨ سفينة أصغر حجماً تسليح كل منها يتراوح بين ١٢ و٣٢ مدفعاً، وعدد من قوارب التجديف يتراوح تسليحها بين أربعة وثمانية مدافع"[١].

بازدياد القوة البحرية لعمان وتطور السياسة الرامية إلى مقاومة الاستعمار، بدأت شركة الهند الشرقية البريطانية، التي كانت تتطلع إلى توسيع منطقة نشاطها تخشاها. ولهذا

1 - Factory Records of thd tate East India Combany, G/29,Persia and Persian Gulf, vols. 20- 32. Vol.20., p. 119.

www.almajidcenter.org

تقدم المقيم البريطاني في سورات سنة ١٦٥٩ بمخطط للاستيلاء على مسقط باستخدام السلاح.

وفي سنة ١٦٩٤ عبَّر المقيم البريطاني في بندر عباس عن قلقه من تزايد القوة العمانية بقوله: " إنهم [يقصد العمانيين. . . المؤلف] يجلبون المصائب الكبرى إلى الهند، كما يفعل الجزائريون في أوروبا"[١].

وفي هذا الوقت بدأت الحكومة البريطانية تفكر بالقيام بعملية بحرية ضد العمانيين، لتدمير أسطولهم، والقضاء على مملكة القراصنة في مسقط[٢]. غير أن إمعان التفكير بالإمكانيات، والنتائج التي يمكن أن تتمخض عن هذه العملية جعل الإنكليز يصرفون النظر عن القيام بأي عمل حربي ضد عمان.

في أواخر القرن السابع عشر ألحق سيف بن سلطان هزيمة ساحقة بالبرتغاليين في شرقي إفريقيا. ففي سنة ١٦٩٨ استولى على ممباسا، ثم أخضع بمبا، وزنجبار، وباتا، وكِلوا على التوالي[٣]. ومع ازدياد قوة عمان سياسياً وعسكرياً ازدادت مكانة مسقط كميناء تجاري رئيس في الخليج العربي، وأحد الموانئ الأساسية على المحيط الهندي.

وفي بداية القرن الثامن عشر كان النفوذ العماني يمتد من جنوب شبه الجزيرة العربية وشرقي إفريقيا في الغرب إلى سواحل شبه جزيرة هندوستانُ في الشرق. وشمل تأثيرعمان الاقتصادي والتجاري سواحل الخليج العربي، وفارس، والعراق، وشبه الجزيرة العربية، ووصل غرباً إلى جزر إفريقيا المركزية ونهر الكونغو[٤].

1 - Low, op. cit., Vol. 1., p. 213.
2 -Secret and Political Department Diaries . op. cit., № 3., p. 21.
3 - Miles, op. cit., p .220 .
4 -Landen, op. cit., p. 55.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

إلا إنه في بداية العقد الثالث من القرن الثامن عشر بدأت هذه الدولة تعاني من المشاكل، والفتن، والنزاعات الداخلية، والتنافس على الحكم. وعصفت بها أزمات أدت في النهاية إلى انهيار سلالة اليعاربة الحاكمة. وشهدت البلاد حرباً أهلية زادتها ضراوة النزاعات والصدامات القبلية بين أكبر تشكيلين قبليين: الهناوية والغافرية.

بدأت الفتن والاضطرابات التي عمت البلاد بأكملها طيلة الفترة من عام ١٧١٨ إلى عام ١٧٤٩، بعد وفاة سلطان بن سيف الثاني سنة ١٧١٧، عندما جرى انتخاب نجله سيف بن سلطان إماماً وهو في سن الثانية عشرة من عمره.

غير أن الشيوخ البارزين في القبائل كانوا يعارضون انتخاب هذا الفتى اليافع حاكماً جديداً[١]، فانتخبوا بدلاً منه فرداً آخر من سلالة اليعاربة. بيد أن هذه الانتخابات كانت السبب في ظهور التنافس على الحكم بين اليعاربة والشيوخ البارزين. الأمر الذي كان له أثره السيئ على مكانة عمان[٢]. وفي هذه الفترة التي اشتد فيها الصراع على الحكم برز شيخ قبيلة بني غافر، محمد بن ناصر منافساً قوياً، وتمكن من شغل منصب الإمامة في سنة ١٧٢٤ بدعم من معظم القبائل.

اتخذ محمد بن ناصر من مدينة جبرين الواقعة في وسط عمان عاصمة جديدة لبلاده، ونجح في حكمها بقوة لمدة أربع سنوات. وخلال حكمه اصطدم بمعارضة شديدة من خلف بن مبارك، شيخ قبيلة بني هنا، الذي كان يلقب بالقزم. وقد قاد هذا الشيخ القبائل اليمنية في صراع دموي لإسقاط زعيم الغافريين محمد بن ناصر[٣].

١ - من شروط الترشح لمنصب الإمام أن يكون رجلاً بالغاً، يتمتع بصحة جيدة انظر:
Philips, op. cit., p. 43 .

٢ - السالمي، نور الدين عبد الله بن حميد (مرجع سابق)، ص. ١١٢-١٢١.

3 - Lorimer, op. cit., p. 403.

www.almajidcenter.org

وشارك في هذا الصراع جميع سكان البلاد: القبائل الشمالية، أو قبائل النزارية، التي اتحدت مع شيخ بني غافر وأصبحت تعرف بالغافرية، والقبائل الجنوبية أو اليمنية، التي انحازت إلى شيخ بني هنا، وأصبحت تعرف بالهناوية.

في عام ١٧٢٨ فرض محمد بن ناصر حصاراً على قلعة صحار، حيث كانت تحتمي قوات منافسه الشديد خلف بن مبارك، وعندما وصل هذا الخبر إلى أسماع الأخير سارع لنجدة قواته المحاصرة. وكان يتخذ من مسقط قاعدة له. وجرت تحت أسوار القلعة معركة شديدة انتهت بمقتل الشيخين معاً: محمد بن ناصر، وخلف بن مبارك[1].

استمرت الفتنة والصراع على الحكم بين التشكيلين القبليين الهناوية والغافرية، وأدى ذلك إلى انقسام عمان إلى معسكرين متناحرين. وفي خضم هذه الأحداث بلغ سيف بن سلطان الذي جرى انتخابه إماماً لعمان وهو في الثانية عشرة من عمره سن الرشد، وجرى تثبيته إماماً رسمياً من قبل حلف الهناوية، بينما إنتخب الحلف الآخر، الغافرية إماماً آخر، هو بِلْعَرب بن حمِيَر.

غير أن سيف بن سلطان لم يكن جديراً بالمنصب؛ إذ لم يبد أية مهارة، أو قيادة حاذقة لمن انتخبوه إماماً. والأكثر من ذلك أنه انصرف إلى ملذات الحياة، وابتعد في حياته الخاصة عن مبادئ المذهب الأباضي، وأصبح يلقب بالإمام الكسول، والشهواني، ولا سيما عندما أباح الكثير مما يحرمه الدين الإسلامي، كشرب الخمر وغيره[2].

وما إن مضت على ذلك سنوات قليلة حتى شعر بنفسه على حافة الانهيار أمام منافسه الشديد بلعرب بن حمير، الأمر الذي دفعه للجوء إلى حاكم فارس نادر شاه طلباً

1 -Kelly, op. cit., p. 8-9.
2 - Thomas, R. H. (Comp. &. ed.) Selections from the Records of the Bombay Government. №. 24, 43. New Series. Bombay,1857. (S. R. B. G.). p. 5.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

للمساعدة. وعندها وجد هذا الأخير أن الفرصة مناسبة لبسط نفوذه على الخليج العربي، بالسيطرة على مسقط وبقية موانئ الساحل العربي، وفرض رقابته عليها.

إلا أن اندفاع نادر شاه لتحقيق أهدافه المغرضة كان السبب في فقدانه ٢٠ ألف رجل فارسي حتى عام ١٧٤٤، مما أعاق إنجاز مخططاته[١]. ففي الأول من إبريل سنة ١٧٣٧ تحركت عمارة فارسية بحملة من بندر عباس بقيادة لطيف خان، وكان على متنها ٥٠٠٠ رجل، و١٥٠٠ حصان متجهة إلى خورفكان. وكانت إحدى السفن الهولندية مشاركة في هذه الحملة بطلب من الشاه[٢].

وبعد أربعة أيام من الإبحار وصلت العمارة إلى خورفكان وأنزلت قسماً من القوات، ثم اتجهت شمالاً والتفت حول رأس مسندم ووصلت إلى جلفار (رأس الخيمة)، وأنزلت بقية القوات فيها. وهنا التقى قائد العمارة لطيف خان مع الإمام سيف بن سلطان[٣].

حصل لطيف خان على موافقة الشيخ رحمة، شيخ رأس الخيمة على ترك حامية فارسية في إمارته وتأييده له. وبعدها هاجم بقواته مواقع بلعرب بن حمير، بدعم من الإمام سيف بن سلطان. وبالقرب من واحة البريمي جرت معركة سنة ١٧٣٧ انتهت بهزيمة بلعرب بن حمير، وفراره من أرض المعركة. واستولى الفرس على الجوف، وعبري، ونزوى. إلا أن الخلافات بدأت تظهر بين لطيف خان وسيف بن سلطان مما جعل هذا الانتصار هشاً.

1 - Lockhart, L. "Nadir Shah , s Campaigns in Oman 1737- 1744". Bulletin of the School of Oriental and African Studies, vol. 8, p.1, L.1936. pp. 157- 171.
2 -Lorimer, op. cit.,p. 406.
3 -Salsanha, op. cit., p. 52.

www.almajidcenter.org

ويرجع السبب في ذلك إلى أن لطيف خان أثار السخط بتصرفاته التعسفية والاستفزازية، وأبدى عدم الرغبة في استمرار التعامل مع سيف بن سلطان، الذي بدأ يشعر بمكائد الفرس، وبخطورة مخططهم الرامي إلى بسط سيطرتهم على عمان. وهذا ما أدى إلى انهيار التحالف العسكري بينهما. وعندها قد وجد لطيف خان أن من الأفضل له العودة بقواته وسفنه إلى بندر عباس، التي انطلق منها[1].

غير أن هذا التنافر لم يدم طويلاً؛ إذ اضطر سيف بن سلطان لطلب المساعدة من الفرس مرة ثانية على الرغم من وجود الخلافات فيما بينهم. والذي حدث أن سيف بن سلطان أدرك مدى الخطر المحدق به من جهة بلعرب بن حمير، وعجزه عن وضع حد للتمرد الذي تشهده بلاده، فاضطر لتوجيه خطاب إلى نادر شاه يستنصره فيه. ولم ينتظر الإمام كثيراً حتى جاء الرد من نادر شاه بالموافقة على نصرته.

وفي يناير عام ١٧٣٨ توجه تقي خان على رأس أسطول يحمل ستة آلاف جندي إلى جلفار. وكان يرافقه في هذه الحملة لطيف خان، وخان لار. واستطاعت القوات المتحالفة إلحاق هزيمة مرة أخرى بقوات بلعرب بن حمير، واستولت على بهلة، ونزوى، وحتى مسقط لم تسلم من السقوط في أيدي الفرس. غير أن هؤلاء الأخيرين أخفقوا في الاستيلاء على قلعتي الجلالي والميراني على الرغم من أنهم حاصروهما لخمسة أسابيع[2].

ما إن بدت بوادر النصر بمساعدة الفرس تلوح للإمام سيف بن سلطان حتى عادت الشكوك بنواياهم تساوره من جديد. ووجد أن الحل الأفضل له تسوية خلافاته مع منافسه بلعرب بن حمير. وبالفعل ما إن عاد بأسطوله إلى برقة حتى توجه إلى بلعرب عن

1 -Lockhart, L .op. cit., p. 162.
2 -Lockhart, op. cit., pp.163-164.

مركز همة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

طريق البر، وأجرى مباحثات معه انتهت بموافقة بلعرب على التنازل عن الإمامة، ومساعدة سيف على الفرس لمنعهم من تحقيق أطماعهم[١].

وقبل مضي وقت طويل على الحملة الفارسية الأخيرة ظهر في عمان منافس جديد على الإمامة هو سلطان بن مرشد الذي سرعان ما تمكن من طرد سيف بن سلطان من مسقط. وعندها اضطر الإمام سيف بن سلطان للفرار إلى فارس لطلب المساعدة من نادر شاه مجدِّداً متعهداً له بالتنازل عن ميناء صحار المزدهر للفرس. وهكذا نزلت القوات الفارسية في عمان سنة ١٧٤٢، وأعادت الإمام سيف بن سلطان إلى سدة الحكم من جديد[٢].

وعندها فر سلطان بن مرشد إلى صحار، واعتصم عند واليها يومئذ أحمد بن سعيد تسليم المدينة إلى الفرس. وسرعان ما تحولت صحار إلى حصن لجميع العمانيين، والمناهضين لاحتلال الفرس لها. ووجد العمانيون في أحمد بن سعيد الشخص القوي الذي لا يلين، والرجل الذي يناضل من أجل استعادة استقلال البلاد، واسترجاع مكانتها الرفيعة في منطقة الخليج العربي، وتحقيق الوحدة الوطنية.

وبهذا الشكل أصبح أحمد بن سعيد عام ١٧٤٣ القائد الذي أخذ على عاتقه المبادرة في الصراع ضد الفرس، وتمكن من تحرير منطقة صحار والباطنة بكاملها (المنطقة الساحلية)؛ ليس هذا فحسب، بل تمكن أيضاً من طردهم وحملهم على التحصن خارج أسوار قلعة مسقط. وبعد سنة من الحصار أجبر الحامية الفارسية على الاستسلام[٣]، الأمر

١- السالمي، نور الدين عبد الله بن حميد (مرجع سابق)، ص. ١٤٣

2 -Lockhart, op. cit., p. 216.

3 -Kelly, op. cit., p. 9.

www.almajidcenter.org

الذي عظَّم من مكانته في نفوس العمانيين، وزاد من نفوذه في أرجاء المنطقة بأكملها[١]، باستثناء رأس الخيمة، التي احتفظ الفرس بحامية فيها إلى أن توفي نادر شاه في سنة ١٧٤٧.

وقد كانت هذه الأحداث والتطورات سبباً في اعتلاء أحمد بن سعيد منصب الإمامة؛ إذ قضى سيف بن سلطان حزناً وكمداً بعد أن وجد نفسه مخدوعاً من الفرس[٢]، أو أنه مات كما يعبر لوريمر "بسبب انفطار قلبه"[٣]، كما قتل سلطان بن مرشد وهو يدافع عن صحار في سنة ١٧٤٣[٤].

لم يضع وفاة هذين المنافسين حداً للانقسام الداخلي في البلاد؛ إذ ما إن وصل خبر مقتل سلطان بن مرشد إلى العاصمة العمانية، وكانت آنذاك الرستاق، حتى احتدم التنافس من جديد على الإمامة بين بلعرب بن حمير وماجد بن سلطان، شقيق الإمام المتوفى سيف. وانتهى التنافس بانتخاب بلعرب بن حمير إماماً.

لم يحاول الإمام الجديد الدخول في صراع ضد الفرس بسبب غيرته من انتصارات أحمد بن سعيد، وخوفاً من أن يتزايد نفوذ هذا الأخير. وهذا ما جعله يحجم عن تقديم المساعدة أو التأييد لصحار في مقاومة الفرس. ولهذا بعد طرد القوات الفارسية من الأراضي العمانية وقف الجميع مؤيداً لأحمد بن سعيد ، الذي وجدوا فيه الرجل الأكثر جدارة لشغل

١- الذي ساعد أحمد بن سعيد في حربه ضد الفرس هو وجود عدم استقرار في داخل فارس ؛ إذ في ديسمبر من عام ١٧٤٣ حاول تقي خان القيام بانقلاب على الحكم لكنه فشل في ذلك فشلاً ذريعاً. كما إن الذي أضعف سيطرة فارس على عمان وجال دون تقديم الدعم اللازم للحامية الفارسية في مسقط، اندلاع الاضطرابات، واستمرار الحرب مع تركيا انظر:

Niebuhr. C., op. cit., Vol. 2., p. 119.

ويرى لوريمر أن تمرد تقي خان وقع عام ١٧٤٤ انظر:

Lorimer, op. cit., Vol. 1/a., p. 84 .
2 -Niebuhr, C. op. cit., Vol. 2., p. 119.
3 -Lorimer, op. cit., p .407 .
4 -Philips, op. cit.,p. 63.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

منصب الإمامة من أي شخص آخر. وجرى في مسقط اجتماع ضم عدداً كبيراً من الشيوخ والزعماء الدينيين، أي القضاة، والممثلين المنتخبين، ونادى الجميع بأحمد بن سعيد إماماً جديداً لهم[١].

بدأت مرحلة جديدة من الحرب الأهلية بين الإمامين المتنافسين واستمرت من عام ١٧٤٥ إلى عام ١٧٤٩. وفيها وقفت قبائل الغافرية إلى جانب بلعرب بن حمير في حين أيدت قبائل الهناوية أحمد بن سعيد. ومر الصراع بقوى جديدة بين المتنافسين على الإمامة بمرحلتين: الأولى من عام ١٧٤٥ حتى أوائل عام ١٧٤٩، والثانية، وهي المرحلة الحاسمة، كانت في أواخر عام ١٧٤٩.

كان التفوق في المرحلة الأولى حليف بلعرب بن حمير، الذي تمكن من تحقيق عدة انتصارات على منافسه. أما في المرحلة الثانية فقد تخلى الحظ عن بلعرب؛ إذ مني بهزيمة كبيرة في معركة "فرق" قرب الجبل الأخضر، وقتل فيها. وبذلك أصبح الطريق ممهداً أمام أحمد بن سعيد، الذي بات الحاكم الوحيد لعمان.

شكل مجيء أحمد بن سعيد إلى سدة الحكم في عام ١٧٤٩ نهاية لحكم سلالة اليعاربة، ووضع الأساس لحكم آل بو سعيد، التي لا تزال تحكم عمان حتى الآن[٢]. يقول

1 - Miles, op. cit., p. 262.

٢- يوجد تضارب كبير في تحديد تاريخ تسنم أحمد بن سعيد منصب الإمامة، ونهاية حكم اليعاربة. فنيبور مثلاً يحدد ذلك بسنة ١٧٤٩ بقوله إنه في عام ١٧٦٥ كان قد مضى على حكم الإمام أحمد ستة عشر عاما إنظر:

Niebuhr, C. Vol. 2. p. 122.

ويؤيد هذا التاريخ كل من س. مايلز، و ج. كيلي، انظر:

Miles, op. cit., p.265.;
Kelly, op. cit., p. 9.

أما لوريمر فيرى أن انتخاب أحمد للإمامة جرى عام ١٧٤٤ بعد طرد الفرس، انظر:

Lorimer, op. cit., Vol. 1/a., p. 407.

www.almajidcenter.org

رودولف روث، حفيد سعيد بن سلطان من ابنته سالمة في هذا الخصوص: "استطاعت الأسرة الحاكمة الجديدة فرض سيطرتها على البلاد بعد طرد الفرس منها، كما فعل اليعاربة عندما طردوا البرتغاليين"[١].

أثبت أحمد بن سعيد أنه يتمتع بإرادة صلبة مكنته من توحيد عمان، ولم يكن يحجم عن استخدام أية وسيلة من أجل تحقيق هذا الهدف. وقد عرف عنه أنه يميل لاستخدام أساليب مميزة "كدعوة أعدائه الخطرين إلى مأدبة طعام والإجهاز عليهم قبل أن يتموا تناول طعام المأدبة[٢][٣].

ولم يتراجع أحمد بن سعيد عن إعطاء الأمر بقتل عدوه محمد بن سلمان، ابن عم الإمام السابق سلطان بن مرشد من سلالة اليعاربة، التي كانت تمسك بناصية الحكم في السابق. ومع ذلك سعى أحمد بن سعيد لكسب دعم هذه العائلة ذات النفوذ بأن تزوج من ابنة الإمام السابق سيف بن سلطان، التي أنجبت له محمداً[٤].

أما السالمي فيذكر سنة ١١٦٧ هـ، أي ١٧٥٤م . انظر: السالمي، نور الدين عبد الله بن حميد (مرجع سابق)، ص ١٦٠-١٦١، و١٦٢. ويحدد بادجر إمامة أحمد بسنة ١٧٤١، إذ يقول: توفي أحمد في الرستاق في يناير عام ١٧٧٥ بعد حكم دام ٣٤ عاماً. انظر:

Badger, op. cit., p. -.

أما ولستد فيذكر أن إمامة أحمد بن سعيد كانت في سنة ١٧٤٧ بعد التخلص من الفرس إثر اغتيال نادر شاه. انظر:

Welsted, op. cit., Vol. 1. p. 393.

بينما يبتعد بلغريف كثيراً عن الصواب بتحديده سنة ١٧٥٩ بدايةً لحكم أحمد بن سعيد. انظر:

Palgrave, W. G. Narrative of a year's tourney through Central and Eastern Arabia (1862-1863). 2 vols., L. 1865. Vol. 2. p. 43.

١- روث، رودولف سعيد (مرجع سابق)، ص ١١٩.

٢- جرى استخدام هذه الطريقة عند التنكيل بالحامية الفارسية في مسقط؛ إذ جرت دعوة جميع أفراد الحامية إلى برقة على الساحل العماني، وهناك جرى القضاء عليهم. انظر:

Lorimer, op. cit., Vol. 1/a., p. 407.

3 - Landen, op. cit., pp. 8-9.

4 - Miles, op. cit., p .264 .

www.almajidcenter.org

أعار الإمام الجديد أحمد بن سعيد أثناء حكمه اهتماماً كبيراً لتطوير التجارة الخارجية، والأعمال البحرية. وكان يرى في ذلك أساساً لاستقرار البلاد وازدهارها. إلا أنه أخفق في تحقيق الوحدة الوطنية في عمان. وبسبب عداء قبيلة الغافرية له اضطر إلى مواجهة القلاقل والثورات العديدة التي قامت ضده ، ولا سيما في الشمال ومنطقة الظاهرة[1]. وقد حملته هذه الظروف على تجنيد جيش من المرتزقة من البلوش، والعبيد الأفارقة. وكان هذا الجيش يخوض حروباً مستمرة ضد الغافرية، وحلفائهم القواسم.

ونتيجة لعدم توفر الاستقرار في البلاد، ضعفت سلطة إمام عمان هذا في مناطق إقامة قبائل القواسم، ومن ناحية أخرى تشكلت ظروف ساعدت على ظهور حلف قبلي جديد هو حلف القواسم.

ثالثاً – الخليج العربي في مخططات فارس:

شهدت بداية القرن الثامن عشر انحلال سلالة الصفويين الحاكمة في فارس بشكل كبير. وكان الانهيار التام لهذه السلالة مصحوباً باندلاع الاضطرابات في البلاد، وعدم استقرار دام ثلاثة عقود. وكان السبب في حدوث ذلك تعرض البلاد إلى الغزو الأجنبي الذي مزقها: في البداية كان الغزو الأفغاني ثم العثماني.

وفي هذه الفترة ظهر على ساحة الأحداث نادر شاه[2]، الذي لعب دوراً كبيراً، ليس في تاريخ المنطقة فحسب، بل امتد تأثيره إلى الدول والشعوب المجاورة. وهو الذي وسع من

1 - Kelly, op. cit., p. 10 .

٢- انحدر نادر شاه من عائلة فقيرة من قبيلة الأفشار التركية. ولد في خراسان عام ١٦٨٨، وعمل جمّالاً، ثم تحول إلى قاطع طريق خطير. اتخذ من قلعة النادري في خراسان قاعدة لعملياته. ازداد نفوذه بشكل كبير عام ١٧٢٦، عندما إنضم إلى الشاه طهماسب في صراعه ضد الغزو الأجنبي لفارس. لزيادة الاطلاع انظر:

Lockhart, op. cit., p .17-24.

وكذلك انظر:

www.almajidcenter.org

حدود فارس، وأوصل قواته إلى دلهي، واستطاع إنشاء قوة عسكرية تعد من أعظم القوى في آسيا. وقد قيل عنه إنه آخر عظماء آسيا الفاتحين[١].

يتطلب منا موضوع البحث التوقف هنا عند بناء القوة البحرية الفارسية فقط.

يعد نادر شاه أول من أدرك من الحكام في تاريخ فارس الحديث أهمية وجود أسطول وقوة بحرية في المنطقة. وقد بذل جهوداً كبيرة لإنشاء أسطول بحري فارسي. وعلى الرغم من أن فارس تمتاز باتساع سواحلها، سواء في الشمال أو في الجنوب، فإنها بعيدة تماماً عن أي نشاط بحري.

يقول كيرزون في هذا الخصوص: "لا يمكننا أن نجد في تاريخ العالم دولة كفارس، تملك سواحل بحرية مهمة، وتحتل موقعاً تجارياً هاماً، ومع ذلك لا تعير هاتين الميزتين الأهمية اللازمة، ولم تجهز في العصر الحديث كوادر بحرية [بحارة]، ولم تضع أسساً للتجارة البحرية، ولم يسبق لها أن دخلت معارك بحرية". ومن أقواله أيضاً: "لقد كان الشعب في هذه البلاد شديد الخوف من البحر"[٢].

عندما بدأ نادر شاه ببناء الأسطول البحري كان يطمح لتحقيق هدفين اثنين على الأقل: الأول المحافظة على ممتلكاته على سواحل بحر قزوين، والخليج الفارسي، ولعب دور نشط في البحار القريبة الأخرى؛ والثاني زيادة ثروة فارس بتشجيع التجارة الخارجية. ولم يكن بالإمكان تحقيق أي من هذين الهدفين دون امتلاك قوة بحرية فعّالة.

ولعل أول ما لفت نظر نادر شاه إلى ضرورة امتلاك أسطول بحري حربي، أنه بعدما تمكن من دحر الأفغانيين اتجه هؤلاء إلى ساحل الخليج، ومن هناك لم يجدوا صعوبة في

Sykes, P. A. History of Persia. 2 vols. L. 1921. Vol. 2, p. 240.
1 - Sykes, op. cit., Vol. 2., p. 240.
2 -Curzon, op. cit., Vol. 2., p.388, 289 .

www.almajidcenter.org

الانتقال إلى مسقط[١]. ونظراً لأن الفرس كانوا يفتقرون إلى أسطول يساعدهم على مطاردة أعدائهم الأفغان فقد كان من الصعب القضاء عليهم بشكل مبرم.

ومما أثار استياء الشاه من عدم امتلاكه للسفن أنه في عام ١٧٣٣ قام محمد خان البلوشي بمؤامرة ضد الشاه. إلا أن هذا الأخير تمكن من قمعها. لكن القوات الفارسية لم تتمكن من إلقاء القبض على البلوشي وإعدامه؛ لفراره مع أنصاره إلى جزيرة قيس، حيث عجزت هذه القوات عن اللحاق به، لعدم توفر السفن. وهذا كله دفع نادر شاه إلى الإسراع ببناء الأسطول البحري[٢].

في عام ١٧٣٣ وصل لطيف خان إلى بندر عباس لشراء سفينتين حربيتين من ممثلي هولندا وبريطانيا في المنطقة، ولوضع أساس لإنشاء أسطول فارسي؛ وكان ذلك بتكليف من نادر شاه، الذي حمله رسائل رسمية بهذا الخصوص. عندما حصل لطيف خان على رتبة أميرال بحري، لأسطول غير موجود، أقبل على العمل بجد ونشاط.

إلا أن ممثلي هولندا وبريطانيا رفضا بيعه أية سفينة، لكنهما عرضا عليه المساعدة في شراء السفن من سورات[٣]، الواقعة على الساحل الهندي، والتي نالت شهرة قديمة في بناء السفن. كما وافقا على تأجير الفرس أربع سفن إنكليزية وهولندية مناصفة لاستخدامها في أعمال حربية ضد المتمردين في جزيرة قيس.

بعد استئجار السفن الأربع أخذ الأميرال لطيف خان بتجهيز سفن أخرى بمساعدة عدد من الزعماء العرب، كان من أبرزهم الشيخ جابر، شيخ البحرين. وفي العام

1 -Lockhart, op. cit., p. 5.

2 -Lockhart, op. cit., p. 6 .

٣- اشتهرت سورات منذ القديم بصناعة السفن، وهي تقع على الساحل الهندي.انظر:

Milburh, op. cit., P .328 .

www.almajidcenter.org

نفسه تمكن هذا التشكيل البحري الجديد من القيام بحملة ناجحة ضد المتمردين في جزيرة قيس[١].

استمر الأميرال لطيف خان بالعمل على إنجاز مشروع بناء أسطول حديث حسب تعليمات نادر شاه. ففي أواخر عام ١٧٣٤ اشترى ثلاث سفن أوروبية، وفي السنة التالية حصل على سفينتين قتاليتين اشتراهما له الشيخ راشد، حاكم باسيدو. وكانت هذه السفن نواة الأسطول الفارسي في الخليج العربي. واتخذ هذا الأسطول من ميناء بوشهر قاعدة له، وفيما بعد جرى تغيير اسم هذا الميناء، وأصبح يعرف ببندر النادرية[٢].

كان مصير أول عملية بحرية حقيقية يخوضها أسطول لطيف خان الفشل. ففي شهر إبريل من عام ١٧٣٥ حاول لطيف خان الهجوم بأسطوله على البصرة، مستغلاً وضعها الحرج الذي وقعت فيه بسبب القتال بين العثمانيين والقبائل المحلية. وعندها تمكن الأسطول من الوصول إلى شط العرب، لكنه عجز عن الوصول إلى البصرة لاصطدامه بسفينتين إنكليزيتين رستا بالقرب من البصرة، وشاركتا في صد الهجوم بأمر من الوالي العثماني[٣].

في خريف عام ١٧٣٦ وافقت شركة الهند الشرقية على بيع فارس سفينتين مصنوعتين في سورات[٤]. وفي العام نفسه جهز لطيف خان أربعة آلاف جندي من القوات البحرية استعداداً لمهاجمة البحرين. وفي فصل الربيع هاجمها، حيث كان حاكمها في مكة يؤدي مناسك الحج[٥]. وعندها جرى الاستيلاء بسهولة على قلعة هامة. وأسند أمر حكم

1 -Lockhart, op. cit., p.6.
2 -Lockhart, op. cit., p. 92.

٣- أمين، عبد الأمير محمد (مرجع سابق)، ص. ١٣ - ١٥.

4 -Lockhart, op. cit., p. 9.
5 -Lockhart, op. cit., p.108.

www.almajidcenter.org

البحرين إلى حاكم بوشهر السابق الشيخ ناصر، الذي جرى تعيينه أيضاً قائداً لقسم من الأسطول الفارسي في منطقة الخليج العربي[١].

بعد النجاح في هذه العملية تشجع نادر شاه لتحقيق هدف توسعي آخر، وهو احتلال عمان لبسط سيطرته على الخليجين العربي والعماني. ومما لا شك فيه وجود سبب آخر حمل الشاه على التطلع لاحتلال عمان. وهو أن وجود هذه الدولة القوية المستقلة على الساحل العربي يعد عائقاً يحول دون تحقيقه لمخططاته العدوانية، ويمنع الأسطول الفارسي الجديد من تنفيذ عمليات حربية.

إلا أن الهجوم على عمان عام ١٧٣٨ لم يتم كما كان مخططاً له، مما أضاع الفرصة المناسبة لبسط السيطرة الفارسية على المنطقة. ويعود السبب في ذلك إلى تمرد البحارة العرب الذين كانوا يخدمون على السفن الفارسية، واستطاعتهم السيطرة على الأسطول. وكان السبب في تمرد البحارة العرب سوء المعاملة التي كانوا يلاقونها من تقي خان، القائد الجديد للأسطول الفارسي، الذي تم تعيينه خلفاً للطيف خان بعد مقتله[٢].

وقام المتمردون البحارة بمهاجمة باسيدو والبحرين. وقد ساعدهم في ذلك عرب الهولة وعمان. وبعد استيلائهم عليها فرضوا سيطرتهم الكاملة على الخليج العربي، لدرجة أن تأمين الحامية الفارسية في جلفار، كان يتم آنذاك بواسطة السفن الإنكليزية فقط.

1 - Adamiyat, F. Bahrein Islands. A Legal and Diplomatic Study of the British-Iranian Controversy. N. Y. 1955. P. 55.

٢- أثناء الحملة الفارسية على عمان عام ١٧٣٨ وقعت خلافات بين لطيف خان وتقي خان. وعلى أثرها دس الأخير السم في الطعام للأول فقتله. وبموت لطيف خان فقدت إيران قائداً خبيراً قادراً على قيادة الأسطول بجدارة، انظر:

Lockhart, cit., p.183 .

www.almajidcenter.org

استغل الشيخ جابر تمرد البحارة، واستعاد سيطرته على البحرين فترة قصيرة. إلا أنه في نهاية هذا العام (١٧٣٨) وقعت خلافات بين المتمردين العرب، مما مكن الفرس من استعادة السيطرة على قسم من أسطولهم. وفي نهاية يناير من عام ١٧٣٩ وقعت معركة بحرية بين الفرس والبحارة المتمردين تمكن خلالها الفرس من إلحاق الهزيمة بالمتمردين الذين اضطروا إلى الانسحاب بعد مقتل معظم قادتهم[١].

وفي يوليو من عام ١٧٤٠ حدث تمرد آخر في الأسطول الفارسي أدى إلى مقتل الأميرال علي خان، وضباطه على يد البحارة العرب، الذين قاموا بسحب كامل الأسطول الفارسي إلى خورفكان، حيث جرى تقاسمه بينهم. وعندها أُسندت قيادة قسم من هذا الأسطول إلى عبد الشيخ، والقسم الآخر وضع تحت قيادة الشيخ رحمة.

وبغية استعادة أسطولهم من المتمردين لجأ الفرس إلى الهولنديين الذين كانت لهم سفينتان ترسون في الميناء، وكان تسليح كل منهما ٢٠ مدفعاً. انطلقت السفينتان الهولنديتان بحثاً عن المتمردين، وعند الالتقاء بهم حاولتا حملهم على الدخول في معركة بحرية. إلا أن البحارة العرب تمكنوا من الإفلات منهما[٢].

بعد ذلك بعدة أيام وصل إلى بندر عباس محمد تقي خان، الأميرال البحري الفارسي الجديد، الذي كان يفتقر إلى أقل درجات الخبرة في شؤون البحر. حتى أنه لم يسبق له أن ركب سفينة أو شاهد بحراً في حياته كلها[٣]. وتوجه مباشرة إلى الوكيل البريطاني يرجوه بيعه سفينة حربية كبيرة، والتوسط له في إجراء مباحثات مع المتمردين. وبعد ذلك أرسل إلى المتمردين يطالبهم بالاستسلام إلى ممثلي شركة الهند الشرقية.

1 -Lockhart, cit., pp. 10, 183, 184. 184 .
2 -Salsanha, op. cit., pp.54, 55 .
3 -Lockhart, op. cit., p 11 .

www.almajidcenter.org

وقبل أن يتلقى رد المتمردين تمكن من إقناع الهولنديين بتأجيره السفينتين الهولنديتين اللتين خرجتا لملاقاة البحارة المتمردين. وبعد وقت قصير لحقت بهما جميع سفن الأسطول الذي بات مؤلفاً من سفينتين هولنديتين، وسفينة بريطانية، وسفينة عربية، وعشرين قارباً محلياً من نوع ترانكي.

وما إن جرى اشتباك بحري بسيط مع المتمردين حتى دب الخوف في قلب الأميرال محمد تقي خان، وأمر قواته في ١٤ أكتوبر بالانسحاب، واللجوء إلى ميناء كونك. وعلى الرغم من وقوع خلاف بين شيخي المتمردين، فإن الفرس أخفقوا في التوصل إلى أي اتفاق معهما[1].

في أواخر عام ١٧٤١ وصل إلى بندر عباس قائد عام جديد للأسطول الفارسي يدعى فردي خان. وقام بتجريد الأميرال السابق محمد تقي خان من رتبته، وعزله. وكان الأميرال الجديد يحمل أمراً صارماً من الشاه باستخدام جميع الوسائط المتوفرة بما في ذلك مطالبة الأوروبيين بوجوب تقديم العون بكل ما لديهم من قوة للقضاء على المتمردين، وإعادة السفن إلى فارس[2].

في شهر أكتوبر صادر الأميرال فردي خان سفينتين هولنديتين، وأمر جنوده بركوبهما والتوجه إلى جزيرة قيس، حيث لجأ البحارة المتمردون. وما إن وصلت القوات الفارسية إلى الجزيرة ونزل قسم منها إلى الشاطئ حتى ظهر المتمردون بسفنهم، ودارت معركة بحرية ضارية، أصيب خلالها القائد الفارسي الجديد بجروح بليغة سرعان ما أودت بحياته. وعلى أثر ذلك اضطر الفرس إلى الانسحاب من المكان تاركين خلفهم كل من نزل إلى الشاطئ ليواجه مصيره المجهول بنفسه.

1 -Lockhart, op. cit., p. 11.
2 -Salsanha, op. cit., p. 56.

www.almajidcenter.org

وفي هذا الوقت كان نادر شاه يتطلع إلى تنفيذ مشروع جديد، وهو بناء سفن في بوشهر بقواه الخاصة. ونظراً لعدم توفر الأخشاب اللازمة لذلك على الساحل فقد عمل على جلبها من جميع غابات منطقة مازندران، الواقعة على بعد ٦٠٠ ميل عن الساحل. إلا أن هذا المشروع انتهى بالفشل، وكانت ثمرته سفينة واحدة غير مكتملة البناء ظلت قابعة على ساحل بوشهر. إلا أن نادر شاه نجح أخيراً في تشكيل أسطول كبير من السفن التي حصل عليها عن طريق الشراء أو الإهداء أو المصادرة[١]. كما تمكن من إخضاع البحارة المتمردين تدريجياً، واستعادة السفن منهم.

في فبراير عام ١٧٤٥ بعث المقيم البريطاني في بندر عباس إلى لندن يخبرها بأن شاه فارس أصبح يملك ثلاثين سفينة كبيرة، وعدداً هائلاً من المراكب الصغيرة. وقال لاحقاً: " إن صاحب الجلالة عازم كل العزم على بناء أسطول كبير يساعده على تنفيذ مخططاته التجارية، التي كان قد وضعها مؤخراً، وأنه أمر بأن تبنى له في كل سنة سفينتان جديدتان"[٢].

انهار الأسطول الفارسي في السنوات الأخيرة من حكم نادر شاه بسبب الحرب مع تركيا (١٧٤٢ – ١٧٤٥)، والتمرد المستمر للبحارة العرب العاملين على السفن الفارسية، من جراء معاملة الضباط الفرس القاسية لهم. وعندما اغتيل الشاه في يونيو من عام ١٧٤٧ على يد أربعة من ضباطه، أقدم البحارة الفرس أنفسهم على تحطيم عدد من سفنهم، وكانت بقية السفن في حالة لا تصلح جيداً للملاحة نتيجة لتقوضها من كثرة الاستعمال، ولعدم إجراء ما كان يلزمها من إصلاحات[٣].

١- استطاع تقي خان في عهده شراء سفينة فرنسية في بوشهر، واشترى نادر شاه أربع سفن من سورات في عام ١٧٤٢، وقدم حاكم عمان إلى إيران سفينتين كانت إحداهما مسلحة بـ ٦٤ مدفعاً، انظر:

Lockhart, op. cit., p.13.

2 -Lockhart, op. cit., pp. 13-14.

3 -Lockhart, op. cit., pp. 238- 256.

www.almajidcenter.org

يتبين مما سبق أن جهود نادر شاه التي بذلها لتحويل فارس إلى دولة بحرية تملك أسطولاً قوياً، تستطيع أن تلعب به دوراً هاماً في مياه الخليجين العربي والعماني تكللت بالنجاح، ولكن لفترة قصيرة؛ إذ لم يستطع أحد من حكام فارس الأقوياء، بمن فيهم نادر خلق بحارة من الفرس.

ويرجع السبب في ذلك إلى عدم وجود رغبة لدى هؤلاء الأخيرين في أن يصبحوا بحارة من جهة، ولعدم وجود العقلية البحرية لديهم من جهة ثانية[1]. ولهذا كان يجري الاستعاضة عنهم في الخدمة على متن السفن الفارسية بالعرب بشكل أساسي، والقليل من البلوش، والهندوس. ولم يكن هؤلاء يخلصون للشاه أو لفارس. وهذا أيضاً كان من الأسباب الرئيسة التي أدت إلى الفشل في تشكيل أسطول فارسي قوي.

يعد مقتل نادر شاه بداية لانهيار القوة البحرية الفارسية، بينما كانت قوة القبائل العربية على كلا ساحلي الخليج العربي تتزايد باستمرار. وظهرت أقوى قوة عربية جديدة، هي اتحاد القواسم القبلي[2].

عندما توفي الشاه نادر كان الأسطول الفارسي موزعاً بين ميناء بندر عباس، ويقوده الضابط العربي ملا علي شاه، وميناء بوشهر، ويقوده حاكم المدينة الشيخ ناصر. وقد كان لهذا الواقع أهمية كبيرة.

ففي أثناء الاضطرابات، والحروب الأهلية التي اندلعت عقب مقتل الشاه، أخذ كل من حاكم بوشهر، والملا علي شاه يفرض سلطته على الأسطول لأغراض شخصية، ولا سيما من أجل خوض المعارك ضد القبائل العربية الأخرى، وتعزيز قوته البحرية، وبسط

1 - Lockhart, op. cit., p.222.
2 - Adamiyat, op. cit., p.30.

www.almajidcenter.org

نفوذه في المنطقة[١]، وخصوصاً أن تحالف ملا علي شاه مع القواسم ساعد على تعزيز القوة العسكرية لهؤلاء الأخيرين، وزيادة نفوذهم على الساحل العربي.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة ... وعطاء مستمر

١- أمين، عبد الأمير محمد (مرجع سابق)، ص ٢٢.

www.almajidcenter.org

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة... وعطاء مستمر

www.almajidcenter.org

الفصل الرابع
تشكيل حلف القواسم ودوره
(١٧٤٧ – ١٨٠٠)

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة... وعطاء مستمر

www.almajidcenter.org

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة... وعطاء مستمر

www.almajidcenter.org

الوصف العام للقواسم:

أصل القواسم ونسبهم:

سميت جميع القبائل التي أقامت في النصف الثاني من القرن الثامن عشر والعقدين الأولين من القرن التاسع عشر، في المنطقة الواقعة بين رأس مسندم في الشمال وأبو ظبي في الجنوب، والتي دانت بالولاء لشيخ القواسم الذي اتخذ من رأس الخيمة مقراً له بالقواسم أوالجواسم. والواقع أن الغموض يحيط بأصل القواسم، ونسبتهم؛ لتعدد الآراء وتباينها حول هذه المسألة.

يرى عدد من المؤرخين أن القواسم اسم يعود لقبيلة أصلها من نجد، اتخذت من منطقة صور في عمان مكاناً لإقامتها، وأن هذه القبيلة كانت منذ ذلك الحين متميزة[١]. وفي هذا الصدد يقول حسين بن غنام إن أصل هذه القبيلة من نجد. . . والقواسم – عرب من قبيلة الظفير[٢].

وترى مجموعة أخرى من المؤرخين أن القواسم انحدروا من عرب قبيلة الهولة، التي تقيم على الساحل الشرقي للخليج العربي[٣]. ومن بين هؤلاء المؤرخين ك. نيبور الذي

١- يؤيد هذا الرأي مؤلف مخطوط "لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب"، المجهول الهوية، تحقيق أحمد مصطفى أبو حاكمة، وكذلك "تايلور" الذي يرى أن القواسم من الغافرية، انحدروا من قبيلة نزاري؛ أما بكنجهام فيرى أن القواسم استوطنوا هذه المنطقة منذ زمن بعيد جداً.
انظر: – لمع الشهاب الآنف الذكر، ص ١٥٢؛
- Thomas, R. H. op. cit., p.7.
- Buckingham, op. cit., Vol. 2. p. 210.

٢- الظفير : قبيلة مشهورة من نجد . انظر البسام، الشيخ محمد (مرجع سابق)، ص ٣٧.
وانظر: ابن غنام، حسين (مرجع سابق)، ص ١٨٩.

٣- الهولة : اسم عام أطلق على القبائل العربية التي أقامت بين بندر عباس وبوشهر، وفي مناطق أخرى من الخليج العربي، وقد اشتهرت هذه القبيلة بالشجاعة والقوة والإقدام انظر:

www.almajidcenter.org

يقول في تقريره عن شيوخ الهولة: ". . . وشيخ صير من هذه المنطقة (الساحل الشرقي)، ويعود له في المناطق المجاورة عدد من المدن: كونك، ولنجه. . . . "[١].

ويتفق معه في ذلك المؤرخ العماني سليل بن رزيق، الذي يطلق على شيوخ القواسم اسم الهولة[٢]. ويؤيده في ذلك س. مايلز، الخبير في شؤون عمان (شغل خلال الفترة من عام ١٨٧٢ إلى ١٨٨٦ منصب وكيل في البداية، ثم منصب المعتمد السياسي في مسقط)، الذي يقول إن نسبهم (أي القواسم) يرجع إلى اسم الشيخ قاسم، جد الشيخ المعروف راشد بن مطر"[٣].

غير أن مايلز يكتفي بهذا القول ولا يشير إلى السنوات التي عاشها هذا الشيخ. والمؤرخ لم يتمكن من العثور على إيضاحات أكثر من تلك التي أوردها هذا المؤرخ والسياسي الإنكليزي، سواء في الوثائق أو المراجع، أو غيرها من المؤلفات.

وهناك من يرى أن القواسم قبيلة من سيراف (طاهري)[٤]، التي تقع على الساحل الشرقي للخليج. إلا أن تدهور هذه المنطقة التي كانت في القديم مركزاً تجارياً كبيراً شتت

Niebuhr, C. op. cit., p. vol. 2., pp. 143-144.

وقد شهد النصف الأول من القرن الثامن عشر نشاط هذه القبائل الكبير في المنطقة. إلا أن عرب الهولة فقدوا في القرن التاسع عشر تنظيمهم القبلي، وانضباطهم، ونشاطهم بشكل نهائي .انظر أمين، عبد الأمير محمد (مرجع سابق)، ص ٢٧-٢٨.

1 -Niebuhr, C. op. cit., Vol. 2. p. 144.

2 - Badger, op. cit., pp.110, 179, 320.

3 - Miles, op. cit., pp.269, 439.

٤- كانت سيراف في بداية القرن الثاني عشر أحد الموانئ التجارية الرئيسة في الخليج العربي. وأصبحت في القرن الثالث عشر ميناء الفرس الرئيس. إلا أن دور هذا الميناء سرعان ما تحول إلى جزيرة قيس، الواقعة إلى الشرق من سيراف. وبعد ذلك أصبحت هرمز في القرن الرابع عشر الميناء التجاري الرئيس. انظر:

Wilson, op. cit., pp. 10, 92-96.

www.almajidcenter.org

القواسم. فمنهم من اضطر إلى الرحيل إلى صور، على الساحل العماني، ومنهم من رحل إلى مسقط، ومنهم من استوطن في منطقة صير بالقرب من رأس الخيمة[١].

أما ف. مريزي فلا يتفق مع هذا الرأي إطلاقاً، فهو يعتقد أن القواسم أتوا من الساحل الفارسي[٢]. ومع ذلك فهو يتفق مع الرأي القائل بأن القواسم ينحدرون من الشيخ غياشم [خياشم] مؤسس مدينة وميناء رأس الخيمة[٣]، فهو يقول في ذلك: "إن غياشم ترك ذرية كبيرة، استفادت من موقعها الملائم، وسرعان ما أصبحت قبيلة كبيرة. وعندما وجدت أن ممتلكاتها غير كافية لإعالتها رحلت إلى الضفة المقابلة للخليج العربي، واستوطنت هناك، ثم قامت ببناء المدن التي ازدهرت: خرج، ولنجه، ولافت، والعديد من القرى[٤]. وقد شكل السكان الذين أقاموا على الساحل الفارسي مع أقاربهم المقيمين على الساحل المقابل دولة واحدة، وحملوا جميعهم اسماً واحداً، الغياشم"[٥].

1 - Kelly, op. cit., p .18 .

٢- يستند مريزي في هذا القول إلى رأي أعضاء أسرة آل بوسعيد الحاكمة في عمان.

٣- جرى نصب خيمة في مكان يعلو مستوى سطح البحر، وكانت تستخدم كمنارة للسفن العابرة. وقد أطلق البحارة على هذا المكان اسم رأس الخيمة، ومع مرور الوقت ظهرت في هذا المكان مدينة، وحافظت على اسمه القديم، وأصبحت تعرف باسم رأس الخيمة ، انظر:

Mansur, Shaikh (Maurizi, Vinzenzo)., op. cit., pp. 31-32.;
Low, op. cit., Vol.1/a., p. 312.

بينما يفسر ولستد التسمية بالقول إن زعيم قبيلة القواسم أقام في هذا المكان، ومن خيام أتباعه ومضاربهم التي جرى نصبها في هذا المكان أتت هذه التسمية .انظر:

Welsted, op. cit., Vol. 1., pp. 56-57.

٤- يؤكد ذلك أيضاً اللورد كيرزون؛ إذ يقول إن حكام لنجه والجزر القريبة كانوا من هذه القبيلة [يقصد قبيلة القواسم. . المؤلف].انظر:

Curzon G. N. op. cit., Vol. 2., p. 409.

5 - Mansur, Shaikh (Maurizi, Vincenzo)., op. cit., p. 32.

www.almajidcenter.org

وهناك من المؤرخين من يذهب إلى أبعد من ذلك بكثير عندما يقول بأن القواسم ينتمون إلى قبائل عربية كانت تسكن العراق ثم رحلت إلى الساحل العربي للخليج العربي، وأقامت في الصير[١].

مما لا شك فيه أن تسمية القواسم باتت معروفة جداً منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر على الرغم من اختلاف الآراء حول أصلهم ونسبهم. وهناك من المصادر ما يشير إلى أن القواسم مجموعة من القبائل دانت بالولاء للأسرة الحاكمة في رأس الخيمة والشارقة، ومن ثم شكلت حلفاً قبلياً ظل قائماً إلى أن جرد المستعمرون البريطانيون حملة ضدهم في عام ١٨١٩ – ١٨٢٠، كانت السبب في انهياره.

يقول جون لوريمر مثلاً عن القواسم إنهم "أسرة تنسب نفسها إلى شيخ الشارقة وأقاربه، وتعد نفسها من الأشراف الذين ينحدرون من أرومة النبي محمد[٢] [ﷺ]. ويقول أيضاً إن عددهم في بداية القرن العشرين كان ١٨ رجلاً بالغاً. خمسة منهم في مدينة الشارقة، بمن فيهم الشيخ نفسه، وثمانية في مدينة رأس الخيمة، واثنان في عجمان، وثلاثة في الحمرية".

١ - بينما كان مالكولم يقوم برحلته الأولى إلى مسقط وفارس سنة ١٨٠٠ روى على لسان مرافقه القصة التالية عن أصل القواسم : " ذات يوم انتشل صيادون من الساحل الفارسي بشبكتهم من البحر مخلوقاً يغطيه الشعر، ولم يكن هذا المخلوق يعرف أية كلمة سوى كلمة "هول". وهذا ما جعل الصيادين يطلقون عليه اسم هول. قام الصيادون بتربية هذا الشخص الغريب، إلى أن كبر وأخذ يرعى ماشية القرية. وذات يوم هاجم قطيع الماشية مائة فارس لنهبها؛ غير أن هول تمكن مع عدد قليل من الرعاة من صد الغزاة بقوة وإرغامهم على الفرار رعباً. وعندها نال هول إعجاب سكان القرية بشجاعته وقوته، وزوجوه إحدى بنات الصيادين، التي أنجبت له أربعة أولاد سمي أحدهم بجاسم أو قاسم. ومن هذا الأخير انحدرت قبيلة القواسم. وأفراد هذه القبيلة يحملون أيضاً لقب "بني هول". وكان هؤلاء يعتمدون في كسب رزقهم على البحر، فقد كانوا صيادين، وبحارة، وقراصنة".انظر:

Malcolm, Sir John. Sketches of Persia, from the Journal of a Traveler in the East. 2 vols., new ed. L., 1828.Vol. 1, pp. 28-30.

2 - Lorimer, op. cit, [V0l.6) p .1547.

www.almajidcenter.org

ويتفق مع لوريمر في ذلك كل من هاولي (Hawley)، وفيليبس (Philips) الإنكليزيين. ويقول الأخير في هذا الخصوص: "يرى بعض الكتاب أن قبيلة القواسم ليس لها أي وجود حالياً، وأن أفراد عائلة شيخ الشارقة، الذين يبلغ عددهم حالياً عشرين رجلاً بالغاً، هم قواسم بدمائهم"[١].

تجدر الإشارة إلى أن السجلات البريطانية الرسمية تنسب جميع القبائل التي سكنت في القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر على الساحل العماني إلى القواسم. وهذا ما يؤكد النفوذ الذي كانت تحظى به هذه القبيلة، وسيطرتها على المنطقة[٢].

وعلى أية حال إذا كان المؤرخون يختلفون فيما بينهم حول أصل القواسم، فهم يجمعون على أن القواسم شكلوا قوة كبيرة في منتصف القرن الثامن عشر، ومع مرور الوقت تعزز نفوذ القواسم بشكل كبير، مما كان السبب في جعل المستعمرين الإنكليز يتدخلون في شؤونهم بصورة سافرة، ويعملون على تفتيت تشكيلهم القبلي بالقوة.

طبيعة التشكيل القبلي للقواسم:

تعد بداية تشكيل اتحاد القواسم، وأسماء شيوخهم من الأمور غير المعروفة جيداً. إلا أنه يمكن من خلال المراجع، والروايات الشفوية القليلة المتوفرة، وكذلك من خلال تحليل توزيع القبائل العربية في منطقة الصير تكوين الفكرة التالية حول التوزيع الإداري لهذا التشكيل القبلي.

1 - Philips, op. cit., p. 113.

٢- حتى ما يسمى "بعلم الهدنة" الذي فرضه الإنكليز على القواسم وغيرهم من القبائل المقيمة على الساحل العربي بعد الحملة البريطانية عام ١٨١٩ يعرف باسم "علم القواسم" انظر:

Lorimer, op. cit., Vol. 2/b. pp. 1547-1548.

www.almajidcenter.org

كان معظم السكان الذين يطلق عليهم اسم الخواطر يقيمون بشكل أساسي في رأس الخيمة، الميناء الرئيس للقواسم[١]، والخواطر جزء لا يتجزأ من قبيلة بني نعيم، التي كان القسم الأكبر من سكانها يقيم في منطقة الظاهرة[٢]. وهناك الشارقة التي تعد ثاني أهم ميناء للقواسم، ومعظم سكانها من عرب قبيلة بني قتب[٣]. والقسم الأكبر من سكان جزيرة الحمراء، وأم القيوين الواقعة بين الميناءين المذكورين آنفاً، هم من قبيلتي الزعاب، وآل علي[٤].

وهناك عجمان التي كان حكامها في تحالف مستمر مع القواسم، وتسودها عائلة من قبيلة البوخريبان[٥]، وهناك الرمس[٦]، وهي ميناء لقبيلة الشحوح[٧]، التي كانت

1 -Kelly, op. cit., p .18.

٢- تقسم قبيلة بني نعيم إلى ثلاثة أفرع رئيسة هي : آل بوخريبان، والخواطر، وآل بوشامس، ويقدر عدد بني نعيم بنحو عشرين ألف شخص، معظمهم من البدو. انظر لمع الشهاب (مرجع سابق)، ص ١٦٧.

٣- بنو قتب : قبيلة كبيرة تنتشر على منطقة واسعة تمتد من سلطنة عمان الحالية إلى الإمارات العربية المتحدة، وتصل حتى الظاهرة. وتقسم هذه القبيلة إلى ثمانية فروع، معظم سكانها من البدو.انظر:

Lorimer, op. cit., Vol. 2/b. pp. 1558-1559.

٤- يسكن قسم من قبيلة الزعاب في سلطنة عمان أيضاً. ويقدر المؤرخون الغربيون عدد أفراد هذه القبيلة بـ ٣٦٥ ألف نسمة يقيمون في الصير و١. ٥ ألف في عمان. انظر:

Lorimer, op. cit., Vol., 2/b. p.1936 .

أما قبيلة آل علي فإن القسم الأكبر من سكانها يقيمون في المدن باستمرار، بينما القسم الآخر، وهم البدو الذين يصل عددهم إلى ١٤٠ عائلة يقيمون في المنطقة الواقعة بين أم القيوين وجزيرة الحمراء. وهناك بعض المصادر تحيد عن الصواب عندما تربط هذه القبيلة بقبيلة بني بو علي في عمان انظر:

Lorimer, op. cit., Vol. 2/-., p. 62 .

5 -Kelly, op. cit., p. 18.

٦- تقع الرمس على بعد ١٠ كم شمال شرق رأس الخيمة. توجد فيها تحصينات طويلة، وخور ضيق، وقد تم استخدامها كمنشآت دفاعية طبيعية.

٧- الشحوح قبيلة بدوية مجهولة الأصل، سكنت الساحل والمناطق الجبلية. ويتميز الشحوح عن جميع من حولهم من العرب ببشرة فاتحة، وشعر أشقر، وعيون زرقاء ، انظر:

Buckingham, op. cit., Vol. 2., p. 355.

وهم يتكلمون لغة هي في الواقع لهجة عربية؛ إلا أن عزلتهم جعلتهم يتكلمون بلهجة خاصة بهم يصعب على القبائل العربية الأخرى فهمها، ولهذا أطلق على لهجتهم اسم " لغة العصافير" ، انظر:

www.almajidcenter.org

متحالفة أيضاً مع القواسم. وخلف الرمس توجد "التلال"، التي يقيم فيها عرب من قبيلتي المزاريع[١]، والحبوس[٢]. والقبائل الرحل الرئيسة التي دخلت في تحالفات مع القواسم هي قبيلة بني قتب، وقبيلة الغفلة[٣].

لم يكن شيوخ القواسم في يوم من الأيام يتمتعون بسلطة مطلقة على القبائل الأخرى. إلا أن الشيخ الأعلى للقواسم كان يتمتع بالسلطة العليا. وكان لكل ميناء، ومدينة، وقرية شيخ يحكم منطقته وفقاً للعادات والتقاليد القبلية. وهذا الشيخ يتبع الشيخ الأعلى. وعند مناقشة قضايا حيوية مهمة، واتخاذ قرارات مهمة يجري عقد جلسة كبيرة تسمى المجلس، يترأسها الشيخ الأعلى، ويحضرها عادة بقية الشيوخ، وكبار رجال القبائل.

وهناك قيود مفروضة على الشيخ الأعلى تمنعه من الاستبداد أو التعسف. وفي مقدمة هذه القيود العادات والتقاليد المتعارف عليها، التي يراعيها الشيخ الأعلى ويحترمها كي يحافظ على ولاء القبيلة له. وعلى الشيخ الأعلى إظهار الحكمة، والشجاعة، والكرم في أعماله وتصرفاته. وعليه أن يكون مرناً في سياسته تجاه القبائل البدوية.

Palgrave, op. cit., Vol. 2., p. 315.

وكان الشحوح يقيمون على الساحل بين رأس الخيمة ورأس مسندم. من أهم موانئ الشحوح : الرمس، خصب، شعم، جعدي. يبلغ عدد أفراد هذه القبيلة ٣١٥٠٠ نسمة منهم ١٤٥٠٠ يعيشون على الساحل والبقية في المناطق الداخلية. انظر:

Lorimer, op. cit., Vol. 2/b., pp. 1005-1010.

١- كانت قبيلة المزاريع تقيم على أراضي الصير وعمان، معظم سكانها يقيمون في أبو ظبي وقسم صغير في دبي، وقسم آخر أقام في منطقة حام ورأس الخيمة، واعترف بالسلطة للقواسم انظر:

Lorimer, op. cit., Vol. 2/b. p. 1204.

٢- الحبوس قبيلة يمنية الأصل تتألف من ١٥ فرعاً انظر:

Lorimer, op. cit., Vol. 2/a., pp. 594-596.

3 -Kelly, op. cit., p. 18.

www.almajidcenter.org

وتكمن أهمية سلطة الشيخ الأعلى للقواسم في أن هذا الشيخ يعد المسؤول الوحيد عن النواحي الاقتصادية والعسكرية. وعليه مراقبة أهم الموانئ التجارية التي تعد مصدر رزق للسكان، بالإضافة إلى ذلك يعد الشيخ الأعلى القائد العام لقوات القواسم البرية والبحرية.

تمتد منطقة نفوذ القواسم في الفترة التي نتناولها بالبحث من رأس مسندم حتى أبو ظبي. ومن أهم الموانئ التي تتبع للقواسم: ميناء رأس الخيمة، الذي يعد القاعدة الأساسية لهم، والشارقة[١]، التي تقع على بعد عدة أميال جنوباً؛ وهناك أيضاً جزيرة الحمراء[٢] والحمرية[٣] وأم القيوين وعجمان[٤].

١- الشارقة مدينة عربية وميناء على الساحل العماني، تبعد عن عجمان مسافة ٥ أميال، وعن رأس مسندم ١٠٠ ميل. وهي تقع على الساحل الشرقي لخليج صغير، يقع مدخله على بعد ميل واحد عن مركز الشارقة. وعند المدخل إلى الخليج يوجد حاجز لا يزيد ارتفاع المياه فيه عن قدم واحد أو قدمين أثناء الجزر؛ ولهذا لا يمكن للمراكب المرور من هنا إلا أثناء المد. ويوجد لمدينة الشارقة سور يحيط بها، عليه العديد من الأبراج للدفاع عن المدينة. انظر:

Lorimer, op. cit., Vol. 2/b. pp.1761-1762- .

٢- تسمى جزيرة الحمراء أحياناً بجزيرة الزعاب أيضاً. وهي جزيرة وقرية في إمارة الشارقة، تقع على بعد ١٢ ميلاً جنوب غرب رأس الخيمة. يبلغ طول الجزيرة ميلين، وتمتد بموازاة الساحل وهي ضيقة جداً. معظم سكانها من قبيلة الزعاب انظر:

Lorimer, op. cit., Vol. 2/a., pp. 622-623.

٣- تقع الحمرية على ساحل عمان المتصالح، على بعد ٨ أميال جنوب غرب مدينة أم القيوين، و٦ أميال شمال شرق مدينة عجمان، وهي تقوم في الناحية الشمالية لرافد صغير، ويحميها حصن على الشاطئ فضلاً عن عدة أبراج. السكان المقيمون فيها أكثرهم من آل بوشامس من النعيم .

Lorimer, op. cit., Vol. 2/a., pp. 52-53.

٤- تقع عجمان على بعد خمسة أميال شمال شرق الشارقة. وتقع على الجانب الجنوبي من مدخل خليج صغير. يوجد فيها سد رملي تعلوه المياه لارتفاع لا يزيد عن خمسة أقدام في حالة المد. سكانها من النعيم، وآل بومهير، وكذلك من عدد من القبائل الصغيرة. انظر:

.Lorimer, op. cit., Vol. 2/a., pp. 52-53. .

www.almajidcenter.org

تنتهي ممتلكات القواسم بالقرب من دبي، حيث تسود سلطة بني ياس، التي تعد ثاني أكبر قبيلة في منطقة الصير[١]. وقد حدث أن قوة القواسم ازدادت في فترة لدرجة أنهم استطاعوا إخضاع قبيلة بني ياس. وهذا ما يؤكد عليه البسام عندما يقول: ". . . وأما بدو عمان فقد كان بينهم حلف قبيلة بني ياس، التي خضعت للقواسم" ، ويقول في مكان آخر: "إن بني ياس كانوا يتبعون للقواسم، سكان رأس الخيمة، وإن المنطقة الواقعة بين الباطنة وقطر هي تحت سلطة القواسم المعروفين"[٢].

ويؤكد هذا القول البحارنة، المؤرخ العربي الخبير بتاريخ الخليج العربي، الذي يقول بأن الإمارات السبع الحالية كانت مأهولة بقبائل عربية مختلفة، تعترف بالسلطة العليا للقواسم الذين يشكلون أكبر قوة عربية[٣]. ونفوذ القواسم لم يقتصر على هذه المنطقة فقط، بل امتد إلى الساحل المقابل ليشمل مدن: كونك[٤]، ولنجه[٥]، وقسماً من جزيرة قشم[١].

١- لا تعد قبيلة بني ياس قبيلة واحدة، وإنما تتألف من نحو عشرين فرعاً مختلفاً بين كبير وصغير، وتنتشر على مساحة كبيرة : من قطر حتى دبي. القسم الأكبر من هذه القبيلة يقطن أبو ظبي، والمناطق المجاورة لها، وكذلك في الظفرة. تعود السلطة فيها لأحد الأفرع الصغيرة، آل بوفلاح. والأفرع الأساسية التي تشكل بني ياس هي قبائل الهوامل، والمحاربة، وآل بو فلاسا (الرواشد)، وآل بومهير، والقبيسات، والرميثات، والمزاريع، والمشاغين. يقع المقر الأساسي لبني ياس في أبو ظبي. تختلف القوة الأساسية لبني ياس عن قوة القواسم، فإذا كانت القوة الأساسية للأخيرين تكمن في قوتهم البحرية، فإن القوة الأساسية للأولين تكمن في قوتهم البرية. انظر

Kelly, Bahrain Policy in the Persian Gulf (1813-1843). Thesis for a Ph. D., London University, 1956. pp. 21, 22.

وكذلك انظر:

Kelly, Eastern Arabian Frontiers. L., 1964. p. 36.

٢- البسام، الشيخ محمد (مرجع سابق)، ص ٣٨، و٣٩.

3 - Albaharna, op. cit., p. 38.

٤- كونك مدينة على الساحل الفارسي، تبعد أربعة أميال شمال شرق لنجه. توجد في الطرف الغربي للمدينة قلعة تحيط بها المياه أثناء المد. وقد كانت كونك في القرون الوسطى ذات أهمية إستراتيجية كبيرة .انظر:

Lorimer, op. cit., Vol. 2/b. pp. 1040-1041 .

٥- لنجه، مدينة كبيرة على الساحل الفارسي. يوجد على بعد ٤ أميال عنها ميناء يصل عمق المياه فيه إلى ٩ أمتار. معظم سكان لنجه من العرب الذين هاجروا إليها من الساحل العربي، وتعد المدينة نفسها من أحد مراكز استخراج اللؤلؤ، انظر:

www.almajidcenter.org

في النصف الثاني من القرن الثامن عشر أخضع القواسم هذه المناطق إلى نفوذهم ، مما جعل قوتهم في تزايد مستمر. ويشير كارستن نيبور في حديثه عن قوة القواسم في العقد السابع من القرن الثامن عشر إلى أن شهرة أمير الصير أتت من كونه أحد كبار حكام البحر في هذه المنطقة، وأن أتباعه يشتغلون في الملاحة، ويمارسون التجارة البحرية[٢] .

الظروف الطبيعية لمنطقة القواسم:

استوطن القواسم في جزء كبير من ساحل الخليج العربي، الذي أطلق عليه المستعمرون الإنكليز في البداية اسم ساحل القرصنة، وساحل القراصنة[٣]، وفيما بعد أطلقوا عليه اسم الساحل المتصالح، وعمان المتصالحة[٤]. وكان العرب يسمون هذه المنطقة منذ القديم باسم الشمال[٥]، و الصير[٦] . وهذا الساحل يزيد طوله عن ١٣٠ ميلاً ابتداءً من المدخل إلى الخليج العربي بالقرب من رأس مسندم، وانتهاءً بقرب شبه جزيرة قطر[١].

Lorimer, op. cit., Vol. 2/b. pp. 1097-1098.

يقول المؤرخ الإنكليزي وينفهام عن لنجه إنها إحدى القواعد الرئيسة للقواسم، وكان يحكمها شيخ من القواسم حتى عام ١٨٨٧، حيث انتقل حكمها إلى الحكام الفرس.

List of Marine Records of the Late East India Company. L., 1896.p 38.

١- أطلق البرتغاليون على جزيرة قشم اسم جزيرة "كيكسومو" والإنكليز كسمس نسبة لاسم نوع من العنب ينمو في الجزيرة. ولعل الاسم جاءها نسبة لاسم قبيلة كانت تقيم فيها تسمى، قاسم . انظر:

Niebuhr. C.; op. cit., Vol. 2., pp.117 , 124, 141 .

2 - Niebuhr, op. cit., Vol. 2., p.124.

٣- كان الساحل الذي يسكنه القواسم يسمى خلال الفترة التي تناولها بالدراسة بساحل القراصنة، وذلك وفقاً للوثائق البريطانية. وكان هذا الاسم يطلق في البداية على المنطقة الممتدة من الرمس في الشمال حتى دبي في الجنوب، ومن ثم جرى استخدام هذا الاسم كإشارة إلى كامل الساحل العربي حتى قطر.

٤- عرف الساحل باسم عمان المتصالحة منذ عام ١٨٥٣، عندما جرى التوقيع على ما يسمى معاهدة السلام الدائم بين الإنكليز والشيوخ العرب.

٥- استخدمت تسمية الشمال للدلالة على أن هذه المنطقة تقع في شمال عمان.

٦- الصير: هي التسمية القديمة لقسم من ساحل يمتد لمسافة ١٢ ميلاً من جنوب الرمس حتى رأس الخيمة. يحد هذا الساحل من الشرق جبال عمان، ومن الغرب البحر، ومن الشمال رأس الخيمة. وقد كانت جميع المناطق القريبة من رأس الخيمة تسمى في الرسائل القديمة والوثائق البريطانية باسم الصير أو جلفار، انظر:

www.almajidcenter.org

يعد رأس مسندم عملياً طرفاً من أطراف شبه جزيرة رؤوس الجبال، ورؤوس الجبال تعني سلسلة جبلية ترتفع عن سطح الأرض نحو ٢٥٠٠ قدم، وتمتد لمسافة ١٥ - ٢٠ ميلاً. وهذه الجبال تنتهي في الشمال بجزر صخرية صغيرة آخرها رؤوس الجبال. ويتخلل هذه السلسلة الجبلية عدد من الخلجان والأخوار، أكبرها وأهمها: في الجهة الغربية خور شعم، ويقع على بعد ١٤ ميلاً عن رأس مسندم، ويصل طوله إلى نحو ١٠ أميال، وعرضه من ٥٠ إلى ١٥ ميل، وارتفاع ساحله يصل إلى ٣٠٠٠ قدم، وعمقه بحدود ١٧ ساجناً. ومدخله ممر يقع بين صخور بازلتية سوداء[٢].

وفي الجهة الشرقية من السلسلة الجبلية يقع خليج غبة الجزيرة، الذي يصل عرضه عند المدخل إلى ٣ أميال، وطوله ٩ أميال، ويصل عمقه إلى ٣٦ ساجناً[٣]. وكثيراً ما كان القواسم يستخدمون هذين الخليجين كمخابئ مستورة لسفنهم، وللانقضاض على السفن المعادية فجأة[٤].

تقسم المنطقة التي قطنها القواسم إلى قسمين: الأول، منطقة تعرف برؤوس الجبال التي سكنتها قبيلة الشحوح، التي كانت تعمل في الزراعة. ولم تكن موارد هذه المنطقة تكفي

Lorimer, op. cit., Vol. 2/b. pp. 1825-1826.

يقدر المؤرخ البريطاني تشسني مساحة هذه المنطقة بـ ٦٠ ألف كم٢، وعدد سكانها بنحو ٣٠٠ ألف نسمة. انظر:

Chesney, F. R., op. cit., Vol. 2., p. 645.

١- يمكن تحديد المدخل إلى الخليج العربي بالمسافة المائية الممتدة من بندر عباس في الشمال ورأس مسندم في الجنوب، التي تزيد عن خمسة أميال، مع أن المسافة من لارك حتى رأس مسندم لا تزيد عن ثلاثة أميال. ومن الواضح تماما إن من يستطع التحكم بهذه النقاط الإستراتيجية المهمة يسيطر تماماً على الوضع في مياه الخليج العربي. والواقع أنه جرت معارك ضارية بين مختلف القوى المحلية والأوروبية على مدى قرون عديدة من أجل السيطرة على مضيق هرمز

2 - Low، op. cit., P .1693 .

3 -Lorimer, op. cit., Vol. 2/a., p. 580.

٤- أجريت دراسة ومسح لهذين الخليجين (خور شعم، وغبة الغزيرة) بعد الحملة البريطانية على القواسم سنة ١٨١٩ - ١٨٢٠.

www.almajidcenter.org

لسد حاجات السكان؛ لأن المحاصيل الزراعية ترتبط بتقلبات الطقس بشكل كبير. والقسم الثاني منطقة تعرف بالمنطقة الساحلية وتمتد من الرمس في الشمال إلى دبي في الجنوب.

وهذه المنطقة عبارة عن أرض سهلية، تحدها من الشرق الجبال، ومن الجنوب واحة البريمي[1]. ويوجد في هذه المنطقة العديد من الخلجان والأخوار والبحيرات الصغيرة. وقد كان القواسم الذين قطنوا هذه المنطقة يشتغلون بالمهن البحرية والزراعة.

تعد رأس الخيمة التي تحتل موقعاً إستراتيجياً هاماً في المنطقة قاعدة القواسم الرئيسة، ومقراً لشيخهم. وقد كانت هذه المنطقة محصنة بقوة، ومحاطة بسور كانت تعلوه أبراج دفاعية. وقد قامت القوات البريطانية بتدميره أثناء الحملة التي جردتها ضد رأس الخيمة في سنة ١٨٠٩.

يصف ج. بكنجهام رأس الخيمة التي وقعت فيها أحداث، وكان شاهد عيان عليها، عندما رافق وليام بروس (William Bruce)، المقيم البريطاني في بوشهر عام ١٨١٦ بالقول إن المدينة تمتد طولاً لمسافة نصف ميل تقريباً، وعرضها بين ساحل البحر وساحل الخليج ربع ميل. . . وأكثر النقاط تحصيناً فيها، قلعة مربعة الشكل، تقع في القسم الشمالي الشرقي، وقلعة أخرى دائرية الشكل مزودة ببرجين تقع بالقرب من مركز المدينة. والقلعتان مجهزتان بمدافع، وتوجد في الأبراج طلاقات لرماة البنادق. وتتألف بقية أقسام

١- البريمي: واحة تقع في سهل يقع إلى الشمال من الظاهرة بالقرب من منطقة سفوح الجبال الغربية. وهي تبعد ٦٥ ميلاً إلى الغرب من صحار، و٨٥ ميلاً إلى الشرق من أبو ظبي. هي على شكل دائرة قطرها ٦ أميال. وفي الواحة كمية كبيرة من المياه تصل إليها من جبال الحجار، وجبل حفيت عبر قنوات تحت الأرض وكان عدد القرى في البريمي عشراً، يقطنها ٥٥٠٠ نسمة، ومعظم هؤلاء السكان من قبيلة بني نعيم، والظواهر، وبني جابر. وبني ياس . انظر:

- Lorimer, op. cit., Vol. 2/a., pp. 260-264. ;
- Kelly، op. cit., p .17

www.almajidcenter.org

المدينة من أبنية حجرية، وأكواخ من سعف النخيل. أما الطرقات فيها فتتميز بأنها ضيقة وملتوية[١].

يبلغ عدد سكانها حالياً عشرة آلاف رجل على الأقل[٢]. يستطيع نحو ثلاثة آلاف رجل منهم حمل السلاح، وخوض المعارك، ونصف هؤلاء من زنوج إفريقيا[٣].

الوضع الاقتصادي للقواسم:

اعتمد القواسم في كسب رزقهم على البحر؛ بسبب ظروف البيئة القاسية التي يعيشون فيها، وفي البحر مارسوا نشاطهم الاقتصادي والسياسي، وقد ساعدهم على ذلك طبيعة ساحلهم الذي يمتاز بكثرة أخواره وخلجانه التي استفاد منها العرب كموانئ طبيعية.

امتهن القواسم صيد السمك، واستخراج اللؤلؤ، والتجارة البحرية. وكانت لهم مشاركة فعالة في التجارة في منطقة الخليج العربي، وكثيراً ما كانوا يقومون برحلات بحرية إلى الهند وشرق إفريقيا بهدف التجارة[٤]. وقد قال بكنجهام عن القواسم إنهم يتميزون عن

١- هناك شاهد عيان آخر يصف هذه الطرقات بالقول إنها "ممرات ضيقة تتلوى بين المنازل كالأفعى. . . وكأنها صممت حتى تكون متاهة لغريب غير مرغوب فيه "انظر:
Mansur, Shaikh ,Maurizi Vincenzo. op. cit, p. 212.

٢- يقدر "بلغريف" عدد سكان البريمي بخمسة آلاف نسمة، انظر:
Palgrave, op. cit., Vol. 2., p. 313.
أما "لو" فيؤكد أن عدد السكان يتراوح بين أربعة آلاف وخمسة آلاف نسمة، انظر:
Low, op. cit., Vol. 1., p. 311.

3 -Buckingham, op. cit., Vol. 2, pp. 351-352.

4 - Kelly, op. cit., p. 23.

www.almajidcenter.org

بقية القبائل بمهارتهم في أداء أعمالهم، ونشاطهم، ووفائهم بالعهود. وهذا ما يجعل الكثيرين يفضلون التعامل معهم، وسمعة القواسم تفوق سمعة أية قبيلة أخرى في الخليج العربي[١].

أما إيتشيسون فيقول عنهم إنهم مارسوا التجارة البحرية بنشاط، وقد عاد عليهم ذلك بالأرباح حتى عام ١٨٠٥[٢]. ويؤكد ذلك أيضاً "ف. واردن" السكرتير الأول في مجلس بومباي إذ يقول: "عمل القواسم في التجارة البحرية المربحة في السبعينات من القرن الثامن عشر. . . "[٣]. ويؤكد نيبور أن حجم تجارة القواسم كان كبيراً[٤].

وإلى جانب النشاط الذي يحمل الطبيعة الاقتصادية الصرفة كان القواسم يقومون بعمليات قرصنة بحرية، ويخوضون معارك ضد عرب آخرين، ومثل هذه الأعمال كانت تعد من مصادر دخلهم. وعندما كان القواسم يهاجمون السفن المعادية العابرة كانوا يأخذون منها ما يفتقر إليه سكان حلفهم القبلي من السلع التي يصعب عليهم شراؤها، بسبب الفقر الذي يعانون منه.

يقول وايتلوك، أحد الضباط الإنكليز الذين شاركوا في الحملات والمعارك التي شنتها القوات البريطانية ضد القواسم، في تفسير له لأسباب المعارك البحرية الكثيرة التي وقعت في منطقة الخليج العربي:

"إن طباع سكان هذا الساحل إنما هي نتيجة طبيعية لنمط حياتهم وحرفتهم، فهم يقومون بصيد الأسماك والغوص بحثاً عن اللؤلؤ. إلا أن ذلك كان يقتصر على بضعة

1 - Buckingham, op. cit., Vol. 2, p. 210.
2 - Aitchison, op. cit., Vol. 12, p. 152.
3 - Warden, Francis. op. cit., p. 301.
4 - Niebuhr, op. cit., Vol. 2, p 124.

www.almajidcenter.org

أشهرفقط من السنة؛ إذ أن العواصف البحرية التي تهب في الشتاء كانت تحول دون خروجهم للغوص لاستخراج اللؤلؤ إلا من منطقة الخلجان.

ونظراً لأن القواسم لا يعملون في الزراعة فقد كانت البطالة منتشرة بينهم، وهي التي تدفعهم إلى القيام بأعمال العنف ومنها السلب والنهب ضد بعضهم البعض. وكان العديد منهم يتقنون استعمال السلاح جيداً، كونهم ألفوه منذ نعومة أظفارهم، كما ألفوا الأعمال الشاقة والخطيرة. وقد عانوا من شتى أنواع الحرمان، وهذا كله جعلهم يشبوا شجعاناً مغامرين"[١].

كان افتقار القواسم إلى مصادر الحياة الأساسية كالماء والغذاء، وتواجدهم في منطقة تقاطع الطرق التجارية النشطة من الأسباب التي أدت إلى انتشار القرصنة واندلاع المعارك، وجعلها ظاهرة مقبولة لدى سكان المنطقة، ولا سيما إذا كانت المعارك تدور بين غني وفقير. وكثيراً ما كان المؤرخون الإنكليز في القرنين التاسع عشر والعشرين يتخذون ذلك ذريعة ليبرروا كل ما كان يقوم به المستعمرون[٢].

تجدر الإشارة هنا إلى أن الغارات البحرية كانت تعكس جانباً هاماً يامثل بحيوية القواسم العالية والشجاعة، والبسالة التي لا حدود لها، والتي كانت من صفاتهم. وقد وصف ولستد القواسم بأنهم شعب يحب المغامرة؛ فقد قال في ذلك: يجد المقاتل فيهم لذة كبيرة في إظهار بطولته، وهو يستخف بالموت ويتحدى المخاطر. ولهذا فإن بهجة الصراع والحصول على غنائم ثمينة، مكافأة على الشجاعة والبسالة، تعد بالنسبة للقاسمي من الإغراءات التي لا يمكن مقاومتها[٣].

1 - Kelly, op. cit, p. 29.
2 - Landen, op. cit, p. 8.
3 - Welsted, J. R. Travels to the City of the Caliphs. 2 vols., L.,1840. Vol.1.p. 99.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

ويصف ولستد شجاعة القواسم في أحد مؤلفاته بالقول إن أعلى درجات الشجاعة يُظهرها القواسم من أجل إثبات الصفات التي أُطلقت عليهم؛ فإذا ما وقعوا في الأسر فإنهم يستسلمون للمصير الذي يوقعونه بالآخرين. وإذا ما وجه سؤال إلى من يقع منهم في الأسر عن المصير الذي يتوقعه لأجاب بجرأة متناهية: "الموت السريع الذي كنا سننزله بكم لو أن مصيركم كان بأيدينا"(١).

ويؤكد ج. فريزر على صفة الشجاعة التي يتحلى بها القواسم بقوله: " إن روح الجرأة والشجاعة التي لا حدود لها، التي يظهرها القواسم تلفت النظر بشكل كبير"(٢).

عند الحديث عن الهجمات البحرية والمعارك التي شهدتها منطقة الخليج العربي، تجدر الإشارة إلى أن ذلك كان من الظواهر الطبيعية الشائعة المتعارف عليها، وأن العديد من الدول الأوروبية قامت بتنفيذها أيضاً، ولا سيما المستعمرون الإنكليز. لقد كانت المعارك البحرية، والقرصنة(٣) وسيلة معترفاً بها في العلاقات بين الدول المتعادية حتى سنة ١٨١٥(٤).

1 -Welsted, J. R. Travels in Arabia. Vols. L. 1838,vol 1. p. 248 .

2 -Franklin, W. Observations made on a Tour from Bengal to Persia, in the years 1786-1787. L. 1790 .

٣- يمكن إيجاد معلومات عن القراصنة الإنكليز في انظر:

Martin, M. Dispatches, Minutes and Correspondence of the Marquess Wellesley. 5 vols., L. 1836.pp. 306,389,390.

كما يمكن إيجاد معلومات عن القرصنة الفرنسية في الشرق وفي الخليج العربي في انظر:

Miles, Countries and Tribes of the Persian Gulf. 2 vols., L., 2nd imp., 1966 . pp. 268-270.;

Belgrave, op. cit., pp. 277,278,296.

4 - Miles, op. cit, pp.268-270, 174, 177.

www.almajidcenter.org

العلاقات القاسمية – العمانية:

المرحلة الأولى (١٦٢٤-١٧٤٩):

على الرغم من أن موطن القواسم كان يتبع لسلطة عمان المركزية اسمياً، فإن قبائل هذه المنطقة كانت تتمتع بدرجة كبيرة من الاستقلالية، وكانت الخاصية السياسية لعمان آنذاك قيام سلطاتها المركزية بعقد اتفاقيات مع الشيوخ، والزعماء المحليين تخولهم حق إدارة شؤون عدد من المناطق على أن يتم الاعتراف لهم بسيادة عمان عليها. ومن هذه المناطق منطقة الصير، والجاو، ويبرين، وظفار[١].

استطاع ناصر بن مرشد، مؤسس سلالة اليعاربة الحاكمة في عمان، إحراز بعض النجاحات في توحيد عمان بجهوده الخاصة بعد أن بسط سلطته على منطقة جلفار (رأس الخيمة). وعندما بلغ اتحاد القواسم القبلي أعلى درجات القوة والازدهار كانت هذه المنطقة في تبعية اسمية لسلطنة عمان.

ولعل من أبرز الأحداث في نشاط القواسم السياسي في فترة تبعيتهم لعمان اشتراكهم في سنة ١٧١٧ مع الإمام سلطان بن سيف الثاني بغزو البحرين، وقشم، ولارك، وكذلك محاولة الاستيلاء على هرمز[٢]، وفشلهم في ذلك على الرغم من تمكنهم من فرض حصار عليها مدة ثلاثة أشهر[٣].

١- قاسم، جمال زكريا : دولة آل بو سعيد في عمان وشرق أفريقيا (١٧٤١-١٨٦٤)، القاهرة، ١٩٦٧.- ص ٥٩ .

2 - Lockhart, L. The Fall of the Safavi Dynasti and the Afghan Occupation of Persia. Cambridge, 1958. p. 115.

٣- يشير "لوكهاردت " إلى أن حصار هرمز امتد سبعة أشهر. انظر:

Lockhart, op. cit, p. 494.

www.almajidcenter.org

وبعد عام ١٧١٨ شهدت عمان حرباً أهلية بسبب النزاع على الإمامة، وعندها وقف القواسم وأنصارهم إلى جانب الغافرية ، وشاركوا في عدة صدامات مسلحة ضد الهناوية[١].\

وفي سنة ١٧٢٤ جرى انتخاب محمد بن ناصر، كبير قبيلة بني غافر إماماً لعمان بمساندة القبائل النزارية، والقواسم . وقد جوبهت هذه الانتخابات بمعارضة شديدة مسلحة أبدتها القبائل الشمالية، أو اليمنية، التي أيدت انتخاب خلف بن مبارك، شيخ قبيلة بني هنا إماماً.

وأثناء المواجهة طلب محمد بن ناصر النصرة من حاكم منطقة رأس الخيمة رحمة بن مطر القاسمي. (وهذا الشخص أول زعيم بارز للقواسم يرد ذكره في المراجع العربية والأجنبية). وهو من يقول عنه سليل بن رزيق إنه أقوى زعيم من زعماء القبائل على ساحل الشمال[٢].

استجاب شيخ القواسم لطلب إمام عمان ونصره بفرقة قوامها أربعة آلاف مقاتل بقيادة خميس بن مطر الهولي[٣]. وهنا يشير المؤرخ سليل بن رزيق إلى أن معظم أتباع رحمة بن مطر القاسمي لا يعرفون العربية بشكل جيد، كونهم من الشحوح[٤]. وهذا إن دل على شيئ فإنما يدل على أن الشيخ القاسمي تمكن من مركَزَة سلطته، وبسطها على كامل شبه جزيرة رؤوس الجبال. والذي ساعده على ذلك كثيراً الاضطرابات الداخلية والحرب الأهلية التي اندلعت في عمان آنذاك.

1 - Miles, op. cit, p. 241.
2 - Badger, op. cit, p. 18.
3 - Miles, op. cit, p. 243.
4 - Badger, op. cit, p. 3

www.almajidcenter.org

عندما قامت فارس بحملات عسكرية على عمان، لزم القواسم الحياد، واتخذوا موقف المراقب. وهذا يدل على أن الشيخ رحمة بن مطر القاسمي أبدى ولاءً واضحاً لفارس في عامي ١٧٣٧ – ١٧٣٨ . إلا أن الفرس لم يرضوا عن هذا الموقف الذي اتخذه القواسم.

وكانوا يرون أن القواسم يمكن أن يتحدوا مع العمانيين ويهاجموا الساحل الفارسي. وهذا ما حدث بالفعل عندما خطط حاكم عمان، الذي توجد لديه تسع سفن كبيرة للهجوم على إحدى الجزر القريبة من الساحل الفارسي واحتلالها، ومن ثم الهجوم على بندرعباس[1]

المرحلة الثانية (١٧٤٩-١٨٠٠):

اتسمت العلاقات بين القواسم و آل بوسعيد في عمان، التي أسسها أحمد بن سعيد بالعداء الواضح فيما بينهم. وقد خاض الطرفان العديد من الحروب الضارية فيما بينهم. وهذا العداء استمر طيلة النصف الثاني من القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر.

وكان السبب الرئيس في هذا الصراع الطويل، بالإضافة إلى الخلافات القبلية والطائفية، رغبة الطرفين في إحراز التفوق في السيطرة على البحر. وهذا لا يمكن تحقيقه دون السيطرة على المدخل إلى الخليج العربي، وجزر الساحل العربي التي تمتاز بأهمية إستراتيجية.

ومما لا شك فيه أن هناك أسباباً اقتصادية لمثل هذه الرغبة؛ ذلك أنه إذا تمكن أحد الطرفين من السيطرة على البحر، فذلك يعني أنه قادر على التحكم بالتجارة البحرية، وجني الكثير جداً من الأرباح التجارية. ومن أسباب العداء بين الطرفين أيضاً وقوف القواسم إلى جانب بلعرب بن حمير في الفترة من ١٧٤٥ إلى ١٧٤٩، وتشكيل إحدى القوى الأساسية

1 - Lorimer, op. cit., Vol. 1 /a., p. 40.

www.almajidcenter.org

التي هاجمت مسقط لانتزاعها من أحمد بن سعيد، ومشاركتهم الفعالة أيضاً في الهجوم على مدينة صحار؛ وهزيمة قوات أحمد بن سعيد على يد القواسم في عام ١٧٤٥ في منطقة الباطنة[١].

في سنة ١٧٤٩ أصبح أحمد بن سعيد الحاكم الوحيد لعمان، وعندها قرر وضع حد لأعدائه القواسم، وبدوره دفع رحمة بن مطر القاسمي بقواته إلى صحار مقرراً مهاجمتها مرة أخرى. إلا أن قواته اصطدمت وهي في طريقها إلى المدينة بالقوات العمانية في وادي حام، وجرت معركة، لم تسفر عن انتصار أي من الطرفين. وهذه النتيجة لم تعد بالمجد إلى الإمام أحمد بن سعيد، ولم تزد شيئاً من هيبته[٢]. إلا أن انتهاء المعركة بهذا الشكل منح القواسم فرصة لالتقاط أنفاسهم.

بعد أن تمكن أحمد بن سعيد من تعزيز سلطته في عمان، وفرض سيطرته الكاملة على القبائل العمانية، قرر توجيه ضربة قاضية إلى القواسم. وفي عام ١٧٥٩ حشد قوات بحرية وبرية كبيرة، وهاجم منطقة خصب، التي استسلم شيخها دون أية مقاومة.

بينما كان الإمام أحمد بن سعيد في منطقة خصب، وصلته أنباء عن وقوع اضطرابات وتمرد في المناطق الشرقية، قام بتنظيمها أفراد من سلالة اليعاربة التي كانت تحكم في السابق.

وعلى الفور أصدر أحمد بن سعيد أوامره إلى خلفان بن محمد بقيادة القوات ومواصلة التقدم إلى رأس الخيمة، وعاد إلى جعلان، حيث جمع قوات جديدة من القبائل الأخرى وقمع التمرد[٣]. غير أن خلفان بن محمد أخفق في إحراز أي نصر على القواسم، أو تكبيدهم أية خسائر، مما اضطر الإمام أحمد للعودة إلى أرض المعركة ثانية.

1 - Miles, op. cit., p. 263.
2 - Lorimer, op. cit., Vol. 1 /a., p. 410.
3 - Miles, op. cit., p 269.

www.almajidcenter.org

وعند وصوله إلى خصب، أسند قيادة القوات إلى قائد أكثر قوة من خلفان يدعى علي بن سيف، وأمره بالتوجه إلى منطقة الصير على رأس أسطول مكون من ١٤ سفينة، ومحاصرة موانئ القواسم الرئيسة.

وقد نجح علي بن سيف في تنفيذ أمر الإمام أحمد بفرضه حصاراً شديداً على رأس الخيمة والشارقة وفشت وجزيرة الحمراء، وقد حال الحصار دون إمكانية دخول أية سفينة إلى الموانئ المحاصرة من أجل التجارة، أو الخروج منها من أجل صيد اللؤلؤ.

ونتيجة لذلك اضطر شيوخ هذه الموانئ في عام ١٧٦٢ للاعتراف بسلطة الإمام عليهم، باستثناء ميناء رأس الخيمة[١]، حيث صمد القواسم بقوة متحدين الحصار، حتى أنهم كانوا في بعض الأحيان ينفذون هجمات جريئة بقيادة ابن الشيخ القاسمي، صقر بن راشد برفقة عمه عبد الله على القوات التي تحاصرهم.

وفي عام ١٧٦٣ بدأت القبائل الرحل المتحالفة مع القواسم تهدد العاصمة العمانية، مدينة الرستاق[٢]، وتشكل موقفاً أجبر أحمد بن سعيد على الدخول في مفاوضات مع القواسم.

وفي نهاية هذا العام جرت المفاوضات في الرستاق، حيث مثّل جانب القواسم فيها صقر بن راشد وعمه عبد الله بن مطر، بينما مثّل الجانب العماني الشيخ محمد بن علي، وأحمد بن سعيد. واتفق الجانبان على أن ينسحب الأسطول العماني، ويعترف الإمام باستقلال رأس الخيمة[٣]، وبالمقابل يعترف القواسم بسلطة الإمام على بقية موانئهم[٤].

1 - Saldanha, op. cit., p. 7.
2 - Hawley, The Trucial States. L., 1970. p. 88.
3 - Abu Hakima, op. cit., p. 77.
4 - Saldanha, op. cit., p. 8.

www.almajidcenter.org

وعلى الرغم من إبرام هذا الاتفاق فإن الشيخ راشد بن مطر سرعان ما أعاد بسط سلطته على منطقة الصير بكاملها: من خور خورفكان إلى رأس مسندم شرقاً، وعلى كامل ساحل الخليج العربي حتى الشارقة غرباً[١].

استمر الصراع بين العمانيين والقواسم حتى سنة ١٧٧٢، عندما اتحد الطرفان لمواجهة خطر كريم خان الفارسي. فقد حاول هذا الأخير السير على نهج سلفه نادر شاه في سياسته التوسعية[٢]، بعد أن عزز سيطرته على شيراز. ونظراً لأن أحمد بن سعيد كان يتطلع أيضاً لفرض السيطرة العمانية على الخليج العربي، فقد كان لا بد وأن تصطدم سياسة كريم خان مع أفكار أحمد بن سعيد الطموحة. وعندها وقف القواسم إلى جانب العمانيين.

يعود السبب في تجدد الخلاف بين العمانيين والفرس إلى مطالبة الشاه للعمانيين بدفع الإتاوة التي كان يدفعها أحمد بن سعيد إلى نادر شاه في السابق. الأمر الذي رفضه الإمام. وذكر في رده على الحكومة الفارسية في هذا الخصوص:

" إن قوة نادر شاه تختلف كل الاختلاف عن قوة كريم خان. فإن كان الأول ممن يُخشى جانبهم فإن الثاني ينظر إليه بازدراء. الأول كان قاهراً لفارس، أما الثاني فلا يزيد عن كونه نائباً على ولايتين أو ثلاث. وإذا كان كريم خان يجد في نفسه المقدرة على تحقيق ما يريد فسوف يجابه بالمدافع والقنابل. . . . "[٣].

كان العرب في هذه الظروف المبادرين في المعركة، وقد شن راشد بن مطر، بالاشتراك مع خلفان بن محمد، حاكم مسقط هجوماً على بندر عباس، ودمر سفينتين

1 - Hawley, op. cit., p. 88.
2 - Saldanha, op. cit., p. 310.
3 - Lorimer, op. cit., Vol. 1 /a., pp. 411-412.

www.almajidcenter.org

حربيتين، ومستودع أسلحة في لنجه[١]. وبعد هذا الهجوم توجه الأسطول العماني إلى رأس الخيمة[٢]. وبقي شيخ القواسم حليفاً للإمام في حربه مع الفرس حتى سنة ١٧٧٤، عندما وجه كريم خان أوامره إلى الشيخ ناصر، حاكم بوشهر القاضية إما بتنشيط أعماله القتالية، أو التوصل إلى اتفاق مع العمانيين[٣]. وعندها وضع الفرس شروطاً للاتفاق مع العمانيين. إلا أن الإمام أحمد بن سعيد رفض الاستجابة لها، كما رفض دفع الإتاوة[٤].

تجدد القتال في سنة ١٧٧٥ بين أحمد بن سعيد، وراشد بن مطر، الذي ازدادت قوته البحرية والبرية بشكل كبير[٥]. إلا أن هذا القتال لم يكن شديداً حتى عام ١٧٧٧، عندما استلم صقر بن راشد زعامة القواسم خلفاً لأبيه راشد بن مطر الذي تقدمت به السن.

وفي شهر يوليو عام ١٧٧٨ استولى القواسم على عدد من السفن الفارسية بحجة أنها محملة ببضائع للإمام أحمد بن سعيد. وازداد نشاط السفن القاسمية في المنطقة لدرجة كبيرة، حتى أنهم أخذوا ينافسون ميناء مسقط العماني في التجارة، بل وحاصروا الأسطول العماني لفترة من الزمن.

نتيجة للنشاط المتزايد لسفن القواسم، وتهديدهم لعمان قام أحمد بن سعيد بحملة بحرية كبيرة ضد رأس الخيمة. وأثناء الحملة اقترب أسطول عماني مؤلف من اثنتي عشرة سفينة كبيرة، ومائة سفينة صغيرة إلى ميناء القواسم الرئيس، إلا أن ضحالة المياه حال دون تقدم السفن العمانية لأكثر من ميلين أو ثلاثة عن الساحل، مما أبطل مفعول مدافعها. وكان ذلك سبباً رئيساً من الأسباب التي أدت إلى إخفاق الحملة، واضطرار أحمد إلى الانسحاب.

1 - Saldanha, op. cit., p. 301.
2 - Lorimer, op. cit.+ Vol. 1 /a., p. 633.
3 - Miles, op. cit., p. 271.
4 - Lorimer, op. cit., Vol. 1 /a., p. 412.
5 - Saldanha, op. cit., p. 301

www.almajidcenter.org

رد الشيخ صقر بن راشد على تحرك أحمد بن سعيد بزحف على منطقة الباطنة على رأس عدد كبير من قواته البرية، وفرض حصاراً على الرستاق. إلا أنه أخفق أيضاً في تحقيق أي نصر، فعاد مسرعاً إلى رأس الخيمة.

وفي عام ١٧٧٩ خاض الطرفان المتعاديان معارك ضارية. وعندها فرضت سفن القواسم حصاراً شديداً على منطقة الخليج العربي، وأخذت تجوب مياه الخليج، وتغرق أية سفينة عمانية تصادفها.

واستمر الوضع على هذه الحال حتى سنة ١٧٨٥. ونتيجة لذلك تحولت المنطقة إلى مسرح للأعمال القتالية بين أكبر قوتين عربيتين. ومما يؤكد ذلك أنه جرى أثناء سير الأعمال القتالية أسر عدد من السفن العائدة لشركة الهند الشرقية البريطانية، ومصادرة حمولتها.

وهذا ما دعا الإنكليز لوصف هذه الأعمال بالقرصنة متناسين أن سفنهم كانت تتجاهل الحصار المفروض وتتواجد في المنطقة التي كانت تدور فيها الأعمال القتالية.

في النصف الأول من الثمانينات أحرز القواسم تفوقاً ملحوظاً على منافسيهم سواء في البر، أو البحر. وقد أدى ذلك إلى حدوث هيجان واضطرابات داخل عمان، ونزاع على الحكم[1].

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الإمام أحمد بن سعيد خلف خمسة أبناء هم: هلال، وسعيد، وقيس، وسيف، وسلطان. وكان كل منهم يحمل لقب السيد. وكان أكبر أولاده، هلال ضريراً. ولهذا لم تكن له أية مشاركة فعالة في العمل السياسي. أما سعيد فقد نصبه

١- للتعرف على هذه الأحداث بشكل مفصل انظر:

Miles, op. cit., pp. 274-280.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

www.almajidcenter.org

والده حاكماً على نزوى، في حين نصب قيس حاكماً على صحار، أما سيف وسلطان فقد كانا يتطلعان إلى خلافة أبيهما وحكم البلاد كاملة.

كان الإمام أحمد بن سعيد، الذي تقدمت به السن يرغب في السنوات الأخيرة من حكمه بتسليم الحكم إلى ابنه سعيد. إلا أن ذلك لاقى معارضة شديدة من ابنيه سيف وسلطان، اللذين كانا يحظيان بتأييد من القواسم في معارضة رغبة أبيهما.

في سنة ١٧٨١ بدأ النزاع على الحكم في عمان. وعندها استطاع سيف وسلطان خداع حاكم مسقط، وسيطرا على المدينة وقلعتيها: الميراني، والجلالي[١]. وعندما وصل نبأ ذلك إلى الإمام أحمد، سارع بالهجوم على مسقط لاستعادة سلطته عليها من جديد. إلا أن الأخوين سيف وسلطان سارعا إلى طلب المساعدة من شيخ القواسم، الذي استجاب فوراً لهذا الطلب، لغاية في نفسه؛ إذ بدلاً من أن يتوجه إلى مسرح الأعمال القتالية بالقرب من مسقط زحف بقواته إلى الرستاق في شهر فبراير عام ١٧٨١، وحاصرها[٢].

وعندها وجد الإمام أحمد نفسه أمام خطر كبير فسارع إلى تسوية الخلاف مع ولديه، اللذين شعرا أيضاً بالخوف من أن تسقط العاصمة العمانية بيد القواسم، ومن ثمَّ ينتهي حكم سلالة آل بوسعيد[٣].

واضطر الإمام أحمد بن سعيد عندها لإصدار مرسوم عفو عام عن كل من شارك في التمرد والاضطرابات، وسمح لابنيه المتمردين بالاحتفاظ بقلعتي الميراني والجلالي[٤].

1 - Badger, op. cit, p..178
2 - Miles, op. cit., p. 178.
3 - Badger, op. cit., pp. 178- 179.
4 - Miles, op. cit., p. 278.

www.almajidcenter.org

وبعد ذلك وقف العمانيون في جبهة واحدة ضد القواسم، الذين ما كان منهم إلا أن تراجعوا إلى رأس الخيمة[١].

إلا أن هذه المصالحة بين أفراد الأسرة العمانية لم تدم طويلاً، ففي السنة التالية (١٧٨٢) أثار الأخوان سيف وسلطان تمرداً مرة أخرى، وأسرا أخاهما سعيداً، واحتفظا به كرهينة. وعندها هاجم الإمام أحمد قلعة الجلالي، حيث لجأ ولداه، ولم يسفر هذا التمرد عن أي شيء يذكر؛ إذ توصل الإمام إلى اتفاق عادي مع ولديه الثائرين.

وفي عام ١٧٨٣ توفي الإمام أحمد بن سعيد[٢]، وجرى انتخاب ابنه سعيد[٣] إماماً جديداً لعمان من قبل القضاة والشيوخ؛ تحقيقاً لرغبة الإمام الراحل. ولم يملك ابناه الآخران سيف وسلطان الاعتراض على اختيار سعيد إماماً؛ لافتقارهما إنذاك إلى القوة الكافية لمواجهة هذا الاختيار.

ولكن إدراكاً منهما بالخطر المحدق بهما من وجود سعيد على رأس الحكم، فقد توجها إلى شيخ القواسم طلباً للمساعدة على خلع أخيهما من الإمامة. وعندها وجد صقر بن راشد أن لا يفوت هذه الفرصة.

1 - Badger, op. cit., p. 179.

٢- يختلف المؤرخون والمؤلفون المتخصصون في تاريخ الخليج العربي في تحديد تاريخ وفاة أحمد بن سعيد، فـ "ك. ايتشيسون"، و"ج. فيلبي" يحددان الوفاة بسنة ١٧٧٥، بينما يحدده "ر. تايلور" بسنة ١٧٧١. وعند التحليل المقارن للعديد من المصادر توقفنا عند التاريخ الذي أثبتناه في المتن، والذي نراه أكثر دقة.

٣- جرى انتخاب سعيد من قبل زعماء وشيوخ القبائل الذين اجتمعوا في الرستاق؛ لتحقيق رغبة إمامهم الراحل. وفي ذلك الوقت لم يعترض أحد من أسرة آل بوسعيد على نتيجة هذا الانتخاب.

Miles, op. cit.,P .280-281.

وبعد سعيد آخر إمام منتخب، ليس هذا فحسب، بل آخر حاكم لعمان يقيم في الرستاق ويحكم منها.

Lorimer, op. cit., Vol. 1/a., p. 417.

www.almajidcenter.org

وفي عام ١٧٨٤ حشد قواته، وأعلن حالة الحرب على حاكم عمان الجديد. وبعد أن أحكم القواسم قبضتهم على موانئ الشمال أخذوا يشنون الهجمات على ساحل عمان[١]. وبدوره، أخذ الإمام سعيد بن أحمد بأسباب النصر، واستعد جيداً لخوض الحرب المقبلة. وعندما وقعت الحرب كانت ضارية سواء في البر أو البحر.

إلا أن الإمام سعيد أخفق في إحراز النصر على القواسم، كما أخفق القواسم أيضاً في إزاحته عن الحكم، وتنصيب أخيه سيف بدلاً عنه. وبعد هذا الإخفاق أصبح تواجد الأخوين سيف وسلطان في البلاد يشكل خطورة على حياتهما، مما دعاهما لمغادرة عمان.

هرب سيف بن أحمد إلى شرق إفريقيا، واتخذ من لامو مكاناً لإقامته، وعمل على تشكيل دولة مستقلة هناك. غير أن الإمام سعيد سارع بإرسال ابنه حمد إلى هناك لمنع سيف من تحقيق هدفه. وبعد فترة قصيرة توفي سيف، وانتهى بذلك النزاع بين الأخوين.

أما سلطان، الأخ الثاني للإمام سعيد، فقد هرب عام ١٧٨٤ إلى جوادار[٢]، ثم طلب من حاكم قلات اللجوء إلى بلاده.

رحب حاكم قلات به، ووضع تحت تصرفه مدينة وميناء جوادار، لكنه احتفظ لنفسه بالحق بنصف موارد هذه المنطقة[٣]. وسرعان ما حول سلطان هذه المنطقة إلى قاعدة شديدة التحصين، واستأنف صراعه ضد أخيه الإمام سعيد[٤].

1 - Miles, op. cit., p. 281.

٢- جوادار: قرية على ساحل مكران، مبنية على بروز رملي، ومحاطة بصخور على شكل جدار طويل. يبلغ طول القسم الجنوبي منه ثلاثة أميال. وارتفاعه ٢٥٠ ياردة تقريباً، بينما يصل ارتفاع القسم الشمالي من الجدار ٥٠٠ ياردة تقريباً. وتعد هذه المنطقة الأكثر برودة على ساحل الخليج العربي انظر:

Mansur, Shaikh (Maurizi, Vincenzo., op. cit., p. 137.

3 - Philips, op. cit., p. 69.

4 - Miles, op. cit., pp. 284-285.

www.almajidcenter.org

لم يبد الحاكم الجديد براعة في الحكم، ومع مرور الوقت ضعفت سلطته، وفقد شعبيته، وأصبح في عزلة شديدة، وأثناء حكمه تعرض لمحاولتي عزل من منصب الإمامة وتنصيب أخيه قيس، حاكم صحار حاكماً على البلاد. إلا أن المحاولتين باءتا بالفشل.

وعندما أدرك الإمام سعيد بن أحمد عجزه عن حكم البلاد، تنازل عن الحكم في أواخر عام ١٧٨٦ لابنه حمد، الذي كان قد حول مسقط إلى مركز إداري له[١]، وقد كان لذلك أثر سياسي بعيد المدى. فمن ناحية دل هذا التحويل على انتقال أسس الحكم من البحر إلى البر. ومن ناحية أخرى دل على أن حكم حمد بن سعيد ذو طابع علماني، وليس دينياً. ولهذا ترك لوالده لقب إمام الرستاق، ولم يقم بأية محاولة لعزله وأخذ الإمامة منه[٢].

في خضم هذه الأحداث زاد القواسم من نشاطهم البحري. ونتيجة لذلك اندلعت الحرب من جديد بينهم وبين عمان. ففي سنة ١٧٨٧ خرج حمد بن سعيد على رأس حملة برية وبحرية كبيرة ضد القواسم. وعندها عين محمداً بن خلفان قائداً عاماً للأسطول العماني. وقد تمكن هذا الأخير من تحقيق انتصارات كبيرة بأن استعاد خورفكان وجزيرة الحمراء، وفرض حصاراً على الرمس[٣].

غير أن تأزم الأوضاع داخل البلاد حتم على هذا القائد العودة إليها، تاركاً أسطوله يحاول فرض حصار على رأس الخيمة. إلا أن الأسطول فشل في ذلك.

يعود سبب تأزم الأوضاع داخل البلاد إلى أن سلطان بن أحمد ضمن لنفسه في هذا الوقت نصرة القبائل الغافرية له، فعاد من جوادار إلى عمان، واتخذ من برقة قاعدة له، وحاول مهاجمة قلعة سمايل من قاعدته، لكنه وجد أن قوات ابن أخيه حمد بن سعيد مستعدة

1 - Miles, op. cit., p. 283.
2 - Hopwood, op. cit., p. 208.
3 - Saldanha, op. cit., p. 8.

www.almajidcenter.org

للتصدي له. وعندها لم تقع المعركة بين سلطان وحمد، فقد توجه سلطان إلى الساحل وشن هجوماً على مطرح، بينما إنسحب حاكم عمان إلى الرستاق من أجل تعزيز موقعة هناك. وأخيراً انتهى النزاع بتوصل الطرفين إلى اتفاق لم يتم يخرقه أي منهما[١].

توفي حمد بن سعيد في مسقط في سنة ١٧٩٢ من جراء إصابته بالجدري. وعند ذلك حاول والده استعادة الحكم على كامل عمان. ومن جهته سارع سلطان إلى استغلال الوضع المتشكل، ووجد أن الفرصة مناسبة لتحقيق طموحاته، ومخططاته التي ظل يحلم بتحقيقها لفترة طويلة.

وقد تمكن من تثبيت أقدامه في برقة بقوة بدعم من حلفائه القبائل الغافرية، واستولى على مسقط، وبدأ يستعد للنزاع على الحكم ضد أخويه الإمام سعيد وقيس، وجرت بينهم مناوشات عسكرية، لم تكن ذات أهمية، ولهذا لم تسفر عن أية نتائج.

وفي نهاية العام جرى في برقة لقاء أدى إلى درء وقوع حرب أهلية في البلاد. ففي ذلك اللقاء جرى الاتفاق أخيراً على أن يحتفظ سعيد بالإمامة على الرستاق، ويكون الزعيم الروحي للشعب العماني، ويحتفظ قيس بصحار كولاية موروثة؛ بينما تقلد سلطان السلطة السياسية في مسقط بكاملها، وأصبح عملياً الحاكم الرسمي لعمان[٢].

بلغ حكم سلطان بن أحمد بن سعيد (١٧٩٣ - ١٨٠٤) أوجه في فترة حكم آل بوسعيد وازدياد نفوذهم[٣]. إلا أن طموحه في السيطرة البحرية على المنطقة[١]، ومحاولته جمع

1 - Miles, op. cit., pp. 284-285 .

2 - Kelly, op. cit, p. 108.

٣- هناك الكثير من الوثائق والمصادر التي تؤكد على قوة إمام عمان سلطان بن أحمد بن سعيد، ونشاطه الكبير، مثلاً انظر:

Landen, op. cit, p. 67.

www.almajidcenter.org

الضرائب من كل سفينة تعبر مضيق هرمز، كان سبباً في ازدياد العداء الكامن بين عمان والقبائل المقيمة على كلا ساحلي الخليج العربي بما في ذلك القواسم.

ولهذا استمرت المعارك طيلة عام ١٧٩٧ وبداية عام ١٧٩٨، حيث عقدت هدنة مؤقتة بين سلطان بن أحمد وصقر بن راشد. وعندها كان الأول بحاجة إلى فرصة لتسوية الخلافات مع والي بغداد العثماني، بينما كان الثاني مضطراً لمواجهة الخطر المتزايد الذي يشكله الوهابيون على بلاده[٢].

وما إن جرت تسوية الخلافات بين سلطان والسلطات العثمانية بوساطة المقيم البريطاني [في البصرة] صمويل منستي (Samuel Manesty)، حتى استأنفت القوات العمانية حربها ضد القواسم بمباغتتهم بهجوم أفقدهم ميناء دبا القاسمي، الواقع على ساحل خليج عمان[٣]، وأوقع بينهم خسائر كبيرة. واستمرت المعارك بين الطرفين حتى نهاية القرن الثامن عشر، وكانت أكثر ضراوة عندما أصبح القواسم في تبعية للوهابيين.

إلا أن تايلور يصفه خطأً بأنه حاكم ضعيف، وعديم الكفاءة، الأمر الذي يتناقض تماماً مع نتائج سياسة ونشاط هذا الإمام.

Thomas, R. H. (Comp.& . ed.) Selections from the Records of the Bombay GovernmentThomas, op. cit., p.8.

١- من منجزات سلطان بن أحمد الأولى الاستيلاء على جوادار، وإنشاء قلعة فيها، انظر:

Philips, op. cit., p. 70

كما استولى على جزيرتي قشم وهرمز، وانتزع ميناء بندر عباس من قبيلة بني معين العربية. غير أنه لم يكن يرغب آنذاك بتصعيد الموقف، والدخول بخلافات مع السلطات الفارسية، فاتفق مع هذه الأخيرة على استئجار هذا الميناء الهام، ومنطقة جيرون المجاورة له بستة آلاف تومان سنوياً، انظر:

Miles, op. cit., pp. 286-287.

وبذلك بقيت بندر عباس تحت حكم العمانيين حتى سنة ١٨٦٨، التي ألغت فيها الحكومة الفارسية اتفاقية الإيجار انظر:

Lockhart, L "The Menace of Muscat and its Consequences in the Late 17th and Early 18thCenturies". Journal of Asiatic Review, № 42, 1946. p. 179.

2 - Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. pp. 442, 634.

3 - Hawley, op. cit., p.96.

www.almajidcenter.org

نشاط القواسم على الساحل الشرقي للخليج العربي:

بغية تحقيق النزعة التوسعية على الساحل الشرقي للخليج العربي، وعلى الجزر القريبة نجح القواسم بشكل كبير في استغلال فترة الفتن والاضطرابات التي أخذت تعصف بالدولة الصفوية في فارس في النصف الأول من القرن الثامن عشر.

فخلال الفوضى التي رافقت سقوط الأسرة الصفوية الحاكمة استولى الشيخ راشد بن مطر على منطقة باسيدو السكنية، الواقعة على جزيرة قشم، وأقام فيها مستوطنة جديدة، سرعان ما أصبحت نقطة جمارك تقوم بجباية الرسوم الجمركية من جميع السفن الداخلة إلى بندر عباس.

ونظراً لأن هذا الميناء كان لفارس، وفيه محطات تجارية للدول الأوروبية، التي كانت معفية من الرسوم الجمركية، فقد عدت هذه الأخيرة قيام القواسم بهذا العمل انتهاكاً لحقوقها التجارية.

وفي إبريل عام ١٧٢٧ جمع وكيل شركة الهند الشرقية في بندر عباس، "و.درابر" (W. Draper) قوة بحرية مكونة من السفينتين: بريتانيا (Britannia)، وبنغال (Bengal)، وسفينتين شراعيتين مساعدتين، وهاجم بها القواسم. وعندها أجبر وكيل الشركة شيخَ القواسم على دفع تعويض عن الخسائر التي لحقت بالشركة[1].

لم يستغل الفرس الوضع القائم بين القواسم والدول الأوروبية في هذا الوقت، ولم يتدخلوا في شؤونهم. بل الأكثر من ذلك أنهم، بعد فشل ثلاث محاولات لإخضاع عمان وجدوا في القواسم حليفاً لهم يمكن أن يساعدهم على تحقيق مخططاتهم؛ ولا سيما إن الميناء

1 - Wilson, op. cit., p. 175.

www.almajidcenter.org

الرئيس للقواسم، ميناء رأس الخيمة الذي كان قاعدة بحرية للأسطول الفارسي، كان يستخدم في معاركهم ضد الإمام.

مما لا شك فيه أن وفاة نادر شاه وتدهور القوة البحرية الفارسية شجع القواسم على تنشيط أعمالهم، والاستيلاء على الجزر الإستراتيجية المهمة القريبة من الساحل الشرقي، وشحذ هممهم للتصدي للمخططات العمانية الرامية إلى القضاء على القواسم[١].

بعد وفاة نادر شاه حل محله حاكم بندرعباس، علي شاه[٢]، الذي أصبح تحت إمرته قسم صغير من الأسطول الفارسي. وكان القسم الأساسي من الأسطول الراسي في بندر عباس تحت قيادة الشيخ العربي ناصر خان. وقد انتهج علي شاه منذ بداية حكمه سياسة تهدف إلى التخلص من أعباء الضرائب المفروضة عليه من جهة، ومن تهديدات ناصر خان له من جهة أخرى. وقد دخل هذا الحاكم الجديد في تحالف مع شيخ القواسم، وزوجه ابنته في عام ١٧٥١[٣].

وكان هذا التحالف مفيداً للطرفين. فبمساعدة علي شاه استطاع الشيخ القاسمي تمهيد السبيل لنفسه لتحقيق خططه التوسعية ببسط نفوذه على أهم النقاط على الساحل الشرقي. وعدا ذلك زاد هذا التحالف من نفوذ القواسم، ووطد مكانتهم وسط القبائل العربية الأخرى، وأصبح بمقدورهم الاستيلاء على جزيرة قشم، ومدينتي لافت،

1 - Lorimer, op. cit., Vol. 1/a., pp. 631-2.

٢- علي شاه : ضابط عربي حكم بندر عباس. كان قسم من الأسطول الفارسي الموجود في بندر عباس يعود لنادر شاه ، انظر:

2 - Thomas, op. cit., p. 300.

3 - Warden ،Francis. "Extract from Brief Notes Relative to the Rise and Progress of the Arab Tribes of the Persian Gulf". p. 31.

www.almajidcenter.org

ولنجه[١]. ومن جهته، دعم علي شاه هذه القبيلة العربية حتى تكون عوناً له ضد ناصر خان، الذي كان آنذاك أقوى حاكم على الساحل الشرقي.

في أواخر شهر يناير من عام ١٧٥٢ شن ناصر خان هجوماً مباغتاً على علي شاه استولى خلاله على بندر عباس، وأسر علي شاه شخصياً. وبعد تنصيب حاكم جديد على بندر عباس، وتسليم قيادة الأسطول إلى ضابط آخر، عاد ناصر خان إلى لار مصطحباً معه أسيره[٢].

إلا أن عجز قائد الأسطول الجديد عن إدارة شؤون الأسطول، واعتراف علي شاه بالسيادة لناصر خان، وتعهده بدفع ألف تومان سنوياً، وتقديم مدفعين إلى ناصر خان، جعل هذا الأخير يعيده إلى بندر عباس في نوفمبر من العام نفسه حاكماً عليها من جديد، وقائداً للأسطول.

غير أن علي شاه نقض عهده. والواقع أنه لم يكن ينوي تنفيذ ما تعهد به[٣]. وفي أكتوبر عام ١٧٥٣ رفض علي شاه أمراً لناصر خان بتوجيه الأسطول ضد عرب البحرين. وبذلك أعلن علي شاه تمرده على ناصر خان، واستقلاله عنه .

عندما شعر علي شاه بنفسه قوياً بما فيه الكفاية قاد هجوماً بسفينتين على قلعة هرمز في بداية السنة التالية، وتمكن من الاستيلاء عليها. وعندها ترك في القلعة إحدى السفينتين وعاد بالأخرى إلى بندر عباس.

1 - Saldanha, op. cit., p. 300.

١ - انظر أمين، عبد الأمير محمد، (مرجع سابق)، ص ٢٣، ٢٨.

3 - Saldanha, op. cit., p. 114.

www.almajidcenter.org

ذكر الوكيل البريطاني في بندر عباس في هذا الخصوص أن علي شاه أبقى السفينة الثانية لديه كي يستخدمها، ويفر بها إذا ما هاجمه ناصر خان[١]. إلا أن صراعاً كان دائراً بين ناصر خان وكريم خان الزندي جعل الأول يستنفد كل قوة يمكن استخدامها في صراعه ضد علي شاه[٢].

وما إن شعر علي شاه بقوة مركزه حتى قرر بسط سيطرته على مناطق أخرى بالتعاون مع القواسم. وفي شهر مايو عام ١٨٥٥ شنت القوات الفارسية – القاسمية المشتركة هجوماً على جزيرة قشم، موطن قبيلة بني معين، وحاصرت لافت، ومقر إقامة شيخ القبيلة عبد الشيخ. وبعد مقاومة ضارية لحصار دام ستة أشهر توفي زعيم القبيلة عبد الشيخ عن عمر ناهز الثمانين عاماً، وعندها اضطرت القبيلة إلى الاستسلام[٣].

وعلى أثر هذا الانتصار الذي عزز من مكانة القواسم، وعلي شاه لدرجة كبيرة، فرض الزعيمان الفارسي والقاسمي رقابتهما، وسيطرتهما على منطقة مهمة من الخليج شملت ميناء بندر عباس، وجزيرتي هرمز وقشم.

وبذلك تمكن القواسم من إثبات وجودهم خلال هذه الفترة في جزيرة قشم، وميناء لافت ولنجه على الساحل الشرقي، وكذلك في شناص على الساحل العماني[٤]. وباتت لهم قوة كبيرة في المنطقة مكنتهم من تهديد القوة البحرية العمانية. وكان ذلك من أحد الأسباب الأساسية للنزاع المسلح الذي وقع بين الطرفين.

1 - Saldanha, op. cit., p. 90

٢- انظر أمين، عبد الأمير محمد (مرجع سابق)، ص ٢٣، ٢٨، ٢٩.

٣- بنو معين : قبيلة عربية صغيرة، كانت نشطة جداً عندما أقامت في الجزيرة العربية آنذاك، وكان زعيمها "الشيخ الهرم" الذي ورد ذكره في المراجع الإنكليزية تحت اسم عبد الشيخ، حاكم جزيرة قشم .انظر أمين عبد الأمير محمد (مرجع سابق)، ص ٢٧، ٢٩

4 - Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p. 632.

www.almajidcenter.org

غير أن السيطرة لم تدم لهم طويلاً على الساحل الشرقي؛ إذ واجه القواسم وحليفهم علي شاه خطراً كبيراً هدد مكانتهما. ففي عام ١٧٦٠ هب سكان هرمز ضد علي شاه واستطاعوا أسره مع عائلته، واستولوا على سفينته المعروفة باسم فائز رباني[١].

وفي بندر عباس انتفض السكان أيضاً واستولوا على القلعة وأجبروا أنصار علي شاه على الفرار. وفي هذا الوقت كان جعفر خان، شقيق ناصر خان بالقرب من المدينة على رأس قوة مؤلفة من ألفي مقاتل، وقد وجد الفرصة مناسبة لمطالبة السكان الثائرين بتسليم القلعة له. واستجاب سكان بندر عباس لطلبه، وسلموه القلعة[٢].

في البداية تمكن القواسم من صد الهجوم على مواقعهم بتحريك أسطول إلى هرمز (مؤلف من السفينة "الرحماني" الكبيرة، وعدد من السفن الصغيرة). إلا أن المواجهة التي جوبهوا بها من السكان المحليين أرغمتهم على الانسحاب إلى قشم. وهناك اصطدموا بمقاومة قبيلة بني معين بزعامة شيخها عبد الله، ابن أخي عبد الشيخ.

ووقف سكان قشم وهرمز وبندر عباس صفاً واحداً في مجابهة القواسم، وقاموا بتسليم السفينة فائز رباني التي جرى الاستيلاء عليها من سكان هرمز إلى جعفر خان لتعزيز أسطول قبيلة بني معين[٣].

قاد الشيخ عبد الله أسطوله في هجوم على قشم، حيث يتواجد القواسم. لكن الدعم والإمدادات التي حصل عليها القواسم من رأس الخيمة حالت دون إحراز الشيخ

١- كانت السفينة "فائز رباني" والسفينة "الرحماني" آخر ما تبقى من سفن الأسطول الفارسي، الذي كان يعد فيما مضى أسطولاً كبيراً وقوياً. وأثناء قيام الثورة كانت السفينة الرحماني راسية في ميناء لافت. انظر أمين، عبد الأمير محمد (مرجع سابق)، ص ٤٦.

2 - Saldanha, op. cit., pp. 136-137.

3 - Saldanha, op. cit,, p. 137.

www.almajidcenter.org

عبد الله أي نصر عليهم. ونظراً لمهارة القواسم في استخدام السفينة الرحماني، وبقية السفن الصغيرة، فقد تمكنوا من صد هجوم أسطول عدوهم على الجزيرة، وإرغامه على الفرار وهم يطاردونه حتى هرمز .

أدرك الشيخ عبد الله، بعد هذا الإخفاق أنه لن يستطع محاربة القواسم بمفرده. ولهذا سعى للحصول على مساندة ودعم إمام عمان. وبالفعل توجه إلى مسقط على متن السفينة فائز رباني للحصول على الدعم[١]. إلا أن الموقف تغير بشكل كبير أثناء غيابه.

في الرابع والعشرين من يونيو عام ١٧٦٠ تحرك الشيخ القاسمي راشد بن مطر على رأس حملة قوامها ألف مقاتل قاصداً بندر عباس، وكان يرافقه فيها علي شاه، الذي تمكن في بداية هذا الشهر من الفرار من أسره في هرمز واللجوء إلى حليفه في قشم. وعلى بعد خمسمائة ياردة عن بندر عباس أنزل قواته، وأخذ يحاول الاستيلاء على المدينة بطريقة الاقتحام حتى ٢٨ يونيو.

وعندما أدرك صعوبة الاستيلاء على المدينة انسحب إلى جزيرة قشم. وبعد ذلك مباشرة قرر حاكم لار مهاجمة لنجه، ورأس الخيمة. وعندما وجد أن قوة تحصينهما ستحول دون الاستيلاء عليهما تخلى عن الفكرة، وقفل راجعاً، وفي طريق العودة أغار على قشم ونهب كل ما وجده فيها[٢].

بعد وقت قصير على فشل هجوم القواسم على بندر عباس عاد الشيخ عبد الله من مسقط على رأس عدد من السفن قدمها له إمام عمان. وجمع قواته وهجم على قشم بأسطول قوي. إلا أن السفينة الرحماني فتحت نيرانها مع السفن الراسية لحماية الجزيرة من البحر

١- انظر أمين، عبد الأمير محمد (مرجع سابق)، ص ٢٥-٢٦.

2 - Saldanha, op. cit., p. 139.

www.almajidcenter.org

وتصدت لهذا الهجوم، وأحبطته . واستمر النزاع المسلح بين الطرفين حتى نهاية عام ١٧٦٠. إلا أن أحداً من الطرفين لم يحقق نصراً حاسماً.

وفي عام ١٧٦١ حاول القواسم القيام بهجوم آخر مع علي شاه على هرمز، حيث لا تزال أسرة الثاني في الأسر. إلا أن هذا الهجوم فشل أيضاً[١]. استمر صراع القواسم ضد قبيلة بني نعيم وحليفهم ناصر خان طيلة العامين ١٧٦١- ١٧٦٢. وفي غضون ذلك تمكن القواسم من إلحاق بعض الهزائم بأعدائهم .

في عام ١٧٦٣ وجد الطرفان المتنازعان أن من الأفضل لكليهما عقد هدنة. وجرى التوقيع على معاهدة صلح بين القواسم وحليفهم علي شاه من جهة، وبني معين من جهة ثانية. وقد راعى أحد بنود معاهدة الصلح توزيع واردات جزيرة قشم بالتساوي بين الأطراف الثلاثة، واحتفاظ القواسم بالسفينة الرحماني[٢].

حل الهدوء المؤقت في جنوب فارس بين الأطراف المتنازعة لفترة قصيرة. وخلال هذه الفترة كان ناصر خان تابعاً لكريم خان الزند، عملاً باتفاقية صلح جرى عقدها بين الاثنين في عام ١٧٦١. وفيها أن الأول يبقى حاكماً للقسم الفارسي من الساحل على أن يدفع إلى الثاني ألف تومان سنوياً، ويعترف رسمياً بسلطة كريم خان على هذه المنطقة[٣]، واستمر ناصر خان يحكم بندر عباس حتى عام ١٧٦٥.

وفي غضون ذلك كانت هرمز وقسم من جزيرة قشم تحت حكم علي شاه، بينما كان القسم الآخر من الجزيرة تحت حكم القواسم[٤]. إلا أن المعارك سرعان ما تجددت بين

1 - Saldanha, op. cit., pp. 147-148.
2 - Lorimer, op. cit., p.632.
3 - Thomas, op. cit., p .147.

٤- انظر أمين، عبد الأمير محمد (مرجع سابق)، ص ٢٦- ٢٧.

www.almajidcenter.org

القواسم وقبيلة بني معين بعد وقت قصير من التوقيع على معاهدة الصلح. ففي نهاية عام ١٧٦٥ قام كريم خان الزند، الذي كان يتطلع إلى استعادة سلطته على جنوب البلاد بتعيين المنافس القديم للقواسم، الشيخ عبد الله حاكماً على بندر عباس، وهرمز ، وقشم.

وقد أسفرت المعارك عن هزيمة القواسم وفقدانهم السيطرة على أراضيهم على الساحل الشرقي[١]. إلا إنه بعد أقل من سنة توفي الشيخ عبد الله، وراح أبناؤه يتقاسمون الإرث. وعندها استغل القواسم الفرصة، واستأنفوا حربهم ضد قبيلة بني معين في محاولة منهم لاستعادة السيطرة على الأرض التي فقدوها[٢].

استمرت المعارك على جزيرة قشم حتى عام ١٧٧٧، وكان النصر فيها سجالاً. وبعد ذلك توقف القتال وزالت الخلافات بين الطرفين، ولا سيما عندما تزوج شيخ القواسم الجديد صقر بن راشد من إحدى بنات الشيخ المتوفى عبد الله. وبذلك قامت علاقة مصاهرة بين شيوخ القبيلتين[٣].

وفي بداية الثمانينات اتفق القواسم أيضاً مع الشيخ ناصر، حاكم بوشهر[٤]. وفي عام ١٧٨٢ لعبوا دور الوسيط للتوصل إلى اتفاق بين الشيخ ناصر وشيخ قبيلة بني عتبان

1 - Lorimer, op. cit., p.633.

2 - Saldanha, op. cit., p. 300.

3 - Wilson, op. cit., p.201.

٤- الشيخ ناصر من قبيلة بني ناصر، وهي فرع من قبيلة المطاريش الكبيرة. في أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر رحلت هذه القبيلة من عمان إلى الساحل الشرقي، واستقرت في بوشهر. ويتركز النشاط الأساسي لهذه القبيلة على البحر، وقد ساهمت سفنها في نقل التجارة إلى الخليج العربي. من أشهر زعماء هذه القبيلة الشيخ ناصر الذي حكم بوشهر قرابة أربعين عاماً، وكانت وفاته في عام ١٧٨٩. وعندها حل محله ابنه ناصر الثاني الذي كان يفتقر إلى الكثير من النفوذ في هذه المنطقة.

4 - Kelly, op. cit, pp.42-43.

www.almajidcenter.org

(العتوب)[١]، الذين كانوا قد استولوا على البحرين في ذلك العام. غير أن العتوب رفضوا الاتفاق في نهاية الأمر، وأصروا على موقفهم.

وفي هذا الوقت استولى البحارنة أيضاً على سفينة قاسمية، وقتلوا ١٨ بحاراً[٢]. وعندها اشترك القواسم مع الشيخ ناصر خان بالهجوم على البحرين، وحاولوا الاستيلاء عليها، لكنهم أخفقوا في ذلك؛ نتيجة لهجوم مضاد مفاجئ تعرضوا له أرغمهم على مغادرة الجزيرة وترك عدد من قتلاهم على أرض المعركة كان من بينهم شقيق الشيخ صقر بن راشد[٣].

في النصف الثاني من القرن الثامن عشر سيطر القواسم على الساحل العربي للخليج، وكذلك ثبتوا أقدامهم على الساحل الشرقي لهذا الخليج وحاولوا مهاجمة الجزر الواقعة في أعالي الخليج العربي، فضلاً عن أنهم كانوا يتحكمون بمضيق هرمز، الذي تستخدمه جميع السفن الأجنبية التي تدخل إلى الخليج العربي أو تخرج منه[٤].

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة... وعطاء مستمر

١- "بنو عتبان"، أو العتوب: قبيلة عربية من عنيزة. في النصف الأول من القرن الثامن عشر رحلت هذه القبيلة إلى الجانب الشرقي من شبه الجزيرة العربية واستقرت في الزبارة (في قطر). وأخذ عرب هذه القبيلة يستوطنون ساحل الخليج العربي بشكل تدريجي. وفي منتصف القرن الثامن عشر أنشأوا دولة الكويت، وانتقل قسم منهم إلى البحرين سنة ١٧٨٢. لزيادة التعرف على هذه القبيلة، انظر:

Abu Hakima, A. M., op. cit., p.-

2 -• Saldanha, , op. cit., p. 301.

3 - Abu Hakima, A. M., op. cit., pp. 113-114.

4 - Belgrave, op. cit., p. 28.

www.almajidcenter.org

العلاقة بين القواسم وبريطانيا:

سياسة بريطانيا في الخليج العربي في منتصف القرن الثامن عشر:

قبل الحديث عن نوع العلاقة بين حلف القواسم القبلي وبريطانيا لا بد من إعطاء لمحة بسيطة عن السياسة التي انتهجتها هذه الأخيرة في منطقة الخليج العربي، وطبيعة نشاطها، وعلاقتها وعلاقة شركة الهند الشرقية مع القوى الأخرى في المنطقة؛ إذ أن تحليل هذه المسائل سيساعد على إدراك حقيقة سياسة هذه الدولة الأوروبية في المنطقة.

يتضح من إلقاء نظرة عامة وسريعة على الأوضاع في منطقة الخليج العربي ما يلي:

١- ضعف التنافس التجاري الأوروبي وتراجعه أمام بريطانيا، التي ظهرت في مراكز متقدمة.

٢- استمرار الاضطرابات ، والفتن، وعدم الاستقرار في الأوضاع الداخلية للمنطقة خلال الفترة التي نتناولها بالبحث، مما أثر سلباً على التجارة وأدى إلى انهيارها.

٣- تزايد دور وأهمية الخليج العربي كطريق مختصرة بين أوروبا والهند.

في أواخر الستينات من القرن التاسع عشر توقف نشاط هولندا، ولم يعد لها أي وجود في المنطقة. وكان سقوط آخر قلاعها في جزيرة خرج سنة ١٧٦٥ بيد مير مهنا قد وضع حداً لأية سيطرة هولندية قوية في المنطقة.

أما فرنسا، فعلى الرغم من ازدياد نشاطها في تلك الفترة الذي تبلور بشكل خاص بإقامة علاقات تجارية وثيقة مع عمان في نهاية القرن التاسع عشر، لم يتسم تواجدها بالاستقرار لدرجة كافية.

www.almajidcenter.org

وكانت منطقة الخليج العربي مثلها مثل منطقة المحيط الهندي مسرحاً لمعارك بحرية خاضتها السفن الفرنسية ضد السفن البريطانية خلال حرب السنوات السبع (١٧٥٦-١٧٦٣). كما عملت السفن الفرنسية بنشاط كبير خلال الحرب الثانية التي خاضتها فرنسا ضد بريطانيا (١٧٧٨-١٧٨٣)[١].

والواقع أن الحرب الأخيرة كانت نقطة تحول في تطور السياسة الإنكليزية الاستعمارية، التي أصبحت منذ ذلك الحين تعتمد على احتلال مناطق إستراتيجية مهمة، والإبقاء على الهيمنة البريطانية فيها بشتى السبل[٢].

والنتيجة الأخرى التي أسفرت عنها هذه الحرب تحويل الإمبراطورية البريطانية نبرتها في سياستها الخارجية من الغرب إلى الشرق؛ إذ أنه بفقدان بريطانيا لمستعمراتها في أمريكا أصبحت قوتها وثروتها ترتكز على السيطرة والتمسك بمستعمراتها في الشرق[٣].

أدت هذه الأحداث إلى تبلور أهمية الخليج العربي في نظر كلتا الدولتين، ولا سيما الإمبراطورية البريطانية، التي كانت المبادئ الأساسية لسياستها في الشرق تنحصر في الهيمنة المطلقة على الهند[٤]، والاستعداد لمواجهة أي تهديد من قوى أخرى يزعزع هذه الهيمنة، والاستيلاء المباشر على الطرق الرئيسة، التي تربط الهند بالمتروبول (الدولة المستعمِرة).

1 - Miles, op. cit., pp. 269-274.

2 - Factory Records of the Tate East India Company، G/29،Persia and Persian Gulf، vols. 20- 32. Vol. 21.; p. 40.

3 - Bombay Secret Letters Received (4/p & s/5/ vols. 302, 303). p. 91.

٤- كان أول نجاح كبير يحققه الإنكليز في إخضاع الهند عام ١٧٦٥، عندما استعمروا البنغال، وبيهار، وأريسا. وبعد ذلك مباشرة شكلوا هناك إدارة حاكمة وبدأت الضرائب تجبى من البنغال بموجب معاهدة وقعها اللورد كلايف مع الحاكم المغولي. ومع مرور الزمن ارتفع عدد المناطق التي تجبى منها الضرائب، وبالتالي ارتفع الدخل أيضاً. انظر:

Beare, G. D. British Attitudes Towards India, 1784-1858.L., 1961. p. 309.

www.almajidcenter.org

نظراً لأن الخليج العربي يشغل موقعاً إستراتيجياً هاماً على الطرق المؤدية إلى الهند فقد أصبح محط أنظار الإمبراطورية البريطانية لأهداف دفاعية، واقتصادية على حد سواء. ولا شك بأن إدراك هذه الحقيقة يفسر سعي لندن للبقاء في هذه البقعة من الكرة الأرضية على الرغم من التدهور الذي أصاب التجارة في تلك الفترة.

وفي هذا الوقت أيضاً كانت فرنسا تخطط لتوجيه ضربة قاضية لمنافستها بريطانيا بالاستيلاء على الهند. بيد أن إدراك حقيقة أن الأسطول الإنكليزي أكثر قوة من الأسطول الفرنسي، جعل فرنسا تركز كل جهودها على الاستيلاء على الطرق البرية المؤدية إلى الهند. وقد وضعت عدة مخططات لتحقيق هذا الهدف.

إلا أن تغير الأوضاع السياسية في أوروبا، وفي الشرق الأوسط حال دون تحقيق أي من تلك المخططات. فمثلاً، قيام نابليون بحملة على مصر عام ١٧٩٨. وقد كان ذلك ثمرة لسياسة عدد من حكام فرنسا المتعاقبين، التي تم انتهاجها في الشرق الأوسط[1].

بلغ الصراع الفرنسي البريطاني ذروته في فترة حكم نابليون (١٧٩٨ – ١٨١٠). وخلالها أحرزت بريطانيا تفوقاً على فرنسا في منطقة الخليج العربي. ولكن من ناحية أخرى، عانت التجارة البريطانية من صعوبات جمة شملت معظم أعوام النصف الثاني من القرن الثامن عشر، أوصلتها إلى حافة الانهيار.

١- كانت حملة نابليون على مصر ثمرة لسياسة عدد من الحكام الفرنسيين تم انتهاجها في الشرق الأوسط، والتي تمت ترجمتها إلى واقع قائم عندما سنحت الظروف. وفي عام ١٧٩٢ جرى النظر إلى هذه الحملة على إنها الطريقة الأساسية لتوجيه ضربة إلى المصالح الإنكليزية في المنطقة. وفي السنة التالية (١٧٩٣) أرسلت فرنسا عدداً من البعثات العلمية إلى الخليج العربي، كان من أشهر العلماء الباحثين في هذه البعثات : العالمان بوركي، وأوليفر. اللذان أسندت إليهما مهمة الحصول على ترخيص بإنشاء تحصينات في بندر عباس، وكذلك مساعدة الحكومة الفارسية على تنظيم هجوم على الهند من الشمال. انظر:

Adamiyat, op. cit., pp. 40-41.

www.almajidcenter.org

ويرجع ذلك إلى استمرار الاضطرابات والفتن في فارس، وفقدان الحكومة المركزية السيطرة على البلاد. الأمر الذي جعل المحطة التجارية البريطانية في بندر عباس على حافة الانهيار[١]. كما إن الهجوم الذي نفذته فرنسا على المحطة التجارية البريطانية وإحراقها لها في عام ١٧٥٩ شكل ضربة حساسة ومؤلمة لبريطانيا[٢].

وعندها قرر مجلس مديري شركة الهند الشرقية البريطانية نقل المحطة التجارية من بندر عباس إلى مكان آخر، وقد تقرر أن يكون هذا المكان البصرة. وبالفعل جرى في مارس عام ١٧٦٣ نقل المحطة التجارية إلى البصرة، التي أصبحت بعد ذلك ميناءاً تجارياً لبريطانيا في منطقة الخليج.

تجدر الإشارة إلى أن الإنكليز حاولوا أثناء نقل محطتهم التجارية من بندر عباس إلى البصرة الادعاء بملكيتهم لأملاك فارسيين، كانت في السابق تعود للهولنديين، إلا أنهم فشلوا في ذلك؛ عدا ذلك حاولت السلطات البريطانية الاستيلاء على سفينة الشاه، الرحماني، وهي راسية في لافت، لكنها أخفقت في ذلك أيضاً[٣].

على الرغم من إغلاق المحطة التجارية البريطانية في بندر عباس؛ فقد سعى الإنكليز لتثبيت أقدامهم في أماكن أخرى على الساحل الفارسي. والواقع أنه كان لهم ما أرادوا عندما وقع ممثل شركة الهند الشرقية البريطانية على اتفاقية مع حاكم بوشهر، الشيخ ناصر في ١٢ إبريل عام ١٧٦٣. فقد نصت تلك الاتفاقية – فيما نصت عليه – على السماح لبريطانيا بإنشاء محطة تجارية في هذه المدينة.

١- أمين، عبد الأمير محمد (مرجع سابق)، ص ٤٢.

2 - Kelly, op. cit, p. 52.

3 - Amin, op. cit., pp. 42-51, 70-71.

www.almajidcenter.org

وما إن مضت ثلاثة أشهر على ذلك حتى تمكنت شركة الهند الشرقية من تثبيت وضعها بقوة في مدينة بوشهر بأن حصلت على الفرمان المناسب من كريم خان أيضاً، الذي منحها بموجبه امتيازات واسعة للتجارة في فارس.

فقد نص ذلك الفرمان على أنه يحق لشركة الهند الشرقية البريطانية إنشاء محطات تجارية في أي ميناء فارسي مع إعفاء تجارتها من الضرائب الجمركية، وتخفيض الضرائب على السلع الإنكليزية التي يشتريها التجار الفرس إلى ٣٪ . وعدا ذلك يتعهد الجانب الفارسي بتأمين الحماية للسفن، وتعويض الشركة عن ثمن السلع في حال تعرض سفنها إلى كوارث بالقرب من السواحل والجزر الفارسية[1].

كان هدف حاكم فارس من وراء كل هذه التنازلات التي قدمها للإنكليز، الحصول على دعم أسطولهم له لبسط كامل سيطرته على الساحل الشرقي، وجعل القبائل المقيمة هناك تحت نفوذه. والواقع أن الأسطول الإنكليزي قدم له الدعم لسنوات عديدة. ففي سنة ١٧٦٨ مثلاً تلقى كريم خان الدعم من الأسطول الإنكليزي عندما جرد حملات ضد القبائل العربية، كالحملة ضد مير مهنا، حاكم بندر ريق في سنة ١٧٦٨، التي باءت بالفشل.

بعد وفاة كريم خان مرت شركة الهند الشرقية البريطانية بفترة انحطاط نتيجة للنزاع على العرش الذي شهدته البلاد، وكذلك بسبب الحرب التي اندلعت بين أنصار السلالتين الحاكمتين: الزنديين والقاجاريين. كما تقلص نشاط المحطة التجارية في بوشهر

1 - Hurewitze, J. C. Diplomacy in the Near and Middle East, a Documentary Record 1535- 1914. Vol. 1, U.S.A., 1956. Vol. 1, pp 52-54.

www.almajidcenter.org

لدرجة كبيرة حتى إن جون بومونت (John Beaumout)[١] عبر عن أوضاع المحطة بالقول إنها معرضة للانهيار عند أول تساقط شديد للمطر[٢].

أما في البصرة فقد زادت المحطة التجارية البريطانية من نشاطها بشكل ملحوظ حتى سنة ١٧٧٣، إلا أنها أصيبت بعد ذلك بالانهيار. ولعل من أهم الأسباب التي أدت إلى ذلك انتشار وباء الطاعون في المدينة عام ١٧٧٣، مما أدى إلى توقف تام للحركة التجارية. وعندها قررت إدارة المحطة التجارية مغادرة المدينة[٣].

وبعد ذلك بسنتين تعرضت البصرة إلى هجوم من الفرس، الذين ضربوا عليها حصاراً دام من عام ١٧٧٦ إلى عام ١٧٧٩، وبعد ذلك سقطت المدينة بأيديهم. وعندها أصبح مستقبل المحطة التجارية مظلماً تماماً. ومع ذلك أرادت سلطات بومباي الإبقاء على التواجد الإنكليزي في المدينة نظراً لاندلاع الحرب مع فرنسا من جهة، وللمحافظة على الاتصال مع البحر الأبيض المتوسط من خلال العراق من جهة ثانية.

وأصبحت المهمة الأساسية للوكيل التجاري في البصرة في تلك الفترة، المحافظة على طريق العراق التي تستخدم لنقل البريد بين إنكلترا والهند[٤]، بعد أن كانت الطريق التي تستخدم لذلك تمر عبر صحراء العراق وسوريا[٥]. ومع مرور الزمن أصبح إرسال البريد

١- شغل منصب المقيم البريطاني في بوشهر في عام ١٧٧٥، انظر النسخة العربية لـ ج. لوريمر: دليل الخليج، القسم التاريخي ج. ٧، ص.٣٩٢٥ المترجم.

2 - Kelly, op. cit, p.53.

3 - Amin, op. cit., p.109.

4- Lorimer, op. cit., p.160.

٥- كانت هذه الطريق تمر عبر الصحراء، وتربط بين حلب والبصرة، وتعد أقدم طريق مباشرة بين أوروبا وآسيا. بالإضافة إلى ذلك كانت هناك طرق تمر بالبحر الأحمر، وأخرى تمر عبر مدينة قزوين. للتعرف على هذه الطرق بشكل مفصل انظر:

Admiralty, War office, Intelligence Division, A Handbook of Arabia (ed. By Y. Hogart). Vol. 1, 4, 1916. Vol. 11, n. 1917. p. 115.

www.almajidcenter.org

الرسمي على هذه الطريق ظاهرة طبيعية، بينما كان البريد العادي يقطع طريقاً طويلة؛ إذ كان يلتف حول رأس الرجاء الصالح[1].

من الواضح أن الاعتبارات الإستراتيجية، والعسكرية، والدفاعية كانت السائدة في تلك الفترة في سياسة بريطانيا في حوض الخليج العربي. ومن الواضح أيضاً أنه بعد جلاء البرتغاليين عن المنطقة في منتصف القرن السابع عشر لم يعد هناك أي اتصال مباشر، أو علاقة بين الساحل العربي، حيث يسود القواسم، وبين بريطانيا، أو أية دولة أوروبية أخرى.

أما بالنسبة لمسقط، الواقعة خارج حدود الخليج العربي فقد كانت الميناء العربي الوحيد في المنطقة الذي ترتاده السفن الأوروبية.

وكان الخط الملاحي الرئيس الذي تسلكه السفن غير العربية يمر بمحاذاة الساحل العربي، وعلى مسافة بعيدة عنه. يقول ج. كيلي في هذا الخصوص: " لم تكن السفن الأوروبية تجازف بالاقتراب من الساحل الغربي [يقصد العربي - المؤلف] للخليج الفارسي منذ رحيل البرتغاليين"، ويقول أيضاً: " كانت السفن الأوروبية تتجنب دائماً الاقتراب من هذا الساحل، الذي قلَّ من كان يعرفه، وكانت هذه المنطقة تعد غير آمنة".

الصراع بين القواسم وبريطانيا (١٧٧٨ - ١٧٩٧):

شهدت هذه الفترة تدهوراً شديداً في العلاقات بين القواسم والإنكليز. وكان السبب الرئيس في ذلك شركة الهند الشرقية البريطانية وممثليها الذين كانوا أول من أطلق على القواسم اسم قراصنة.

1 - Kelly, op. cit, p.53.

www.almajidcenter.org

عندما تأكد للإنكليز أن الفرس وعمان سوف يتعاونون معهم بذلوا قصارى جهدهم لوضع حد لأشد المنافسين لهم، القواسم، الذين اتخذوا من التجارة البحرية المربحة مهنة لهم. وفي ذلك الوقت كان أسطول القواسم يضم ٦٣ سفينة كبيرة، و٩٩٦ سفينة صغيرة، وكان عدد العاملين على تلك السفن ١٨٧٦٠ بحاراً[1].

وكانت التجارة البحرية تشكل المصدر الوحيد لرزق القواسم على أرض جدباء، لا تصلح للزراعة. وكانت تجارتهم مع موانئ الهند - بشكل خاص- تمتاز بأهمية كبيرة؛ فقد كانوا يأتون من هناك بأهم ما يحتاجون إليه من مؤن وأخشاب لبناء السفن.

وكانوا ينظرون إلى الإنكليز على إنهم منافسون خطرون يستطيعون حرمانهم من مصدر رزقهم. وقد كان التنافس الأجنبي على التجارة سمة الحياة لفترة طويلة، وكان السكان المحليون متأقلمين على العيش في هذه الظروف؛ إلا أن الإنكليز أدخلوا على التنافس تعديلاً جديداً، فقد أخذوا يطالبون بأن تحمل جميع السفن التي تعمل في التجارة في الخليج العربي شهادات (تصاريح) إنكليزية، مما يدل على أنهم كانوا يعدون أنفسهم أسياداً على هذه المياه.

وكان رأي الإنكليز أن التجارة لا يجب أن تمارس إلا لتعود عليهم بالأرباح، ولا يحق لأية سفينة ممارسة التجارة دون تصريح منهم. وكانوا ينظرون إلى السفن الفرنسية التي تحاول ارتياد مياه الخليج العربي على أنها سفن قراصنة، وكذلك كانوا يعدون العرب لصوص بحر، وكانوا يدّعون بأن السفن العربية تمارس أعمال القرصنة، لمجرد أنها تبحر في مياه الخليج.

1- Saldanha, op. cit., p. 132.

www.almajidcenter.org

عندما زاد القواسم من نشاطهم التجاري في الخليج العربي وخارجه باتوا عرضة للاتهام بالقرصنة، لدرجة أن أي حادثة كانت تقع للسفن الإنكليزية في هذه المنطقة (أو حتى خارجها أحياناً) كان يجري إتهام القواسم بها. وأية حادثة كانت تقع كان ينظر إليها يقيناً على أنها نتيجة لهجوم قراصنة عرب من القواسم، حتى وإن تعذر اشتراك القواسم فيها لأي سبب كان.

وكانت الإشاعات والأقاويل تؤخذ على أنها وقائع حقيقية، ويجري دمجها مع أخبار أخرى مشكوك في صحتها. وترفع تقارير بها من قبل الوكلاء الإنكليز، الذين يتصيدون وقوع أية حادثة، ويعملون على إثبات أنها عمل غادر نفذه القواسم القراصنة.

وعندما كان يتعذر عليهم معرفة المذنب الحقيقي في أية حادثة تقع كانوا يسارعون لتوجيه أصابع الاتهام إلى القواسم. وإذا ما أراد الوكلاء أو المقيمون الإنكليز تبرير أي عمل يقومون به، أو حماية نهجهم السياسي تجاه أية حادثة تقع، كانوا يستخدمون القواسم كبش فداء مناسب، ويحملونهم الذنب كاملاً.

وكان إلصاق التهم بالقواسم جزءاً من السياسة التعمدية التي يمكن تسميتها **"الكذبة الكبرى"**. وكانت شركة الهند الشرقية البريطانية تعتمد هذه السياسة، وكانت تطالب بلجم القراصنة. وكان الوكلاء والمقيمون الإنكليز يرددون خلفها هذه المطالبة بقوة، ويعملون على تأكيد "الكذبة الكبرى"، بغية إيجاد ذريعة لاستخدام البحارة والسفن البريطانية لحماية تجارتهم.

وسيتضح لنا فيما بعد إمكانية إثبات أن القواسم لم يشاركوا في جميع الأحداث التي نُسبت إليهم على أنها أعمال قرصنة؛ وأن الأحداث التي شاركوا فيها لم تكن سوى دفاع عن النفس من القراصنة الحقيقيين، الإنكليز.

www.almajidcenter.org

الحادثة الأولى التي توصف بأنها من أعمال القرصنة يصفها لوريمر بالقول: " في سنة ١٧٧٨ استولى القواسم على سفينة تابعة لشركة الهند الشرقية ". ولزيادة التأكيد على أن العمل يعد قرصنة يقول لوريمر بأن طاقم السفينة وركابها بيعوا عبيداً[١].

إلا أن مراسلات جون بيمونت، الذي كان آنذاك يشغل منصب المقيم البريطاني في بوشهر، مع الشيخ صقر بن راشد حول هذا الموضوع تدل على أن حادثة استيلاء القواسم على السفينة التي وقعت فعلاً تبررها قرائن الأحوال التي وقعت فيها هذه الحادثة.

وفي تفسيره للحادثة ذكر الشيخ صقر بن راشد أن أسطوله التقى بالسفينة التي جرى أسرها، وعندها كانت هذه السفينة ترفع علم إمام عمان. وبما إن هذا الأخير كان في حالة حرب مع القواسم، فقد كان لا بد للأسطول من مهاجمة السفينة، وعند الانقضاض للاستيلاء عليها قام طاقمها بإنزال العلم العماني، ورفع العلم البريطاني[٢].

وبهذا الشكل يكون القواسم قد استولوا على سفينة مبحرة تحت علم دولة معادية لهم، وهو علم إمام عمان، الذي هو في حالة حرب معهم. وقد أشارت مراسلات بيمونت إلى أنه جرى بحث مسألة دفع فدية للشيخ صقر بن راشد لإخلاء سبيل السفينة، إلا أنه لم يُعرف ما إذا حدث ذلك أم لا.

والجدير بالذكر أن رسالة بيمونت لم تشر إلى بيع طاقم السفينة، وركابها عبيداً، مما يدل على أن ذلك كان محض تلفيق من خيال ج. لوريمر وحده.

ومثل هذه التهمة أعادها ج. كيلي أيضاً ولكن بشكل مختلف بعض الشيء؛ إذ قال في ذلك إن سفينة بصاريتين تحمل بريد الشركة [يقصد شركة الهند الشرقية البريطانية]

1- Lorimer, op. cit., p.634.
2- Political Residency, Bushire, R/15/1/13-16. R/15/1/13.

www.almajidcenter.org

خاضت في ديسمبر عام ١٧٧٨ معركة بحرية لمدة ثلاثة أيام ضد ست سفن للقواسم من رأس الخيمة. وقد أسفرت المعركة عن أسر السفينة، والمطالبة بفدية مقدارها ٤٠٠٠ روبية لإخلاء سبيلها.

من الواضح أن كيلي آثر عدم تكرار تهمة بيع طاقم السفينة وركابها عبيداً، كما ذكر لوريمر. لكنه لفق تهمة أخرى معتمداً حتماً على مقولة **"تزايد التهم يمكن أن يساعد على إثبات حقيقة ولو إحداها"**. وتهمته هذه أن "السفينة سكسس (Success) هوجمت في يناير عام ١٧٧٩، بينما كانت في طريقها من البصرة إلى مسقط من قبل أسطول مكون من ثمانية إلى عشرة داوات، وقد تمكنت من صد الهجوم.

وبعد شهر واحد على هذه الحادثة تعرضت السفينة "اسيستانس" (Assistance) لهجوم من قبل سفن القواسم، بينما كانت في طريقها إلى أعالي الخليج[1].

أما بيمونت فقد كان وصفه لهذه الأحداث أكثر دقة؛ إذ أخبر مجلس مديري شركة الهند الشرقية البريطانية بأن القواسم استولوا في نوفمبر عام ١٧٧٨ على إحدى السفن الصغيرة، كانت قادمة من بوشهر، اعتقاداً منهم بأنها محملة بشحنة تخص مسقط، وعندها توجه الشيخ خلفان، الذي شغل منصب والي مسقط لفترة طويلة إلى رأس الخيمة، وتمكن من تسوية القضية بطريقة سلمية على الرغم من أن الإمام والشيخ المذكور كانا في حالة حرب مع القواسم.

وأشاع بيمونت أيضاً بأن ثماني أو عشر سفن عربية هاجمت السفينة الإنكليزية سكسس، لكنها أخفقت في الاستيلاء عليها. كما روج شائعة أخرى بأن سفينتين للقواسم

1- Kelly, op. cit., p. 106.

www.almajidcenter.org

هاجمتا السفينة اسيستانس، وأن هذه الأخيرة تمكنت من صد الهجوم بعد معركة استمرت ٢٥ دقيقة. تجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الروايات لا تحمل ما يؤكد فعلاً هوية المهاجمين[١].

وهكذا نجد أن ما كان في البداية مجرد إشاعة عن هجوم لمجهولين، بات يوصف فيما بعد بأنه عمل من أعمال القواسم القراصنة، وسرعان ما جرى تضخيم الإشاعات باتهام الأخيرين ببيع الإنكليز عبيداً. ولعل أفضل ما يبرئ العرب من هذه الاتهامات، ولا سيما الاتهام الأخير شهادة ف. واردن، السكرتير العام للحكومة، الذي صرح بوضوح أنه لم يتسنَّ له حتى سنة ١٧٩٦ اكتشاف أي أثر أو دليل يدين القواسم بالاعتداء على العلم البريطاني[٢].

في عام ١٧٨٢ صادرت السلطات العثمانية في البصرة كمية من البن من سفن عربية بحجة أن القواسم استولوا على بضائع من سفينة تابعة لبوشهر. وعندها توجه ابن الشيخ صقر بن راشد إلى البصرة على رأس عدد من السفن المسلحة، وطالب بإعادة البن المصادر، وهدد بالاستيلاء على سفينة بضائع كبيرة لتجار البصرة إذا ما رُفض طلبه.

وفي الوقت نفسه أكد أن والده يتعهد للسلطات العثمانية بإعادة ما تستولي عليه رعاياه من ممتلكات البصرة في جنوب الخليج العربي. ووعد بأن تقوم الجماعة نفسها، التي استولت على بضائع سفينة بوشهر برد ما استولت عليه، إذا ما أُعيد البن المصادر.

وعندها كان الوالي العثماني قلقاً من تهديدات القواسم، ولا سيما عندما اتضح أنهم مدعومون من بحارة معظم السفن التي كانت راسية في الميناء. وجرت دعوة ابن الشيخ

1- Political Residency, Bushire, R/15/1/13-16.; R/15/1/13
2- Summary of the proceedings relative to boats captured in the Persian Gulf, vol. 77/1819- 1820. Minute by Mr. F. Warden.; pp. 9-10.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

صقر للحضور إلى البصرة بطريقة لبقة، وعندها توسط وليام ديجر، المقيم البريطاني في البصرة لحل هذه القضية بطريقة سلمية[1].

تدل هذه الواقعة على أن القواسم لم يكونوا قراصنة، وإنما كانوا تجاراً يتحملون مسؤولية الأعمال التي يقومون بها، وقد كانوا يحظون باحترام جميع دول الخليج العربي.

عندما كانت الحرب دائرة بين القواسم وإمام عمان وقعت حادثتان في عام ١٧٩٧ وصفهما لوريمر بأنهما من أعمال القرصنة التي يقوم بها القواسم. وكان كيلي يردد مثل هذه التهم دون أي مبرر.

بينما كانت السفينة البريطانية باسين (Bassein) تحمل بريد شركة الهند الشرقية في الثامن عشر من مايو عام ١٧٩٧ تعرضت إلى هجوم بالقرب من جزيرة قيس من قبل اثنين وعشرين داواً. وقد أسفر هذا الهجوم عن أسر السفينة وسحبها إلى رأس الخيمة، حيث بقيت عدة أيام ثم أخلي سبيلها.

ووصف ج. كيلي حادثة تعرض لها الطراد البريطاني فايبر(Viper) بالقول إنه في شهر أكتوبر من العام نفسه [أي ١٧٩٧] تعرض الطراد فايبر، العائد لشركة الهند الشرقية إلى هجوم مفاجئ من داوات قاسمية بينما كان راسياً في مرسى بوشهر. وكان الهدف من الهجوم حجز ما يحمله هذا الطراد من بارود، وقذائف، ورصاص.

وعندما كان قائد الطراد والقسم الأكبر من طاقمه على الساحل، ولهذا كان الأمل ضعيفاً في التصدي لهذا الهجوم المفاجئ من قبل داوات القواسم. إلا أن البحارة الذين ظلوا

1- Thomas, R. H. (Comp. &. ed.) Historical and other information connected with the Province of OMAN, Muscat, Bahrein and other places – in the Persian Gulf. Bombay, 1856.; p. 171.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

www.almajidcenter.org

على متن الطراد خيبوا برباطة جأشهم أمل القواسم في الاستيلاء على هذا الطراد عندما قطعوا مرساته، وتوجهوا به إلى عرض البحر. وعندما أُتيحت لهم الفرصة الكافية للمناورة أغرقوا أحد الداوات بأن سددوا إليها رشقات سديدة من مدافع أحد جوانب الطراد.

بعد ذلك وجه المقيم البريطاني في البصرة احتجاجاً إلى الشيخ صقر بن راشد، وقد رد عليه الأخير بأن الداوات ليست تابعة له وإنما هي لأهل لنجة"[1].

تجدر الإشارة إلى أن ج. لوريمر ذكر أن السفينة باسين تعرضت إلى الهجوم وجرى الاستيلاء عليها بالقرب من الرمس، وسُحبت إلى رأس الخيمة، ثم أُطلق سراحها بعد يومين فقط بأمر من شيخ رأس الخيمة. بينما ذكر ج. كيلي أنه جرى حجزها لعدة أيام، كما بالغ الأخير في ذكر عدد الداوات التي نفذت الهجوم عندما قال بأن السفينة باسين هوجمت من قبل ٢٢ داواً.

أما قائد السفينة باسين فقد أخبر المقيم البريطاني في البصرة صمويل منستي عن واقعة الاستيلاء عليها بالتفصيل، ووصف الظروف التي وقعت فيها الحادثة. وقد كتب قبطان السفينة عن هذه الحادثة يقول:

" التقت السفينة باسين بالقرب من جزيرة قشم بأسطول تابع للشيخ عبد الله، شقيق الشيخ صقر بن راشد، وهناك توجهت عدة داوات نحوها، وعندما اقتربت منها صرخ بها القبطان، وحذرها من أن باسين سفينة بريطانية، إلا أن قائد الداوات لم يعر ذلك اهتماماً. وأرسل نحو ٢٥٠ رجلاً للاستيلاء على السفينة بالمصادمة.

1- Kelly, op. cit, p. 106.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

www.almajidcenter.org

وبعد ذلك جاء إليها الشيخ عبد الله، الذي أحيط علماً بالحادثة، وأمر رجاله بترك السفينة، ونقلِه مع قائدها إلى شاطئ جزيرة قشم، ثم أعاده الشيخ إلى سفينته، وقدم تعويضاً لما أصاب السفينة باسين، وسمح لها بمتابعة طريقها إلى البصرة، دون أن يعيقها شيء. ويؤكد القبطان على أن إيقاف الشيخ عبد الله للسفينة لم يلحق بها أي ضرر، وكل ما هنالك أن ذلك أدى إلى تأخرها أكثر من يوم ".

بعث صمويل منستي رسالة إلى الشيخ صقر بن راشد، شيخ القواسم في رأس الخيمة يحتج فيها على هذه الحادثة. وفي شهر أكتوبر عام ١٧٩٧ رد الشيخ صقر على رسالة الاحتجاج برسالة جوابية جاء فيها: " بعد التحية، تلقيت رسالتكم العزيزة، الموقرة وسرني أنكم بصحة جيدة وسعداء. . . .

أما فيما يخص سفينتكم التي اصطدمت قبل فترة وجيزة بسفني التي تتجول على امتداد الساحل الشرقي للخليج، والتي اعتقدتم أنها أرادت الاستيلاء على سفنكم، فاسمحوا لي أن أقول لكم عن وعي تام إنه معاذ الله حتى أن نفكر بالاستيلاء على سفنكم. قبل هذا اليوم كان الشعب البريطاني وقبيلتي أصدقاء مخلصين.

ونحن "نكن لكم ما نبتغيه لأنفسنا". وبإمكانكم الاعتماد على تأكيداتي وأن تطمئنوا على سلامة سفنكم الموجودة في الخليج، فهي تستطيع دائماً، أثناء الالتقاء بسفني أن تراهن على صداقتها، وأن تجد منها المساعدة والدعم عند الضرورة. فكروا بي بطيبة وثقة، وعبروا دائماً عن رغباتكم مني، وكونوا على ثقة بأن رغباتكم ستنفذ كلها.

ولكن فيما يتعلق بتأخير سفننا التي تتجول على مقربة من جزيرة قشم لسفينتكم، فيجب علي القول بأننا لا نخشى في جميع الحروب التي نخوضها إلا الله تعالى، ونحن نقاوم عدونا في أي مكان كان، وعندما تلتقي سفينتي الجوالة مع سفينة لأصدقاء لي، أو تعود لكم

www.almajidcenter.org

مثلاً، أو لعرب متحالفين معي أو لحكومة البصرة فإنها تعاملها بصداقة. أما إذا التقت مع سفينة لعدو لي، فإنها تهاجم هذه السفينة وتدمرها، متكلة على الله".

يتضح من ذلك أن حادثة السفينة "باسين" كانت مجرد خطأ، أسفر عن تأخير سفن القواسم لها لفترة قصيرة. غير أن الشيخ سارع لتصحيح هذا الخطأ قدر الإمكان. ولهذا لا يمكن النظر إلى هذه الحادثة على أنها قرصنة، كما لا يمكن اعتبارها جريمة بأي شكل كان.

وقد أكد صمويل منستي شخصياً في رسالة بعثها إلى بومباي على أن شيخ قبيلة القواسم أعطى أمراً واضحاً وصريحاً إلى سفنه باحترام العلم البريطاني[1].

وكذلك الأمر بالنسبة لحركة الطراد فايبر. إلا أن ملابسات هذه القضية، التي وصفها بعض من شاركوا في الحادثة كانت مبهمة للغاية، وفيها الكثير من اللَّبس. فها هو النقيب سميث (Smith)، المقيم في بوشهر يقول لـ صمويل منستي، المقيم البريطاني في البصرة:

"وصل الطراد فايبر إلى بوشهر في الرابع عشر من سبتمبر، وفي الصباح حضر إلى الساحل قبطان الطراد إدوارد ستيفنسون على متن زورق. وفي صباح اليوم التالي، وبينما كان القبطان يتناول طعام الإفطار سمعنا فجأة دوي قذائف مدفعية، فخرجنا إلى المدرج لنستطلع الأمر فتبين أن الطراد كان محاصراً بأربع سفن كبيرة من نوع داو، وبتولة. وعندها أراد القبطان العودة إلى سفينته ؛ إلا أني لم أكن موافقاً على ذهابه، اعتقاداً مني بأنه سيصبح في عزلة عن سفينته الطراد.

1- Secret and Political Department Diaries (1755- 1808)., op. cit., № 59/1798., pp.133-138, 119.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

وفي هذا الوقت لم يكن شيخ بوشهر في مقر عمله، وكان شقيقه الذي حل محله يتظاهر بأنه سيفعل شيئاً ما لكن ذلك لم يحدث. وعندها لم أستطع أن أقترح شيئاً أو أن أُرسل زورقاً إلى السفينة يحمل الذخيرة التي تحتاجها. وبذلك كان على الطراد أن يقاتل بمفرده. وعندما اقتربت أكبر سفينة داو من سفينتنا أسرع الجنود والضباط، الذين كانوا في هذا الوقت يتناولون طعام الإفطار إلى قطع مرساة السفينة والابتعاد بها إلى عرض البحر.

وفي تلك اللحظة بدأ تبادل الرمي. ومع الأسف أصيب السيد كاروثرز، الضابط الأقدم في الطراد بجرح بليغ. ومع ذلك رفض ترك مكانه والانسحاب إلى أن أصيب بطلقة ثانية أودت بحياته. وعندها تابع المعركة بجرأة المتطوع المستجد السيد سوليتر، وكان الضابط الوحيد المتبقي إلا أن انسحبت سفن الداو. وبعد ذلك صعد القبطان إلى ظهر الطراد، بينما قمت أنا بإرسال مرشدين بحارة إلى السفينة، تحسباً من احتمال أن يرى قبطانها ضرورة لسحبها إلى الخور، بسبب وضعها الذي آلت إليه، (وخصوصاً أن الداوات لا زالت قريبة من مكان الحادث).

وبالفعل صدق حدسي؛ فعندما صعد القبطان إلى ظهر السفينة وجد أن الذخيرة قد نفدت، وقُتل الضابط الأقدم فيها وأحد السباهيين (الجنود الهنود)، وجرح أحد الأوروبيين، وأربعة من السكان المحليين، كانت إصابة أحدهم خطيرة.

كانت سفن الداو راسية في بوشهر قبل ستة أيام من وصول السفينة فايبر، وكان يقود سفن الداو الشيخ صالح، ابن أخي الشيخ صقر، شيخ عرب القواسم، الذين كانوا في حالة حرب مع سلطان مسقط. وكان في نيتهم اعتراض السفن العمانية التي كانت تبحر في هذا الوقت من صور إلى البصرة.

www.almajidcenter.org

وقبل يوم واحد من وصول الطراد فايبر إلى بوشهر سأل الشيخ صالح أحد العاملين لدي عما إذا كان يوجد في الوكالة رصاص، وقد رد عليه هذا بالنفي، ثم أخبرني بالحديث الذي دار بينهما. وفي مساء اليوم الذي وصل فيه الطراد فايبر إلى بوشهر أخبر الشيخ صالح الوكيل بأنه يريد لقائي. وقد جرى السماح له بذلك.

وأثناء اللقاء أكد لي الشيخ صالح عمق الصداقة التي تربط بيننا، كما أخبرني عن نيته مهاجمة داوات صور عندما تخرج من البصرة. وطلب مني الإيعاز إلى القبطان ستيفنسون بعدم حمايتها إذا ما اقتربت من السفينة فايبر بغرض الاحتماء، كما أعرب لي عن أمله بأن لا يجري إرسال بضائع من قبلي أو من قبلكم بسفن الداو العمانية، وإذا ما قمنا بذلك، فعلينا إرسال شخص معها للإبلاغ عن ملكية بريطانيا لهذه البضائع حتى تجري حمايتها من السرقة.

وبعد ذلك طلب مني الشيخ صالح قليلاً من البارود والقذائف من السفينة فايبر. و قد أصدرت أمراً إلى القبطان ستيفنسون بإرسال أربعين قذيفة فقط من عيار ٣ باوند، ولم آمره بإرسال البارود"[1].

أما تقرير وكيل الشركة في مسقط عن هذه الحادثة فقد كان مختلفاً؛ إذ جاء فيه: "وردتنا اليوم رسائل من تجار بوشهر تشير إلى أن قبطان إحدى سفن شركة الهند الشرقية نزل إلى الشاطئ بعد أن أرسى بسفينته في بوشهر.

وبعدها اقتربت من سفينة الشركة خمسة داوات قادمة من جلفار، وكانت تحمل على متنها ٢٥٠ شخصاً، وكانت تنوي مهاجمة السفينة، وعندما لاحظ كبير الضباط ذلك قطع المرساة وابتعد بالسفينة إلى عرض البحر، ثم اشتبك مع الداوات، واستمر القتال من

1-Secret and Political Department Diaries., op. cit., № 59/1798 , pp. 88-92.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

الصباح حتى المساء. وكانت نتيجة المعركة أن قتل عدد من الأشخاص على الداوات، بينما قتل كبير ضباط السفينة فايبر، وأحد بحارتها، وجرح أربعة أشخاص"[1].

أرسل ص. منستي برسالة إلى الشيخ صقر بن راشد يستفسر منه فيها عما حدث. وجاء رد الشيخ صقر برسالة جوابية مؤرخة في نوفمبر عام ١٧٩٧، وفيه: "بعد التحية، تلقيت رسالتكم العزيزة والموقرة، وسررت لأنكم بصحة جيدة. لقد فهمت جيداً ما أخبرتموني به حول الظروف غير السعيدة التي شاء الله تعالى أن تؤدي إلى صدام الشيخ صالح بن محمد بسفينتكم.

يجب أن تعلموا أن صالحاً رحل مؤخراً عن رأس الخيمة، وانفصل عنا، وانتقل إلى الساحل الفارسي للخليج، حيث تحالف مع عرب بني نعيم، وتزوج من امرأة من هذه القبيلة سيئة الطباع. كما يجب أن تعلموا أيضاً أنه منذ بدء المعارك بين عرب القواسم والعمانيين، وانفصال صالح عنا، ومصاحبته لقبيلة بني معين أخذ يجمع السفن، وينفذ عمليات سلب كما يحلو له.

وصالح- كما ذكرتم فعلاً- قام بزيارة إلى المقيم في بوشهر، وطلب منه قذائف وبارود، لكنه لم يكن يضمر أية نوايا سيئة. وما حدث أن سفينتكم هوجمت في البداية من قبل سفينة داو تابعة لعرب من صحار، ثم من سفن أخرى كانت ضمن مجموعة سفن صالح، وجرى عندها صدام، عانى منه رجال صالح.

بعد ذلك أراد صالح أن يتجنب المزيد من الخسائر فقام بتوزيع مقاتليه، واقترب بسفينته الداو من سفينتكم، وإذ بها تقصفه بالقنابل والقذائف المنشارة [المتشظية]، وترميه ببواريد المسكيت. وهذا كل ما جرى، ومعاذ الله أن يكون قريبنا صالح يضمر الشر

1- Secret and Political Department Diaries., op. cit., № 59/1798 , p. 199.

www.almajidcenter.org

لأصدقائنا. وإذا بدا أنه يريد مهاجمة سفينتكم، فيمكنكم اتهامه بالسلوك غير اللائق أثناء زيارة الوكالة. وإذا ثبت اتهامه بشكل عادل، فهو مذنب.

و نحن لا توجد لدينا أية خلافات مع الإنكليز، فهم أصدقاء لنا، أما أعداؤنا فهم العمانيون. وكما أخبرناكم صراحة إننا نرغب بصداقتكم بالشكل الذي ترغبون. ونحن لن نتسبب بالضرر لكم، ولا نرغب أن يسببه لكم الآخرون، وسنفعل كل ما هو خير قدر استطاعتنا، ولن نتسبب لكم بأقل ضرر.

عندما استلمنا رسالتكم أصدرنا أوامرنا، وأرسلنا السفن لإحضار صالح إلينا. ونحن نوافق على تسوية هذه الحادثة التي وقعت، وحتى ما هو أخطر منها بشكل عقلاني. إن شهرتكم بيننا وبين جميع عرب الخليج عالية جداً، ورغباتكم يجب أن تنفذ. ويجب أن تتعزز صداقتنا بإذن الله. وأنتم تستطيعون الاعتماد كل الاعتماد على صداقتنا لكم، التي سنظهرها لكم قولاً وعملاً، وليمنحكم الله الصحة"[1].

بعد ذلك بعث ص. منستي برسالة إلى حاكم بومباي، جونثان دنكان (Jonathan Duncan) يطلعه فيها على رد الشيخ صقر بن راشد، والذي كان مرضياً تماماً. وقد كان منستي على قناعة تامة بأن الشيخ والقواسم لن يتسببوا بأي ضرر للسفن البريطانية.

وكان رأيه بأن الشيخ صقر كان مستاءً مما حدث. ويبدو أنه سينزع الثقة عن ابن أخيه. وقد يعاقبه بنفسه على جرمه بما تسمح به علاقات القرابة، وذلك على الرغم من محاولته تبرير سلوكه بشكل لبق وذكي[2].

1- Secret and Political Department Diaries., op. cit., № 59/1797 , pp.138-44
2- Secret and Political Department Diaries., op. cit., № 59/1798 , p. 79.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

لقد أكد ف. واردن شهادة المقيم البريطاني في بوشهر، ولحد ما شهادة الشيخ صقر بن راشد على أن حادثة الطراد فايبر التي وقعت سنة ١٧٩٧ كانت من بين الأعمال التي قام بها العرب لصالح إمام عمان المخلوع، الأخ الأكبر لسعيد بن سلطان[١].

ويمكن القول إنه حتى في هذه الحالة لم تكن العملية عملية قرصنة. بل الأكثر من ذلك أن السفينة البريطانية فايبر هي التي كانت أول من أطلق النار ظناً من كبير ضباطها أن السفن تنوي مهاجمته، في حين كانت مكلفة بتنفذ عملية مختلفة تماماً، خاصة بالسفن العمانية الخارجة من صور.

والقواسم الذين شاركوا في هذه الحادثة ما هم سوى جماعة منشقة تعمل بمفردها في صدام بين العرب فقط، والذي دس الإنكليز أنفهم فيه، وانسلوا منه بعد أن قتلوا عدداً من العرب أكبر بكثير من الرجلين، اللذين فقدوهما. ومع ذلك كان الشيخ صقر بن راشد مستعداً "لتسوية المشكلة بصورة عقلانية"[٢].

يتضح من مراسلات الشيخ صقر بن راشد مع الممثلين الإنكليز، وتقارير الأخيرين المرفوعة إلى حكوماتهم أنه لم تكن هناك أية نية لدى القواسم لمهاجمة السفن البريطانية، وإعلان الحرب على شركة الهند الشرقية البريطانية كما يدعي المؤرخون والباحثون الأوروبيون، وفي مقدمتهم الإنكليز. كما لم تكن هناك أية مواقف عدائية اتخذها القواسم اتجاه الإنكليز، على الرغم من أن شركة الهند الشرقية باتت من أخطر المنافسين للقبائل المحلية في التجارة، التي تشكل المصدر الوحيد لدخلها.

1-Summary of the proceedings relative to boats captured in the Persian Gulf, vol. 77/1819- 1820. Minute by Mr. F. Warden.; pp. 9-10.

2- op. cit., p.11.

www.almajidcenter.org

الفصل الخامس

القواسم في فترة تبعيتهم للوهابية

(١٨٠٠- ١٨١٨)

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة... وعطاء مستمر

www.almajidcenter.org

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة... وعطاء مستمر

www.almajidcenter.org

بدأت الحركة الوهابية[١] تؤثر بشكل كبير على الشؤون الاجتماعية والسياسية في كامل الجزيرة العربية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر. وفي أواخر هذا القرن تحولت الحركة إلى قوة محركة لتاريخ الخليج العربي بشكل عام، وتاريخ القواسم بشكل خاص[٢]. وقد لاقت الحركة الوهابية تأييداً قوياً من آل سعود في الدرعية (في نجد). وفي صيف عام ١٧٤٤ اجتمع مؤسس الحركة محمد بن عبد الوهاب مع محمد بن سعود وجرى بينهما تحالف، وتعاهد الرجلان على نشر الدعوة الوهابية، ونصرة بعضهما البعض بشتى السبل. ومنذ ذلك الحين توطدت العلاقة بين الطرفين، وازدادت قوة بحدوث مصاهرة بينهما[٣].

بعد ذلك خاض الوهابيون حروباً دامت نحو ثلاثين عاماً بقيادة محمد بن سعود وابنه عبد العزيز. وفي تلك الحروب كان الاثنان يستخدمان شعارات دينية وهابية ضد الأعداء الإقطاعيين[٤]. وبعد الانتهاء من توحيد نجد وإخضاع جزيرة العرب المركزية بكاملها، بما في ذلك منطقة الأحساء في جزيرة العرب الشرقية راح الوهابيون يُخضعون القبائل على سواحل الخليج العربي[٥].

١- تأسست الحركة الوهابية في الجزيرة العربية في منتصف القرن الثامن عشر على يد الداعية محمد بن عبد الوهاب (١٧٠٣-١٧٩٢). وقد لاقت الأيديولوجية الوهابية تأييداً من أسرة آل سعود، الذين استخدموا القوة لجعل الجزيرة العربية موحدة بأكملها تحت حكمهم. للمزيد من التفاصيل انظر:

- Winder, R. B. A History of the Sa'udi State from 1233/ 1818-13008/1891. Ph.D. Thesis, Princeton University, 1950;
- Winder, R. B. Saudi Arabia in the Nineteenth Century. N.5., 1965;
- Zwemer, S. M. Arabia: The Cradle of Islam. L. 1900.

٢- كانت الوهابية في بدايتها مجرد حركة دينية، لكنها ما لبثت أن تطورت نتيجة للظروف، وتحولت إلى حركة سياسية ودينية. وكانت الأساس الذي بنيت عليه الدولة السعودية.

3 Winder, R. B. Saudi Arabia in the Nineteenth Century. N.5., 1965.; p. 7.

٤- كانت أول حملة تخرج من الدرعية صغيرة جداً، إذ لم يتجاوز عدد الأشخاص الذين شاركوا فيها سبعة من راكبي الجمال. وكانت فريستهم جماعة من البدو، عادوا منها بأول غنيمة. ومنذ ذلك الحين وحتى انهيار الدولة السعودية الأولى كانت الغنائم الحربية من أحد المصادر الاقتصادية الأساسية لهذه الدولة.

٥- أخذ التوسع الوهابي في هذه المرحلة ثلاثة اتجاهات: الاتجاه الغربي، نحو الحجاز والمدن المقدسة؛ والاتجاه الشمالي، نحو بغداد وسوريا؛ والاتجاه الجنوبي الشرقي نحو عمان والمراكز البحرية في الخليج العربي.

www.almajidcenter.org

تثبيت سلطة الوهابيين:

يوجد تباين في آراء المؤرخين حول الفتح الوهابي لهذه المنطقة، فجون لوريمر مثلاً يرى أن ذلك حدث في سنة ١٨٠٠[١]، ويؤيده في ذلك أ. ويلسون، وج. كيلي[٢]؛ بينما يرى ج. سالدانا أن سنة ١٨٠٤ هي السنة التي وصل فيها الوهابيون إلى سواحل الخليج العربي، الأمر الذي نجده نحن بعيداً عن الواقع[٣].

وهناك مجموعة أخرى من المؤرخين من بينهم مايلز، الخبير في شؤون عمان، ترى أن سنة ١٧٩٧ هي السنة التي بدأ فيها التوسع الوهابي. ويقول مايلز في هذا الخصوص إن السعوديين توجهوا إلى الساحل الشمالي لخليج عمان في سنة ١٧٩٧ في محاولة منهم لإخضاع القبائل البحرية المتنازعة، ولا سيما قبائل بني ياس، وكعب، والقواسم. وقد أبدت هذه القبائل مقاومة عنيدة على مدى ثلاث سنوات. إلا إنه في عام ١٨٠٠ جرى إخضاع القواسم، وعندها انضموا إلى الحركة الوهابية[٤].

يؤيد مخطوط " لمع الشهاب. . . " رأي مايلز بشكل غير مباشر. فعلى الرغم من أن هذا المخطوط لم يشر إلى تاريخ بداية التوسع الوهابي بشكل صريح، فإن صاحبه، المجهول الهوية، استنتج من مقارنة الوقائع أن ذلك حدث قبل عملية اغتيال عبد العزيز بسبع سنوات. وبما إن حادثة الاغتيال وقعت في نهاية عام ١٨٠٣، فيبدو أن سنة ١٧٩٧ هي بداية التوسع الوهابي[٥].

1- Lorimer, op. cit., p.197.
2- Wilson, op. cit., p.197;
- Kelly, op. cit., p. 102.
3- Saldanha, ed. Précis of Nejd Affairs 1804- 1904. Simla, 1904.pp. 1,3,6.
4- Miles, op. cit., p. 288.

٥- لمع الشهاب، (مرجع سابق)، ص ٧٨-٨٤.

www.almajidcenter.org

أما السعوديون فيرون أن بداية التوسع الوهابي كان في سنة ١٧٩٥، التي جرى فيها حشد قواتهم في واحة البريمي. ويؤيد ذلك كل من كلارنس مان (K. Mann)[١]، وج. فلبي، الذي يشير أيضاً إلى أن القواسم انضموا إلى الوهابيين قبل هجومهم على السفينة باسين، والطراد فايبر في سنة ١٧٩٧ كما مر معنا.

على الرغم من تباين وجهات النظر في هذه القضية، فإنه يمكن القول إن سنة ١٧٩٧ كانت بدايةً للتوسع الوهابي وإخضاع القواسم. وقد أخذ بهذا الرأي كل من مايلز، وصاحب مخطوط "لمع الشهاب. . . ". أما بكنجهام، و"إتش. لو" فيؤكدان أن القواسم قاوموا الوهابيين مدة ثلاث سنوات[٢]. وإذا أخذنا بنظر الاعتبار أن الإخضاع النهائي للقواسم إلى الوهابية تم في سنة ١٨٠٠ لأمكننا القول إن سنة ١٧٩٧ هي السنة الأقرب إلى الحقيقة[٣].

وعلى العموم بدأ عبد العزيز بإخضاع القواسم بعد إخضاع قبيلة بني نعيم، واحتلال واحتهم الرئيسة، البريمي مباشرة. في البداية حاول عبد العزيز إقناع شيخهم صقر بن راشد بالانضمام إلى الوهابية طواعية؛ وعندما رفض الشيخ صقر هذه الدعوة، أصدر عبد العزيز أوامره إلى قبيلة بني نعيم بمهاجمة القواسم، وإخضاعهم بالقوة.

1- Mann K. C. Abu Dhabi. Birth of an oil Sheikdam. B eirut, 2nd ed., 1969. p. 24.

٢- ابن غنام، حسين (مرجع سابق)، ٢٧، مج ٢، ص ٢١١، وانظر:

Low, op. cit., Vol. 1. p. 312.

٣- مرت العلاقات بين القواسم والوهابيين بمرحلتين: الأولى (١٧٩٧- ١٨٠٠) تمثلت بالمقاومة العنيدة التي أبداها القواسم في حروبهم ضد الوهابيين؛ والثانية (١٨٠٠-١٨١٨)، وفيها اتبع القواسم المذهب الوهابي، وانضموا إلى الدولة السعودية الأولى، التي انهارت أمام ضربات المصريين في سنة ١٨١٨. وعلى الرغم من ذلك ظل القواسم مخلصين للمذهب الوهابي، وحافظوا على علاقات راسخة مع سلالة آل سعود الملكية الحاكمة حتى الوقت الحاضر.

www.almajidcenter.org

تحركت قوات بني نعيم وهاجمت القواسم، إلا أن صقر بن راشد تمكن من التصدي للهجوم، وسحق القوات المهاجمة[١]. وعندها ما كان من شيخ قبيلة بني نعيم إلا أن أبلغ الدرعية بعجزه عن قهر القواسم وإخضاعهم. وعلى الفور أرسل الأميرُ الوهابي مطلقَ المطيري على رأس قوة قوامها ألف مقاتل، انضمت إليها قوة أخرى قوامها مائتا فارس وهابي بقيادة سعدون العلي من البريمي، وخمسمائة فارس آخر من قبيلة بني نعيم.

عندما وصلت هذه القوات إلى مشارف رأس الخيمة حاولت قطع الطريق بين المدينة ومنطقة بساتين النخيل[٢]، لكنها أخفقت في ذلك؛ إذ شن ألف فارس من القواسم هجوماً معاكساً ألحق الهزيمة بالوهابيين، وأجبرهم على الإنسحاب. إلا أن الأخيرين لم يتخلوا عن فكرة إخضاع القواسم لهم بالقوة؛ إذ سرعان ما أعيد إرسال القائد الوهابي مطلق المطيري للهجوم على رأس الخيمة بجيش قوامه أربعة آلاف مقاتل، جرى جمعهم من القبائل الموالية للوهابيين.

ضرب الوهابيون طوقاً على رأس الخيمة، وفصلوها عن منطقة بساتين النخيل والبحر. وبعد سبعة عشر يوماً من الحصار اضطر القواسم لطلب الصلح. وجرى لقاء بين صقر بن راشد ومطلق المطيري أبدى خلاله شيخ القواسم استعداداً لاتباع مذهب الوهابيين ، الأمر الذي لاقى تأييداً من معظم شيوخ القواسم، وكان ذلك في عام ١٧٩٩. إلا أن قيام مطلق المطيري بمحاولة هدم ضريح أحد القديسين في رأس الخيمة أثار حفيظة القواسم، وجعلهم يهبون لمحاربة الوهابيين من جديد[٣]. ووقع الصدام المسلح بين الطرفين، وكانت الغلبة في النهاية للوهابيين، الذين أرغموا القواسم على الفرار إلى أقربائهم في لنجه.

١ -لمع الشهاب، (مرجع سابق)، ص ٧٩.

٢- تقع منطقة بساتين النخيل في جنوب شرق الخليج العربي على الساحل الذي تقع عليه رأس الخيمة

Buckingham, op. cit., Vol. 2.; pp. 353-354.

٣- كان هذا الضريح البيت الذي كان يقيم فيه السيد القديس حسن، الذي يقول عنه صاحب مخطوط لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب إنه المرشد لراشد بن مطر.

www.almajidcenter.org

وعلى الرغم من تمكن الوهابيين من الاستيلاء على رأس الخيمة، وانتزاع اعتراف الشيخ صقر بن راشد بمذهبهم الديني، فإن قسماً من أنصار القواسم من قبيلة الزعاب في جزيرة الحمراء، وقبيلة الطنيج في الرمس استمر في مقاومة الوهابيين بشكل عنيد إلى أن تم إخضاعه بالقوة، وعندها اتبعوا مذهب الوهابيين الديني [١].

عندما كان القواسم يقاومون الوهابيين كانوا مضطرين لتناسي عدائهم التقليدي لعمان لبعض الوقت. وقد حاولوا، بتضافر الجهود، مواجهة الخطر الذي شكله عليهم أنصار التيار الديني الجديد، غير أنهم أخفقوا في ذلك، وقبل انهيار الدولة السعودية الأولى كان القواسم قد غيروا سياستهم[٢].

عند تحليل مجرى الصراع بين القواسم والوهابيين تجدر الإشارة إلى خطأ وقع فيه المؤرخ المصري صلاح العقاد عندما قال: "عندما وصل نفوذ الدولة السعودية الأولى إلى جنوب شرق شبه الجزيرة العربية رحب زعيم القواسم سلطان بن صقر بإعلان التبعية لحكومة الدرعية، ما دامت هذه الأخيرة لن تغير من وضعه كزعيم للقبيلة "[٣].

وخطؤه في ذلك أن شيخ القواسم كان آنذاك صقر بن راشد، وليس ابنه سلطان الذي لم يشغل منصب المشيخة إلا في عام ١٨٠٣، عندما توفي والده صقر[٤]. هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية لم يرحب شيخ القواسم بالوهابيين، بل قاومهم بالسلاح. ورداً على قول العقاد بأن حكومة الدرعية "لن تغير من وضعه كزعيم للقبيلة"، نقول بأن الوهابيين أضعفوا من سلطة شيخ القواسم إلى حد ما، وهذا ما أثار استياء صقر بن راشد كثيراً[٥].

١- لمع الشهاب، (مرجع سابق)، ص ٧٩-٨١.

2- Hawley, op. cit., p. 97.

٣- العقاد، صلاح، (مرجع سابق)، ص ٩٨.

4- Saldanha, op. cit., p. 303.

5- Kelly, op. cit., p. 100.

www.almajidcenter.org

وحول الحد من سلطة القواسم يشير صاحب مخطوط " لمع الشهاب. . . " إلى أن قبيلتي الطنيج والزعاب كانتا تحكمان من رأس الخيمة؛ إلا أنهما خضعتا إلى الوهابيين بعد غزوهما. ويقول في موضع آخر عن قبيلة بني بو علي إن هذه القبيلة كانت تتبع للقواسم قبل أن تصبح تحت سلطة آل سعود.

بعد توقف القواسم عن مقاومة الوهابيين واتباعهم مذهب الأخيرين لعبت قبيلتهم دوراً هاماً في تعزيز هذا المذهب ونشره. وهذا الموقف جعل عبد العزيز يقول فيهم إن وحدتهم جديرة بالإعجاب، وتشرفهم. وكان للقواسم مكانة خاصة في نفس الوهابيين، وزعيمهم الديني علي[1] ، الذي لم يكن يرض بضيافة أحد له ولا يستضيف أحداً قط إلا قواسم أهل الخيمة.

وعندما كان أفراد هذه القبيلة يفدون على سعود كان الشيخ علي بن الشيخ محمد يستضيفهم ويجلس معهم على مائدة واحدة. وكان عادةً ما يقول عن غنائم القواسم إن "كل ما غنموه أهل رأس الخيمة أحل من حليب الوالدة"[2].

لا شك بأن هناك جملة من الأسباب تفسر تعصب القواسم للعقيدة الجديدة منها أنه: أولاً ، بقدر استيلاء الوهابيين على أراض جديدة، وازدياد ثروتهم، بقدر ما يقدمون من المساعدات المالية إلى القبائل الفقيرة، ومن ضمنها القواسم، الذين يقيمون على ساحل الخليج العربي ويفتقرون إلى المصادر الطبيعية التي تعين على العيش الكريم؛

١- علي ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب. ولي المشيخة بعد وفاة أخيه حسين بن محمد بن عبد الوهاب. انظر لمع الشهاب (مرجع سابق)، ص ١٧٧ المترجم.

٢-لمع الشهاب، (مرجع سابق)، ص ٨١، ٨٣، ١٧٧.

www.almajidcenter.org

ثانياً، معظم هذه القبائل كانت سنية المذهب، ولهذا لم يكن من الصعب عليها القبول بمبادئ الوهابية، القريبة من مبادئها، وكون القواسم من أهل السنة، فقد كانوا من ألد الأعداء لآل بوسعيد، حكام عمان الأباضيين[١].

وقد كان هذا الاختلاف الديني – السياسي سبباً في استمرار الحروب بين أنصار الطرفين طيلة النصف الثاني من القرن الثامن عشر. وعلى الرغم من أن مذهب الوهابيين يمكن أن يكون قد فرض على القواسم بالقوة، إلا أن هؤلاء الأخيرين وجدوا فيه فرصة لتوجيه ضربات قوية إلى السلطة الحاكمة في عمان؛ إذ أن انضمام القواسم إلى الوهابيين يمكن أن يؤمن لهم دعماً برياً من القوات الوهابية إذا ما قام أسطولهم البحري بتوجيه ضربات إلى العمانيين.

ومن جهتهم وجد الوهابيون في القواسم، الذين يتميزون بالشجاعة والقوة، والمفطورين على القتال، دعماً لحربهم المقدسة (الجهاد). وبهذا الشكل اكتسب نضال القواسم ضد أعدائهم في هذه المرحلة صبغة دينية. وكانوا ينظرون إلى القبائل التي لا تشاطر الوهابيين آراءهم على أنها معادية لهم، والمناطق التي تقيم فيها هذه القبائل، تعد بؤر حرب[٢].

ووفقاً لذلك كان الوهابيون يعتبرون هجماتهم البرية شكلاً من أشكال الحرب المقدسة، وكانوا يعدون الغنائم التي يستولون عليها غنائم حرب[٣]. وغدت تلك الهجمات شكلاً من أشكال الجهاد ضد الكفار، الذين ينكرون المبادئ الوهابية.

1- Kelly, op. cit., p 55.
2- Hawley, op. cit., p.97.
3- Ross, op. cit., p. 196..

www.almajidcenter.org

بعد اتباع القواسم مذهب الوهابيين الديني زادوا من نشاطهم البحري في الخليج العربي. بل وصلوا بهذا النشاط إلى السواحل الهندية. وقد سجلوا أول ظهور لهم في شمال بومباي في شهرإبريل عام ١٨٠٨[١].

كان الوهابيون يشجعون القبائل العربية، ومن ضمنها القواسم على الجهاد بشتى السبل. بل إنهم كانوا يشكلون على هذه القبائل ضغطاً مباشراً من أجل زيادة نشاطها في الجهاد.

ومما يؤكد على أن الوهابيين كانوا يحرضون القبائل البحرية على الجهاد رسالة بعث بها سعود إلى حاكم عمان بدر بن سيف، والتي جاء فيها: " إنك من غير شك سوف تبادر إلى الدخول في الحرب المقدسة معنا ضد الهند فأنت لا تقاتل في هذه الحرب من أجلي أنا ولكنه جهاد في سبيل الله"[٢].

عندما زاد القواسم من أعمالهم القتالية في البحر ضد أعدائهم كانت ردود فعل الإنكليز سلبية وفورية. وكانوا ينظرون إلى تلك الأعمال على أنها أعمال قرصنة. وقد أشار النقيب ديفيد سيتون، المقيم البريطاني في مسقط إلى أن قرصنة القواسم ليست إلا نتيجة لتحريض الوهابيين لهم. ويرى ف. واردن أن سنة ١٨٠٤ يمكن اعتبارها بداية القرصنة المنتظمة للقواسم[٣].

أما صاحب مخطوط "لمع الشهاب. . " المجهول الهوية، فقد كان أكثر حذراً في تقديره لبداية قرصنة القواسم، فقد قال في ذلك: "خرجوا للجهاد في سفنهم (يقصد قبيلتي

1- Saldanha, op. cit., p. 304.
2- Warden ،Francis. "Historical Sketch of the Wahabee Tribe of Arabs ،from the year 1795 to the year 1817" in S. R. B. G. №. 24. Bombay, 1856. pp. 430-431.
3- Warden, Francis. "Historical Sketch of the Joasmee Tribe of Arabs from the year 1747 to the year 1819", in S. R. B. G. №. 24. Bombay. 1856. pp. 319, 305.

www.almajidcenter.org

الزعاب والطنيج - المؤلف)، وكانوا يسلبون أكثر من القواسم، الذين كانوا يتعففون منذ البداية عن التعرض لأموال الناس ودمائهم. وبعد وفاة صقر بن راشد أوصل آل سعود ابنه سلطان بن صقر إلى ناصية الحكم، فغير ما كان يصنع أبوه، وأخذ ينهب في البحر. وفي عام ١٨٠٣ نهب سبعاً وثلاثين سفينة"[١]. أما خ. فلبي فيقول بأن القواسم زادوا من نشاطهم تحت تأثير العقيدة الجديدة.

اتسمت أعمال القواسم، نتيجة لتأثير مذهب الوهابيين، بمسحة من التعصب الديني الذي أصبح يلازمهم منذ ذلك الحين في جميع حملاتهم البحرية. وقد عزز اتباعهم المذهب الجديد نزعتهم القتالية التي فطروا عليها.

يقول ج. كيرزون في هذا الخصوص إن القواسم أصبحوا من الأعداء الذين يُخشى جانبهم، وما ذلك إلا نتيجة لتأثير الوهابية فيهم[٢]. ومن جهته يشير بكنجهام إلى أن مذهب الوهابيين جعل من القواسم مقاتلين متعصبين دينياً، وقراصنة أشداء[٣].

أما مالكولم فيقول في القواسم معتمداً على أقوال عربي كان مرافقاً له: "بعد اتباع القواسم مذهب الوهابية أصبحت هجماتهم تمتاز بالعنف"، ويقول أيضاً إن القواسم الذين يدينون بدين الوهابية يعتمدون على حماية الله لهم، وهم قساة في القرصنة، ويبررون كل عمل يقومون به دينياً، وهم يتقيدون بكل ما جاء في الكتاب المقدس (يقصد القرآن الكريم _ المؤلف)، ولا يقبلون ما عداه من تفسير، أو تأويل، أو تقليد[٤].

١- لمع الشهاب، (مرجع سابق)، ص ٨١-٨٢.

2- Curzon, op. cit., p. 448.

3- Warden, Francis. op. cit., p. 320.

4- Malcolm, Sir John. op. cit., Vol. 1.; pp. 27-28.

www.almajidcenter.org

يصف ج. كيلي المخاوف الحقيقية، بل هستريا السلطات البريطانية في الهند من ازدياد نشاط القواسم في البحر، بعد اعتناقهم المذهب الوهابي بشيء من الدقة عندما يقول: "بعد وفاة سلطان (يقصد سلطان بن سعيد ـ المؤلف) بعدة أسابيع هب الخليج بأكمله للقتال. وقد حاول القواسم كسب السيطرة البحرية، التي كانت في السابق بيد مسقط؛

وبالتعاون مع أبناء عمومتهم، سكان لنجه على الساحل الفارسي للخليج، ومع قبيلة بني معين سكان قشم، وهرمز ، استولى القواسم على هاتين الجزيرتين في سنة ١٨٠٥، كما تمكنوا من الاستيلاء فيما بعد على بندر عباس وفرضوا حصاراً على ميناب التي لا تبعد عن بندر عباس أكثر من بضعة أميال. وما إن تمت السيطرة لهم على مضائق هرمز حتى أصبحوا في وضع يمكنهم من تهديد ومهاجمة أي سفينة قادمة إلى الخليج أو مغادرة إياه[1].

من السهل دحض هذه الاستنتاجات الخاطئة لهذا المؤرخ الذي يقبل بسهولة ما يرويه الإنكليز عن تاريخ الخليج العربي. فأولاً قوله عن السيطرة البحرية إنها كانت في السابق بيد مسقط ما هو إلا من الأمنيات الطيبة التي كان يتمناها، وما ذلك إلا بسبب العلاقات الطيبة التي كانت تربط الإنكليز بعمان؛ وثانياً كيف تمكن بنو معين من الاستيلاء على جزيرتي قشم وهرمز إذا كانت هاتان الجزيرتان لها أصلاً؟! ثم ممن استولت قبيلة بني معين على هاتين الجزيرتين ؟! وثالثاً لا يوجد ما يؤكد أن قواسم رأس الخيمة أو لنجه قد شاركوا بهذه الأعمال المزعومة؛ ثم إنه على الرغم من أن بندر عباس كانت محتلة فعلاً من بني معين، فإن القواسم أنفسهم لا يمتون بصلة إلى هذه العملية.

ولكي يؤكد المؤرخ الإنكليزي رؤياه يثير قضية التعصب الديني لدى القواسم، ويؤكد أن تحولهم مؤخراً إلى المذهب الوهابي أعاد إليهم روح القتال الذي فُطروا عليه. وبعد

1- Kelly, op. cit., pp. 105-106.

www.almajidcenter.org

ذلك يتهمهم بالقيام بأعمال قرصنة. وكثيراً ما كان يكرر التهم غير المؤكدة، التي أطلقها لأول مرة الشخص الذي له مصلحة في ذلك، وهو جون لوريمر.

الواقع إن سيطرة الوهابيين على القواسم لم تكن مباشرة كسيطرتهم على القبائل الأخرى؛ وقد اكتفى آل سعود بأن يعلن شيخ القواسم تبعيته للدولة الوهابية، والتعبير عن هذه التبعية ينحصر في دفع الزكاة، وهي خمس غنائم الحرب.

ويؤكد الدكتور صلاح العقاد أن ارتباط القواسم بآل سعود كان ارتباطاً معنوياً، ودليله على ذلك أن النشاط البحري للقواسم كان كبيراً قبيل انهيار الدولة السعودية الأولى تحت ضربات المصريين (١٨١١ – ١٨١٨)، بل إن القواسم مدوا نشاطهم إلى السواحل الهندية.

يقول الدكتور صلاح العقاد في ذلك: "جدد القواسم نشاطهم في البحر، وأخذوا يتعرضون لسفن الإمارات العربية الأخرى في سنة ١٨١٢، ثم وسعوا نطاق مجازفتهم لتشمل السفن البريطانية، التي راحوا يلاحقونها في المحيط الهندي. تدل هذه الأحداث على أن قوة القواسم لم تكن تستمد حيويتها من وجود الدولة السعودية، وإنما كان ارتباطهم بها معنوياً في الغالب"[١].

لم يكن لانهيار الدولة السعودية الأولى عام ١٨١٨ انعكاس كبير على ساحل الخليج، بدليل أن هجمات القواسم أصبحت أكثر جرأة، ولم يشعروا أنهم أصبحوا دون حماية ودعم من الأمير عبد الله بن سعود، وهذا ما يدل على أن القواسم، سواء كانوا من رأس الخيمة، أو من لنجه لم يكونوا جميعهم تحت سلطة الوهابيين.

١- العقاد، صلاح، (مرجع سابق)، ص ١٠٤.

www.almajidcenter.org

في الرابع عشر من أغسطس بعث المقيم البريطاني في مسقط "د. سيتون" رسالة إلى "ج. دنكان" يخبره فيها بأن شيخ القواسم في لنجه، عم سلطان بن صقر يستغل وجوده على الساحل الفارسي ليثبت أقدامه هناك على الرغم من أنه وهابي ويدفع الإتاوة [الزكاة] إلى سعود.

في الواقع كثيراً ما كان القواسم يتخذون قرارات على درجة كبيرة من الأهمية دون الرجوع إلى الأمير الوهابي؛ فمثلاً أجروا مباحثات مع المقيم البريطاني في مسقط "ديفيد. سيتون". وقد أسفرت هذه المباحثات عن التوقيع على معاهدة سلام، تمت المصادقة عليها في فبراير عام ١٨٠٦، وكان ذلك دون مشاركة، أو حتى دون مشاورة ممثلي السلطات الوهابية في الدرعية[١].

كان من عادة السلطات الوهابية المركزية إرسال ممثلين عنها إلى المناطق الخاضعة للنفوذ الوهابي بمهام، منها دعوة الناس إلى إتباع المذهب الجديد، ومراقبة الأوضاع الداخلية في تلك المناطق. وكان الوهابيون يفرضون على القبائل الخاضعة لهم أموراً لا يمكن تجاوزها، من ذلك إرسال خمس غنائم الحرب إلى الوهابيين[٢].

يشير صاحب مخطوط "لمع الشهاب" في هذا الصدد إلى أن الدرعية تلقت من رأس الخيمة فقط زكاة بقيمة ١٢٠ ألف ريال، فضلاً عن التحف[٣]. ويقول ج. كيلي أن قبيلة القواسم دفعت زكاة بقيمة أربعة آلاف دولار، ولكن بعد خلع سلطان بن صقر عن سدة الحكم، تزايد تعلق القواسم بالوهابية، فازدادت قيمة الزكاة إلى ١٢ ألف دولار[٤].

1- Warden, Francis. op. cit., p. 304.

٢-ابن بشر، عثمان، (مرجع سابق)، ص ١٤٤، ١٤٨.

٣- لمع الشهاب، (مرجع سابق)، ص ١٧٠.

4- Kelly, op. cit., p.110.

www.almajidcenter.org

خلع الشيخ سلطان بن صقر:

تعد حادثة خلع سلطان بن صقر عن زعامة القواسم من قبل الأمير سعود وتعيين حسين بن علي شيخ الرمس زعيماً مؤقتاً لحلف القواسم من أبرز الحوادث التي وقعت بين القواسم والسعوديين. وقد أدى ذلك إلى تزايد التدخل الوهابي في شؤون القواسم، وتعيين نواب وهابيين في بعض مناطق إقامة القواسم[١]. وبعد سنوات قلائل على هذه الحادثة وقع أول انقسام في الاتحاد القاسمي، الأمر الذي أثر بشكل واضح على مستقبلهم.

في الواقع تورد المراجع أسباباً متباينة لخلع الشيخ سلطان بن صقر، كما تتباين أيضاً الآراء في زمن حدوث ذلك، وكيف جرت الواقعة. ومما قيل عن الأسباب التي دفعت سعود بن عبد العزيز لإزاحة سلطان بن صقر عن ناصية الحكم، الرغبة في فرض السيطرة المباشرة على أنشطة القواسم، ولا سيما في البحر، بغرض زيادة هجماتهم على مراكب وسفن المنافسين[٢].

وهناك من المؤرخين من يعزو سبب خلع سلطان بن صقر إلى قيامه بالاتصال سراً مع حاكم مسقط سعيد بن سلطان لتشكيل حلف مناوئ للوهابيين[٣].

1- Warden, Francis. op. cit., p. 306.
Low, op. cit., Vol. 1. p. 324.
2- Wilson, op. cit., p.204.

٣- انظر:

- Badger, op. cit., pp. 320-321.;
- قاسم، جمال زكريا، دولة آل بو سعيد في عمان وشرق أفريقيا (١٧٤١-١٨٦٤)، القاهرة، ١٩٦٧، ص ١٦٩.
- Moyse- Barlett, op. cit., p. 42.

www.almajidcenter.org

أما الدكتور صلاح العقاد فيؤكد أن السبب في خلع سعود لسلطان بن صقر يعود إلى تطلع السعوديين للتصالح مع بريطانيا، بعد أن أصبحت العلاقات معها عدائية، إثر الحملة البريطانية على سواحل الخليج العربي في عام ١٨٠٩[١].

إلا أن وجهة النظر هذه ضعيفة، ولا تحتمل النقد؛ ولا سيما إن تعيين الشيخ الجديد حسين بن علي زعيماً على القواسم رافقه ازدياد نشاط القواسم في البحر، لدرجة أنهم أخذوا يهاجمون السواحل الهندية.

أما نحن فنرى أن السبب في خلع سلطان بن صقر عن سدة الحكم يعود إلى عدم الولاء للقضية الوهابية كما ينبغي، إلى جانب استياء سلطان بن صقر من تدخل الوهابيين في الشؤون الداخلية للقواسم، الأمر الذي أدى إلى الحد من سلطته ونفوذه.

والذي يؤكد ذلك بشكل خاص أن سعود بن عبد العزيز منح القائد الوهابي مطلق المطيري في البريمي صلاحيات مطلقة في قيادة القبائل الخاضعة له[٢]. بالإضافة إلى أن الأمير سعود لم يكن مطمئناً لسلطان بن صقر، وكان يسعى لفرض سيطرة مباشرة على القواسم معتبراً إياهم القوة العربية الرئيسة التي تسيطر على القسم الأكبر من الخليج العربي. وعندما كان سعود يختار من أتباعه المخلصين من يعينه في منصب شيخ قبيلة، والذي يلقب بنائب الوصي، كان يفضل اختياره من القواسم رغبة منه في عدم إثارة العرب[٣].

١- العقاد، صلاح، (مرجع سابق)، ص ١٠٣.

2- Kelly, op. cit., pp. 111, 110.

٣- أصبح هذا الأسلوب متبعاً في الحياة العملية؛ إذ عندما عين عبد العزيز بن محمد أول عامل (نائب) على الدرعية على قبيلة بني خالد في الأحساء، ناجمَ بن دهينيم، الذي لم يكن يعرفه أحد، أثار بذلك الاستياء والاضطراب بين العرب. انظر: ابن بشر، عثمان (مرجع سابق)، ص ١٠٦.

www.almajidcenter.org

وكما تختلف آراء الباحثين والمؤرخين في أسباب خلع سلطان بن صقر، فإنها تختلف أيضاً في زمن هذه الواقعة؛ فهناك الكثير من وثائق حكومة بومباي، مثلها مثل الكثير من أعمال المؤرخين الإنكليز تشير إلى أن واقعة الخلع تمت في سنة ١٨٠٨[١].

وترى مجموعة أخرى من الباحثين والمؤرخين أن ذلك حدث في سنة ١٨٠٩. وتؤكد هذه المجموعة في الوقت نفسه على أن حدوث ذلك جرى قبل الحملة التي جردتها بريطانيا ضد موانئ القواسم في عام ١٨٠٩[٢]. ويختلف بعض المؤرخين العرب أيضاً في هذه المسألة، فعثمان بن بشر يؤكد أن سلطان بن صقر كان شيخاً على القواسم عند هجوم الإنكليز على رأس الخيمة، وأثناء حملة الأمير سعود ضد عمان، إلى أن عزله وجعل مكانه حسن بن رحمة [٣]. إلا أن ابن بشر أسقط على ما يبدو من حسابه زمن حكم حسين بن علي، الذي تنازل عن منصبه في سنة ١٨١٤[٤].

ويتفق مع ابن بشر كل من العقاد، وعبد الرحيم، وجمال زكريا قاسم. فالأول يحدد ذلك بسنة ١٨١٠، ويتفق الثاني معه على ذلك. إلا أن الأخير يبتعد عن الواقع في تأكيده على

١- انظر:

- Lorimer, op. cit., p.641;
- Factory Records of the Tate East India Company، G/29،Persia and Persian Gulf، vols. 20- 32. Vol. 20. p. 9; Vol. 32. p. 27;
- Warden, Francis. op. cit., p. 304;
- Saldanha, J. A. ed. Précis of Correspondence Regarding the Affairs of the Persian Gulf, 1801- 1853. Calcutta, 1906. p. 45;
- Miles, op. cit., p. 314;
- Wilson, op. cit., p. 204.

2- Warden, Francis. "Extract from Brief Notes Relative to the Rise and Progress of the Arab Tribes of the Persian Gulf" in S. R. B. G. № 24 Bombay, 1856. p. 102;
- Hawley, op. cit., p.101.

٣- ابن بشر، عثمان (المرجع السابق)، ص ١٤٩.

٤- ابن بشر، عثمان (المرجع السابق)، ص. ١٧٧.

www.almajidcenter.org

أن الأمير سعود عين نائباً وهابياً للإشراف الإداري على منطقة إقامة القواسم، وذلك بعد خلع سلطان بن صقر في سنة ١٨١٠[١].

أما جمال زكريا قاسم، فعلى الرغم من أنه يحدد سنة ١٨٠٩ تاريخاً لخلع سلطان بن صقر، إلا أنه يشير إلى أن ذلك حدث بعد الحملة البريطانية[٢]. أما سليل بن رزيق فيعطي تاريخاً بعيد الاحتمال لخلع سلطان بن صقر، وهو سنة ١٨١٢، التي نفذ الوهابيون فيها هجوماً على عمان[٣]. ومن الجدير بالذكر أن فيلبي ناقض نفسه بنفسه عندما أشار في أحد مؤلفاته إلى أن ذلك حدث في سنة ١٨٠٨[٤]. بينما أشار في أعماله المتأخرة إلى أن شيخ القواسم كان أثناء حملة عام ١٨٠٩ الشيخ نفسه الذي جرى خلعه.

أما نحن فنرى أن خلع سلطان بن صقر كان في نهاية عام ١٨٠٨ وقبل الحملة البريطانية على رأس الخيمة عام ١٨٠٩. ومرجعنا في ذلك تقارير شاهد العيان النقيب د. سيتون، التي رفعها إلى بومباي في فبراير عام ١٨٠٩، التي يشير فيها إلى أن الأمير الوهابي سعود أمر شيخ القواسم حسين بن علي بإخراج كل سفينة صالحة للعمل إلى البحر في حملة باسم العقيدة الإسلامية ضد الأعداء الكفار، وإرسال خمس غنائم الحرب التي يجري الحصول عليها إلى الدرعية[٥]. ويؤكد هذا الأمر الصادر عن ابن سعود إلى شيخ القواسم الجديد كل من واردن، ولو[٦].

١-عبد الرحيم، عبد الرحيم عبد الرحمن : الدولة السعودية الأولى [: ١١٥٨ - ١٢٣٣هـ/ ١٧٤٥ - ١٨١٨]. ، القاهرة، ١٩٦٩. ص ٢٦٧.

٢- قاسم، جمال زكريا (المرجع السابق)، ، ص ١٦٩.

3- Badger, op. cit., pp. 320-321.
4- Philby, H. Arabia.L., 1930. p. 91.
5- Kelly, op. cit., p. 110.
6-Warden, Francis. op. cit., p. 44;
Low, op. cit., Vol. 1. p. 324.

www.almajidcenter.org

إلى جانب هذا التباين في وجهات النظر حول سبب وزمن خلع الشيخ سلطان بن صقر عن الحكم ظهر خلاف آخر حول الطريقة التي جرى بها الخلع. فقد أشار كل من واردن، ولو، وويلسون، و بارتليك إلى أن الشيخ القاسمي سلطان بن صقر قَبل دعوة وجهها له سعود لزيارة الدرعية، وما إن وصل إلى العاصمة الوهابية حتى ألقي عليه القبض[١].

أما ج. كيلي فيؤكد أن الصلاحيات الواسعة التي منحها الأمير سعود إلى مطلق المطيري، عندما أرسله إلى البريمي على رأس قوة كبيرة لتعزيز السلطة الوهابية فيها مكنته من القيام بعدد من الإجراءات التي أدت إلى القبض على سلطان بن صقر وإرساله إلى الدرعية. وقد كان لهذه الحادثة أثر كبير على القواسم، وعلى علاقتهم بعمان بشكل خاص.

تمكن سلطان بن صقر من الإفلات من قبضة الوهابيين في الدرعية في نهاية عام ١٨١٢. وفي بداية العام التالي وصل إلى مسقط طالباً الحماية من سعيد بن سلطان، وقد أجابه هذا الأخير لطلبه مقابل الاعتراف بسيادته على المنطقة التي يقيم فيها القواسم، والكف عن القيام بهجمات بحرية ضده[٢].

١- يقول بوركهاردت عن السياسة التي كان ينتهجها الأمير سعود: كان من عادته استدعاء الشيوخ الذين لا يحظون بثقة الوهابيين إلى الدرعية، ويبقيهم فيها، ويعين بدلاً عنهم شيوخاً يستطيع الاعتماد عليهم. وعلى الرغم من أن هؤلاء الشيوخ لا يعدون من الأسرى بكل معنى الكلمة؛ إذ كان يؤمن لهم كل ما يحتاجونه، ويسمح لهم بالتحرك داخل المدينة، لكنهم لا يستطيعون مغادرتها. وبهذه الطريقة استطاع الوهابيون جمع عدد كبير من الشيوخ الذين لا يؤمن جانبهم في الدرعية من جميع أنحاء الجزيرة العربية.

Burckhardt, op. cit., Vol. 2. p.178.
- Warden, Francis. op. cit., p. 503.;
- Low, op. cit., Vol. 1. p.324;
- Wilson, op. cit., p. 304;
- Moyse- Barlett, H. The pirates of Trucial Oman. L., 1966. p. 302.
2- Saldanha, op. cit., p. 53.

www.almajidcenter.org

يبدو إن من المنطقي التساؤل هنا عن صحة ما يقوله كل من "واردن"، و"لو" بأن الشيخ السابق للقواسم سلطان بن صقر قد فر إلى اليمن، حيث أخذ سفينة وتوجه بها إلى مسقط وحصل على دعم ومساعدة حاكمها[١]. أم أن الصحيح هو ما تذكره بعض المصادر بأن سلطان بن صقر توجه في البداية إلى جدة، وفي الحجاز اجتمع مع حاكم مصر محمد علي باشا، الذي وجد في الشيخ سلطان فرصة مناسبة للضغط على الوهابيين من خلال مساعدة سلطان مسقط، ودفع هذا الأخير إلى صدام مع الوهابيين؛ وأنه أرسل سلطان بن صقر إلى حاكم مسقط للتحالف ضد الوهابيين؛ وأن سعيد بن سلطان وافق على ذلك فوراً، وأرسل إلى طوسون باشا برسالة يطلب فيها الدعم والتنسيق[٢].

والوقائع تؤيد الرواية الثانية. فقد ذكر مريزي، الذي لم يعاصر الأحداث فحسب، بل شارك في صناعتها بشكل مباشر، إن سلطان بن صقر وصل إلى مسقط في سنة ١٨١٣ قادماً من جدة، حيث ضمن لنفسه بشكل مسبق رعاية وحماية العمانيين[٣].

يؤكد لوريمر في هذا الخصوص أن حاكم عمان كان يتبادل الرسائل مع محمد علي منذ عام ١٨١٣، وأن الحديث في تلك الرسائل كان يدور حول تنسيق الجهود للصراع ضد الوهابيين[٤]. إلا أنه لم يذكر شيئاً عن المراسلات التي شكلت الأساس لبناء التحالف بين الطرفين. وهناك إشارة فقط إلى إن سعيد بن سلطان رفض في عام ١٨١٩ الاشتراك في مشاريع إنكليزية تهدف إلى القضاء على القواسم بالاستعانة بقوات مصرية[٥].

1- Warden, Francis. op. cit., p.35.;
- Low, op. cit., Vol. 1. p. 324
2- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p. 44;
- Miles, op. cit., p. 314.
3- Mansur, Shaikh (Maurizi, Vincenzo)., op. cit.,Pp .32, 88
4- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p. 130.
5- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. pp. 302-303.

www.almajidcenter.org

قرر حاكم مسقط سعيد بن سلطان انتهاز الفرصة التي سنحت له بقدوم سلطان بن صقر، الشيخ السابق للقواسم عليه، والتعاون معه في القضاء على منافسيه القدامى والتقليديين في منطقة الخليج العربي. واستعد للقيام بحملة على رأس الخيمة في سنة ١٨١٣.

وقبل أن يبدأ تنفيذ هذه الحملته بعث سعيد بن سلطان إلى حكومة بومباي يخبرها بمشروعه وأنه قريب من تحقيق هدفه. و يقصد من ذلك إعادة سلطان بن صقر إلى زعامة القواسم. كما أخبر بومباي بأنه إذا ما تحقق له ذلك فإنه سيعقد معاهدة مع سلطان بن صقر شيخ القواسم لمنع تجدد هجمات الأخيرين على عمان مستقبلاً.

واقترح أن يرافقه في الحملة المقيم البريطاني في بوشهر، الملازم وليم بروس، حتى يكون شاهداً على المعاهدة، وليسهم كذلك بتقديم مساعدة عسكرية بسفينة أو سفينتين من سفن شركة الهند الشرقية[١].

وافقت حكومة بومباي على طلب سعيد بن سلطان، وقررت إزاحة منافس عربي بأيد عربية. وأصدرت تعليماتها إلى وليم بروس باتخاذ الإجراءات اللازمة، ومرافقة سعيد بن سلطان بإحدى السفن البريطانية[٢]. كما جرى تكليف و. بروس بإجراء مباحثات مع الشيخ سلطان بن صقر، في حال نجاح العملية، لتعديل صيغة معاهدة عام ١٨٠٦، وكذلك عقد معاهدات جديدة على غرارها مع بقية الشيوخ[٣].

1- Kelly, op. cit., p.130.
2- Warden, Francis. op. cit., p. 308.; Low, op. cit., Vol. 1. p.337.
3-Saldanha, op. cit., p. 53.

www.almajidcenter.org

ونتيجة لدعم وتأييد حكومة بومباي لسعيد بن سلطان نجح هذا الأخير في عقد تحالف مع حاكم أبو ظبي الشيخ شخبوط، الذي تعهد له بمشاركة قواته في الحملة ضد رأس الخيمة[١].

في سنة ١٨١٣ قامت فرقة مسقطية قوامها ألفا مقاتل بالهجوم على رأس الخيمة فاصطدمت بمقاومة شديدة من جانب القواسم عجزت عن كسرها. وفي الوقت نفسه لم يستطع الشيخ شخبوط، زعيم بني ياس تقديم المساعدة التي تعهد بها إلى سعيد بن سلطان في حملته على رأس الخيمة، الأمر الذي حمل هذا الأخير على الانسحاب إلى مسقط دون أن يحقق أياً من أهدافه[٢].

ومع ذلك لم يتخل سعيد بن سلطان عن محاولاته القضاء على القواسم. ففي العام التالي أرسل إلى حاكم بومباي إيفان نيبين (Ivan Nepean) يطلب المساعدة بفرقة من الجنود الإنكليز وسفينتين، وكان يعتمد بذلك على التحالف القائم بين عمان وبريطانيا.

إلا أن السلطات البريطانية لم تقبل بتفسيره أن معاهدات الصداقة الموقعة بينهما تعني تحالفاً دفاعياً وهجومياً. وردت عليه بأن المعاهدات الموقعة بين عمان وبريطانيا لا تعني مساعدة طرف للآخر في خوض الحرب.

ومع ذلك طلبت من بروس مرافقة سعيد بن سلطان في هجومه الثاني على رأس الخيمة، وفوضته بالتباحث مع القواسم بشأن الخسائر التي ألحقوها بالإنكليز، وكذلك استيضاح مدى قابليتهم لعقد اتفاقية جديدة[٣].

1- Mann K. C., op. cit., p. 25.
2- Miles, op. cit., p. 319.
3- Saldanha, op. cit., pp.53-54.

www.almajidcenter.org

وعلى أثر الهجوم العماني على رأس الخيمة الذي شاركت فيه هذه المرة قبيلة بني ياس، اضطر شيخ القواسم، حسن بن رحمة للموافقة على توقيع معاهدة إنهاء النزاع بين العمانيين والقواسم[1]. وهنا تعهدت قبيلة القواسم العربية بالكف عن مهاجمة سكان سواحل الخليجين العربي والعماني: من البحرين إلى رأس الحد، باعتبار أنهم من رعايا حاكم مسقط؛ كما تعهد شيخ القواسم حسن بن رحمة بإعادة كل ما غنمه القواسم في البحر، وبإعادة سلطان بن صقر إلى زعامة القواسم في الشارقة.

جدير بالذكر أنه لم تكن للمقيم البريطاني وليم بروس أية مشاركة في هذه المفاوضات. ويبدو أنه اقتنع بالنتائج التي جرى التوصل إليها، ورأى أن من الأفضل لبريطانيا عدم التدخل في هذه المفاوضات.

في هذه الفترة (١٨١٤ – ١٨١٦) كان يتهدد الوهابيين خطر حقيقي من المصريين. ولهذا لم يقدموا على أي محاولة لخلع سلطان بن صقر مرة أخرى. والأكثر من ذلك أن حسن بن رحمة لم يحاول، أثناء التوقيع على المعاهدة حذف بند فيها يشير إلى أن سلطان بن صقر هو حاكم الشارقة.

وفي تلك الفترة حصل شيء من الانسجام بين الشارقة ورأس الخيمة، وبقية موانئ القواسم، على الرغم من أن سفن الشارقة لم تقم بأي نشاط بحري ضد عمان أو بريطانيا. وقد اجتمع شيوخ سواحل القواسم، وكان بينهم سلطان بن صقر، بعد هجوم وليم بروس الفاشل على رأس الخيمة في عام ١٨١٦، وجرى الاتفاق فيما بينهم على نصرة بعضهم البعض، والتصدي لأي هجوم تتعرض له رأس الخيمة[2].

1- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p. 651.
2- Factory Records of the Tate East India Company. op. cit., Vol. 32. №. 5.; p. 16.

www.almajidcenter.org

في بداية القرن التاسع عشر كانت العلاقات بين القواسم والوهابيين سرية إلى حد ما. وقد برز ذلك بوضوح عندما حاول القواسم مساعدة الدرعية، عندما كانت مهددة بالسقوط نتيجة لضربات المصريين وهجماتهم. فعندها أرسل القواسم إلى القطيف سبع عشرة سفينة كبيرة مع عدد كبير من القوات لمساعدة الدولة السعودية. إلا أن هذه المساعدة وصلت متأخرة، وفي سنة ١٨١٨ سقطت الدرعية بيد المصريين، الأمر الذي اضطر الوهابيين إلى اللجوء إلى القواسم[١].

ولا شك بأن هاتين الواقعتين تدلان على مدى قوة علاقة الصداقة التي ربطت القواسم بالدرعية، وأن الخضوع للوهابية في بداية القرن الماضي - على الأقل - لم يكن أمراً مفروضاً على القواسم، وإنما كان ذلك طواعية منهم.

العلاقات القاسمية - العمانية (١٨٠٠ - ١٨١٩)

مرت العلاقات القاسمية - العمانية في هذه الفترة بثلاث مراحل أساسية، تتصف كل مرحلة منها بخصائص سياسية داخلية وخارجية.

تتمثل المرحلة الأولى بالفترة المتبقية من حكم سلطان بن أحمد من عام ١٨٠٠ إلى نهاية عام ١٨٠٤؛ والمرحلة الثانية تتمثل بفترة حكم بدر بن سيف، وتمتد من عام ١٨٠٤ إلى عام ١٨٠٦، والمرحلة الثالثة والأخيرة تمتد من عام ١٨٠٦ إلى عام ١٨١٩، وهي فترة من حكم سعيد بن سلطان.

١- ابن بشر، عثمان (مرجع سابق)، ص ٢٢٣.

www.almajidcenter.org

المرحلة الأولى (١٨٠٠ – ١٨٠٤):

من الأسباب التي أدت إلى نجاح إخضاع القواسم إلى الوهابية العداء السياسي والديني الذي كان مستدياً بين القواسم والعمانيين؛ وكذلك سعي سلطان بن أحمد لتعزيز أسطول عمان الحربي والتجاري، في محاولة منه لبسط سيطرته على الملاحة في منطقة الخليج العربي بشكل كامل.

يجدر بالذكر هنا أن أسطول عمان الحربي كان يتألف في تلك الفترة من سفينة القيادة "جنجافة"، ذات الاثنين وثلاثين مدفعاً، والتي تبلغ حمولتها ألف طن، وثلاث سفن كبيرة، تسليح كل منها لا يقل عن عشرين مدفعاً؛ أما أسطول عمان التجاري فكان يتكون من خمس عشرة سفينة، تتراوح حمولتها بين ٤٠٠ و٧٠٠ طن، إلى جانب ثلاث سفن خاصة بميناء مسقط وحده[1].

من الأسباب التي أدت إلى اندلاع الصدام بين الطرفين أن مسقط كانت في تلك الفترة الميناء الوحيد لعمان، الذي يوزع كل ما يأتي إليه من بضائع من الخارج. كان للقواسم مشاركة في أول هجوم كبير يشنه الوهابيون على عمان، ففي سنة ١٨٠٠، وتحديداً بعد اتباع القواسم مذهب الوهابيين، تحركت من الأحساء قوة من الوهابيين قوامها ٧٠٠ فارس بقيادة القائد الوهابي سالم الحارق.

وفي بداية شهر فبراير وصلت هذه القوة إلى واحة البريمي، ومن هناك وجه سالم الحارق إنذاراً نهائياً إلى سلطان بن أحمد يطالبه فيه باتباع مذهب الوهابيين، والاعتراف بالسلطة الروحية (الدينية) والزمنية (الدنيوية) للأمير عبد العزيز[1]. إلا أن سلطان بن أحمد

1- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p. 435.

www.almajidcenter.org

لم يذعن لهذا التهديد، لا سيما أنه استطاع تحييد قوة تأثير القواسم بتوقيع اتفاقية سلام مع شيخهم كي تسهل عليه مجابهة الوهابيين[٢].

بعد ذلك توجه حاكم عمان إلى وادي الجزي[٣] على رأس قوة كبيرة، وكانت تسانده قوات أخيه قيس، والي صحار. وما إن شارف حاكم عمان على واحة البريمي حتى سارع القائد الوهابي سالم الحارق بالانسحاب منها لقلة عدد قواته، وتوجه إلى رأس الخيمة يستنصر القواسم.

وعلى الرغم من أن القواسم كانوا قد وقعوا قبل وقت قصير على اتفاقية سلام مع سلطان بن أحمد فإنهم نقضوا هذه الاتفاقية وانضموا إلى قوات سالم الحارق؛ رغبة منهم في المشاركة بأي هجوم يقع على آل بوسعيد.

تحركت القوات المتحدة – الوهابية – القاسمية باتجاه البريمي عبر وادي القور، وسرعان ما اصطدمت مع القوات العمانية. وعندها قدَّر سالم الحارق الموقف وقررعدم خوض المعركة مع العمانيين وتركها للقواسم يخوضونها وحدهم، وتوجه إلى البريمي عن طريق ساحل الشميلية.

عندما وجد القواسم أنفسهم وجهاً لوجه أمام القوات العمانية التي تفوقهم عدداً وجد شيخهم أن من الأفضل له عقد اتفاقية صلح عادية مع سلطان بن أحمد، الذي كانت لديه أيضاً رغبة في عقد هذا الصلح مع القواسم ليتفرغ للقضاء على الوهابيين.

1- Kelly, op. cit., p. 102.

2- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p. 424.

٣- يقع وادي الجزي على بعد ٣٠ ميلاً جنوب شرق واحة البريمي، ويمتد من سالان في منطقة الباطنة باتجاه الشمال حتى يصل إلى الخليج العربي. يبلغ طول هذا الوادي ٤٠ ميلاً تقريباً. انظر

Lorimer, op. cit., Vol. 2/a. p.178.

www.almajidcenter.org

وبعد ذلك أخذت القوات العمانية بملاحقة سالم الحارق، إلا أنها تعرضت إلى ما يسمى ضربة جوابية على يد الفرسان الوهابيين. عندها اضطر سلطان بن أحمد إلى الكف عن مطاردتهم، والدخول في مباحثات سلام مع سالم الحارق. وقد أسفرت تلك المباحثات عن تخليه للوهابيين عن واحة البريمي ذات الأهمية الإستراتيجية[١].

ارتكب سلطان بن أحمد في هذا الوقت خطأً فادحاً كلفه حكمه فيما بعد؛ إذ بدلاً من أن يحشد قواته، ويركز جهوده لمواجهة الخطر الوهابي الحقيقي قرر القيام بمحاولة جديدة للاستيلاء على البحرين. ومثل هذه المحاولة تعددت خلال الفترة من عام ١٧٩٩ إلى عام ١٨٠٢.

غير أن محاولاته تلك باءت بالفشل. وعلى الرغم من أنه نجح في هذه المرة في الاستيلاء على البحرين وقام بتعيين ابنه الصغير "سالم" والياً عليها، فإن ذلك لم يكن إلا لفترة قصيرة؛ إذ سرعان ما سُحقت القوات العمانية على يد شيخ البحرين السابق، الشيخ خليفة، وذلك بمساعدة الوهابيين[٢].

وبهذا الشكل أضاع سلطان بن أحمد مجهوداً كبيراً دون أية فائدة[٣]. ومع ذلك بقي على موقفه. ففي سنة ١٨٠٢ حاول التحالف مع القواسم للقيام بهجوم جديد على البحرين، والزبارة في قطر، إلا أنه فشل في ذلك، وعندها اضطر إلى التخلي عن هذه الفكرة[٤].

1- Kelly, op. cit., p. 102.
2- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. pp. 422- 423.
٣- للمزيد من التفاصيل حول محاولات غزو البحرين من قبل حاكم عمان انظر:
Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. pp. 422-423.
4- Warden, Francis. "Historical Sketch of the Joasmee Tribe of Arabs from the year 1747 to the year 1819", in S. R. B. G. №. 24. Bombay. 1856. p. 303.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

في شهر يناير من عام ١٨٠٣ توجه سلطان بن أحمد إلى الحجاز لأداء مناسك الحج. وهناك حاول الاتفاق مع الحاكم الشريف غالب على تنسيق الجهود بين عمان والحجاز لإيقاف مد الوهابيين الثوري؛ ولا سيما وأن الشريف غالب كان يتوقع التعرض لهجوم وهابي.

ولكن ما إن غادر حاكم عمان مسقط حتى حاول ابن أخيه بدر بن سيف بن أحمد الاستيلاء على الحكم. إلا أنه فشل في ذلك، واضطر إلى الفرار إلى عجمان بداية، ومنها إلى الدرعية. وهناك أقام علاقات صداقة وطيدة مع الأمير الوهابي.

في عام ١٨٠٣ نجح الوهابيون في إخضاع الحجاز، وأخذوا يركزون اهتمامهم لإخضاع عمان أيضاً. وأصبح التهديد بذلك حقيقياً عندما علم الأمير عبد العزيز بأن سلطان بن أحمد أرسل مفرزة صغيرة من الجند إلى الحجاز لمساعدة الشريف غالب في الوقوف أمام التهديد الوهابي. وفي منتصف ذلك العام أصدر أمير الوهابيين أمره إلى سالم الحارق بشن هجوم واسع على عمان. وفي الوقت نفسه أمر شيوخ رأس الخيمة، والبحرين، والكويت بإعداد السفن لمهاجمة الأسطول العماني(١).

وفي منتصف صيف عام ١٨٠٣ بدأ سالم الحارق هجوماً من الحجاز الغربية، واكتسح منطقة الباطنة، "جاعلاً القتل والسلب ملازمين له أينما حل"(٢). وعندما وجد العمانيون أنفسهم عاجزين عن مقاومة الوهابيين، اضطروا إلى طلب هدنة. وعندها أرسل سلطان بن أحمد رسل هدنة إلى الدرعية(٣)، وجرى الإعلان عن هدنة أمدها ثلاث سنوات

1- Miles. op. cit., p. 297

٢- العابد، صالح محمد، (مرجع سابق)، ص ١٦١.

٣- لا يؤكد ج. كيلي على واقعة إرسال بعثة، ويقول بأنه جرى مباشرة التوصل إلى هدنة مع سالم بن الحارق انظر: Kelly, op. cit., p. 104 .

www.almajidcenter.org

على أن يدفع حاكم عمان جزية سنوية مقدارها ١٢٠٠٠ دولار إلى الأمير الوهابي، مع السماح للأخير بتعيين نائب له في مسقط[١].

وعلى الرغم من التوقيع على اتفاقية الهدنة بهذه الشروط المفيدة للأمير الوهابي، فإن هذا الأخير لم يتخلَّ عن فكرة الاستيلاء على عمان. وقد انتهز فترة الهدنة لإرسال تعزيزات قوية إلى البريمي. وبعد فترة قصيرة أصدر أوامره إلى سالم الحارق بالهجوم[٢].

وفي خريف عام ١٨٠٣ زحف سالم الحارق إلى مسقط من جديد على رأس قوة انضم إليها متطوعون من الظاهرة، واخترق منطقة الباطنة. وفي منطقة السويق اصطدمت قواته مع القوات العمانية ودارت معركة ضارية منيت فيها قوات سلطان بن أحمد بهزيمة اضطرته إلى الانسحاب من المعركة. وعندها أخذت القوات الوهابية بمحاصرة صحار[٣].

في هذه اللحظة الحاسمة وصل نبأ اغتيال الأمير عبد العزيز في مسجد في الدرعية في الرابع من أكتوبر عام ١٨٠٣[٤]، مما أثار الفوضى والاضطراب في صفوف القوات الوهابية. وعندها اضطر الحارق إلى رفع الحصار عن صحار والعودة إلى البريمي[٥].

1- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p. 425.
2- Miles, op. cit., p. 298.
3- Kelly, op. cit., p. 104.
٤- بينما كان الأمير عبد العزيز يؤدي الصلاة في جامع الدرعية اغتاله رجل من الشيعة الفرس ممن قتل الوهابيون أطفالهم في مذبحة كربلاء، انظر:
Kelly, op. cit., p .104.
5- Miles, op. cit., p. 298.

www.almajidcenter.org

تجدر الإشارة هنا إلى أن جمال قاسم أخطأ عندما أكد أن سالم الحارق وقع قبل انسحابه إلى البريمي اتفاقية هدنة لمدة ثلاث سنوات مع حاكم عمان بذات الشروط السابقة[١].

والواقع أن سير الأحداث يتناقض مع ما يؤكده هذا الباحث العربي؛ إذ أن سلطان بن أحمد قام بتعزيز قواته وبات من المستحيل أن يقبل بتلك الشروط المذلة التي فرضها عليه الوهابيون في السابق، في الوقت الذي أصبح فيه هؤلاء مضطرين للانسحاب.

لم تكن مشاركة القواسم في الصراع الوهابي العماني الأخير فعالة كما كان متوقعاً. والسبب في ذلك - حسب لوريمر - أنهم ينزعجون من كل ما يعيقهم في موسم الغوص لاستخراج اللؤلؤ" [٢]. أما مايلز فيرى أن القواسم كانوا مترددين في المشاركة في هذه الحرب منذ البداية، وأنهم طلبوا من الأمير الوهابي إعفاءهم منها. إلا أن أوامر الأمير كانت قاطعة، ولم يبق أمام القواسم والعتوب إلا أن ينفذوها[٣]. وما إن تراجع الوهابيون إلى البريمي حتى سارع القواسم إلى انتهاز الفرصة لعقد صلح جديد مع حاكم عمان[٤].

بعد وفاة الأمير عبد العزيز قرر سلطان بن أحمد وضع حد لتهديدات الوهابيين، والقضاء في الوقت نفسه على القواسم، الأعداء القدامى للعمانيين، والحلفاء للوهابيين. ومن أجل ذلك لجأ إلى بريطانيا، والإمبراطورية العثمانية طالباً المساعدة.

وكان رد بريطانيا غير مرض، بينما أعطاه والي بغداد وعوداً مبهمة لا يمكن الوثوق بها[٥]. وبقي الأمر على ما هو عليه إلى أن أصدر السلطان سليم الثالث (١٧٨٩-١٨٧٠)

١-قاسم، جمال زكريا (مرجع سابق)، ص ٨٤.

2- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p. 422.
3- Miles, op. cit., p. 297.
4- Kelly, op. cit., p. 104.
5- Hawley, op. cit., p. 98.

www.almajidcenter.org

أوامره إلى عامليه في بغداد وسوريا في أواخر عام ١٨٠٣ بالإعداد لحملة عسكرية مكثفة ضد الوهابيين.

وبعد أن علم سلطان بن أحمد بأمر تلك الحملة توجه إلى البصرة على رأس عمارة من السفن العمانية للمشاركة فيها مع والي بغداد، ولكنه فوجيء عند وصوله إلى البصرة بأن القوات العثمانية ليست على استعداد كاف لخوض حرب حقيقية ضد الوهابيين، فقرر العودة إلى بلاده.

وفي نوفمبر عام ١٨٠٤ أبحر سلطان بن أحمد من البصرة على متن الفرقاطة جنجافة عائداً إلى بلاده. وعندما وصل إلى القرب من ميناء باسيدو، الواقع في القسم الغربي من جزيرة قشم انتقل من الفرقاطة جنجافة إلى مركب صغير يريد الإبرار[١]. ولكنه فوجيء بهجوم على مركبه من قبل ثلاث سفن كانت راسية في خور في الجزيرة بعيداً عن مدى رمي الفرقاطة. وقد أسفر هذا الهجوم عن غرق المركب ومقتل سلطان. وقبل أن تصل العمارة العمانية إلى مكان الحادث استطاع المهاجمون الفرار متوارين عن الأنظار.

تضاربت آراء المؤرخين حول عدد المهاجمين وهويتهم بشكل دقيق، والقسم الأكبر من هؤلاء المؤرخين يتهم القواسم بتنفيذ هذا الهجوم[٢]. بينما يرى قسم آخر أن المهاجمين كانوا من العتوب[٣]. في حين يعتقد قسم ثالث أن الهجوم على مركب سلطان بن أحمد كان مشتركاً بين القواسم والعتوب[٤]. أما ابن رزيق فيتهم قبيلة البشحوح بالعملية[١].

١- الإنتقال من البحر إلى البر المترجم.

٢-انظر:

- Miles, op. cit., p. 303.;
- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. pP. 434, 130-131.

3- Factory Records of the Tate East India Company. op. cit., Vol.20. p. 15.

4- Aitchison, op. cit., Vol. p. 187.

- Warden, Francis. "Historical Sketch of the Joasmee Tribe of Arabs from the year 1747 to the year 1819", in S. R. B. G. №. 24. Bombay. 1856. p. 303.

www.almajidcenter.org

والغريب أن ج. سالدانا يناقض نفسه بنفسه عندما يؤكد تارة أن القتل جرى على يد العتوب[٢]، وتارة أخرى يتهم القواسم بذلك[٣].

وبقدر ما تختلف الروايات حول هوية المهاجمين، فإنها تختلف أيضاً حول ظروف وتاريخ وقوع الحادثة[٤]. وعلى الرغم من كل هذا التباين، فإن أقرب الاحتمالات أن المهاجمين كانوا من القواسم. حتى وإن لم يكن أحد من المهاجمين على علم بمن كان على متن المركب عندما هاجموه. وعندما علموا بمن على متنه وجدوا في ذلك فرصة لا تفوت للقضاء على عدوهم الخطير والتخلص منه. ولعل ما يؤكد هذه الرؤية، قول سليل بن رزيق بأن المهاجمين قتلوا سلطان بن أحمد دون أن يتعرضوا لحياة من كان معه[٥].

كان لمصرع سلطان بن أحمد نتائج خطيرة ومباشرة على الوضع العام للخليج. فبعد أسابيع قليلة على مقتله اندلعت صدامات عنيفة في المنطقة سعى القواسم من خلالها إلى كسب السيطرة البحرية، التي كانت قبل ذلك حكراً على مسقط. ففي شهر فبراير من عام ١٨٠٥ شكل القواسم وأبناء عمومتهم، سكان لنجة على الساحل الفارسي حلفاً مع حكام جزيرتي هرمز وقشم بغرض السيطرة على منطقة الخليج العربي بكاملها.

يقول المؤرخ الإنكليزي ج. كيلي في هذا الخصوص ما إن تمت للقواسم السيطرة على هرمز حتى باتوا في وضع يمكنهم من مهاجمة أي سفينة تدخل الخليج أو تخرج منه[٦].

1- Balfour, E. The Cyclopedia of India and Eastern and Southern Asia. Vol. 111, L., 1885. p. 239.
2- Saldanha, op. cit., p.6.
3- Saldanha, op. cit., p. 33.
4- Low, op. cit., Vol. 1. p.316;
Miles, op. cit., p. 303.
5- Badger, op. cit., pp. 238-239.
6- Kelly, op. cit., p. 105.

www.almajidcenter.org

وفي محاولة منهم للاستيلاء على بندر عباس فرضوا حصاراً على ميناب الواقعة على بعد بضعة أميال عن الميناء. وفي النهاية تمكن حاكم جزيرة قشم وحليف القواسم، ملا حسين المعيني من الاستيلاء على بندر عباس، التي كانت مؤجرة من الحكومة الفارسية إلى سلطان بن أحمد قبل عدة سنوات[1].

أما المؤرخ الإنكليزي ج. هاولي فيقول بدوره إن القوات التي استولت على بندر عباس كانت تحت قيادة حسن بن رحمة، وهو أحد شيوخ القواسم[2].

بعد مقتل سلطان بن أحمد، الذي كان يقف ضد القواسم في نشاطهم البحري، أدركت بريطانيا حقيقة الخطر الذي بدأ يتهدد مصالحها في المنطقة. ولهذا أصدر الحاكم العام للهند تعليماته إلى حاكم بومباي، ج. دنكان يطالبه فيها بسرعة القيام بالإجراءات الضرورية لمعالجة الموقف بما يضمن مصالح بريطانيا في مسقط، وسلامة تجارتها في منطقة الخليج العربي بكاملها.

وكانت تلك التعليمات تتضمن أمراً بإرسال الكابتن ديفيد سيتون إلى مسقط على جناح السرعة لإعادة فتح المقيمية البريطانية ومزاولة عمله فيها، ومساعدة أحد أبناء الحاكم المتوفى لبلوغ العرش. وفي الوقت نفسه حذرت التعليمات من تقديم المساعدة بشكل يوجد عداوات بين الحكومة البريطانية ومسقط.

وعملاً بتعليمات الحاكم العام للهند أصدرت حكومة بومباي أوامرها إلى ديفيد سيتون في الثالث من مارس عام ١٨٠٥ بسرعة التوجه إلى مسقط، وزودته بتعليمات لاتباعها أثناء أداء مهمته[1]. و تضمنت – بالإضافة إلى ما أشار إليه الحاكم العام للهند –

1- Miles, op. cit., p. 306.
2- Hawley, op. cit., pp. 99-100.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

تقديم المساعدة إلى سلطان مسقط في مجابهة القواسم بالسفن الحربية البريطانية المتواجدة في المنطقة، بما في ذلك الطراد مورنينغتون (Mornington)[٢].

وكان على سيتون منع القرصنة، والتوصل إلى تسوية عن طريق المفاوضات. وكان عليه تجنب العمليات العدائية في جميع الأحوال، وكل ما من شأنه أن يثير النزاع مع الوهابيين، أو مع الحكومتين العثمانية، والفارسية[٣].

المرحلة الثانية (١٨٠٤ –١٨٠٦):

بعد مصرع سلطان بن أحمد تغيرت الأوضاع الداخلية في عمان بصورة حادة، مما كان له بالغ الأثر على العلاقات العمانية القاسمية. قبل قيام حاكم عمان، سلطان بن أحمد برحلته الأخيرة إلى البصرة عين محمد بن ناصر الجبري قيماً على ولديه سعيد وسالم. وعندما وصل إلى هذا القيّم خبر مقتل الحاكم سلطان بن أحمد فكر فوراً بأخذ الثأر من القواسم، ظناً منه أنهم هم القتلة.

١- تجدر الإشارة إلى خطأ وقع به المؤرخون الإنكليز، وهو الخطأ الموجود أيضاً في وثائق حكومة بومباي، ومحفوظات لندن، وهو تسمية سلطان بن أحمد بالإمام، في حين كان اللقب الذي يطلق عليه هو السلطان؛ أما الإمام فقد كان سعيد بن أحمد. ومن سلاطين مسقط الذين لقبوا بالإمام بعد وفاة سعيد بن أحمد سنة ١٨٢١ هناك سعيد بن سلطان فقط. لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع انظر:

Badger, op. cit., pp. 342, 378-381.

2- Saldanha, op. cit., pp. 33-35.

3-Miles, op. cit., p. 304.

www.almajidcenter.org

وبالفعل وضع محمد بن ناصر خطة للهجوم على القواسم. وكانت الخطة أن يقود سعيد، الابن الأصغر لسلطان، أسطولاً يهاجم به القواسم من جزيرة قشم، بينما تقوم في الوقت نفسه قوة كبيرة بهجوم بري على رأس الخيمة. غير أن تفاقم الأوضاع داخل البلاد حال دون تنفيذ هذه الخطة الانتقامية[١].

إلا أن حاكم صحار، قيس بن أحمد، وهو عم سالم وسعيد قرر استغلال الوضع والاستيلاء على الحكم. وفي بداية عام ١٨٠٥ تحرك إلى منطقة الباطنة واستولى على مدينة مطرح بسهولة، وضرب حصاراً على مسقط. وفي هذا الوقت لجأ محمد بن ناصر إلى بدر بن سيف[٢]، الذي سبق له أن قام بمحاولة فاشلة للاستيلاء على الحكم في عمان عام ١٨٠٣، يستنصره على فك الحصار عن مسقط.

وعندها وجد هذا الأخير الفرصة سانحة للوصول إلى الحكم، فسارع إلى نصرة محمد بن ناصر، وتوجه إلى مسقط قادماً من الدرعية. وإدراكاً منه لخطورة الموقف طلب بدر بن سيف المساعدة من الأمير سعود، الذي لبى بدوره الطلب وأرسل له قوات دعم.

توجهت القوات الوهابية من البريمي، عبر وادي الجزي، وحاصرت صحار. وفي الوقت نفسه أمر سعود بتوجيه أسطول من البحرين قوامه ١٥ سفينة محملة بـ ١٥٠٠ مقاتل باتجاه مسقط. وعندما وجد قيس بن أحمد أنه لا قبل له بمواجهة هذه القوات المتحالفة ضده، ما كان منه إلا أن انسحب من مطرح، ورفع الحصار عن مسقط، وأسرع بالتوجه إلى صحار المحاصرة. وهناك عقد اتفاقية صلح مع بدر بن سيف.

1- Miles, op. cit., p. 304.

٢- من الغريب جداً أن مريزي الذي عاصر الأحداث أخطأ في تحديد نسب بدر بن سيف عندما اعتبره ابن سلطان بن أحمد، أي شقيق سالم وسعيد.

Mansur, Shaikh (Maurizi, Vincenzo). op. cit., p. 4.

www.almajidcenter.org

وبعد فترة قصيرة وجد قيس بن أحمد حجة لاستئناف القتال، وتقدم بقواته إلى مطرح واستولى عليها مرة أخرى. إلا أن تعزيزات وهابية قوامها أربعة آلاف مقاتل، كانت قد وصلت إلى المدينة بحراً، أجبرته على الانسحاب منها مرة أخرى.

وعلى أثر ذلك انسحبت القوات الوهابية، وعقد قيس اتفاقية صلح جديدة مع بدر بن سيف جرى بموجبها تسليم مدينة مطرح إلى الأول، على اعتبار أنها حق مكتسب لوالده، مع حصوله على مساعدة مالية قدرها ألف دولار شهرياً[1].

بعد تسوية المشاكل الداخلية قرر بدر بن سيف تعزيز موقعه في منطقة الخليج العربي. ومن أجل ذلك استولى على بندر عباس من قبيلة بني معين، حلفاء القواسم.

عندما كان بدر بن سيف يتحضر للهجوم على بندر عباس وصل إلى مسقط ديفيد سيتون في الخامس من مايو عام ١٨٠٥، وقرر، عملاً بأوامر يحملها من حكومة بومباي، مشاركة بدر في حملته على بندر عباس. وفي السابع من يوليو وصل الأسطول العماني إلى بندر عباس يرافقه الطراد الحربي الإنكليزي مورنينغتون. وبعد يوم واحد من الرمي الكثيف سقط ميناء بندر عباس في أيدي العمانيين[2]، وحوصرت قبيلة بني معين في جزيرة قشم.

سارع القواسم لنجدة حلفائهم بإرسال أسطول قوامه ٣٠ سفينة، إلا أن العمانيين تمكنوا بمساعدة الإنكليز من محاصرة السفن القاسمية في ميناء جزيرة قشم[3]، ونشبت

1- Miles, op. cit., p. 305.

2- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p. 481.

٣- أخطأ مايلز عندما اعتقد أن القواسم أعادوا بندرعباس أثناء هذه الحملة، في الوقت الذي كان فيه أسطولهم محاصراً في ميناء جزيرة قشم. كما أخطأ أيضاً عندما أشار إلى أن وجود السفينتين الإنكليزيتين مورنينغتون وميرفا، اللتين شاركتا أسطول مسقط في القتال، اقتصر على الدعم المعنوي للأسطول، انظر:

Miles, op. cit., p. 306.

ويؤيد لوريمر هذه الوقائع. انظر:

Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p 181.

www.almajidcenter.org

معركة، وعندما بدا للطرفين المتقاتلين أنه من الصعوبة بمكان أن يحرز أحدهما النصر على الآخر، عقدا هدنة لسبعين يوماً[١]. وعندها تعهد القواسم بإعادة السفينة البريطانية تريمر(Trimmer)، التي كانوا قد أسروها مع حمولتها، أو دفع قيمة تلك الحمولة خلال خمسة وعشرين يوماً.

عندما كانت المعركة محتدمة بين القواسم وقوات بدر بن سيف، علم هذا الأخير أن قيس بن أحمد خرق اتفاقية الصلح التي عقدها معه، وشن هجوماً على مسقط. وعلى الفور استنصر بدر بن سيف الوهابيين مرة أخرى . وبعد فترة قصيرة أخذت القوات الوهابية تهدد صحار. وعندها اضطر قيس إلى طلب الصلح من بدر، فوافق الأخيرعلى ذلك على أن يقوم الأول بتسليمه مدينة مطرح، والتنازل عن المساعدة المالية التي يحصل عليها بموجب اتفاقية الصلح التي وقعها الاثنان في السابق[٢].

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة... وعطاء مستمر

أما فيلبي فيعرض الوقائع بشكل مغلوط تماماً ؛ إذ يقول بأن سعيد بن أحمد قاد هذه الحملة في سنة ١٨٠٦، وخطؤه الآخر قوله إن بعض سفن الهند الشرقية ساهمت مع أسطول مسقط في محاصرة ساحل قبيلة القواسم، بينما الثابت تماما أن بدر بن سيف هو من قاد المعارك، وكان ذلك في شهري يونيو ويوليو عام ١٨٠٥، وأن هذه المعارك كانت ضد بندر عباس وقشم فقط. انظر:

Philby, H. op. cit., p. 91.

١ – كان تحديد مدة الهدنة بسبعين يوماً منسجماً مع مصالح الطرفين؛ فبالنسبة للقواسم، اقترب موسم صيد اللؤلؤ – الذي يستمر مدة شهرين؛ أما بدر بن سيف فقد كان يأمل أن تصل لمساعدته في هذه الفترة سفن مسقط، التي تقوم بنقل البن من منطقة البحر الأحمر إلى البصرة.

2- Miles, op. cit., p. 306.

www.almajidcenter.org

بدأ بدر بن سيف يشعر بالخوف من تعلقه المتزايد بالوهابيين، ومن استمرار الاستعانة بهم لنصرته. وهذا الشعور دفعه إلى أن يطلب من حاكم بومباي ج. دنكان في شهر أكتوبر عام ١٨٠٥ مساعدة عسكرية كي يتمكن من الاستغناء عن الوهابيين كلياً.

لاقى هذا الطلب استجابة من سيتون الذي قال في هذا الخصوص: "إذا استطاع الوهابيون تثبيت نفوذهم على عمان فإن مسقط ستتحول إلى وكر للقراصنة، وسيستعملون أسطولهم لشن هجمات مفاجئة على السفن التجارية الهندية، والغربية".

من الواضح أن سيتون بالغ في مخاوفه؛ إذ أن قوة الوهابيين لم تكن كبيرة جداً بالشكل الذي تصوره هذا المقيم. فقد كان عدد القوات الوهابية لا يزيد عن ٤٤٠ فارساً، كانوا يتمركزون باستمرار بالقرب من برقة على ساحل الباطنة[1]، بالإضافة إلى عدد من الأفراد الموالين من القبائل المحلية، الذين يتجولون على طرقات مسقط.

ومع ذلك كان تواجد الوهابيين في المنطقة يثير موجة من السخط والاستياء وسط قبائل عمان، التي اتخذت موقف العداء منهم بشكل واضح. بالإضافة إلى أن أنصار سلالة آل بوسعيد الحاكمة كانوا يشعرون بالاستياء الشديد من الإتاوة التي تُدفع إلى الدرعية، وكذلك من المساعدة العسكرية التي يطلبها بدر بن سيف من الوهابيين[2].

المرحلة الثالثة (١٨٠٦ – ١٨١٩):

١- تواجد الفرسان الوهابيين في مسقط تحدده اتفاقية موقعة بين الأمير سعود وبدر بن سيف. بالإضافة إلى ذلك يجري، وفقاً لهذه الاتفاقية، دفع مبلغ سنوي إلى الدرعية مقداره ٢٠ ألف دولار، ويتواجد ممثل للسلطة المركزية الوهابية بصورة دائمة في مسقط

Mansur, Shaikh (Maurizi, Vincenzo). op. cit., pp.5-6.

2- Kelly, op. cit., p.108.

www.almajidcenter.org

قرر سعيد بن سلطان القضاء على بدر بن سيف والاستيلاء على الحكم، وقد نجح في اغتياله بمساعدة محمد بن ناصر، الذي استفز بدر بن سيف للهجوم على برقة التي يحكمها سعيد بن سلطان[١].

تجدر الإشارة هنا إلى أن بعض المؤرخين يُرجع مقتل بدر بن سيف إلى عام ١٨٠٧[٢]. واعتقادنا أن ذلك حدث في سنة ١٨٠٦، وهذا ما ذكره "ف. مريزي"، الذي عاصر الأحداث، وكذلك سليل بن رزيق، المتخصص في تاريخ سلالة آل بوسعيد الحاكمة. وهذا ما ذكره أيضاً كل من الباحثين: ر. كوبلاند (Coupland)، و س. مايلز (Miles)، و ف. باكلي (Bagley)[٣].

عندما اغتيل بدر بن سيف حاول الوهابيون محاصرة القصر للقبض على القاتل. إلا أن ممثلي القبائل العمانية حملوهم مسؤولية مقتله، مما أدى إلى انسحابهم إلى البريمي. وعندها توجه سعيد بن سلطان إلى مسقط، حيث أعلن نفسه سلطاناً[٤].

بعد اغتيال بدر بن سيف جرى صلح بين سعيد بن سلطان وعمه قيس بن أحمد. بعد أن كان الاثنان ينظران إلى بدر قبل مقتله نظرة سلبية لابتعاده عن مبادئ الأباضية، وتعاونه مع الوهابيين[٥]. ولتعزيز موقفه والحصول على تأييد الإنكليز، بعث سعيد برسالة

1- Badger, op. cit., pp. 290-291.

٢- انظر:

- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p.440.;
-Wilson, op. cit., p. 233.

3-Coupland, Sir Reginald. East Africa and it's Invadors, from the Earliest Times to the Death of Seyyid Said in 1856. Oxford, rep. 1961. p. 108.;
- Miles, op. cit., p. 308-309.

4- Mansur, Shaikh (Maurizi, Vincenzo). op. cit., pp. 13-14.

2- Badger, op. cit., p. 21.

www.almajidcenter.org

إلى ج. دنكان، حاكم بومباي في ٣١ يوليو عام ١٨٠٦ يخبره فيها بأن موت بدر بن سيف جرى "بقضاء السماء وأمر العلي القدير"، وأن حكم البلاد بات بيده[١].

وفي الوقت نفسه بعث برسالة إلى الأمير سعود ينفي فيها تورطه في مقتل بدر، ويتهم محمد بن ناصر بذلك، كما أعلن عن استعداده لتنفيذ جميع شروط المعاهدة التي وقعها بدر مع الوهابيين. وعلى الرغم من أن الأمير سعود كان على علم بحقيقة كل ما جرى، فإنه وافق على ادعاء سعيد بن سلطان، وأعيدت القوات الوهابية إلى برقة[٢].

وبهذا الشكل حقق الحاكم الجديد الهدوء داخل البلاد لفترة مؤقتة، لكنه في الوقت نفسه عجز عن عقد هدنة مباشرة مع القواسم؛ إذ أن الأخيرين استغلوا فترة الاضطرابات في عمان بعد مقتل بدر بن سيف، واستولوا على خورفكان على ساحل خليج عمان[٣]. وهناك أقام شيخهم سلطان بن صقر قلعة، وجعلها قاعدة لعملياته البحرية الهجومية[٤].

استأنف القواسم شن هجماتهم على سفن مسقط التجارية، كما كانوا يفعلون في السابق. وباستيلائهم على خورفكان تمكنوا من قطع التجارة العمانية بشكل شبه تام. وعندما أدرك سعيد بن سلطان صعوبة مقاومة القواسم واستعادة خورفكان بمفرده عقد اتفاقية حربية مع عمه قيس بن أحمد لمواجهة عدوهما المشترك.

وتنفيذاً لهذه الاتفاقية قاد سعيد بن سلطان أسطولاً أرسى به بالقرب من خورفكان، في حين قام عمه قيس بمهاجمة القواسم براً. وتمكنت القوات المشتركة من استعادة المدينة بعد أن أعملت القتل بكل من كان متحصناً في قلعتها، بمن فيهم الأطفال

1- Kelly, op. cit., p. 209.
2- Mansur, Shaikh (Maurizi, Vincenzo). op. cit., pp.16-17
3- Kelly, op. cit., p. 109.
4- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p.414.

www.almajidcenter.org

والشيوخ[١]. غير أن العمانيين أخفقوا في الإبقاء على المدينة بيدهم لفترة طويلة؛ إذ جمع سلطان بن صقر قوة كبيرة قوامها ١٢ ألف مقاتل من جميع القبائل الموالية له، وزحف بهم لاستعادة خورفكان.

جرت بالقرب من هذه المدينة معركة ضارية، تمكن فيها القواسم من إلحاق هزيمة كبيرة بالعمانيين، وتكبيدهم الكثير من القتلى، كان من بينهم قيس بن أحمد، والقائد العام للقوات العمانية محمد بن خلفان[٢]. أما سعيد بن سلطان فقد تمكن من الوصول إلى إحدى سفنه والعودة بها إلى مسقط[٣].

وفي العام نفسه (١٨٠٧) أرسل الأمير سعود فرقة كبيرة من الجند إلى عمان بقيادة مطلق المطيري لتعزيز السيطرة الوهابية عليها. وعندها استفاد القواسم من الوهابيين واستطاعوا تعزيز قوتهم في عدد من المناطق الشمالية لعمان، والاستيلاء على ميناء شناص الهام، الذي يقع على الساحل شمالي صحار. وفي نهاية سنة ١٨٠٨ أصبحت معظم الموانئ الواقعة على ساحل خليج عمان، ومن ضمنها خورفكان، والفجيرة، ودبا، وخور كلبا تحت سيطرتهم.

ونتيجة لهذا الوضع الخطير اضطر سعيد بن سلطان في أواخر عام ١٨٠٨ إلى عقد معاهدة صلح مع الوهابيين، وخلال مباحثات الصلح التمس سعيد من الأمير سعود حمل القواسم على إعادة الموانئ على الساحل العماني، التي استولوا عليها. وكان رد الأمير سعود

1- Badger, op. cit., p. 293.

٢-يقدر ابن بشر عدد قوات مسقط بعشرة آلاف مقاتل، وقوات القواسم بثلاثة آلاف، ويتفق معه على ذلك فلبي. ويرى ابن بشر أن عدد القتلى العمانيين وصل إلى أربعة آلاف مقاتل، بينما يرى صاحب " لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب " أن العدد هو ألف رجل. انظر ابن بشر، عثمان (مرجع سابق) ص ١٣٦؛ وانظر لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب (مرجع سابق)، ص ٧٨.

3- Badger, op. cit., p. 21

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

www.almajidcenter.org

بأن إعادة هذه الموانئ مرهون باستعداد حاكم عمان للانضمام إلى القواسم في حملتهم ضد البصرة، وكذلك المشاركة في مهاجمة السفن الهندية[١].

رأى الإنكليز أن الوضع الذي آلت إليه الأمور في منطقة الخليج العربي بات يهدد مصالحهم بشكل كبير، مما يحتم عليهم القيام بتدابير عاجلة. وقد كان الممثل البريطاني في مسقط يبعث إلى مالكولم، منذ بداية عام ١٨٠٩ برسائل يحثه فيها على ضرورة التدخل الإنكليزي إذا ما أراد الحيلولة دون تحول مسقط إلى إحدى الولايات الوهابية.

وقد أشار سيتون إلى أن الأمير السعودي يهدد بمهاجمة مسقط في الربيع بعد الانتهاء من الحج إذا ما رفض سعيد الامتثال لأوامره بالاشتراك في الهجوم على البصرة، والمشاركة في القرصنة. وقال سيتون في إحدى رسائله: "إذا لم يكن سعيد بن سلطان قادراً على تعزيز الدفاع عن عمان في هذا الوقت بحيث يمكنه التصدي لهجوم الأمير، فعليه الآن استعادة السيطرة على شناص، وعلى ساحل الشمالية. وهذا ما لا يمكن تحقيقه دون مساعدة عسكرية بحرية من الهند".

وعلى هذا الأساس أصر مالكولم منذ بداية مارس على الحصول على موافقة الحاكم العام للقيام بحملة عسكرية لكبح خطر القواسم، وتقديم المساعدة إلى مسقط[٢]. وفي هذه المرحلة وجدت بريطانيا أن تحييد القواسم وتجريدهم من قوة التأثير هو المفتاح لحل الكثير من القضايا في عمان، وفي كامل منطقة الخليج العربي.

رأى سيتون أنه بتوجيه ضربة بحرية قوية إلى القواسم، وطردهم من الساحل الشمالي لعمان يمكن تحقيق هدف مزدوج: الانتقام منهم على هجماتهم على السفن البريطانية،

1- Kelly, op. cit., pp. 115; 111-112..

٢- العابد، صالح محمد : دور القواسم في الخليج العربي، بغداد، ١٩٧٦، ص ١٧٨.

www.almajidcenter.org

وتقليل احتمال تكرار مثل هذه الهجمات في المستقبل. وكذلك تمكين حاكم مسقط من تعزيز دفاعه[١].

نتيجة للضغط البريطاني على سلطان بن سعيد قرر هذا الأخير أن يبادر القواسم بضربة في شهر إبريل عام ١٨٠٩. وبعد أن ضمن لنفسه الحصول على دعم شيخ بوشهر والعتوب وقسم من القواسم الناقمين على شيخهم الجديد حسين بن علي، توجه على رأس أسطول إلى رأس الخيمة لمهاجمتها. إلا أن الحملة انتهت بفشل ذريع؛ فقد تمكن القواسم من تشتيت الأسطول العماني وإجبار سعيد على العودة إلى مسقط[٢].

في خريف عام ١٨٠٩ أخبر الإنكليز حاكم عمان أنه في حال قيامه بحملة جديدة على القواسم فإنه سيلقى دعماً من الأسطول البريطاني. وفي أكتوبر من العام نفسه جرى الإسراع بجمع القوات العمانية، وتجهيز الأسطول، والبدء بحملة جديدة ضد القواسم. وفي هذه الحملة كان ف. مريزي مرافقاً لحاكم عمان، وقد وصف هذه الحملة بالقول:

"صعدت مع سعيد إلى السفينة الحربية الكبيرة، وتوجهنا إلى برقة، حيث تجمعت كل السفن والقوات. وكان عدد ها ٥٠٠٠ مقاتل من المشاة، و٣٠٠ من الفرسان. إضافة إلى ذلك كانت هناك سفينة أخرى كبيرة هي الفرقاطة "جنجافة"، ونحو ٨٠ سفينة صغيرة. وفي اليوم التالي صعدنا إلى هذه السفينة، التي أخذ سلطان يقود الحملة منها، بينما كان أخوه سالم يقود القوات في البر على امتداد الساحل.

وفي صعرة انضمت إلينا قوات عزان بن قيس، وكان عددها ١٠٠٠ مقاتل من المشاة، و١٠٠ من الفرسان، إلى جانب عدد من المراكب الصغيرة. وبعد وقت قصير دخلنا

1- Kelly, op. cit., pp. 115-116.
2- Saldanha, J. A. ed. Précis of Nejd Affairs 1804- 1904. Simla, 1904.; p. 6.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

إلى المنطقة التي يسيطر عليها القواسم، وكانت قواتنا عازمة على جعل كل شيء طعاماً للنار والسيف. . . وكنت لا أزال مرافقاً للسلطان على سفينة القيادة.

في البداية لم تواجهنا أية مقاومة، ومع ذلك كان صدى صراخ المنكوبين يملأ الساحل، وكان معظمهم من النساء اللواتي سقطن تحت سيوف قواتنا، بينما كانت ألسنة اللهب تتصاعد من البيوت، التي جرى إحراقها وتهديمها. وبالقرب من شناص توقفت القوات لمناقشة خطة الهجوم".

وجد سعيد بن سلطان أن شناص تملك دفاعاً قوياً، وهذا ما جعله يقرر عدم المجازفة بمهاجمتها، وفضل مهاجمة خور كلبا. وكان يرى أن سقوط هذه المدينة بيده سيعد درساً لسكان شناص، الذين سيستسلمون له دون مقاومة. وعند الهجوم على خور كلبا سقط العديد من الضحايا. ولجأ نحو ٧٠٠ من السكان إلى أحد الحصون، وأخذوا يدافعون عنه باستماتة. وفي هذا الوقت كانت المدينة كلها شعلة من اللهب.

وفي النهاية عُرض على المدافعين تسليم أسلحتهم مقابل السماح لهم بمغادرة المدينة. وبذلك "انسحبوا إلى التلال القريبة". إلا أن حاكم عمان لم يهنأ بالنصر طويلاً؛ إذ باغت القواسم قواته بعد ثلاثة أيام، وأرغموها على الانسحاب الكيفي بعد زعزعة صفوفها. وقد نجا سعيد بنفسه بالتوجه سباحة إلى سفينة برتغالية صغيرة حملته وابتعدت به.

في بداية ديسمبر وصل إلى مسقط أسطول بريطاني كان قد خاض عمليات ناجحة ضد موانئ القواسم في رأس الخيمة، ولنجه، ولافت[1]. وعلى الفور جرت مباحثات بين سعيد بن سلطان والإنكليز تقرر فيها تجريد حملة مشتركة ضد شناص، واستعادة سلطة حاكم عمان على الموانئ الشمالية لعمان: خورفكان، وخور كلبا التي يسيطر عليها القواسم.

١- العابد، صالح محمد: (المرجع السابق)، ص. ١٨٠.

www.almajidcenter.org

إلا أن المقاومة العنيدة والمستميتة من جانب الأخيرين حالت دون تحقيق ذلك، واضطرت الإنكليز إلى الانسحاب. وعندها لحقت بقوات سعيد بن سلطان هزيمة على يد القوات الوهابية[١].

لم يحقق سعيد ما كان يأمله من الحملة المشتركة مع الإنكليز؛ إذ أخفقت هذه الحملة في طرد القواسم من الموانئ العمانية، وظل هو في قلق من مواجهة الوهابيين. ولهذا أرجأ النظر لبعض الوقت في محاولة بسط سيطرته على عمان الشمالية، والمنطقة الغربية من الباطنة التي استولى عليها القواسم والوهابيون[٢].

عندما أدرك سعيد أنه عاجز تماماً عن مواجهة أعدائه بمفرده قرر اللجوء إلى البريطانيين مجدداً طلباً للمساعدة. وفي يناير عام ١٨١٠ أرسل رسالة إلى دنكان يقول فيها إنه يأمل بأن تقوم السفن والقوات البريطانية بهجوم على الوهابيين الذين هم "أعداء للطرفين".

وأشار إلى أن مساعدته لأصدقائه وحلفائه الإنكليز قد جرَّته إلى حرب مع الوهابيين[٣]. وأكد سعيد أنه كان قبل ذلك في حالة سلم مع الوهابيين. وفي ختام رسالته أعرب عن ثقته بأن الحكومة البريطانية لن تبقى على الحياد في الصراع الذي يخوضه لحماية أراضيه ومدنه من غزو الأعداء.

وادعى بأن الوهابيين كانوا قد عرضوا عليه السلام أكثر من مرة؛ إلا أن الصداقة التي تربطه بالحكومة البريطانية منعته من القبول بها. ومما قاله في هذا الخصوص: "لقد

1-Mansur, Shaikh (Maurizi, Vincenzo). op. cit., pp. 54-58.
2- Kelly, op. cit., p. 123.
3- Saldanha, op. cit.,p. 7.

مركز حمد الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

عرض علي الوهابيون السلام مرتين أو ثلاث، إلا أن ارتباطي مع الحكومة البريطانية جعلني أرفض ذلك"[١].

لم يكن موقف سعيد بن سلطان من وجهة نظر الإنكليز حكيماً، كما لم يكن صادقاً فيما ذكره. وفي هذا الصدد وجه الحاكم العام للهند، اللورد مينتو (Minto) رسالة إلى حاكم بومباي "ج. دنكان" في أغسطس عام ١٨١٠ أخبره فيها بأن نية سعيد بن سلطان هي دون شك تحريض الوهابيين ضد الإنكليز[٢].

وفي هذه الرسالة طلب الحاكم العام للهند من حاكم بومباي دنكان إخبار سعيد بأن "حكومة بريطانيا العظمى غير مهتمة بصراعه مع الوهابيين"؛ إذ أن ذلك يهدد مصلحة وخير ورفاهية عمان. وأن "على الإمام الموافقة على شروط السلم التي يعرضها الوهابيون عليه إذا لم يكن فيها مساس بكرامة مسقط وأمنها واستقلالها".

وقال أيضاً: "ليس من الضروري أن يتضمن ردكم أية إشارة إلى العلاقات بين الوهابيين وحكومة بريطانيا العظمى، التي كانت ولا تزال تعد نفسها في حالة سلم مع هذه القبيلة"(يقصد الوهابيين). وقال إن بريطانيا لن تنظر إلى التعاون الأخير مع الإمام على أنه إعلان حرب على الوهابيين، وإنما مجرد وسيلة لحل مشكلة القرصنة[٣].

يعود السبب في اتخاذ حكومة الهند لهذا الموقف إلى أنها لا ترغب في توريط نفسها في حرب مع الوهابيين، مما قد يهدد مصالح الإنكليز في المنطقة. كما لم تعد هذه الحكومة متخوفة - كما في السابق- من أن يقيم سعيد بن سلطان علاقات صداقة مع الفرنسيين؛ إذ أن جزيرة

1- Coupland, Sir Reginald. East Africa and it's Invadors, from the Earliest Times to the Death of Seyyid Said in 1856. Oxford, rep. 1961. pp. 145-146.

٢- العبيد، صالح محمد، (مرجع سابق)، ص ١٨٢.

3- Saldanha, op. cit., p. 8.

www.almajidcenter.org

ريئونيون سقطت في أيدي الإنكليز، وجزيرة موريشس (Mauritius) في طريقها إلى الاستسلام للأسطول البريطاني[١]. وبذلك لم يعد للخطر الفرنسي أي وجود.

عندما فشل حاكم عمان في الحصول على مساعدة الإنكليز قرر اللجوء إلى الفرس طلباً للمساعدة. وفي نهاية عام ١٨١٠ أرسل أخاه سالم بن سلطان إلى شيراز لإجراء مباحثات، والحصول على المساعدة[٢]. وهناك لاقى الوفد استقبالاً حاراً من السلطات الفارسية التي وافقت على إرسال فرقة من الفرسان قوامها ١٥٠٠ فارس، وأربع سرايا مدفعية خفيفة[٣]. وكان بين القوات الفارسية من ٤٠ إلى ٥٠ أسير حرب روسياً.

1- Coupland, Sir Reginald. East Africa and it's Invadors, from the Earliest Times to the Death of Seyyid Said in 1856. Oxford, rep. 1961. p. 146.

٢- تتضارب الآراء حول وقت إرسال هذه البعثة؛ فبادجر يحدد وقت زيارة سالم إلى شيراز ما بين عامي ١٨٠٨ و ١٨٠٩. إلا أن هذا التاريخ مبكر جداً؛ إذ أن الوهابيين لم يكونوا قد استولوا بعد على نجد، وبعد أن تحقق لهم ذلك ركزوا اهتمامهم على فتح عمان، أما مريزي، ولوريمر فيعتقدان أن الزيارة إلى شيراز جرت في عام ١٨١١، انظر:

- Badger, op. cit., p. 306.
- John Company at Work, a Study of European Expansion in India in the Late Eighteenth. Cambridge, USA, 1948؛
- Mansur, Shaikh (Maurizi, Vincenzo). op. cit., p. 79.;
- Lorimer, op. cit., p .444.

أما فيلبي فيعيد هذا الحدث إلى عام ١٨٠٤، وهو بذلك يرتكب خطأً واضحاً؛ إذ أن سعيد بن سلطان لم يكن حينها حاكماً لعمان، انظر:

Al-Qasimi, op. cit., p. 90.

أما كيلي فيحدد الزيارة ووصول المساعدة الفارسية في أواخر سنة ١٨١٠.

Kelly, op. cit.; p.125.

وبمقارنة عدد من الوقائع يتضح أن التاريخ الأخير هو الأقرب إلى الصواب. والذي يجدر ذكره هنا أن سعيد بن سلطان فشل في الحصول على مساعدة حكومة الهند في سنة ١٨١٠، مما جعله يفتش عن قوة في منطقة الخليج العربي، فوجدها في فارس، وعندها سارع بإرسال البعثة إلى شيراز.

يقدر بادجر وابن بشر عدد القوات الفارسية بثلاثة آلاف رجل .انظر ابن بشر، عثمان (مرجع سابق) ص ١٤٨، و ٣ انظر:

Badger, op. cit., p. 314.

www.almajidcenter.org

ويبدو أن ما دفع الحكومة الفارسية إلى اتخاذ هذا الموقف هو الانتقام من الوهابيين لارتكابهم مجزرة عام ١٨٠٢ في كربلاء، أحد أماكن الشيعة المقدسة. بالإضافة إلى أنهم وجدوا الفرصة مناسبة لبسط سيطرتهم على عمان[١].

في أواخر عام ١٨١٠ وصلت القوات الفارسية إلى مسقط، حيث انضمت إليها فرقة عمانية قوامها ٤٠٠٠ مقاتل بقيادة سالم بن سلطان، يساعده عزان بن قيس، وقائد القوات الفارسية سعدي خان. وفي منطقة "نخلة" شنت القوات المتحالفة، العمانية والفارسية هجوماً على الوهابيين. وبعد معركة ضارية اضطر الوهابيون للانسحاب إلى ازكي. فأصبحت الطريق سالكة أمام المهاجمين للاستيلاء على قلعة سمائل، التي تطل على ممر يؤدي إلى وادي سمائل المأهول بالسكان بكثافة.

اعتقد القائد العماني أنه تمكن من سحق الوهابيين، وأن الوقت مناسب لمهاجمة رأس الخيمة مجدداً، وقد قام بتجهيز أسطوله بمدافع حديثة كان قد اشتراها من بومباي، وأبحر إلى عاصمة القواسم، وما كاد ينطلق في هذه الحملة حتى تراجع عن تنفيذها؛ إذ وردته أنباء بأن قوات وهابية بقودها مطلق المطيري ألحقت بالقوات المتحالفة هزيمة ساحقة في منطقة سمائل.

استطاع الوهابيون استعادة السيطرة على قلعة سمائل ذات الأهمية الإستراتيجية الكبيرة بعد معركة سحقوا فيها العمانيين، واستولوا على ما لدى الفرس من مدافع بعد أن أجبروا قائدهم سعدي خان على الفرار مع مائة من فرسانه إلى برقة[٢].

نتيجة لهذه الأحداث بدا من الممكن الاستيلاء على عمان، إلا أن الوهابيين كانوا في هذه الفترة تحديداً تحت تهديد والي مصر محمد علي باشا، الذي قام بعدة حملات على الحجاز.

1- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p. 444.
2- Mansur, Shaikh (Maurizi, Vincenzo). op. cit., pp. 80-85.

www.almajidcenter.org

ونتيجة لذلك أقدم الأمير سعود على خطوة سياسية غرضه منها كف الفرس عن الوقوف إلى جانب العمانيين في الصراع العماني الوهابي. ففي بداية عام ١٨١١ أرسل إبراهيم عبد الكريم إلى شيراز على رأس وفد للتفاوض مع حاكم فارس، وطلب منه التوقف عن تقديم المساعدة إلى سعيد بن سلطان، وقد أجيب إلى طلبه .

وفي طريق العودة قام رئيس الوفد الوهابي بزيارة إلى المقيم البريطاني في بوشهر، ليستوضح منه ما إذا كانت حكومة الهند ستقوم بأي عمل عسكري على الساحل العربي للخليج. وأثناء اللقاء مع المقيم البريطاني أخبره إبراهيم أنه مفوض من الأمير سعود بعقد اتفاقية تجارية مع حكومة الهند. وقد أحيل هذا العرض إلى الهند، إلا أن السلطات البريطانية رأت إن من الأفضل رفض هذا العرض، وتجنب إقامة أية علاقة رسمية مع الوهابيين.

بعد حملة سعيد بن سلطان الفاشلة على رأس الخيمة في سنة ١٨١٣، وإعادة سلطان بن صقر شيخاً على القواسم، أصدرالأمير سعود أوامره إلى مطلق المطيري بالعودة إلى البريمي مجدداً[١]، ليعيد سلطة الوهابيين في المنطقة إثر مقتل عبد العزيز بن غردقة[٢]. ثم صدرت إلى مطلق التعليمات بالهجوم على مسقط فوراً.

١- في أواخر عام ١٨١٢ استدعا الأمير سعود مطلقاً المطيري من البريمي إلى الدرعية للتحقيق معه بخصوص نهبه لمدن ساحل الباطنة إثر هجوم همجي شنه عليها، ولم يتركها إلا والنار تأكلها، الأمر الذي أثار استياء السكان المحليين. وعندها، وخوفاً من وقوع اضطرابات وغليان بين السكان عين الأمير سعود قائداً وهابياً جديداً يدعى عبد العزيز بن غردقة. إلا أن هذا الأخير لم يسلم من القتل، انظر:

Badger, op. cit., p 312-320

٢ - يذكر كيلي أن عبد العزيز بن غردقة قتل على يد مقاتلين من قبيلة بني ياس في أواخر عام ١٨١٢، انظر:

Kelly, op. cit., p. 56

بينما يخطئ فلبي كالعادة في تحديد تاريخ مقتل هذا القائد الوهابي بشهر مايو عام ١٨١٠ انظر:

Philby, op. cit., p. 120.

www.almajidcenter.org

في ربيع عام ١٨١٣ تحرك مطلق المطيري من البريمي على رأس قوة قوامها نحو ٤٠٠٠٠ مقاتل، واجتاز وادي الجزي، وأجبر حاكم صحار على الاستسلام، ثم تحرك إلى مسقط لمهاجمها[١]. وبالقرب من بلدة المصنعة[٢] اصطدم المطيري بقوات عمانية يقودها سعيد بن سلطان. ورغبة من هذا الأخير بعدم المغامرة بخوض معركة مع الوهابيين، طلب من مطلق المطيري إجراء محادثات معه.

تمكن سعيد من إقناع القائد الوهابي بمغادرة عمان مقابل رشوة كبيرة مقدارها ٤٠٠٠٠ دولار[٣]. وكانت هذه الواقعة آخر نجاح يحققه مطلق المطيري؛ إذ أنه في نهاية عام ١٨١٣ قُتل في كمين نصبه له أفراد من قبيلة الحجريين في منطقة "وادي باثا"[٤]. وقد شكل

1- Kelly, op. cit., pp. 125-127.

٢- المصنعة : بلدة صغيرة على ساحل الباطنة، تبعد ١٧ ميلاً شمال غرب برقة، و١٧ ميلاً جنوب شرق سويق.

Lorimer, op. cit., Vol. 2/b. pp. 1178-1179.

٣- يؤكد لوريمر هذه الواقعة، لكنه يذكر أن تسليم "الهدية" جرى قبل استدعاء مطلق المطيري من عمان. لكن التاريخ يتناقض مع سير الأحداث، وهذا ما تفنده المراجع الأخرى، انظر:

- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p. 445.;
- Coupland, Sir Reginald. East Africa and it's Invadors, from the Earliest Times to the Death of Seyyid Said in 1856. Oxford, rep. 1961. p. 148.

٤- تتناقض الروايات حول مصرع القائد الوهابي مطلق المطيري؛ فمريزي مثلاً يقول إن مقتله كان بعد ما وقع مع مفرزة صغيرة من جنده في كمين بينما كان في طريقه إلى سمائل. وعندها جرى قطع رأسه، وحمله على رأس السيف، وتقديمه إلى سعيد بن سلطان، الذي لم يكن من السهل عليه تصديق أن خصمه العنيد قد مات. انظر:

Mansur, Shaikh (Maurizi, Vincenzo) op. cit., p.78.

أما مايلز فيذكر أن مطلقاً المطيري أصيب بطلق ناري من بندقية في معركة كان يخوضها في منطقة الحجار، وعندها جمعت قبائل الحجريين المحلية قوة كبيرة وهاجمت الوهابيين، وتمكنت من قطع يد هذا القائد الوهابي، وإرسالها مع درعه إلى مسقط .انظر:

Miles, op. cit., p .420.

ويتفق مع ميلز في هذه الرواية لوريمر. انظر:

Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p.445.

أما ابن بشر فيقول : "ما إن رفع مطلق المطيري الحصار عن مدينة جملان حتى أجبرت قوة من سكانها الوهابيين على خوض معركة معها، وخلال هذه المعركة قتل القائد الوهابي مطلق المطيري"، انظر: ابن بشر، عثمان (مرجع سابق) ص ١٥٩.

www.almajidcenter.org

مقتل هذا القائد خسارة كبيرة أحبطت الروح المعنوية للوهابيين، بينما شدَّ من عزيمة الحاكم العماني سعيد بن سلطان لمواصلة صراعه ضدهم.

بعد تحقيق نصر جزئي على الوهابيين، أعاد سعيد بن سلطان تحديه للقواسم وشيخهم سلطان بن صقر، العائد حديثاً إلى الحكم، وقام بحملة على رأس الخيمة. وقد انتهت هذه الحملة بتوقيع الطرفين المتنازعين اتفاقاً، ينص أحد بنوده على أن يتوقف القواسم عن مهاجمة السفن العمانية، وإعادة جميع الغنائم[1].

لم يكن لهذه الاتفاقية أي تأثير على القواسم وكانت كسابقاتها، إذ ما إن عاد سعيد بن سلطان من رأس الخيمة، حتى قامت سبع سفن قاسمية صغيرة بمهاجمة سفينة فارسية كانت تحمل بضائع من مسقط إلى بندر عباس، ونهبتها. "ولم يكن هناك ما يشير إلى أن في نية القواسم إعادة ما غنموه إلى عمان، على الرغم من أن المداد الذي كتبت به المعاهدة التي تنص على ذلك لم يجف بعد"[2].

في مايو عام ١٨١٤ توفي أمير الوهابيين، سعود. وكان موت هذا السياسي الخبير، والقائد الموهوب خسارة كبيرة، ليس للوهابيين فحسب، بل ولحلفائهم أيضاً. ومما زاد من هول هذا الحدث على الوهابيين خطر التوسع المصري؛ إذ أن المصريين باتوا يسيطرون على قسم كبير من الحجاز. ويخططون لنقل الأعمال القتالية إلى عمق الأراضي الوهابية.

1- Warden, Francis. "Historical Sketch of the Joasmee Tribe of Arabs from the year 1747 to the year 1819", in S. R. B. G. №. 24. Bombay.1856. p. 308.
2- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p.651.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

وفي يناير عام ١٨١٥ تمكن جيش مصري قوامه ٤٠٠٠٠ ألف مقاتل، بقيادة محمد علي باشا، من إلحاق هزيمة كبيرة بجيش وهابي يقوده فيصل بن سعود، شقيق الأمير الجديد عبد الله، وذلك في منتصف الطريق بين الطائف وتربة[١].

كان من الممكن أن تكون هذه الهزيمة كارثة للدولة السعودية الأولى، لولا اضطرار محمد علي باشا إلى العودة إلى مصر على جناح السرعة[٢]. واضطرار خليفته، طوسون باشا، الذي عانى من نقص شديد في الأسلحة والمؤن، إلى الدخول في مفاوضات مع الأمير سعود، أسفرت عن التوقيع على اتفاقية هدنة مؤقتة، تخلى الوهابيون بموجبها عن السيادة على القبائل القاطنة في المناطق التي استولى عليها محمد علي باشا[٣].

لم يكن لتطور الأحداث بهذا الشكل في الدولة السعودية الأولى تأثير كبير على نشاط القواسم؛ إذ استمر هؤلاء في خوض المعارك البحرية ضد العمانيين، وكان النصر فيها سجالاً. ومما يؤكد ذلك أنه في عام ١٨١٤ هاجم القواسم سفينة لسعيد بن سلطان، كانت راسية في مغوه[٤]، وقاموا بنهبها[٥]. وكانت هذه السفينة محملة بخيول وكبريت إلى السلطات البريطانية في الهند[٦].

1- Kelly, op. cit., p.130.

٢- يعود السبب في إسراع محمد علي بالعودة إلى مصر إلى أنه وصل إلى أسماعه نبأ محاولة عزله عن الحكم وكذلك لعلمه بفرار نابليون من منفاه في جزيرة " البا "، وعودته إلى أوروبا. وهذا ما جعل محمد علي يفكر بتحقيق بعض المكاسب السياسية. انظر:

Dodwell, H. H., The Founder of Modern Egypt: A. study of Muhammad Ali. Cambridge, 1931. pp. 45-46.

3- Dodwell, op. cit., p. 46.

٤- مغوه ميناء على الساحل الفارسي، يقع على بعد ١٧ ميلاً جنوبي شرق خرج، و٢٣ ميلاً غرب مدينة لنجه انظر:

Lorimer, op. cit., Vol. 2/b. p. 1248.

٥- العبيد، صالح محمد، (مرجع سابق)، ص. ٢٩٠.

6-Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p.653.

www.almajidcenter.org

وفي سنة ١٨١٥ التقت عمارة قاسمية مؤلفة من سفينة كبيرة، و٢٥ سفينة صغيرة، كانت في عرض البحر وهي في طريقها إلى مطرح، بأسطول عماني صغير يقوده سعيد بن سلطان مؤلف من الفرقاطة كارولين[١]، ذات ٣٦ مدفعاً، وسفينتين أخريين كبيرتين، وعدد من السفن الصغيرة.

وبالقرب من رأس قريات وقعت معركة بحرية حاول القواسم خلالها الاستيلاء على الفرقاطة كارولين، وقد تمكنوا من الصعود إلى مقدمتها، إلا أن نيران المدافع التي وجهت لهم من مؤخرة الفرقاطة أجبرتهم على الانسحاب، وخلال المعركة أصيب سعيد بن سلطان بجرح اضطره إلى الانسحاب إلى مسقط[٢].

عندما وجد سعيد بن سلطان صعوبة في مواجهة القواسم بمفرده قرر اللجوء إلى حاكم بومباي من جديد طلباً للمساعدة بعدد من السفن البريطانية. إلا أن طلبه قوبل بالرفض[٣]. ومع ذلك لم يهدأ، بل قرر مهاجمة رأس الخيمة بمفرده. وفي بداية عام ١٨١٦ تحرك على رأس أسطول إلى عاصمة القواسم، رأس الخيمة، وحاصرها أربعة أشهر. إلا أن مقاومة القواسم العنيدة حالت دون تحقيقه لأي نصر عليهم[٤].

١- جرى بناء هذه الفرقاطة في بومباي بطلب شخصي من سعيد بن سلطان. وتاريخ نزول هذه الفرقاطة إلى البحر هو ٢٨ نوفمبر عام ١٨١٤. وقد أطلق عليها اسم كارولين نسبة إلى السفينة البريطانية التي شاركت في الحملة العسكرية ضد القواسم في سنة ١٨٠٩، ونالت إعجاب حاكم مسقط.

٢- يعطي فيليبس تاريخاً مبكراً جداً لهذه المعركة، فهو يردها إلى سنة ١٨١٤. انظر:
Philips, op. cit., p. 339.

3- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. pp. 338-339.

4- Miles, op. cit., p. 321.

www.almajidcenter.org

يرى المقيم البريطاني في بوشهر، بروس أن سعيد بن سلطان غير قادر على القيام بشيء دون مساعدة من بريطانيا، وهو على استعداد لأن يتخلَّ عن أي ميناء أو جزيرة في الخليج للإنكليز إذا ما قدموا له المساعدة[١].

لم تقتصر المعارك على البحر، بل شملت البر أيضاً. وفي عام ١٨١٦ منيت القوات العمانية بهزيمة عندما حاولت استعادة خورفكان[٢] .

استمرت المعارك البحرية بين العمانيين والقواسم، وكان الطرفان يستعدان باستمرار لخوض معارك جديدة. وفي ديسمبر من عام ١٨١٨ وقعت أكثر المعارك البحرية ضراوة، عندما قام أسطول قاسمي مؤلف من أربع سفن ضخمة، وسفينتين صغيرتين بمهاجمة أسطول عماني يتألف من سفينتين، كانت إحداهما السفينة الرحماني.

ودارت معركة ليومين كاملين، كاد القواسم أن يستولوا خلالها على السفينتين، لولا أن السفينة البريطانية انتيلوب (Antelope)، ذات الأربعة عشر مدفعاً[٣]، تدخلت بشكل مفاجئ في مجرى المعركة وفتحت نيراناً كثيفة على السفن القاسمية. وكاد القواسم أن يفلحوا في اقتحام هذه السفينة البريطانية لولا شدة نيرانها التي حالت دون ذلك[٤].

بعد سقوط الدرعية في عام ١٨١٨، وشعور القواسم بخطر اجتياح المصريين لنجد، ومناطقهم، حاولوا تسوية العلاقات مع حاكم مسقط، واقترحوا إنهاء حالة الحرب، وتشكيل حلف ثنائي لمواجهة خطر المصريين المتزايد. إلا أن سعيداً رفض ذلك، وفضل

1- Low, op. cit., Vol. 1. p.321.

2- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p. 446.

٣- كانت انتيلوب إحدى السفينتين البريطانيتين اللتين كانتا تجوبان مياه الخليج العربي باستمرار لمراقبة أعمال وتحركات سفن القواسم لضربها، انظر: العابد، صالح محمد، (المرجع السابق)، ص ١٩٣.

4- Low, op. cit., Vol. 1. p.388.

www.almajidcenter.org

الاستمرار بمحاربتهم، اعتقاداً منه بأنهم فقدوا الدعم الوهابي لهم. كما بلغه أن حكومة الهند البريطانية تستعد للقيام بحملة عسكرية كبيرة ضد القواسم. وهذا ما جعله يستعد هو أيضاً للهجوم على رأس الخيمة باتفاق مسبق مع قبيلة بني ياس[1].

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة ... وعطاء مستمر

1-Saldanha, op. cit., p. 312.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة ... وعطاء مستمر

www.almajidcenter.org

الفصل السادس

الصراع بين القواسم وبريطانيا على منطقة النفوذ في منطقة الخليج العربي

(١٨٠٠-١٨١٠)

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة... وعطاء مستمر

www.almajidcenter.org

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة ... وعطاء مستمر

www.almajidcenter.org

ما إن عززت بريطانيا من مركزها في الهند في أواخر القرن الثامن عشر حتى زادت من سعيها للسيطرة على منطقة الخليج العربي، وكان من أحد العوامل المسرِّعة لهذا التطور نشاط نابليون في الشرق الأوسط. ففي أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر حاولت فرنسا أن تستعيد نفوذها في الهند مرات عديدة، وكان الاستيلاء على الطرق المؤدية إلى الهند[١] من ضمن مخططاتها، إلا أنها فشلت في ذلك.

تبلورت السياسة البريطانية خلال المرحلة التي تبدأ بحملة نابليون على مصر عام ١٧٩٨، وتنتهي بالحملة البريطانية على القواسم عام ١٨١٩ في اتجاهين، يهدف كل منهما إلى تأمين حماية الهند.

يتلخص الاتجاه الأول في اللجوء إلى أي وسيلة لمنع فرنسا من شق طريقها إلى الهند. أما الاتجاه الثاني فيتلخص في مواجهة الخطر الذي يهدد أمن الطرق البحرية المؤدية إلى الهند عبر الخليج العربي، وهو الخطر الناجم عن التزايد المستمر لقوة القواسم، وسعيهم الحثيث لبسط نفوذهم على هذه المنطقة.

التنافس الأنجلو فرنسي في منطقة الخليج العربي:

تركزت نشاطات بريطانيا وشركة الهند الشرقية في الشرق الأوسط منذ أواخر القرن الثامن عشر على مواجهة مخططات فرنسا، الهادفة إلى تعزيز موقعها في الهند، وسيطرتها على جميع الطرق الممتدة من أوروبا إلى الهند[٢]. وعندما اتضح أن فرنسا تحاول التوغل إلى

١- من هذه الطرقات : آ- الطريق البحرية عبر السويس والبحر الأحمر والمحيط الهندي؛
ب – الطريق البرية إلى الخليج العربي، فالهند .

٢- واجهت فرنسا مقاومة عنيفة من قبل حكومة بومباي ليس في الخليج العربي فحسب، بل في البحر الأحمر، وعندها أرسلت حكومة بومباي عبارة لتشكيل قاعدة بحرية لمنع الفرنسيين من استخدام هذه الطريق البحرية

www.almajidcenter.org

عمان[١]، و فارس، وإقامة علاقات صداقة مع هاتين الدولتين، سارع الحاكم العام للهند "ر. ولزلي" (Richard Colley Wellesley) باتخاذ إجراءات مضادة.

فقد أصدر تعليماته إلى حاكم بومباي، دنكان بإرسال الفارسي مهدي علي خان، الذي جرى تعينه مؤخراً في منصب مقيم شركة الهند الشرقية في بوشهر، بالتوجه إلى مسقط وطهران لعقد اتفاقيات مع حاكمي الدولتين، تهدف من بين ما تهدف إلى الحيلولة دون نجاح فرنسا في التوغل إلى أراضيهما.

وصل مهدي علي خان إلى مسقط في الأسبوع الأول من أكتوبر عام ١٧٩٨، وأجرى مباحثات مع سعيد بن سلطان بن أحمد انتهت بالتوقيع على اتفاقية في ١٢ أكتوبر من العام نفسه، وكانت هذه الاتفاقية تضم سبعة بنود، تعهد فيها حاكم مسقط بإبعاد الفرنسيين عن جميع أراضيه، وعدم تقديم أية مساعدة لهم في المستقبل، والوقوف إلى جانب بريطانيا في الشؤون الدولية، ومنح السفن الإنكليزية الحق في ارتياد جميع موانئ مسقط، وتقديم المساعدة لها عند الضرورة، بما في ذلك المساعدة العسكرية من العرب.

كما تضمنت الاتفاقية بنداً يمنح شركة الهند الشرقية البريطانية الحق بافتتاح محطة تجارية في بندر عباس، التي كانت حينها تحت حكم مسقط، وأن يقوم على حراستها من ٧٠٠ إلى ٨٠٠ جندي إنكليزي[٢].

المؤدية إلى الهند. وفي عام ١٨٠١ جرى إرسال حملة بحرية عسكرية من الهند إلى مصر لمحاربة الفرنسيين. لمزيد من التفاصيل انظر:

Hoskins, H. L. British Routes to India. L., 1966. pp. 6-61.

١- نجحت فرنسا بالحصول على موافقة إمام عمان على إنشاء محطة تجارية لها في مسقط عام ١٧٨٥. وكان حاكم عمان، قبل هذا التاريخ يرفض السماح لأية دولة أوروبية بافتتاح محطة تجارية على أراضيه، ولم يكن لشركة الهند الشرقية البريطانية في مسقط في عهد الإمام أحمد بن سعيد سوى وسيط محلي. انظر

Franklin, W. Observations made on a Tour from Bengal to Persia, in the years 1786-1787. L. 1790 .p 37.

2- Hurewitze, Vol: 1. op. cit., pp. 64-65.

www.almajidcenter.org

تجدر الإشارة هنا إلى أن مايلز ذكر أن سلطان مسقط وافق، وإن لم يكن كتابياً، على أن يقيم في مسقط ضابط بريطاني بصفة وكيل شركة الهند الشرقية البريطانية[١].

إن ما يفسر إعادة توجه حاكم مسقط إلى بريطانيا، بعد أن كانت تربطه علاقات تجارة، وصداقة مع فرنسا معرفته الجيدة بأن بريطانيا متفوقة بحرياً، ومسيطرة على الهند؛ وكذلك لاعتماد اقتصاد بلاده لدرجة كبيرة على التجارة المربحة مع سواحل الهند الغربية.

إلى جانب ذلك كان سلطان يعي الخطر الوهابي المحدق ببلاده ويدرك جيداً عجزه عن مواجهة عدوين قويين في آن واحد، وعندما وقع الاتفاقية مع بريطانيا، أطلق يديه في صراعه مع منافسيه العرب التقليديين، القواسم.

تمتاز هذه الاتفاقية بأهمية خاصة؛ ذلك أنها حددت بداية العلاقات السياسية بين مسقط وبريطانيا، التي توطدت مع مرور الوقت. كما شكلت هذه الاتفاقية الخطوة الأولى، وهي الأهم على طريق السياسة البريطانية في منطقة الخليج العربي، الهادفة إلى فرض الهيمنة البريطانية.

بعد نجاح مهدي علي خان في أداء مهمته في مسقط توجه إلى فارس، حيث استطاع إقناع الشاه بأن يصدر أوامره إلى جميع الموانئ بالقبض على أي فرنسي يشاهَد في البحر أو البر[٢]. كما تمكن من الحصول على وعد من الشاه بالوقوف إلى جانب بريطانيا إذا ما قامت فرنسا بحملة عسكرية على منطقة الخليج العربي[٣].

1- Miles, op. cit., p. 291.
2- Kumar, R. India and the Persian Gulf Region 1858- 1907. L.,1965. pp.11-12.
٣-العابد، صالح محمد، (المرجع السابق)، ص ٢٠٠.

www.almajidcenter.org

غير أن سلطات الهند البريطانية لم تكتف بكل ما حققه مهدي علي خان، وقررت إرسال بعثة ثانية إلى المنطقة يترأسها الكابتن جون مالكولم[١]، الذي كان له دور بارز في صياغة السياسة البريطانية في منطقة الخليج العربي[٢].

في العاشر من سبتمبر عام ١٧٩٩ بعث مالكولم برسالة إلى الجنرال روس أخبره فيها بأن أهداف ومهام البعثة عديدة ومهمة. منها إزالة تهديد زمان شاه[٣] المستمر بغزو الهند؛ وإحباط أية محاولة يمكن أن يقوم بها الفرنسيون؛ والعمل على إنعاش العلاقات التجارية التي انهارت مع فارس"[٤].

كانت تعليمات الحاكم العام للهند تنص على أن يتوجه مالكولم إلى مسقط قبل الذهاب إلى فارس، بسبب الشك الذي بدأ ينتاب الإنكليز من موقف سلطان بن أحمد، الذي كان في ذلك الوقت يساعد حاكم ميسور الهندية في صراعه ضد بريطانيا. وقد زاد هذا الشك عندما وقعت رسالة في أيدي البريطانيين كانت موجهة من نابليون في مصر إلى حاكم مسقط، وفيها يؤكد إمبراطور فرنسا لحاكم مسقط على الدعم و الصداقة .

١ -عندما كان مالكولم في الثلاثين من عمره كان يشغل منصب نائب المقيم في حيدر أباد، وعندها جرى اختياره رئيساً لهذه البعثة. بدأ مالكولم حياته العملية وهو في الرابعة عشرة من عمره، عندما جاء إلى الهند بصفة طالب عسكري في جيش شركة الهند الشرقية البريطانية، وفي سنة ١٧٩٠ شارك لأول مرة في حملة عسكرية ضد ميسور. وفي عام ١٧٩٧ انتقل للعمل في السلك السياسي. يقول عنه جون كيلي إنه يمتاز بالنشاط والجرأة والطموح . انظر

Kelly, op. cit.,pp. 68-69.

2- Kelly, op. cit., pp. 68-69.

٣- زمان شاه ثالث شاه في أفغانستان من سلالة الدورانية. كانت سياسته تشكل باستمرار تهديداً لشمال الهند. وقد شن هجوماً ثلاث مرات على شمال الهند في عامي ١٧٩٦ ، ١٧٩٧، وتمكن من اجتياز السند، وبنجاب. وهدد في خريف عام ١٧٩٨ بالهجوم مرة أخرى على شمال الهند من قاعدته في بشاور. وكانت لإيران آنذاك ادعاءات إقليمية وكانت الهند تؤيد بقوة هذه الادعاءات ؛ إذ كانت ترى بذلك سبباً لتحويل التهديد الأفغاني الإيراني عن الهند، انظر:

Kelly, op. cit.,pp. 68.

4- Kaye, op. cit., Vol. 1 pp. 89-90.

www.almajidcenter.org

وكانت هذه الرسالة مرفقة برسالة أخرى لإيصالها إلى حاكم ميسور الثائر تتضمن دعوة نابليون لإقامة علاقات مع فرنسا. وقد سقطت الرسالتان بيد المقيم البريطاني في مخا آنذاك، الكابتن ويلسون[١]. ولهذا كان على مالكولم الضغط على سلطان مسقط؛ كي يتقيد بشروط الاتفاقية التي وقعها مع بريطانيا قبل أقل من عامين، ويقطع جميع علاقاته مع فرنسا[٢].

في الثامن من يناير عام ١٨٠٠ وصل مالكولم إلى مسقط ، حيث اجتمع مع سيف بن محمد بغياب سلطان، الذي كان حينها يقود حملة على جزيرة قشم. وفي الثامن عشر من الشهر نفسه اجتمع مع سلطان بن أحمد على ظهر السفينة جنجافة، حيث أعرب له عن استياء الحاكم العام للهند من علاقته مع فرنسا.

وفي الوقت نفسه أعرب مالكولم عن أمله بأن يكون سلطان مقتنعاً بفوائد التحالف مع بريطانيا، وأن هذا التحالف سيحقق الأمن السياسي لمسقط، ويجعلها تزدهر تجارياً[٣]. وأشار هذا المبعوث إلى أن بلاده متفوقة على فرنسا في صراعها معها، وأنها استطاعت طرد الفرنسيين من جميع البلدان في الشرق الأوسط باستثناء جزيرة موريشس، التي لا تستحوذ على اهتمام بريطانيا، وليس في نية بريطانيا مهاجمتها.

كما أشار مالكولم إلى أن الإنكليز قضوا على تيبو، حاكم ميسور بمجرد أن أصبح دون دعم من فرنسا، التي انهارت حملتها على مصر[٤]. ووضعوا أيديهم على جميع موانئ ساحل مالبار، بحيث لم يعد بإمكان أية سفينة الرسو على الساحل الهندي دون إذن منهم.

1- Miles, op. cit., p. 290.
2- Adamiyat, op. cit., p. 43.
3- Kaye, op. cit., Vol. 1 p. 109.
٤- استغل البريطانيون مباحثات تيبو، حاكم ميسور مع الحاكم الفرنسي لجزيرة موريشس كحجة لاحتلال هذه الإمارة الهندية، على الرغم من المحاولات والجهود التي بذلها حاكمها للتوصل إلى اتفاق مع شركة الهند الشرقية البريطانية. اكتسحت القوات البريطانية ميسور في عام ١٧٩٩ واستولت على العاصمة سيرنكا باتام. وأثناء المعركة

www.almajidcenter.org

ثم تساءل مالكولم: "ما الذي ستجنيه مسقط من التجارة، إذا ما كانت جميع الموانئ الهندية مغلقة أمام عمان"؟ ورد سلطان بن أحمد على ذلك بالقول إنه لا يرغب بشيء أكثر من تعزيز تحالفه مع حكومة بريطانيا العظمى"[1].

بعد ذلك جرى على متن السفينة جنجافة التوقيع على معاهدة جديدة بين الطرفين تتألف من بندين فقط. ينص البند الأول على أن تبقى الاتفاقية الموقعة مع مهدي علي خان (الذي مثل الجانب البريطاني) سارية المفعول، ولا يطرأ عليها تغيير؛

بينما جاء في البند الثاني أنه نظراً للمعلومات المتناقضة التي وصلت إلى أسماع الحاكم العام، والتي من شأنها أن تخل بالاتفاق والتفاهم المتبادل بين الدولتين، وبغية منع التأثير الضار لمثل ذلك مستقبلاً، فإنني أوافق على أن يقيم في ميناء مسقط بشكل دائم "جنتلمان" إنكليزي بصفته ممثلاً للشركة [شركة الهند الشرقية البريطانية ـ المؤلف]، وعليه العمل للربط بين الدولتين، بحيث تكون أعمال الدولتين عادلة ويمثلها هذا الشخص بنزاهة. ولن يجري تعيين أشخاص قد يثيرون الفتن، وستبقى الصداقة قائمة بين الدولتين إلى الأبد، ما دام هناك دوران للشمس والقمر[2].

من الواضح أن المبعوث الإنكليزي نجح في مهمته في تحقيق هدفين معاً: إعادة التأكيد على الاتفاقية الموقعة في سنة ١٧٩٨، التي تلزم حاكم مسقط بإنهاء أية علاقة له مع

قُتل تيبو سلطان. وبعد ضم قسم من أراضي ميسور إلى حيدر آباد حول الإنكليز ما تبقى من الأراضي إلى إمارة تابعة (موالية، وأوكلوا أمر حكمها إلى صنيعة لهم. وبعد ذلك استولت بريطانيا على أراضي إمارات المهراتا، وعلى عاصمة إمبراطور مغول دهلي العظام إثر معارك دارت بين عام ١٨٠٣ و١٨٠٥. وأصبح أمراء الهند المركزية أيضاً أتباعاً لشركة الهند الشرقية البريطانية. انظر: تاريخ الهند الجديد، موسكو، ١٩٦١، ص ١٦٠.

1- Kaye, op. cit., Vol. 1., pp. 107-108.
2- Saldanha, op. cit., p. 249-250.

www.almajidcenter.org

الفرنسيين، والهولنديين[١]؛ وإقامة ممثل إنكليزي في مسقط. وقد ذكر لوريمر في هذا الخصوص أن الرجل الذي جاء إلى مسقط مع الوفد الذي رافق مالكولم، ويدعى "بوجل" (Bogle)، شغل على الفور منصب مقيم لشركة الهند الشرقية البريطانية في مسقط[٢].

بعد نجاح مهمته في مسقط بتأمين علاقات صداقة لبريطانيا مع الدولة الرئيسة على الساحل العربي للخليج العربي، توجه مالكولم إلى فارس، حيث نجح أيضاً في إبرام اتفاقيتين في شهر يناير عام ١٨٠١. الاتفاقية الأولى سياسية، تضمنت خمسة بنود، راعت تأمين حماية الهند، ومنع الفرنسيين من الدخول إلى فارس، وتشكيل حلف دفاعي لمواجهة التهديدات الفرنسية والأفغانية.

تكمن خطورة هذه الاتفاقية في تاريخ إيران، قبل كل شيء، في أنها تعد بداية لسلسلة كاملة من الاتفاقيات غير المتكافئة التي وقعتها فارس مع الدول الأوروبية، بما فيها بريطانيا، التي عززت تأثيرها ونفوذها المتزايد باستمرار، وبشكل رسمي على سياسة هذه الدولة واقتصادها. والاتفاقية الثانية تجارية، منحت الإنكليز بموجبها مجموعة واسعة من الامتيازات[٣].

يعود السبب في نجاح مهمة جون مالكولم في فارس إلى أن الشاه فتح علي شاه كان يتطلع لإقامة علاقات ودية مع أية قوة يمكن أن تساعده في صراعه ضد روسيا، التي باتت

١- أقامت مسقط منذ ذلك الحين علاقات وثيقة جداً مع بريطانيا، لدرجة أن حاكمها رفض في نوفمبر عام ١٨٠٣ قبول وكيل فرنسي، وقنصل قدمه له كافيناك (Cavaingnac)، مبعوث نابليون الشخصي إلى مسقط. انظر:
Coupland, Sir Reginald. East Africa and it's Invadors, from the Earliest Times to the Death of Seyyid Said in 1856. Oxford, rep. 1961.pp. 102-106.
2- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p. 429.
3- Hurewitze, Vol. 1. op. cit., pp. 68-70.

www.almajidcenter.org

حينها عدوة لفارس وبريطانيا. ولا سيما وأن نابليون عزم على غزو الهند بالاشتراك مع قيصر روسيا بولس الأول[١].

والذي أفشل الحملة الروسية – الفرنسية على الهند هو اغتيال القيصر الروسي في عام ١٨٠١. الأمر الذي جعل بريطانيا غير متحمسة للإبقاء على الاتفاقية الأخيرة التي أبرمتها مع فارس. وهذا ما يفسر عدم استجابة بريطانيا لطلب الشاه الملح بإضافة بند إلى الاتفاقية التي جرى توقيعها قبل وقت قصير بين الدولتين.

وكان البند الذي أراد الشاه إدراجه ينص على أن تضع بريطانيا جنودها وأسلحتها تحت تصرف الحكومة الفارسية إذا ما إندلعت حرب بين روسيا وفارس. وكان الشاه يأمل من وراء ذلك منع قيام تحالف معاد لفارس يضم روسيا وبريطانيا[٢]. وبعد سنتين من التوقيع على تلك الاتفاقية بدأت الحرب الروسية الفارسية. وخلال هذه الحرب لم تقدم بريطانيا أية مساعدة لفارس.

كان هذا الموقف الذي اتخذته بريطانيا من الحرب الفارسية الروسية دافعاً لفارس لأن تتقرب من فرنسا، لدرء الخطر الروسي. وقد بلغ هذا التقارب ذروته بين الشاه فتح علي شاه ونابليون في ٤ مايو عام ١٨٠٧، عندما وقعت الدولتان على معاهدة فنكنشتاين، التي تعهدت فرنسا بموجبها بدعم فارس عسكرياً في حربها ضد روسيا، مقابل أن يقطع الشاه كل علاقاته السياسية والتجارية مع بريطانيا، بل وحتى إعلانه حالة الحرب على هذه الأخيرة. كما تعهدت فارس بالسماح للقوات الفرنسية بمرور آمن عبر أراضيها للهجوم على الهند[٣].

١ – إيفانوف، م. س.، مقتطفات من تاريخ إيران، موسكو، ١٩٥٢، ص ١٢٩.

2- Hoskins, op. cit., p. 68.

3-Hurewitze, Vol. 1. op. cit., pp. 77-78.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

www.almajidcenter.org

وبعد التوقيع على هذه الاتفاقية أرسلت فرنسا بعثة عسكرية كبيرة إلى فارس بقيادة الجنرال جاردان (Gardane)، الذي حمل تعليمات نابليون التي تنص على أن أهمية فارس تكمن في استخدام أراضيها لمرور القوات الفرنسية إلى الهند. وفي الوقت نفسه أكد نابليون ضرورة أن يأخذ جاردان بعين الاعتبار سعي فرنسا لإقامة تحالف ثلاثي يضم فرنسا والباب العالي وفارس، حتى تنفتح الطريق أمامها للوصول إلى الهند[1].

وفي ديسمبر عام ١٨٠٧ وصلت البعثة العسكرية الفرنسية إلى طهران، وكانت تضم سبعين خبيراً عسكرياً ومهندساً وفنياً. وبالطبع كانت بريطانيا قلقة جداً من هذا التطور في الأحداث، ومن الخطر الذي يشكله تطور العلاقات الفرانكو فارسية على الهند. وقد وجد وزير خارجية بريطانيا جورج كاننك في مايو عام ١٨٠٧ أن الضرورة تستدعي إرسال بعثة إلى فارس على مستوى عال لا تمثل شركة الهند الشرقية البريطانية، وإنما تمثل تاج صاحبة الجلالة؛ مما قد يكسبها أهمية أكبر.

وقد وقع الاختيار على المقيم البريطاني السابق في بغداد هارفورد جونز(Harford Jones) ليرأس هذه البعثة. وفي ٢٨ أغسطس تسلم هذا الأخير التعليمات من جورج كاننك، وكان عليه أن يعرض المساعدات العسكرية والمالية على فتح علي شاه مقابل وقوف فارس إلى جانب بريطانيا في حال تعرضت الهند إلى أي هجوم من قبل فرنسا أو روسيا.

وفي الشهر نفسه علمت حكومة الهند بهذه المبادرة، فاستاءت منها كثيراً؛ إذ أنها تعد منطقة الخليج العربي منطقة نفوذ لها. ورداً على ذلك قرر اللورد مينتو الإسراع بإيفاد

ولمزيد من الاطلاع على جهود الدبلوماسية الفرنسية ومساعيها لإقامة علاقات ثابتة مع إيران، وجعل هذه الأخيرة قاعدة فرنسية للهجوم على الهند لضرب الوجود البريطاني فيها، انظر:

Hoskins, H. L. British Routes to India. L., 1966;
Sykes, P. A. History of Persia. 2 vols. L. 1921;
Curzon, G. N. Persia and the Persian Question. 2 Vols., L. 1892.

1- Hurewitze, op. cit., Vol.1, pp. 79-81.

www.almajidcenter.org

بعثة إلى فارس برئاسة ج. مالكولم قبل أن يصلها هارفورد جونز، الذي وصفه مينتو بالمتطفل[١]. وجرى تعيين البعثة في بداية عام ١٨٠٨. وفي شهر إبريل وصل مالكولم إلى منطقة الخليج العربي ترافقه عمارة من السفن الحربية.

توجه مالكولم في البداية إلى مسقط، وكان مكلفاً من حاكم بومباي، دنكان بتوضيح وجهة نظر الحكومة البريطانية من القيام بالإجراءات الوقائية في الخليج لسعيد بن سلطان بالاجتماع[٢]. وكذلك للوقوف على ما إذا كان سعيد بن سلطان سيقبل بالمساعدة البريطانية مقابل إبعاد الفرنسيين عن ميناء بندر عباس أم لا.

جدير بالذكر أن سعيد بن سلطان كان قد بعث قبل ذلك بوقت قصير رسالة إلى حكومة بومباي أكد فيها أنه لن يسمح لفرنسا وفارس باستخدام بندر عباس وهرمز كقواعد لها.

في الثلاثين من إبريل عام ١٨٠٨ صعد وزير عماني إلى متن السفينة البريطانية، حيث أخبره مالكولم بأن حكومة بريطانيا العظمى، على الرغم من أنها تؤيد وجود علاقات صداقة بين مسقط وفرنسا، فإن ذلك لا يعني أن يفهم سعيد بن سلطان أنها موافقة على أن يقدم المساعدة والدعم للفرنسيين.

وفي رده على ذلك ذكّر وزير مسقط مالكولم بأن على حكومة الهند اعتبار مسقط، وفقاً لاتفاقيات موقعة، دولة محايدة. الشيء الذي رد عليه مالكولم بنبرة تهديد: "إذا لم يكن سعيد قادراً على أن يكون صديقاً مخلصاً، فإن بريطانيا ستعتبره عدواً". ودون أن ينتظر جواباً من سعيد بن سلطان أو أن يلتقي به، غادر رئيس البعثة الإنكليزية مسقط.

1- Kelly, op. cit.,. pp. 80-83, 88.

٢ -العقاد، صلاح، (مرجع سابق)، ص ٢٠٧.

www.almajidcenter.org

في العاشر من مايو وصل مالكولم إلى بوشهر، حيث حمَّل القبطان باسلي (Pasley) رسالة إلى الحكومة الإيرانية. وفيها يتهم هذه الأخيرة بالانحياز إلى فرنسا، وبخرق اتفاقية عام ١٨٠١. كما أشير في تلك الرسالة إلى أنه إذا لم يجر إبعاد الجنرال الفرنسي جاردان ومعاونيه من البلاد فإن على طهران أن تتحمل كامل المسؤولية عن النتائج الخطيرة لسياستها، والتي قد يكون منها قطع العلاقات التجارية بين فارس والهند. كما هدد بإمكانية القيام بعمل عسكري لاحتلال واستعمار بعض الجزر الفارسية في الخليج.

وبدورها رفضت الحكومة الإيرانية استقبال باسلي في طهران، وطلبت منه مراجعة الأمير حسين علي ميرزا، حاكم شيراز في هذا الخصوص، وعللت رفضها بأن هذا الأخير هو المسؤول حالياً عن العلاقات بين إيران وشركة الهند الشرقية[١].

بيد أن مالكولم رفض هذا الطلب بحزم، وأشار بكبرياء إلى أنه من المستحيل على ممثل بريطاني أن يتنازل إلى مستوى مناقشة مثل هذه القضايا مع زعيم على مستوى محلي، ولهذا فهو مضطر إلى أن يقطع زيارته، والعودة إلى الهند فوراً، وبذلك فشلت حكومة الهند في إحراز أي نجاح.

يمكن إرجاع سبب فشل بعثة مالكولم إلى أسلوب الغطرسة الذي سلكه[٢] من جهة، وإلى قوة نفوذ وتأثير الجنرال جاردان على الشاه من جهة أخرى[٣].

بعد فشل بعثة مالكولم جرى في كالكوتا مناقشة الموقف الذي اتخذته فارس، وتقرر إعداد خطط للاستيلاء على جزيرة خرج الفارسية، ووضع حامية إنكليزية فيها[١]. وفي هذا

1- Kelly, op. cit, pp. 88-89.

٢- تعرض مالكولم إلى انتقادات حادة من اللورد مينتو، الحاكم العام للهند بسبب فشل بعثته وغطرسته.

3- Hoskins, op. cit., p.76.

www.almajidcenter.org

الوقت علمت السلطات البريطانية أن الشاه وعد بإعطاء هذه الجزيرة لفرنسا لاستخدامها كقاعدة لهجوم فرانكو فارسي مشترك على الهند.

وكان الإنكليز يرون أن بالإمكان استخدام هذه الجزيرة ذات الأهمية الإستراتيجية الكبيرة لمنع أية محاولة للهجوم على الهند، وكذلك للقيام بعمليات حربية ضد فارس نفسها. بالإضافة إلى أن لهذه الجزيرة أهمية تجارية كبيرة في المنطقة. وكان الاستعداد للاستيلاء عليها يجري باطراد، إلى أن وصلت رسالة من اللورد مينتو إلى مالكولم مؤرخة في ٣٠ سبتمبر عام ١٨٠٨ يقول فيها: "لا نستطيع خوض حرب مع فارس في هذا الوقت الذي تجري فيه مباحثات بين ملك بريطانيا العظمى والشاه"[٢].

إلا أن تطور الأحداث في أوروبا في هذه الفترة أثر بشكل كبير على علاقة فرنسا بفارس التي فقدت أهميتها بشكل كبير بعد مباحثات تلست للسلام التي جرت بين فرنسا وروسيا؛ إذ تقرر في تلك المباحثات أن يكون نابليون حر التصرف في أوروبا، مقابل منح روسيا نفس الامتيازات في آسيا، أي أن تكون هي أيضاً حرة التصرف في آسيا، كما اعتُبرت بريطانيا العدو الرئيس للدولتين.

وهكذا ضحى نابليون بمصالح فرنسا في آسيا، مما أضعف علاقاته بفارس؛ إذ بات من الصعب عليه تقديم المساعدة إلى الشاه في صراعه ضد حليفته روسيا. جدير بالذكر أن

١- كانت خطة الاستيلاء على إحدى جزر الخليج العربي وتحويلها إلى قاعدة عسكرية لبريطانيا من الأهداف التي كان مالكولم يسعى لتحقيقها منذ وقت طويل. فعند عودته من بعثته الأولى عام ١٨٠١ حاول جاهداً إقناع ولزلي بضرورة الاستيلاء على جزيرة قشم، وأثناء بعثته الثانية الفاشلة حاول الاستيلاء على جزيرة خرج. انظر:

Bombay political and secret proceedings (Spp / Range 380 vols. 68-75; Range 381/vols. 1-59; / Range 282/ vols. 3-59; / Range 383/ Vols. 1-11)., Vol. 10. pp. 43-48.

2- Kaye, op. cit., Vol. 1. p. 467.

www.almajidcenter.org

نابليون وجد في اتفاقية تلست، التي فرضت روسيا بموجبها حصاراً على بريطانيا، فرصة مناسبة للهجوم على الهند[١].

من الطبيعي جداً أن الموقف الذي اتخذته فرنسا استدعى سحب البعثة الفرنسية، التي يرأسها الجنرال جاردان من فارس، وازدياد مكانة ونفوذ بريطانيا في بلاط الشاه.

في ١٢ مارس عام ١٨٠٩ سنحت الفرصة لجونز الذي كان في طهران لعقد ما يسمى الاتفاقية الأنجلو- إيرانية الأولية، التي كانت الأساس الذي ارتكزت عليه الدولتان في العلاقات المستقبلية فيما بينهما. والواقع أن كل بند في تلك الاتفاقية كان يدل دلالة واضحة على حماية الطرق المؤدية إلى الهند.

ففي هذه الاتفاقية تعهدت فارس بعدم التوقيع على أية اتفاقية أو معاهدة تتعارض مع مصالح بريطانيا، ومنع أية قوة عسكرية أوروبية من التوجه إلى الهند عبر أراضيها. وبالمقابل أشار البندان السادس والسابع من الاتفاقية على "النوايا الطيبة لشركة الهند الشرقية تجاه حكومة فارس. ففيهما تأكيد على أن القوات البريطانية المرسلة إلى الخليج العربي ستكون تحت أمر صاحب الجلالة، شاه فارس، وأنها ستتمركز في أي ميناء فارسي، إذا ما رغب الشاه بذلك"[٢].

كما تعهدت بريطانيا في هذه الاتفاقية بتقديم مساعدة مالية إلى فارس بقيمة ٢٠٠ ألف تومان، أو نحو ١٥٠ ألف جنيه إسترليني[٣]. وهكذا نجحت بريطانيا في إحباط آخر

1-Hoskins, op. cit., pp. 71-72.

٢- العقاد، صلاح، (مرجع سابق)، ص ١٠٣.

٣- يشير سايكس إلى أن قيمة المساعدة المالية الفرنسية تقدر بـ ١٦٠ ألف تومان سنوياً.

Sykes, op. cit., Vol. 2. p. 307.

ويقول جراهام عن التومان إنه عملة ذهبية كانت في ذلك الوقت تعادل ١٠ شلنات إنكليزية. انظر

www.almajidcenter.org

تهديد فرنسي لغزو الهند عن طريق البر. وفي عام ١٨١٠ تمكنت من القضاء على كافة أنواع التهديد عندما استولت على جزيرتي ريؤنيون، وموريشس[١] من الفرنسيين[٢].

الصراع بين القواسم وبريطانيا (١٨٠٤ –١٨٠٦):

نجحت بريطانيا في العمل في فارس بالطرق الدبلوماسية، لكنها أخفقت في ذلك في منطقة الخليج العربي، حيث واجهت مقاومة شديدة من حلف القواسم القبلي، الذي استمر في تطلعه إلى السيطرة على التجارة المحلية، والطرق البحرية لهذه المنطقة.

بعد الحادثة التي تعرض لها الطراد فايبر في عام ١٧٩٧ لم يقم القواسم بأية عملية ضد السفن البريطانية. وهذا ما جعل هذه الأخيرة حرة في الإبحار بين الهند والخليج العربي طيلة سبع سنوات تقريباً. وخلال هذه الفترة تمكن الإنكليز من السيطرة على التجارة المحلية شيئاً فشيئاً. ولعل السبب في ذلك يرجع إلى انهماك القواسم بحربهم ضد عدوهم حاكم

Graham, G. S. Great Britain in the India Ocean, a Study of Maritime Enterprise 1810- 1850, Oxford, 1967. p. 264.

جرى تحويل المعاهدة الأولية الأنجلو فارسية بعد المصادقة عليها في ٢٥ أكتوبر عام ١٨١٤ إلى معاهدة دائمة.

Hoskins, op. cit., pp.78-79.

١- في صباح ٧ يوليو عام ١٨١٠ هاجم الأسطول البريطاني جزيرة ريونيون، وفي اليوم التالي تمكن الإنكليز من الاستيلاء على العاصمة، وقد شكل سقوط جزيرة موريشس، التي كانت القاعدة البحرية الحربية الرئيسة لفرنسا في المحيط الهندي ضربة قاضية للتواجد الفرنسي في هذه المنطقة. وقد وجهت حكومة الهند حملة عسكرية قوية تتألف من ١٦ ألف جندي، و٧٠ سفينة للاستيلاء على هذه الجزيرة. وفي هذا الوقت لم يكن عدد أفراد الحامية الفرنسية في الجزيرة يزيد عن ١٦٠٠ جندي. وكان الاستيلاء على جزيرة موريشس في ديسمبر عام ١٨١٠. لمزيد من التفاصيل انظر:

Graham, op. cit., pp. 48-52.

ويصف كوبلاند انتصار بريطانيا بالقول: "بسقوط جزيرة موريشس انتهت المعارك البحرية ضد فرنسا، وبسطت بريطانيا هيمنتها على المحيط الهندي.

Coupland, Sir Reginald. Britain and India 16- 1945. L., rev. ed., 1946. p. 52.

2- Graham, op. cit., pp. 48-52.

www.almajidcenter.org

مسقط، وتركيز قوتهم البرية والبحرية لمجابهته؛ إضافة إلى أنهم كانوا يخوضون صراعاً ضد الوهابيين أيضاً في أواخر القرن الثامن عشر.

إلا أن نشاطهم الهادف إلى شغل مكان ثابت في الحياة السياسية والاقتصادية للخليج العربي زاد بشكل كبير بعد وفاة سلطان بن أحمد سنة ١٨٠٤، واعتناقهم المذهب الوهابي، الذي أشعل حماسهم، وعزز إحساسهم بضرورة دعم الدولة السعودية الأولى، ولا سيما بعدما أخذت هذه الأخيرة تحثهم على رفع راية الحرب المقدسة "الجهاد" ضد الكفار في البحر.

كان من الطبيعي أن لا يتفق تطور الأحداث بهذا الشكل مع مصالح سلطات الهند البريطانية. ولهذا قررت هذه الأخيرة القضاء على القواسم بقوة السلاح بحجة مكافحة القرصنة. ومنذ ذلك الحين أخذت توجه أصابع الاتهام في أية حادثة تقع لسفن شركة الهند الشرقية في مياه الخليج العربي إلى سكان رأس الخيمة، الذين أطلقت عليهم اسم "قراصنة". ففي عام ١٨٠٤ تعرضت السفينة فلاي (Fly)، التابعة لشركة الهند الشرقية لحادثة في مكان ضحل بالقرب من جزيرة قيس، وكانت هذه الحادثة كغيرها من الحوادث العادية الكثيرة التي تقع في البحر.

www.almajidcenter.org

وقد وصف بكنجهام هذه الحادثة في يومياته المؤرخة في ١٨ نوفمبر ١٨١٦ بالقول: ".... بعد وقوع الكارثة للسفينة فلاي تمكن طاقمها من الوصول إلى بوشهر، حيث اشتروا سفينة محلية قادرة على نقلهم إلى بومباي. وبينما هم في طريق العودة هاجم القواسم سفينتهم وأسروا أفراد طاقمها، واقتادوهم إلى رأس الخيمة. وهناك تمكن البحارة من فداء أنفسهم بإرشاد القواسم إلى مكان غرق السفينة فلاي، التي تحمل كنزاً. وعندها جرى نقل الإنكليز إلى جزيرة قيس، وإنزالهم فيها. ومن هناك تمكن ثلاثة أفراد فقط من طاقم فلاي من الوصول إلى بوشهر، واثنان فقط وصلا إلى بومباي"[1].

تناول كل من س. مايلز، وبلغريف ، وكذلك أرنولد ويلسون، المؤرخ الإنكليزي المعروف في الخليج العربي سرد قصة السفينة فلاي بسرور[2]. أما جون لوريمر فقد كان أكثر حذراً في التطرق إلى حادثة هذه السفينة؛ إذ قال إنه في عام ١٨٠٤، وبينما كان بحارة السفينة فلاي وركابها، التي كان القراصنة الفرنسيون قد استولوا عليها، في طريقهم إلى الهند على متن سفينة محلية اشتروها في بوشهر، هوجموا بطريقة القرصنة، وجرى اقتيادهم إلى رأس الخيمة بسفن القواسم الذين لم يعيدوا لهم حريتهم إلا كرهاً"[3]. واللافت للنظر هنا تباين وصف حدث معين واحد ينسب إلى الفرنسيين والقواسم في آن واحد.

وبالعودة إلى وثائق وآراء المسؤولين في شركة الهند الشرقية تحديداً، الذين كانوا آنذاك ينفذون في منطقة الخليج سياسة سلطات الهند البريطانية، يُلاحظ في تقرير المقيم البريطاني في بوشهر، وليم بروس، المؤرَّخ في ٥ يناير عام ١٨٠٥، والموجه إلى المقيم البريطاني في البصرة، صمويل منستي أن بروس يتهم القواسم بأسر طاقم السفينة فلاي، ومع ذلك فهو يخبر بأنه جرى إيصال الإنكليز الذين كانوا على متن السفينة فلاي إلى "بخا"، حيث

1- Buckingham, op. cit., Vol. 2. pp. 217-244.
2- Miles, op. cit., p. 296.;
Belgrave, op. cit., p. 29
3- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. pp. 180-181.

www.almajidcenter.org

أمضوا نحو شهر قبل أن يُسَلَّموا إلى الشيخ رحمة في نخيلوه، الذي عاملهم معاملة حسنة، وأرسلهم إلى بوشهر[١].

قد يكون كل ذلك مقنعاً إذا ما تجاهلنا أن بخا تقع تحت سلطة إمام عمان، الذي كان القواسم آنذاك في حالة حرب ضده. وهناك تقرير آخر موجه من ملا حسن في جزيرة قشم إلى سيتون يؤكد فيه أن أسر الطاقم والاستيلاء على السفينة جرى من قبل السيد ماجد، أحد الأعضاء البارزين في حكومة عمان[٢]. وعلى أية حال لا يوجد ما يؤكد وثائقياً ضلوع القواسم في الهجوم، وأسر طاقم السفينة فلاي.

نستعرض فيما يلي ما قيل عن حادثة استيلاء "القواسم" على السفينتين شانون (Shannon)، وتريمر(Trimmer)، وهي من الحوادث المعروفة، التي وصفها المؤرخون الإنكليز، وادعوا جميعهم، ابتداءً من ج. بكنجهام، وانتهاءً بـ د. هاولي، بشكل لا يدع مجالاً للشك بأن ذلك كان عملاً عدوانياً قام به القواسم.

فجون لوريمر مثلاً يقول عن هذه الحادثة إنه "في سنة ١٨٠٥ استولى قراصنة من القواسم على السفينتين التجاريتين شانون وتريمر، اللتين يملكهما المستر "منستي"، المقيم البريطاني في البصرة". وكتأكيد على مثل هذا الادعاء يقول لوريمر: "وفي العام نفسه حاول أسطول للقواسم الاستيلاء على السفينة – الطراد "مورنينغتون"(Mornington)، العائدة لشركة الهند الشرقية، إلا أنه جرى التصدي للهجوم وإلحاق خسائر بالمهاجمين"[٣].

الجدير بالذكر أنه جرى تضخيم هذه الحادثة بهذا الشكل لأن السفينتين كانتا ملكاً لصمويل منستي، وإلا لما أخذتا هذه الدرجة من الاهتمام والضجيج. وعلى أية حال، بغية

1- Secret and Political Department Diaries., op. cit., №. 160 A/1805, pp. 611-614.
2- Secret and Political Department Diaries., op. cit., №. 181/1806, pp. 2425-2426.
3- Lorimer, op. cit., Vol.I/a.; p. 180-181.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

إظهار الحقيقة لا بد من الرجوع إلى الوثائق البريطانية، وهي، بالمناسبة من الوثائق التي "لسبب ما" لم يسترشد بها أحد من المؤرخين الإنكليز آنفي الذكر.

لقد ذكر قبطان السفينة تريمر، كمينج في تقرير وجهه إلى صمويل منستي في ١٩ ديسمبر عام ١٨٠٤ إنه في الأول من ديسمبر عام ١٨٠٤ في منطقة خليج شيراك ثلاثة داوات. وعندها كانت الرياح خفيفة. ولما كان أقرب الداوات على مسافة لا تبعد عنا أكثر من ربع ميل، فقد قمنا برفع علمنا، العمل الذي قام بمثله الداو أيضاً.

واعتقاداً مني، للوهلة الأولى، أن الداو ما هو إلا سفينة تجارية، وجهت له زورقاً يحمل مترجماً يتكلم العربية للاستطلاع، والوقوف على ما إذا كان على الساحل من مكان يمكننا التزود منه بمياه احتياطية بشكل سريع. وعندما ابتعد الزورق عنا إلى مسافة سير تقدر بربع ساعة، وبات قريباً من الداو أطلقنا طلقة مدفع نحو عرض البحر كإشارة منا للمترجم بالعودة إلى السفينة. ويبدو أن أحداً لم ينتبه للإشارة. وبعد عشرة دقائق أطلقنا طلقة مدفع أخرى، وبعدها رأينا اثنين من رجالنا يصعدان من الزورق إلى ظهر الداو، وفي تلك اللحظة رفع الداو شراعه وتوقف عند الساحل، وعندها خُيِّل لي، لأول مرة أنها عملية قرصنة، مما دفعني للإسراع بالتوجه نحو هذه السفينة – الداو، بعد أن أطلقنا طلقات تحذيرية، ومن ثم بدأنا نرمي عيها مباشرة[1].

أي بعبارة أخرى يعترف القبطان كمينج صراحة هنا بأن الإنكليز كانوا أول من أطلق النار على السفينة العربية، ثم يقول هذا القبطان الإنكليزي: بعد هجومنا على الداو خرج من الخليج عدد كبير من الداوات لنصرة العرب، وعندها ما كان من تريمر إلا أن اضطرت إلى الانسحاب دونما توقف عن الرمي.

1- Secret and Political Department Diaries., op. cit., № 164/1805, pp. 439- 443.

www.almajidcenter.org

ومما قاله كمينج أيضاً: ". . . قمنا بسحب مدفع من عيار٤ باوند إلى مؤخرة السفينة، وأخذنا نرمي على الداوات بأقصى سرعة ممكنة، إلى أن استطاع العرب الوصول إلينا بداواتهم، وعندها صعد عدد منهم إلى السطح العلوي لسفينتنا من جانبها الأيسر، وأخذوا يمطروننا بوابل من الرماح، وفجأة امتلأت سفينتنا برجال شاهرين سيوفهم، لا جدوى من مقاومتهم".

بعد ذلك يصف القبطان الإنكليزي كيف استولى العرب على السفينة الأخرى شانون التي كانت حينها موجودة في المنطقة. وقد قال في ذلك: ... في المساء صعد أحد قباطنة الداوات إلى ظهر السفينة تريمر، وقال إنهم لا يريدون أخذ سوى الحمولة العائدة لتجار بوشهر، وإنه ستتم إعادة السفينة بكامل حمولتها من البضائع الأخرى [غير العائدة لتجار بوشهر] بعد يوم أو يومين[1]. وفي ١١ ديسمبر قدَّم العرب زورقاً استطاع طاقما وركاب السفينتين تريمر وشانون الوصول به إلى السفينة- الطراد مورنينغتون التي صادفوها في الطريق ونقلتهم إلى بوشهر.

جاء في تقرير آخر مؤرخ في ٢٩ ديسمبر ١٨٠٤ مرفوع من قبطان السفينة شانون "ر. بابكوك" (Babcock)، إلى منستي، أنه في الأول من ديسمبر، وبينما كان بالقرب من جزيرة بوليور(Polior)، في منطقة خليج شيراك شاهد السفينة تريمر محاصرة من قبل داوات، فقرر تغيير مساره، والابتعاد عن هذه المنطقة، ولكن بدا له أن الداوات أخذت تطارده.

ويقول في هذا الخصوص: ". . . استمرت المطاردة حتى الثالثة إلا ربعاً. وعندما اقتربت الداوات ووصلت إلى مدى رمينا رفعتُ العلم وصرخت بها بالعربية طالباً منها

1- Secret and Political Department Diaries., op. cit., № 164/1805, pp. 440, 441,442.

www.almajidcenter.org

الكف عن ملاحقتي، غير أن البحارة لم يعيروا ذلك اهتماماً، إذ تابعوا الاقتراب مني، إلى أن صرخت بهم ثانية، وطلبت منهم عدم الاقتراب نحوي أكثر من ذلك.

وفي تلك اللحظة دوت طلقة مسكيت سقطت على متن سفينتنا، فأدركت أنهم عازمون على مهاجمتنا ولا بد من صد هجومهم، فأعطيت أمراً برمي رشقة من أربعة مدافع على سفنهم. وفي الوقت نفسه بدأ رمي البنادق. بعد ذلك وصف كيف هاجم العرب سفينته وأسروها مع طاقمها."[1]

أي بعبارة أخرى في البداية بدا للقبطان بابكوك أن الداوات تطارده، ومن ثم عازمة على مهاجمة سفينته شانون.

في الواقع أعد المقيم البريطاني في البصرة، صمويل منستي تقريره إلى الحاكم العام للهند ولزلي، المؤرخ في ٢ يناير عام ١٨٠٥ مستنداً إلى هذين التقريرين، وقد عرض في تقريره بإيجاز وقائع حادثة استيلاء العرب على السفينتين تريمر وشانون، وإعادتهما بأمر من شيخ القواسم، سلطان بن صقر.

بعد ذلك طالب منستي في تقريره اتخاذ إجراءات لخنق القبائل العربية في الخليج جوعاً. وقال في تقريره: ". . . أجرؤ على تذكيركم بكل احترام أن إظهار استياء بريطانيا العظمى بحرمان جميع السفن العربية في الخليج، دون تمييز من حق ارتياد الموانئ الهندية سيكون له أثر كبير ومباشر على القواسم، وعلى بقية القبائل العربية، فهذا سيجبرهم على البحث عن صداقة الإنكليز طلباً للعيش، وعلى اتخاذ الإجراءات الكفيلة بتفادي وقوع الضرر بنا، وتجنب القيام بأعمال عدائية ضدنا"[2].

1- Secret and Political Department Diaries., op. cit., № 164/1805, pp.434- 437.
2- Secret and Political Department Diaries., op. cit., № 164/1805, pp. 430-434.

www.almajidcenter.org

إن ما يدعو إلى العجب الفظاظة التي ظهرت لدى المقيم البريطاني في البصرة، الذي يقترح القيام، في آن واحد، بقطع جميع العلاقات التجارية القديمة والتقليدية القائمة بين دول الخليج العربي والهند، وفرض حظر على تصدير المواد الغذائية وغيرها من السلع والبضائع إلى القواسم وبقية القبائل العربية في هذه المنطقة.

إن تحليل هذه التقارير التي تتناول أحداثاً بعينها، والتي من الواضح أنه تم إعدادها في البصرة بعد نقاش طويل، يبين أن الصدام وقع في منطقة بالقرب من خليج شيراك على الساحل الفارسي، في شمال جزيرة قشم. وهذا ما تتفق عليه التقارير الثلاثة، إلا أنه يوجد في هذه التقارير شيء من الغموض حول هوية المهاجمين.

فالقبطان كمينج مثلاً يقول: "أدرك الآن أن هؤلاء القراصنة كانوا بقيادة شيخي لنجه ورأس الخيمة"[1]. ولا يوجد شك بأن هذا الرأي قد تشكل لدى كمينج عندما كان في البصرة يتناقش مع منستي؛ أو على الأصح، عندما كان في البصرة يأخذ التعليمات من منستي.

أما بابكوك فقد ذهب إلى أبعد من ذلك، فقد أشار مباشرة إلى اسم " الشيخ سلطان بن صقر من رأس الخيمة، التابعة لقبيلة القواسم". لكنه لم يذكر اسم شيخ لنجه، الذي سبق وأن تحدث معه مرتين. وقد أكد له الشيخ في أحد اللقاءين أنه "لا يحارب الإنكليز، وأن كل ما يريده هو الاستيلاء على بضائع بوشهر، ومسقط، والبصرة". وقد وجد بابكوك أن بإمكانه أن يقول في تقريره: "ما أفهمه الآن أن الشيخ أخذ السفينة "تريمر" لنفسه[2].

1- Secret and Political Department Diaries., op. cit., № 164/1805, pp. 439-443.
2- Secret and Political Department Diaries., op. cit., № 164/1805, pp.434- 437.

www.almajidcenter.org

من الواضح أن بابكوك لم يأخذ معلومات من منستي، وإنما أخذ منه التعليمات. مثله في ذلك مثل القبطان كمينج؛ إذ عندما عرض كل منهما تقريره الذي يصف فيه الأحداث، كان العرض، يتطابق بالطبع مع رؤية المقيم البريطاني في البصرة، منستي لتفسير تلك الأحداث.

غير أن هذا الأخير عندما رفع تقاريره إلى قيادته في الهند، كان أكثر تحفظاً؛ ذلك إنه لم يبالغ فيها بالتأكيدات، لعلمه بأن مكتب حاكم بومباي يمكنه أن يجمع المعلومات من مصادر مختلفة. غير أن منستي أشار في تقاريره إلى أن الهجوم على السفينة جرى بأمر من شيخ القواسم سلطان بن صقر[1]. ولا شك بأن هدفه من ذلك هو زج شيخ القواسم في هذه القضية بأي شكل كان، وبصرف النظر عما إذا كان للشيخ ضلع فيها أم لا.

يتضح من تقرير كمينج أنه لم يكن متأكداً للوهلة الأولى من أن الداوات التي اقتربت منه كانت لقراصنة، وأن الشك بذلك لم يساوره إلا بعد عدة دقائق؛ وذلك بعد أن "رفع أحد الداوات شراعه، وتوجه إلى الساحل"[2].

من الواضح تماماً أن ما حدث في هذه الحالة لم يكن هجوماً، ولا يوجد ما يشير إلى وجود نوايا شريرة لدى العرب؛ إذ كان القبطان الإنكليزي يحتاج إلى نصف ساعة فقط ليبدأ الرمي على الداوات بدقة، وكان يعتقد أن العرب سينظرون له خلال هذا الوقت على أنه مسالم ولن يرموا عليه، وسيكونون في وضع سيئ عندما يبادرهم هو بالرمي. أما العرب فكان رأيهم أن السفينة تريمر في حالة هجوم، وأن طاقمها قراصنة.

عندما أخطأ قبطان السفينة، كمينج تقدير الموقف، حاول إيجاد تبرير لخطئه، أوصله في نهاية الأمر إلى ما لا يرغب به، وهو فقدانه لقطعتين بحريتين، تم الاستيلاء عليهما.

1- Secret and Political Department Diaries., op. cit., № 164/1805, pp.430- 434
2- Secret and Political Department Diaries., op. cit., № 164/1805, pp.439- 443

www.almajidcenter.org

أما منستي فكان ميالاً كثيراً لإظهار سلطان بن صقر مذنباً؛ خاصة وأن السفينتين تتبعان للمقيم البريطاني، والقواسم أفضل من يمكن أن تُلصق بهم التهم من بين القبائل العربية الأخرى.

من الواضح تماما إن منستي يختلق هذه الرواية عن القواسم دون أن يشعر بتأنيب الضمير؛ فقد كان رجلاً فاسداً جداً. وكان سالدانا مثلاً يصفه بالمقيم المزعج، والعجول في البصرة[1].

أما جون كيلي فإنه يقول عنه إنه كثيراً ما يلجأ إلى طرق سرية لتأمين مصالحه الشخصية[2]. وقد كانت هذه المصالح معقدة للغاية، وتمتد إلى الخليج العربي، والعراق، وفارس. وكان من الصعب معرفة متى تنتهي مصالحه الشخصية لتبدأ مصالح شركة الهند الشرقية. وتتضمن يوميات المقيمية في البصرة الكثير من الأخبار عن عملياته المشبوهة، وأعماله غير السوية[3].

وقلما كان رؤساء منستي، ونظراؤه، و مرؤوسوه، وحتى أصدقاؤه، فضلاً عن أعدائه يتحدثون عنه بإيجابية، بل كثيراً ما كانوا يتحدثون عن أعماله غير النزيهة، والغادرة، والسرية. وكثيراً ما كان نظيره في بغداد السير هارفورد جونس يتذمر من دسائسه، وتدخله في شؤون الغير، ومن عجرفته[4].

عندما استلم حاكم بومباي دنكان تقرير صمويل منستي أصدر أوامره في ٣ مارس عام ١٨٠٥ إلى المقيم البريطاني في مسقط د. سيتون، والملازم د. روس ـ قبطان

1- Saldanha, op. cit., p. 8.
2- Kelly, op. cit., p. 55.
3- Bussora Residency Diaries, 19 vols. (nos. 194- 212).; №. 209.; pp. 123-125, 138-141, 280.
4-Secret and Political Department Diaries., op. cit., №. 164/1805. pp. 710-744.

مركز همة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

السفينة الحربية كوين (Queen)، والملازم ش. غيلمور(Gilmour) ـ قبطان الطراد مورنينغتون. وكانت أوامره أن يجري القضاء على القراصنة.

تضمنت رسالة دنكان الأخيرة إلى الملازم غيلمور فقرة "طريفة جداً"، لكنها على درجة كبيرة من الأهمية. ففي بداية الرسالة أعلم دنكان الملازم غيلمور بشكل واضح ولا يحتمل التأويل عن واقعة أسر ونهب السفينة زفير(Zypher)، وليس السفينة تريمر أو السفينة شانون[1].

أي أن حاكم بومباي أخطأ في تسمية السفينة وهذا ما لا يجب أن يحدث؛ إذ أن مثل هذا الخطأ في رسالة على درجة كبيرة من الأهمية يثير الكثير من الشكوك الحقيقية في صحة المعلومات التي يجري تبادلها بين كبار موظفي شركة الهند الشرقية والكثير من الوكلاء؛ فإذا كان هؤلاء لا يعرفون عن أي سفينة يجري الحديث: عن زفير، أم عن تريمر، أم عن شانون فكيف لهم أن يكونوا على ثقة بأن القواسم تحديداً هم من نفذ الهجوم على السفينة أياً كان اسمها، ونهبوها ؟

أما أوامر دنكان إلى سيتون التي وجهها في الوقت نفسه فقد كانت واضحة، ومنطقية، ومقنعة؛ ففيها جرى اعتماد اقتراح هذا الأخير بإقامة تحالف مع حاكم مسقط ضد القواسم، وفُوِّض بعمل كل ما يلزم لجعل ذلك أمراً واقعاً.

في شهر مايو عام ١٨٠٥ وصل سيتون إلى مسقط على متن السفينة كوين. وفي ٦ يونيو رافق بدر بن سيف بالهجوم على بندر عباس، واستخدم سيتون عندها السفينة- الطراد مورنينغتون، وفي ذلك الوقت كانت بندر عباس تحت سيطرة ملا حسين، شيخ قبيلة بني معين.

1-Secret and Political Department Diaries., op. cit., №. 165/1806. pp. 976-977

www.almajidcenter.org

كان هذا العمل الذي قام به حاكم مسقط بدر بن سيف والوكيل البريطاني سيتون مجازفة خطيرة أقدما عليها؛ إذ بدلاً من أن يعاقبا القواسم، كما تنص الأوامر الصادرة من حاكم بومباي قاما بعمل آخر، وهو الهجوم على بندر عباس. ولتبرير هذا العمل زعما فيما بعد أن ملا حسين كان حليفاً للقواسم.

وحتى إن كان ذلك صحيحاً، وهذا ما لا تؤكده أية وثيقة مهمة، فقد عمل سيتون خلافاً للأوامر الصادرة له. وقد أثار الهجوم على بندر عباس استياء السلطات الفارسية، التي تعد هذا الميناء جزءاً من ممتلكاتها[١].

على أثر هذه الحادثة توالت المراسلات بين السلطات الفارسية والمقيم البريطاني في بوشهر، بروس، والمقيم [الوكيل] في مسقط، سيتون حول مسؤولية شركة الهند الشرقية عن الهجوم الذي تعرضت له بندر عباس. وشيئاً فشيئاً بدأت تتضح حقيقة من المسؤول الفعلي عن أسر السفينتين تريمر وشانون.

في الأول من أغسطس عام ١٨٠٥ وجه الوكيل البريطاني في مسقط، سيتون رسالة إلى المقيم في بوشهر، بروس قال فيها: يبدو أنكم لا تعلمون أن كعباً، شيخ لنجه وشناص هو المسؤول عن نهب السفينة شانون[٢]. أما المقيم في بوشهر فقد ذهب إلى أبعد من ذلك عندما قال في رسالة وجهها إلى السلطات الفارسية في ٢٨ أغسطس بعام ١٨٠٥:

"كانت للشيخ كعب، حاكم لنجه وشناص مشاركة فعالة في نهب السفينة شانون، والسبب الوحيد الذي حال دون تعرضه للعقوبة الشديدة التي يستحقها أنه محمي من صاحب الجلالة، ملك فارس".

1- Secret and Political Department Diaries., op. cit., №. 170/1805., p. 4067.
2- Secret and Political Department Diaries., op. cit., № 171/1805., pp.4349-4351.

www.almajidcenter.org

أي بعبارة أخرى لم يربط بروس حادثة السفينتين البريطانيتين بشيخ القواسم سلطان بن صقر بأي شكل كان. وبما إن المؤرخين الإنكليز اعتادوا فيما بعد على تغيير حقيقة الأحداث، وهذا، بالمناسبة دأب غيرهم عندما يأخذون عنهم وينسبون كل ما يقع من أعمال قرصنة في الخليج العربي إلى القواسم، فقد بات من الممكن الشك بالأهلية العلمية للمؤرخين الإنكليز.

لقد طلب بروس من السلطات الفارسية في هذه الرسالة "إصدار الأمر إلى ملا حسين بتقديم أية مساعدة يحتاجها الإنكليز في عملهم ضد القواسم". أي بعبارة أخرى يؤكد بروس تماماً هنا أن بني معين والقواسم لم يكونوا في ذلك الوقت في حالة تحالف، ولكن الإنكليز يحاولون إثبات ذلك دون أن يكون لديهم أي دليل.

الشيء المميز في هذه الرسالة أيضاً أن شركة الهند الشرقية وسلطات الهند البريطانية تدعي أن لها الحق في السيطرة على الخليج العربي، وإصدار قوانين الملاحة فيه.

وقد طلب بروس من السلطات الفارسية في هذا الخصوص أن تصدر الأوامر المناسبة لجميع الموانئ البحرية التي تديرها بأن لا تقترب السفن الفارسية كثيراً من أية سفن إنكليزية تشاهدها في البحر، بل عليها متابعة طريقها. وإذا ما أعطت انطباعاً بأنها تريد الاقتراب من أية سفينة، فسيجري فتح النيران عليها فوراً[1]؛ إذ أن القادة الإنكليز لا يعرفون التمييز بين أي من القبائل التي تقيم على سواحل الخليج[2].

إن تحليل الوثائق والمراسلات المتبادلة بين السلطات الفارسية والمقيمين البريطانيين، والسلطات البريطانية في الهند يبين "كيف ظهرت السفينة تريمر أخيراً في رأس

1- Secret and Political Department Diaries., op. cit., № 173/1805., pp. 5441-5443.
2- Secret and Political Department Diaries., op. cit., № 174/1805., pp. 5441-5443.

www.almajidcenter.org

الخيمة، وعلى أي أساس يستند المؤرخون الإنكليز، عندما يؤكدون أن القواسم تحديداً، وشيخهم سلطان بن صقر قد شاركوا في الهجوم على السفينتين تريمر، وشانون".

الذي حدث هو أن سيتون طلب من ملا حسين المساعدة على استعادة تريمر مع حمولتها، وكذلك استعادة حمولة السفينة شانون. وكان ملا حسين يدرك جيداً أن مجرد اكتشاف أي أثر لهذه الحمولة، يعني أنها ستكون في أيدي سواد الشعب. وبما أنه لا يملك القوة الكافية والنفوذ، فقد وجد في سلطان بن صقر الشخص الوحيد القادر، بنفوذه الذي يتمتع به على حل هذه المعضلة، وإعادة الحمولة والسفينة تريمر. وفي هذه المرة لم يُعثر على آثار لتلك الحمولة، إلا أنه جرى نقل السفينة إلى رأس الخيمة، ومن ثم أُعيدت إلى شركة الهند الشرقية.

بعث سلطان بن صقر رسالة إلى سيتون، نقلها له ملا حسين قال فيها: "لقد فهمت رسالتكم بخصوص السفينة الإنكليزية التي أُرسلها لكم ، وأُمكنكم من العمل بالشكل الذي ترونه الأمثل للطرفين. عندما تستردون سفينتكم اعملوا على عقد اتفاق بحيث يكون بمقدورنا زيارة موانئ الهند، كما في السابق، واعملوا على إلغاء أي تحذير وجِّه إلينا في الماضي.

وبما إن رغبتي أن لا يبقى الوضع على ما كان عليه في السابق، وإنما أن يستند كل شيء على أساس مضمون تجدونني صريحاً معكم تماماً، وليس لدي أي تحفظات ظاهرة أو مخفية، ولتكن ثقتكم بي كبيرة بعد تسوية هذه المسألة".

في الوقت الذي عبر فيه سلطان بن صقر بوضوح عن أمله بتعزيز علاقات الصداقة مع الإنكليز، كانت تعليمات سيتون واضحة لقائد السفن البريطانية في الخليج العربي، ن. سكينر بمحاصرة الساحل العربي. وقد قال له في هذا الخصوص: "بما إن بدر بن سيف ينوي

www.almajidcenter.org

إرسال أسطول كبير إلى بندر عباس، فسأرافقه على الأرجح ، وسيُستخدم هذا الأسطول لمحاصرة الساحل الفارسي بينما ستقومون أنتم بمحاصرة الساحل العربي".

تبين هذه الرسالة بوضوح من هو المسؤول الحقيقي عن تأزم الوضع في منطقة الخليج العربي في ذلك الوقت. فبعد أن طلب المقيم البريطاني من سكينر عدم مهاجمة ميناء لنجه وشناص، على اعتبار أنهما تقعان ضمن ممتلكات شاه فارس "أردف قائلاً " إلا أن هذا التقييد لا ينطبق على سفنهم (يقصد سفن القواسم)، التي يجب عليكم تدميرها أينما وجدت"[١].

راجت اشاعات في هذا الوقت بقيام القواسم بمهاجمة سفن هندية بالقرب من ساحل مكران الهندي، والاستيلاء على بضائع منها تخص تجار مسقط. وقد بعث سيتون إلى ملا حسين يستفسر منه عن ذلك، فنفى الأخير أن يكون للقواسم ضلع في هذا الهجوم. والذي قاله ملا حسين في رده على خطاب سيتون:

"كان لي الشرف أن تلقيت رسالتكم التي ورد فيها إن القواسم ظهروا عند ساحل مكران، واستولوا على بعض البضائع العائدة لرعايا مسقط. لعلكم تعرفون أن "؟" [٢] وهي بطن من قبيلة بني ياس كانت في عهد المرحوم سعيد بن سلطان في حالة حرب مع مسقط، وكانت تستولي على ممتلكاتها أينما تجدها.

1- Al-Qasimi, S. M. The Myth of Arab Piracy in the Gulf. L. 1986., pp. 64,65.

٢- اسم غير مفروء .

www.almajidcenter.org

إلا أن القواسم لا علاقة لهم بهؤلاء الأشخاص الذين لا يخضعون لقانون. وبإمكانكم التأكد مما أقوله لكم. توجد حرب دائرة بين السيد بدر والقواسم، والشكاوي لا يجب أن تكون إلا عندما يجري خرق معاهدة[1].

تدل الوقائع على أن القواسم لا يهاجمون إلا سفن أعدائهم، وهذا ما يفعله الأخيرون أيضاً، ويستولون على سفن للقواسم.

جرت مباحثات طيلة شهر نوفمبر عام ١٨٠٥ بين القواسم والإنكليز، برز فيها ملا حسين الذي لعب دور الوسيط، وكان صلة الوصل بين الطرفين ، وأثناء سير المباحثات كان سلطان بن صقر ميالاً لعقد معاهدة سلام مع شركة الهند الشرقية، لكنه كان في الوقت نفسه رافضاً إشراك بدر بن سيف في المعاهدة نتيجة للعداء القائم بينهما. أما سيتون فقد كان موقفه حازماً في ضرورة التوصل إلى سلام بين القواسم ومسقط، لدرجة أنه طلب من ملا حسين أن يكون حليفاً لعمان[2].

عملاً بتوجيهات الحكومة البريطانية في الهند بدأ سيتون العمل على "إقامة السلام" في منطقة الخليج العربي "على الطريقة الإنكليزية". وبغية تنشيط "عملية السلام" توجه عام ١٨٠٥ إلى بندر عباس. وعندها كان موقف القواسم واضحاً جداً من عقد اتفاقية السلام مع شركة الهند الشرقية، وممارسة التجارة العادية في المنطقة.

وهذا ما تؤكده رسالة والد الشيخ القاسمي مطر بن رحمة، التي ورد نصها كاملاً في مذكرات سيتون العائدة ليوم ٢١ يناير عام ١٨٠٦. وقد جاء في تلك الرسالة قول رحمة بن مطر بن رحمة: ". . . . لقد استلمت رسالتكم، وإن أول رغبة لي هي إقامة السلام مع الشركة الموقرة. وسأوقع لكم على أي تعهد أو قَسَم تطلبونه، وسيبقى ذلك ما دمنا أحياء. وفيما

1- Secret and Political Department Diaries., op. cit., № 175/1805., pp. 6418-6420.
2- Secret and Political Department Diaries., № 173/1805., pp. 5684-5685.

www.almajidcenter.org

يتعلق بعقد معاهدة سلام مع السيد بدر بالشكل الذي تكلمتم عنه؛ فإني آمل أن لا تتدخلوا في مسألة السلام بين العرب، فنحن قبائل عديدة، وقدرنا أن تكون بيننا خلافات كثيرة.

ونحن منذ ثلاثة أجيال وحتى الآن في حالة حرب مع عمان. وعلينا تسوية الخلافات التي سببها السفن، والدم، والممتلكات. وإذا ما قمنا بتسوية خلافاتنا بمساعدة الحكومة البريطانية، فإن العار سوف يجللنا، ليس بالإمكان تسوية خلافاتنا معكم، وخلافاتنا مع السيد بدر في الوقت نفسه"[١]. ثم تحدث الشيخ القاسمي عن حمولة السفينتين تريمر وشانون اللتين جرى الاستيلاء عليهما. وقال في هذا الخصوص:

" وفيما يتعلق بالممتلكات التي كانت على ظهر السفينتين؛ فأنتم تعرفون، أو سمعتم من الآخرين أنها وقعت كلها في يد عامة الناس البسطاء، وفُقدت. وإنني أقسم بالله الواحد أن ابني الشيخ سلطاناً لا يملك مالاً للتعويض عنها. وإذا ما بقي أي شيء منها فلن يتردد في إعادته إليكم.

ولهذا إذا كنتم تريدون السلام، فدعونا نجتمع معاً ونحل هذه المسألة بشكل نهائي؛ وإذا كنتم ترغبون بإشراك العرب في ذلك فأخبروني حتى أتمكن من العودة إلى رأس الخيمة سريعاً؛ إذ أن سلطان بن صقر لن يوافق على خوض مباحثات مع الجميع في وقت واحد"[٢].

في الخامس من فبراير تلقى سيتون رسالة ثانية من مطر بن رحمة، تعد دليلاً دامغاً ثانياً على رغبة القواسم في عقد اتفاقية سلام. وقد جاء في هذه الرسالة: "عندما وصلت إلى الديار وأخبرت سلطان بن صقر بن راشد عن الحديث الذي دار بيننا طلب مني أن أكتب

1- Al-Qasimi, S. M. Arab "Piracy" and the East India Company Encroachment in the Gulf 1797-1820. -- D. Thesis, University of Epeter, 1985. [ملحق]. No. 6.
2- Al-Qasimi, op. cit.,

www.almajidcenter.org

إليكم بأن قسم من حمولة السفينتين قد دمر أثناء المعركة، والقسم الآخر نهبه البدو، وليس بمقدوره أن يعيده إليكم.

أما فيما يخص موضوع السلام مع السيد بدر فقد فوض سلطان بن صقر صديقنا وأخانا عبد الله بن قاسم بن كروش بتسوية الأمر معكم، وقد أقسم هذا بالعلي القدير على أن يراعي كل ما سيجري تحديده من قبلكم أثناء اللقاء به. وقد منحه أيضاً مطلق الحرية في مسألة السلام مع السيد بدر. فبما إن أصدقاءنا هم أصدقاؤه، وأعداءنا هم أعداؤه، وكذلك بما إن ملا حسين ومحمد بن جابر يشاركان في اتفاقية السلام نفسها فإن الجميع متحدون في رغباتهم وتعهداتهم أمام الله بخصوص تطبيقها"[1].

الجدير بالذكر هنا أن سلطان بن صقر تنازل كثيراً أمام السلطات البريطانية لدرجة أنه وافق على عقد اتفاقية سلام مع أعدائه القدامى، ومنافسيه العمانيين. والأكثر من ذلك أن شيخ القواسم أظهر مشاعر الود للإنكليز بأن أقدم على أمر لا سابق له في تاريخ السياسة، ذكره سيتون في مذكراته العائدة ليوم ٦ فبراير؛ وهو أن سلطان بن صقر أرسل له ورقة بيضاء ممهورة بخاتمه، وقد أقسم بأنه سيوافق على كل ما سيُكتب عليها من قبل شركة الهند الشرقية الموقرة[2].

في السادس من فبراير عام ١٨٠٦ جرى التوقيع على ما سمي قولنامة (اتفاقية) بين عبد الله بن كروش نيابة عن سلطان بن صقر بن راشد ـ الطرف الأول، والكابتن ديفيد سيتون نيابة عن شركة الهند الشرقية ـ الطرف الثاني. وقد تضمنت تلك الاتفاقية ستة بنود عالجت بصورة عامة الأوضاع في منطقة الخليج، واستتباب الأمن، وحماية السفن والممتلكات البريطانية في موانئ اتحاد القواسم القبلي.

1- Al-Qasimi op. cit.,
2- Al-Qasimi, op. cit.,

www.almajidcenter.org

إلا أن اللافت للنظر في بنود الاتفاقية أن القواسم تعهدوا في البند الأول باحترام علم شركة الهند الشرقية وممتلكاتها ورعاياها أينما كانوا وفي أي وقت كان، وهذا ما تعهدت به أيضاً شركة الهند الشرقية بالنسبة للقواسم. أي أن التعهدات في هذا البند كانت متبادلة، بينما التعهد في البند الرابع كان أحادي الطرف؛ إذ أنه ينص على أن أي سفينة بريطانية ترسو على شواطئ القواسم للتزود بالطعام أو الماء، أو تضطر إلى اللجوء إلى الشاطئ بسبب حالة الجو أو لأي سبب آخر، يجب أن يساعدها القواسم ويحموها، ويحافظوا على ممتلكاتها.

ويشير البندان الثاني والسادس من الاتفاقية إلى أن سيتون أسقط المطالبة بإعادة حمولة السفينتين تريمر وشانون، ومنح القواسم الحق في ارتياد الموانئ البريطانية من سورات حتى البنغال كما كانوا يفعلون في السابق.

ولعل أكثر بنود الاتفاقية غرابة البند الخامس الذي ينص على ما يلي: " إذا أجبر سعود القواسم على خرق اتفاقية السلام هذه، فيجب عليهم الإنذار بذلك في جميع الحالات قبل ثلاثة أشهر".

من غير المستبعد أن يكون القواسم هم من أدرج هذا البند؛ فذلك يمنحهم الحق في إلغاء هذه الاتفاقية إذا كان الوضع يتطلب منهم ذلك؛ إذ على الرغم من أنهم كانوا أكثر رغبة من الإنكليز بعقدها مع شركة الهند الشرقية، ولا سيما من أجل تمكين سفنهم من ارتياد موانئ الهند، فإنهم كانوا يشكون كثيراً بالطريقة التي من خلالها سيجمعون بين السلام مع شركة الهند الشرقية، والسلام مع مسقط، الذي لم يوافق عليه القواسم إلا بعد ضغط من سيتون.

والواقع أن الأحداث اللاحقة دلت على أن القواسم كانوا محقين في شكوكهم سواء بالنسبة إلى الإنكليز، أو عمان. ولكن المهم أن سيتون أدرك أن القواسم لا ينوون القيام

www.almajidcenter.org

بأعمال قرصنة، بدليل أنه ذكر في رسالة وجهها إلى إدارة بومباي أن جميع القبائل تتطلع إلى العودة لمهنتها القديمة، التجارة[١].

العلاقات القاسمية ـ البريطانية (١٨٠٧ ـ ١٨٠٩)

تقيد القواسم بجميع بنود الاتفاقية التي تم التوقيع عليها عام ١٨٠٦. ففي شهر يونيو عام ١٨٠٧ أبلغ المقيم البريطاني في مسقط الحاكم في بومباي أن القواسم يوفون بما تعهدوا به لشركة الهند الشرقية[٢].

وبدوره بعث صمويل منستي برسالة إلى حاكم بومباي دنكان في ٣١ مارس ١٨٠٨ جاء فيها: "لا توجد معلومات عن محاولة العرب القواسم القيام بأي عمل قرصنة ضد الإنكليز منذ اللقاء مع شيوخ هذه القبيلة الأساسيين والكابتن سيتون ومعي في لنجه ورأس الخيمة في مايو عام ١٨٠٦، ويمكن التأكيد بثقة على أنهم سيلتزمون بكل ما تعهدوا به في هذه المسألة في المستقبل"[٣].

على الرغم من أنه ليس موثقاً أن هذا المقيم البريطاني كان موجوداً في رأس الخيمة في مايو عام ١٨٠٦، وماذا كان يفعله هناك؛ لكن من الواضح تماما إنه كان يراهن خلال السنتين على العلاقة الجيدة مع حلف القواسم القبلي.

لقد أكدت الأحداث التي وقعت في شهري أكتوبر وديسمبر من عام ١٨٠٧ أن القواسم، وعلى رأسهم شيخهم سلطان بن صقر يعملون على تنفيذ الاتفاقية الموقعة مع شركة الهند الشرقية نصاً وروحاً. وقد حدث أن الشيخ راشد بن حميد النعيمي استولى على

1-AlQasimi, op. cit., p. 81.
2- Secret and Political Department Diaries., op. cit., № 207/1807., p. 4368.
3- Secret and Political Department Diaries., op. cit., № 232/1808., p. 5886.

www.almajidcenter.org

سفينة عائدة للسفير الفارسي. وكانت هذه السفينة ترفع العلم الإنكليزي، وعلى متنها الكابتن الإنكليزي "ج. هيفرسون".

وعلى الرغم من أن هذه السفينة لم تكن تحمل وثيقة سفر إنكليزية رسمية، وأنها كانت تنقل بضائع لبوشهر، ومسقط، فقد أجبر الشيخ سلطان بن صقر الشيخَ راشد على إعادتها. وما ذلك إلا لأن قبطانها كان إنكليزياً. وهذا ما أكد عليه الأخير شخصياً، وكذلك فعل سيتون في رسالته المؤرخة في ٩ ديسمبر، التي وجهها إلى حاكم بومباي ج. دنكان[1].

وتفسير ذلك أنه كان للإنكليز ضلع في هذه العملية؛ إذ استخدموا علم بريطانيا لتمويه عملية نقل البضائع إلى بوشهر ومسقط. وكانت تلك عملية تهريب حقيقية. وهذا ما علمته سلطات بومباي، وكذلك علمه سلطان بن صقر، الذي أثبت بتصرفه هذا الإخلاص والنزاهة أكثر من الإنكليز.

وخلافاً للأخيرين لم ينتهز الشيخ القاسمي المزايا التي تضمنها له اتفاقية عام ١٨٠٦، بل ذهب إلى أبعد من التعهد بحماية كل ما يمكن أن يكون ملكاً للإنكليز، وما ذلك إلا لإظهار إرادته الطيبة.

ومع ذلك استمرت حكومة بومباي، التي لم تصدق أن القواسم ملتزمون تماماً بتنفيذ الاتفاقية الأخيرة، باتهامهم بالقرصنة. أما المؤرخون الإنكليز الذين يعزفون على الوتر نفسه، فقد أعطوا صورة مشوهة لحقيقة الأحداث آنذاك. فلوريمر مثلاً يقول في تفسيره لمسألة التزام القبائل العربية الدقيق بتنفيذ بنود اتفاقية عام ١٨٠٦: "التزم القواسم الهدوء

1-Secret and Political Department Diaries., op. cit., № 220/1808., pp. 139-141.

www.almajidcenter.org

نحو سنتين، ويمكن أن يكون لسلوكهم الحسن هذا علاقة، ولو بصورة جزئية على الأقل، بوجود قوات بحرية ضخمة لبريطانيا العظمى في الخليج في عامي ١٨٠٧ – ١٨٠٨"[١].

إن الرد على ذلك لا يمكن أن يكون أبلغ من رد ج. كيلي شخصياً؛ إذ قال: "من المشكوك فيه أن حكومة بومباي كانت تملك قوة للقيام بحملة عسكرية فعالة ضد القواسم. وفي عام ١٨٠٨ لم يكن لدى الأسطول العسكري البريطاني أكثر من بضعة سفن، كان عليها تنفيذ عدد كبير من المهام في البحر من كالكوتا حتى السويس[٢].

بعد فترة قصيرة، وتحديداً في خريف عام ١٨٠٨ شهدت منطقة الخليج العربي وقوع عدة حوادث بين سفن شركة الهند الشرقية، وسفن لجهة أخرى، زُعم أنها سفن قاسمية. وكانت هذه الحوادث بسيطة جداً، لدرجة أن المؤرخ الموضوعي لا يعيرها أهمية تذكر. بيد أن المسؤولين في شركة الهند الشرقية، والإدارة البريطانية في الهند، وممثليها في الخليج العربي، ومن ثم العديد من المؤرخين الإنكليز أكسبوها أهمية مبالغاً بها لدرجة لا تستحقها، وعدوها أحداثاً بالغة الأهمية. وما ذلك إلا لتبرير سياسة بريطانيا في هذه المنطقة.

لقد تحدث الممثلون الإنكليز، وكذلك المؤرخون بصوت واحد عن تلك الأحداث، وقالوا أنها "أعمال قرصنة قام بها القواسم". وكان هدفهم من لصق تهمة القيام بأعمال قرصنة للقواسم تبرير قيام بريطانيا بحملات عسكرية واسعة النطاق ضد العرب. وهذه التهمة لم تؤكدها المراجع الوثائقية على الأقل. والحق أنه كانت هناك أحداث تقع في المنطقة. ولكن هذه الأحداث كانت في معظم الأحيان نتيجة لسوء تفاهم أو لخلافات. ومثل ذلك كثيراً ما كان يحدث آنذاك.

1- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p. 182.
2- Kelly, op. cit.,. pp. 113-114.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

من الضروري الأخذ بالاعتبار أن العصبية كانت شديدة في جميع النواحي، ولا سيما عند البلدان والقبائل المقيمة على سواحل الخليج العربي. فهنا كانت تكثر الفتن والنزاعات الداخلية، وتعم الاضطرابات. وكانت الهجمات البحرية والقرصنة واللصوصية من الظواهر المألوفة في تلك الفترة، ليس في الخليج العربي فحسب، بل في العديد من مناطق العالم وعلى مدار الكرة الأرضية.

ليس من الضرورة أن يكون القراصنة عرباً، وحتى إن كان من بينهم عرب، فليس من الضرورة أن يكون هؤلاء العرب من القواسمة؛ إذ أن هذه المنطقة كانت تضم عدداً من القراصنة الهنود والفرنسيين، ولكن "لسبب ما" لم يكن أحد يطلق عليهم اسم قراصنة، وكأن هذه التسمية كانت "امتيازاً" للقواسم أو "حكراً" عليهم.

في الواقع كان هناك قراصنة حتى من العرب، وكان هؤلاء يشنون هجماتهم على السفن من قواعدهم القريبة من قطر بقيادة رحمة بن جابر. ولكن في الواقع كان يُنظر إلى هجماتهم الإجرامية على أنها مسائل شخصية. حتى إن الإنكليز بحثوا ذات مرة مسألة القيام بعمل ضدهم، لكنهم وجدوا أنه من غير المفيد اتخاذ أي إجراء ضدهم.

أما القواسم تحديداً، فكان ينظر إليهم على أنهم من أبرز "القراصنة" وأخطرهم. وما ذلك إلا لأنهم كانوا يملكون قوة لا يستهان بها لمواجهة التوسع البريطاني. وهذا ما جعل الإنكليز لا يتوانون عن توجيه التهمة تلو الأخرى لهم، وجعل ذلك ذريعة لتجريد الحملات العسكرية ضدهم. وقد عرف الإنكليز كيف يلفقون التهم للقواسم بشكل خاص في عام ١٨٠٨، عندما قرروا تجريد حملة عسكرية بحرية ضدهم.

كانت أولى الحلقات في سلسلة الأحداث التي وقعت في تلك الفترة تتعلق بالسفينة فيوري (Fury)، التابعة لشركة الهند الشرقية، التي تعرضت، حسب تأكيدات

www.almajidcenter.org

لوريمر لسبب من الأسباب التي يعرفها هو، لهجوم من قبل سفن القواسم، وزعم بأن ذلك حدث في عام ١٨٠٥.

إلا أنه يوجد تقرير كامل عن هذه الحادثة كتبه كابتن هذه السفينة "إتش. جوان" (Gown) شخصياً وأرسله إلى القائد العام للأسطول البريطاني في بومباي "و. ماني". وقد ذكر فيه أن الحادثة وقعت في ٢ مايو عام ١٨٠٨. ومما جاء في هذا التقرير:

". . . بينما كانت سفينة الشركة الموقرة، التي أقودها متجهة من مسقط إلى مقيمية الرئاسة، شاهدت في صباح ٢ مايو حيث نسيم الجنوب الخفيف داوين يبحران خلفنا. وفي الساعة الثالثة ظهراً كان الداوان لا يزالان في أثرنا، وكانا يسيران بسرعة عالية جداً، ولهذا أطلقت عليهما النار مرتين. وفي الوقت نفسه رفعت العلم، الأمر الذي لم يعيراه أهمية، فقررت أنهما عازمان على مهاجمتنا. وفي الساعة الثالثة والنصف وبينما كان الداوان يقتربان منا بسرعة أعدت الرمي عليهما مرة ثانية، فردا علينا بالرمي من جميع المدافع الموجودة لديهما".

بعد ذلك يصف الكابتن سير المعركة التي قتل فيها إنكليزي واحد، وجرح خمسة آخرون، وانتهت العملية بصد الهجوم.

توجد في التقرير ملاحظة مهمة تخص شخصية قبطان أحد الداوين، وهي قول كابتن السفينة فيوري: "كان على الداو الكبير تسعة مدافع، ونحو ٣٠٠ رجل. ومن خلال المظهر الخارجي الواضح للرجل، الذي أعتقد أنه القبطان، عرفت أنه أوروبي"[1].

1-Secret and Political Department Diaries., op. cit., №. 232/1808., pp. 1669-1671.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

يمكن أن نستنتج من هذا التقرير أن السفينة فيوري كانت تسير دون عَلَم مما يعد خرقاً لقوانين الملاحة آنذاك؛ وأن قبطانها قرر أن الداوين اللذين يسيران على نفس محور سيره ينويان مهاجمته، وأنه كان أول من أصدر الأمر بالرمي عليهما في الساعة الثالثة، وفي الثالثة والنصف أعاد الرمي عليهما من جديد. وأنه "بعد خمس عشرة دقيقة فتح عليهما النيران الشديدة".

أي إذا تحدثنا بلغة القانون نقول أن الإنكليز هم الذين هاجموا الداوين. إضافة إلى ذلك لم يكن أي من الداوين يرفع علماً، وكان قبطان أحد الداوين أوروبياً. إلا أن ذلك كله لم يمنع لوريمر، وكيلي وغيرهما من المؤرخين الإنكليز من وصف هذه الحادثة بأنها عمل قرصني نفذه القواسم تحديداً.

لقد كانت وقائع هذه الحادثة واضحة لدرجة أن حكومة بومباي أصدرت أوامرها المشددة "إلى جميع قادة أسطول بومباي البحري بعدم مهاجمة، أو التحرش بهذه السفن المحلية غير المحمية في الخليج لأي سبب كان. وحذرت الحكومة من أن أي عمل يؤدي إلى إعاقة حركتها أو إثارة حفيظتها بأي شكل كان سوف ينظر إليه بعدم الرضا إطلاقاً"[1].

والحادثة التالية تتعلق بالسفينة مينيرفا (Minerva)، العائدة لصمويل منستي، المقيم البريطاني في البصرة. والجدير بالذكر إن كل حادثة تتعلق بما يملكه هذا الشخص يكتنفها الغموض، ويكون فيها الكثير من الالتباس. فمثلاً، يقول لوريمر أن القواسم استولوا على هذه السفينة في سبتمبر عام ١٨٠٨. بينما يؤكد كيلي على أن هذه الحادثة وقعت في ٢٣ مايو.

1- Buckingham, op. cit., Vol. 2. p. 226.

www.almajidcenter.org

فمما جاء في وصفه للحادثة أن السفينة منيرفا التابعة لمانستي التقت بأسطول من سفن القواسم يقدر بنحو ٥٥ سفينة بالقرب من رأس مسندم. وكان ذلك في ٢٣ مايو. وخاضت مينيرفا مع هذه السفن معركة ضارية على مدى يومين قبل أن يتم الاستيلاء عليها القراصنة.

وقد قتل معظم بحارة السفينة وركابها. ومن الذين نجوا من الذبح السيدة تايلور (Taylor)، زوجة الملازم روبرت تايلور، مساعد المقيم البريطاني في بوشهر، وكذلك طفلها الرضيع. وقد جرى سحب السفينة مينيرفا إلى رأس الخيمة، حيث تم تفريغها من كامل حمولتها، ومعداتها. ثم أعيدت إلى البحر للبحث عن سفن تجارية أخرى لاصطيادها.

وفيما بعد تم الإفراج عن معظم الأسرى ومن بينهم السيدة تايلور التي باعها أحد شيوخ القواسم إلى أحد المواطنين العرب في البحرين بمبلغ ٦٥٠ تالير ماريا تريزا، و في أكتوبر عام ١٨٠٩ دفع المقيم البريطاني في بوشهر فدية مقدارها ١٠٠٠ تالير ماريا تريزا مقابل الإفراج عنها.

بعد ذلك يصف المؤرخ الإنكليزي كيلي كيف كان القواسم يعدمون أسراهم دون رحمة، وكان يستمد معلوماته من أحد ضباط أسطول بومباي. ويقول في ذلك: "كان القواسم يسوقون الأسرى فرداً فرداً، ويضعون رؤوسهم على حافة السفينة، ويجزون رقابهم مرددين الهتاف الذي يردد في المعارك "الله أكبر"[1].

الغريب أن هذا الوصف يعد تكراراً لما ذكره المؤرخ الإنكليزي المعروف "إتش. لو" في كتاب له عن تاريخ أسطول الهند بشكل حرفي تقريباً[2]. لا شك أن عدم الدقة في المعلومات وغياب الأخبار المفصلة من الممثلين الرسميين لشركة الهند الشرقية بهذا الشكل

1- Kelly, op. cit., p. 111.
2-Low, op. cit., Vol. 1. p. 320.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

يدل على أن كيلي قليلاً ما يلجأ إلى الوثائق، وكثيراً ما يعتمد على الإشاعات والأحاديث المروية.

على الرغم من أهمية حادثة السفينة مينيرفا، ومحاولة وصفها بالخطيرة جداً فإن المعلومات الدقيقة المتوفرة عن هذه الحادثة قليلة جداً. والأخبار الموجودة متناقضة كثيراً. ومثل هذا النقص في المعلومات، وغياب التقارير الرسمية المفصلة من ممثلي شركة الهند الشرقية، يدعو للاعتقاد بوجود محاولة واضحة لإخفاء شيء ما، ومن ثمَّ الابتعاد عن الحقيقة لهدف تحتفظ به سلطات الهند البريطانية لنفسها، بحيث تستطيع هذه السلطات "استثمار" هذه الحادثة بفعالية كبيرة.

واللافت للنظر هنا أن المراسلات الخاصة بافتداء السيدة تايلور وتحريرها كانت أكثر اتساعاً وتفصيلاً من المراسلات المتعلقة بالحادثة نفسها.

الواقع أن بروس سلط بعض الضوء على الحقيقة في هذه الحادثة عندما قال: ". . . جرى الاستيلاء على السفينة من قبل القراصنة القواسم، وقُتل كل من كان فيها باستثناء قبطان السفينة، وأحد ضباطها، واثنين من الأرمن. وسحبت السفينة إلى ميناء رأس الخيمة، وكانت السفينة محملة ببضائع لبوشهر والبصرة بقيمة ٣ لاكات روبية تقريباً"[1].

أي أنه إذا كان منفذو العملية من القراصنة القواسم فعلاً، وهذا لم تؤكده الوثائق، فإن ما يبرر عملهم هذا أنهم استولوا على حمولة تعود ملكيتها لأعداء لهم. وهذا لا يعد بحال من الأحوال خرقاً للاتفاقية التي عقدوها مع شركة الهند الشرقية.

1- Political Department Diaries. № 347/1809 ،pp.1114 5 -8.

www.almajidcenter.org

توجد بعض التفاصيل للحادثة، التي وقعت للسفينة مينيرفا، ذكرها راكب هندوسي في رسالة كتبها، وقد كان من بين ركاب هذه السفينة. ومما جاء في رسالته: ". . . في ٢٣ مايو ١٨٠٩ وقعنا في أسر القواسم. وكانت هناك مجموعة من السفن بين الكبيرة والصغيرة، يبلغ عددها نحو ٥٥ سفينة، وكان على متنها نحو ٥٠٠٠ رجل قاسمي، خاضوا معنا قتالاً لمدة يومين. وعندما وقعنا في الأسر كان قبطان السفينة والضابط الثاني فيها (مساعد القبطان) قد قتلا. كان مجموع عدد الأشخاص على مينيرفا ٧٧ شخصاً، قتل منهم ٤٥ رجلاً، أما الـ ٣٢ شخصاً الآخرين فقد أنقذتهم العناية الإلهية"[1].

من الممكن القول إن هناك شيئاً من المبالغة بالقول إن عدد السفن كان ٥٥ سفينة بين كبيرة وصغيرة، وأن ٥٠٠٠ قاسمي خاضوا قتالاً لمدة يومين ضد سفينة واحدة. ولكن خلافاً لما ذكره بروس بأن عدد من نجا من الموت كان أربعة أشخاص فقط، يقول كاتب الرسالة الهندوسي إن من نجا كان عددهم ٣٢ شخصاً. كما جاء في أقوال هذا الأخير أن القبطان والضابط الثاني في السفينة قد قتلا قبل استيلاء القواسم على السفينة، أي أثناء المعركة؛ بينما كان كلام بروس أنهم ذُبحوا[2].

وقيل عن إطلاق سراح عشرة أشخاص، والسماح لهم بالذهاب إلى مسقط، وأن ثمانية منهم كانوا جنوداً. والواقع لو أن بروس بذل قليلاً من الجهد لعلم تفاصيل أكثر بكثير من تلك التي علمها عن الحادثة، ولأمكنه إعلام بومباي بها. كما إنه كان من الممكن لو أن الجنود قد أُرسلوا إلى بومباي لأمكنهم إخبار قيادتهم بما يتناقض مع رواية بروس وتايلور، الذي كان حينها في بوشهر.

1- Political Department Diaries , № 339/1809, pp. 8444-5.
2- Political Department Diaries. № 347/1809 ،pp.1114 5 -8

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

من الواضح أن ما قيل عن الحادثة مشكوك بصحته لدرجة كبيرة، وأنه كان لبروس وتايلور مصلحة في أن تصل إلى بومباي أقوال مبالغ فيها، والتي على أساسها نشرت صحيفة بومباي مقالة في عددها الصادر في ٣ أكتوبر عام ١٨٠٩ تحدثت فيها عن أهوال القراصنة ـ القواسم[١].

ولكن من المهم الإشارة أيضاً إلى أنه بعد أن هدأت المخاوف، واتضحت الصورة الحقيقة لحادثة السفينة مينيرفا، ورد في السجل السنوي الآسيوي لعام ١٨٠٩ عن هذه الحادثة ما يلي: "لقد تأكدت أخيراً الإشاعات التي راجت لفترة طويلة في مقيمية الرئاسة بأن القراصنة الذين يملؤون الخليج قد استولوا على السفينة مينيرفا، التي كان يقودها القبطان "هوبود(؟)".

بعد الاستيلاء على مينيرفا، خفف القراصنة- على ما يبدو - من قسوتهم المعروفة؛ إذ لم يقتل أحد باستثناء التعساء الذين قضوا في معركة محتملة خاضوها[٢].

وبعد عام ظهرت الحقيقة جلية. فقد تبين أن أحداً لم يقتل الأسرى، وأن المهاجمين الذين استولوا على السفينة كانوا قراصنة، ولكن لم تكن هناك أية صلة تربطهم بالقواسم. وما ظهر كان بعيداً كل البعد عن الإشاعات التي راجت حينها، والتي على أساسها اتخذت سلطات الهند البريطانية وشركة الهند الشرقية قراراً في عام ١٨٠٩ بتنظيم حملة عسكرية ضد القواسم.

وعلى أية حال قد تكون الحادثة التي وقعت للسفينة سيلف (Sylph) التابعة لشركة الهند الشرقية الأخطر من حيث عدد الإصابات؛ فقد قيل بأن ثلاثين رجلاً من طاقمها قتلوا، وجرح ثلاثة.

1- Al-Qasimi, op. cit., p. 95.
2- The Asiatic Annual Register. 12 Vols., L. 1800-1812. №., 1809. p. 146.

www.almajidcenter.org

وسيلف سفينة شراعية ذو ثمانية مدافع تابعة لأسطول بومباي، كانت ضمن العمارة التي رافقت المبعوث البريطاني السير هارفورد جونز من بومباي إلى بوشهر. وفي طريق العودة إلى بومباي انفصلت السفينة سيلف عن الفرقاطة "نيريد" (Nereide) ذات الـ ٣٦ مدفعاً، التي كانت ترافقها، واصطدمت مع ثلاث سفن مجهولة.

يصف الملازم وليام جراهام (William Graham)، قائد السفينة سيلف ما حدث بالقول: " في الساعة العاشرة والنصف من صباح ٢٠ أكتوبر شاهدت إلى الجنوب منا سفينة شراعية كبيرة. وفي حوالي الساعة الحادية عشرة شاهدت سفينتين أيضاً تسيران في إثر السفينة الأولى على بعد نحو ثلاثة أميال. وعند الظهر تقريباً مرت السفينة الملكية نيريد بقيادة الكابتن كوربت (Corbet).

إلا أن هاتين السفينتين لم تغيرا محور إبحارهما. وأخذتا تقتربان منا. وعندما أصبحتا على بعد "طول كبلي واحد"[1] بدأت إحداها، ويبدو أنها الأفضل في التحرك، بالالتفاف حولنا من الجانب الأيسر باتجاه مقدمة سفينتنا. ومع ذلك لم يكن في نيتي الرمي عليها ما دامت لا تهاجمنا؛ حرصاً مني على الالتزام بتعليمات حكومتي في هذا الشأن. وفجأة هبطت السفينة من تأثير الرياح. وفي اللحظة التي غيرنا اتجاهنا تلقينا رشقة نيران من تلك السفينة، فرددنا عليها بالمثل من أحد جوانب سفينتنا.

بعد ذلك يصف الكابتن الإنكليزي سير المعركة وكيف تم أسر السفينة سيلف، ومن ثم تحريرها بمساعدة الفرقاطة نيريد.

على الرغم من أن قائد السفينة سيلف ذكر بأنه شاهد ثلاث سفن، وأن اثنتين منها هاجمتا سفينته، إلا أن لوريمر بالغ كعادته دائماً بأن جعل هذه السفن الثلاث أسطولاً من

١- الطول الكبلي: وحدة قياس طول بحرية = ١٨٥,٢ م المترجم

www.almajidcenter.org

السفن العربية الكبيرة[١]. أما ج. كيلي فقد كان أكثر اعتدالاً، عندما قال إن السفن التي هاجمت سيلف هي داوان كبيران.

ولكن الشيء الأكثر أهمية أن هذين المؤرخين البريطانيين وقعا في خطأ، عندما أكدا أن هذه السفن تعود للقواسم، وذلك على الرغم من أن قائد سيلف لم يذكر في تقريره حتى ما إذا كانت هذه السفن عربية، أو لها أي تبعية للقواسم. عدا عن ذلك أشار قائد سيلف "وليام جراهام" إلى أنه كانت هناك أيضاً سفينة "خدمة" وكانت قريبة منه، إلا أن أحداً من هذين المؤرخين لم يذكر ذلك، أو ما الذي كانت تفعله هذه السفينة في مكان الواقعة[٢].

جدير بالذكر أنه جرى التشديد من قبل المؤرخين على أنه "وفقاً للتعليمات المعمول بها لا يستطيع قبطان سيلف استخدام مدافعه إلا متأخراً جداً". غير أن كيلي أشار إلى أن "القواسم اشتبكوا مع السفينة سيلف، واندفعوا إلى ظهرها بعد أن سحقوا طاقمها بعددهم"[٣].

أما لوريمر فيتحدث عن حشد من الأشخاص أردوا أخذ السفينة سيلف بالمصادمة، حيث اندفعوا من سفن عربية إلى ظهر السفينة سيلف وقضوا على طاقمها الذي قاوم باستماتة. ولا يشك هذان المؤرخان مطلقاً بأن المهاجمين كانوا من القواسم تحديداً، مع أنه لا يوجد لديهما ما يثبت أن المهاجمين كانوا من القواسم فعلاً.

الواقع أن منطقة الخليج العربي كانت تحوي في ذلك الوقت قراصنة عرباً من الجلاهمة. وكان يقودهم القرصان الشهير رحمة بن جابر. ومن المرجح- حسب تكتيك

1- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p. 602.
2- Secret and Political Department Diaries., op. cit., № 251/1808., pp. 12991-12996.
3- Al-Qasimi, op. cit., p. 99.

www.almajidcenter.org

الهجوم على السفينة سيلف- أن عرب الجلاهمة قد شاركوا في هذا الهجوم؛ إذ جرى تنفيذه بأسلوب جيد من قبل قراصنة مدربين، لم يسبق أن وُصف القواسم به في أية حادثة نسبت إليهم، وفي الوقت نفسه كان هذا الهجوم منفذاً بالشكل المعهود للجلاهمة تحديداً.

وجدير بالذكر أنه قبل وقوع هذه الحادثة بعدة أشهر ضرب رحمة بن جابر حصاراً على بوشهر، ووجه تهديداً كتابياً إلى سميث، المقيم البريطاني آنذاك، باستمرار العمل ضد السفن والممتلكات البريطانية[1].

يشير لوريمر بعد ذلك إلى حادثة أخرى بالقول: "بعد ثلاثة أيام فقط من حادثة سيلف تعرضت سفينة شركة الهند الشرقية المعظمة نوتيلوس (Nautilus) ذات الأربعة عشر مدفعاً، بقيادة الملازم "بينيت" إلى تهديد من قبل سفينتي قراصنة كبيرتين، وأخريين صغيرتين. وعندها كانت نوتيلوس تمر بالقرب من جزيرة هنجام. ونظراً لوجود أوامر بحرية تمنع السفن البريطانية من أخذ المبادرة بالرمي في مثل هذه الأحوال، فقد وجد الملازم بينيت نفسه ملزماً بالامتناع عن فتح النيران إلى أن أصبحت السفن المعادية قريبة جداً منه، وبات بالإمكان رؤية البحارة العرب وهم يرقصون ويهزجون ويرددون أناشيد الحرب، ويلوحون بحرابهم، وكذلك سماع أغانيهم وصيحاتهم.

وعندها أعطى الملازم بينيت الأمر برفع العلم الإنكليزي، وإطلاق قذيفتين من المدافع الأساسية. وبما إن هذه السفن تابعت اقترابها من نوتيلوس، فقد سارعت هذه الأخيرة بإطلاق دفعة من القذائف من المدافع من أحد جانبيها على السفينتين الكبيرتين. بعد ذلك بدأت معركة المدافع واستمرت نحو ساعة من الزمن. وفي نهاية الأمر فرت العمارة

1- Secret and Political Department Diaries., op. cit., №232/1808., pp. 5835-5839.

www.almajidcenter.org

العربية من أمام نوتيلوس، التي أخذت تطاردها وترمي عليها إلى أن أصبحت خارج مدى رمي مدافعها"[١].

إذا تأملنا في هذه الرواية من الناحية الواقعية يتبين لنا أن قادة السفن البريطانية يعتقدون أن من حقهم وحدهم فقط المرور بالسفن المشرَّعة، حتى وإن كانوا يمرون في المضائق وقرب الجزر، وأن على جميع السفن الأخرى تغيير وجهتها، وإفساح الطريق أمام السفن البريطانية بأسرع ما يمكن؛ وأن على البحارة العرب التوقف عن ترديد الأغاني والأناشيد، والامتناع عن الرقص، وإخفاء حرابهم عند ظهور أية سفينة بريطانية؛ وإلا فإن ذلك يمكن أن يعد تهديداً للبحارة البريطانيين، ومن ثمَّ قد يؤدي ذلك إلى فتح النيران عليهم وعلى أية سفينة عربية قريبة لا ذنب لها.

ومن الواضح تماما إن الملازم بينيت، قائد السفينة نوتيلوس أعطى في هذه الحادثة الأمر بفتح النيران على السفن العربية دون أن يكون لديه أدنى مبرر لذلك. وهذا في الواقع يؤكده بنفسه في تقريره المؤرخ في ١ ديسمبر عام ١٨٠٩، ويؤكد أيضاً أنه لم يجد نفسه ملزماً، كما يدعي لوريمر، بالأوامر الصادرة مؤخراً بعدم فتح النيران على السفن العربية[٢].

على الرغم من أن تقرير القبطان الإنكليزي بينيت يؤيد رواية لوريمر بوقوع الحادثة، فإنه يوجد تناقض واضح على درجة كبيرة من الأهمية بين الروايتين يمكن أن يؤدي إلى استنتاجات مهمة. فالمؤرخ الإنكليزي، لوريمر يقول إن الحادثة وقعت مع السفينة نوتيلوس بعد حادثة السفينة سيلف بثلاثة أيام، أي في ٢٣ أكتوبر عام ١٨٠٨، بينما يقول بينيت في تقريره أن الحادثة وقعت في ١٧ أكتوبر عام ١٨٠٨. ومن الطبيعي أن يُصدق هذا الأخير، وهو قبطان السفينة ذات العلاقة؛ فتقريره يعد المرجع الرئيس.

1- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. pp. 602-603.

2- Secret and Political Department Diaries., op. cit., № 255/1808., pp. 14147-14150.

www.almajidcenter.org

أي بعبارة أخرى كل ما جرى في هذه الوقائع كان معكوساً. فحادثة السفينة نوتيلوس وقعت في ١٧ أكتوبر، كما يقول قبطانها، وبعد ثلاثة أيام، أي في ٢٠ أكتوبر، وقعت حادثة السفينة سيلف، حسب وصف قبطانها الملازم وليام جراهام. وهذا يعني بالتالي أن السفن الأربع الكبيرة التي قد تكون قاسمية، والتي كان بإمكانها محاصرة السفينة نوتيلوس والاستيلاء عليها، آثرت عدم القيام بذلك على الرغم من الاستفزاز الذي تعرضت له من القبطان الإنكليزي الذي أعطى الأمر بمطاردتها والرمي عليها إلى أن أصبحت خارج مدى رمي مدافع السفينة البريطانية.

تهدف سياسة الحكومة البريطانية في الهند، من وراء تزوير وقائع ما يسمى "قرصنة" القواسم، إلى امتلاك الحجة المناسبة للقضاء على القواسم، الذين كانوا في تلك الفترة يشكلون القوة العربية الكبيرة في المنطقة. ويتضح ذلك تماماً عند النظر إلى الأحداث التي وقعت بالقرب من الساحل الهندي، على الرغم من أن المؤرخين الإنكليز جانبوا الحقيقة ولم يكونوا على درجة من الدقة والإنصاف في سردهم لتلك لأحداث، وهذا مما لا شك فيه.

فجون لوريمر مثلاً يقول في وصفه لإحدى الوقائع أنه في إبريل عام ١٨٠٨ كانت السفينة الشراعية لايفلي (Lively)، التي يقودها الملازم ماكدونالد محاصرة من قبل أربع سفن عربية، مقابل ساحل كوجرات. وكانت كل واحدة من هذه السفن الأربع أكبر حجماً من السفينة لايفلي، وتحمل عدداً أكبر من الرجال. ويضيف لوريمر: حاول العدو أخذ السفينة لايفلي بالمصادمة، إلا أن نيران لايفلي أفشلت محاولته.

وفيما بعد ظهرت في سورات ثلاث من سفن القراصنة التي شاركت في هذه الحادثة، وجرى سحبها إلى بومباي. وإلى جانب اكتشاف جرحى كانوا مختبئين على سطحها، جرى التعرف على هذه السفن من علامات مميزة أخرى. وعلى اعتبار أن هؤلاء أمضوا في

www.almajidcenter.org

الحجز فترة طويلة، فقد أطلقت الحكومة سراحهم، وسمحت لهم بالعمل على أية سفينة من سفن ملاحة السواحل.

يبدو أن هؤلاء أو أمثالهم نجحوا في القرصنة؛ إذ خلال عام ١٨٠٨ سقط ما لا يقل عن عشرين سفينة محلية غنيمة للقراصنة العرب عند السواحل الهندية[1].ومثل هذا الوصف تقريباً ذكره مؤرخون بريطانيون آخرون في مؤلفاتهم[2]. وكان هؤلاء يتجاهلون تماماً ما جاء في تقرير اللجنة التي أُعدَّت خصيصاً للتحقيق في حادثة السفينة لايفلي، والتي كانت مكونة من موظفي جهاز حكومة بومباي.

"٧- ومن جانبه ذكر المستر جودوين- كما في التقرير- أن ما يرجوه هو الأخذ بالاعتبار أن ما يجده غير مألوف، والذي لا يجد له تفسيراً، أن الداوات، التي هي، كما هو معروف، سفن تجارية بحتة، والتي كانت ترتاد الميناء الصديق، الذي يتبع جانبنا، أخذت فجأة ودون سبب واضح بمهاجمة بعض سفن الشركة؛ بينما كانوا يمررون السفن التجارية الإنكليزية دون عائق، كانت الغنيمة تثير فيهم الرغبة بالاستيلاء عليها؛ بعد تنفيذ الهجوم على سفينة الشركة (حيث كان عليهم أن يفهموا أن ذلك يمكن أن يؤدي إلى اعتبارهم قراصنة) تابعت الداوات طريقها إلى سورات.

لم يعثر المستر جودوين في سجل سفينة السيد ماكدونالد، أو في كتاباته، أو في أية تصريحات له موجهة إلى المدير العام للشرطة على أية معلومات عن وقوع عداء أو تكرار محاولات أخذ السفن بالمصادمة. وفيما يتعلق بوجود حشد كبير من الناس مسلحين ببوارید المسكيت، فقد أظهر التفتيش العملي الذي جرى في سورات أن الأسلحة التي كانت على السفن الأربع لا تزيد عن تسع وعشرين بندقية شطف (من نوع مسكيت) وأحد عشر مدفعاً

1- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p. 641.
2- Kelly, op. cit., p. 114.

www.almajidcenter.org

(بما فيها المدافع الدوارة). عدا عن ذلك أثبتت المراجعة لسجل سفينة السيد ماكدونالد وجهة نظر المستر جودوين بأن القباطنة المحليين لا يمكنهم تفادي الالتقاء مع طرادات الشركة الطوافة دون إجراء تغيير في خط سيرهم المباشر إلى سورات"[١].

بقي أن نشير بخصوص هذه الحادثة إلى وجود رسالة موجهة من حاكم مسقط إلى والي سورات يقول فيها: "توجهت الداوات الأربعة بقيادة كل من القباطنة: بخيت بن سالم، وبشاير بن سنان، وعبد الله بن حميد [أو حامد]، وسعود بن سالم، وهم من رعيتي من هذا الميناء (يقصد ميناء مسقط - المؤلف) إلى الهند. وقد شاءت إرادة الله أن وقعت في حجز السلطات الحكومية عن طريق الخطأ.

وهذه الداوات لا تستطيع الآن متابعة عملها، وكسب رزقها لكونها لا تزال محجوزة. ولهذا، أرجو المعذرة على إزعاجي لكم بطلبي إخلاء سبيل هذه السفن، والسماح لها بالذهاب إلى المكان المحدد لها، باسم الصداقة الوطيدة التي تربطنا بكم . . . "[٢].

انجلت حقيقة الحادثة التي وقعت قرب الساحل الهندي، التي لم تشارك فيها سوى السفن التجارية المسقطية، وبدا أنه في هذا الوقت على الأقل سيرد للقواسم اعتبارهم. إلا أن سير الأمور بهذا الشكل يتناقض مع المنهج الذي سلكته السلطات البريطانية، وهو قمع هذا الحلف القبلي بالقوة.

1-Secret and Political Department Diaries., op. cit., № 325/1809., pp. 3145-3147.
2- Secret and Political Department Diaries., op. cit., № 326/1809., pp.

www.almajidcenter.org

وهذا ما جعل كلاً من سيتون الذي عاد إلى مسقط في يناير عام ١٨٠٩، ومالكولم، الذي أصبح المسؤول عن "الإدارة العامة للمصالح البريطانية في منطقة الخليج العربي" يشنان حملة أكاذيب وافتراءات على القواسم، مما أدى إلى تجريد حملة عسكرية بريطانية ضد رأس الخيمة وبقية موانئ القواسم.

وفي هذه الفترة ظهر نشاط الموكيل السياسي البريطاني في مسقط، الذي "ملأ" بومباي وكالكوتا بتقاريره التي حاول فيها تمهيد الطريق لتجريد حملة بحرية ضد القواسم. غير أن سيتون فاه في عدد من تقاريره بحقيقة الوضع في المنطقة دونما قصد منه. فمثلاً ذكر في رسالة وجهها إلى جون مالكولم، مؤرخة في ١٦ فبراير عام ١٨٠٩ أن "رحمة بن جابر، القرصان المشهور، المعروف بالجلاهمة استولى على سفينة تابعة لهذا الميناء (يقصد ميناء مسقط)، بينما كانت في طريقها إلى البصرة، وقتل القسم الأكبر من طاقمها".

وفي تقرير آخر مطول مؤرخ في ٦ مارس ١٨٠٩ موجه إلى جون مالكولم تحدث فيه سيتون عن زيارة ممثل شيخ قبيلة العتوب في البحرين له، والتماسه منه تعميم الأمر على قباطنة السفن البريطانية بعدم البدء بمهاجمة السفن العربية، وسفن العتوب؛ إذ جرت حوادث مطاردة لسفن هذه القبيلة، منعتها من إمكانية ممارستها لعملها التجاري بشكل طبيعي.

كان تبرير سيتون لهذه الحوادث، الذي قدمه لممثل شيخ العتوب مثيراً للضحك، فقد جاء فيه أنه إذا حدث أن جرت مطاردة هذه السفن (يقصد سفن العتوب)، فمرد ذلك التأكد مما إذا كانت هذه السفن معدة للقرصنة أم لا، وليس من أجل منع العتوب من ممارسة حقهم القانوني.

وذكر سيتون في رسالة ثالثة مؤرخة في ٩ مارس عام ١٨٠٩ أن "سفينة كبيرة كانت مرسلة إلى الفجيرة من قبل وكلاء الإمام سعيد إلى سلطان بن صقر جرى حجزها من قبل قائد

www.almajidcenter.org

وهابي. ولكن نظراً لأن الحامية كانت نفقتها على إبن صقر فقد تم إخلاء سبيل السفينة. . ". أي هذا إثبات دامغ آخر على أن شيخ القواسم كان محافظاً على اتفاقية السلم الموقعة مع شركة الهند الشرقية.

والشيء المميز جداً اعتراف سيتون بالنوايا الحقيقية للسلطات البريطانية الذي تضمنه تقرير له مؤرخ في٢١ مارس ١٨٠٩. وفيه رده على تساؤل سعيد بن سلطان عما إذا كان قد فعل الصواب بأن أرسل ثلاث سفن لمطاردة رحمة بن جابر. وكان رد المقيم البريطاني أن بومباي ترى أن جميع أعمال القرصنة تنجم عن القواسم. . .[1].

الحملة البريطانية على القواسم (١٨٠٩- ١٨١٠):

سعت السلطات البريطانية في الهند للهيمنة على منطقة الخليج العربي بعد القضاء على حلف القواسم القبلي بقوة السلاح، بغض النظر عن حقيقة ما يجري من أحداث ووقائع. وكان للموظفين الإنكليز وجهات نظرهم في بسط السيطرة البريطانية على المنطقة.

ففي الوقت الذي كان مالكولم مهتماً فيه بالحملة العسكرية لإقامة قاعدة بريطانية في الخليج العربي لبسط السيطرة على المنطقة، كان سيتون مهتماً جداً بمجابهة الوهابيين بالسلاح؛ إذ كان يعدهم الخطر الحقيقي الذي يهدد مصالح بريطانيا. أما حكومة الهند البريطانية فقد بذلت بدورها كل ما في وسعها لتجنب الصدام مع السعوديين. وقد بينت أن "الحملة ليست موجهة ضد قبيلة الوهابيين بشكل عام، وإنما فقط ضد قسم ينتمي لهم يقوم بأعمال القرصنة".

1- Secret and Political Department Diaries., op. cit., № 325/1809., pp. 2622-2628, 2692-2693,2702,2703.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

تلقى مالكولم التعليمات من حكومة الهند، التي أكدت له فيها على أن العمليات الحربية يجب أن تكون محصورة في البحر، وأن عليه تجنب استخدام قواته على الساحل ضد أي قوة برية تابعة للزعماء الوهابيين. وبذلك أصبح مالكولم على علم بمهمته، وهي تجريد حملة ضد القراصنة – القواسم بالتعاون مع إمام مسقط[1].

أي أن ما كان يعد في السابق تحالفاً إنكليزياً – عمانياً ضد الوهابيين أصبح أخيراً تحالفاً بين بريطانيا ومسقط ضد التشكيل القبلي للقواسم، مع مراعاة تفادي أي صدام مع السعوديين.

جرى اتخاذ القرار، وبدأ الإعداد النشط للحملة العسكرية ضد القواسم. وفي غضون ذلك كان سيتون ودنكان يؤيدان الإسراع بإرسال الحملة والاستيلاء على سفن أعدائهم صيفاً، وهي راسية في موانئها. أما مالكولم، والنقيب جون وينرايت (J. Wainwright)، الذي جرى تعيينه قائداً للقوى البحرية أثناء الحملة، فكان اقتراحهما إن تكون الحملة في شهر سبتمبر على اعتبار أن ظروف الطقس ستكون أفضل للحملة.

وأخيراً وافق حاكم بومباي دنكان على أن تكون الحملة في فصل الخريف. وفي السابع من سبتمبر عام ١٨٠٩ صدرت من حكومة بومباي الأوامر إلى قائدي الحملة: (الكابتن جون وينرايت، والمقدم سميث (Smith)، قائد القوى البرية والفيلق ٦٥ الملكي، وكانت تنص على اعتبار ميناء رأس الخيمة الهدف الرئيس للهجوم، وضرورة حرق وتدمير جميع السفن والمراكب الراسية فيه مع الحد ما أمكن من استخدام القوات البرية. وكذلك تدمير جميع المراكب، إذا ما سنحت الفرصة في الموانئ الأخرى المجاورة لرأس الخيمة، من الرمس حتى أبو ظبي. عدا عن ذلك كانت الأوامر تنص على مهاجمة موانئ القواسم على الساحل الفارسي: لنجه، ولافت على جزيرة قشم.

1- Al-Qasimi, op. cit., pp. 121-122.

www.almajidcenter.org

وفيما يخص هذه الأخيرة كانت الأوامر تقول: "يجب تأمين الدعم من مسقط لتدمير كافة وسائط القواسم البحرية في ذلك الميناء". وفي الوقت نفسه كان على قائدي الحملة تنسيق الجهود مع السلطات الفارسية أثناء مهاجمة الموانئ على الساحل الفارسي.

وقد جاء في هذا الخصوص: "يجب عدم التردد في أية حال بتدمير وسائط القراصنة البحرية، إذا ما جرى التأكد من وجودها، ولكن يجب الأخذ بعين الاعتبار أن يتم ذلك مع احترام حقوق صاحب الجلالة شاه فارس، حليفنا الحالي، وأن تُشرح المبررات التي تدفعنا إلى القيام بهذه الأعمال للمسؤولين في الحكومة الشاهانية، إذا ما قادت الأحداث إلى اللقاء بهم، وإيضاح أن هدف الحكومة البريطانية يقتصر على التصدي لهجمات القواسم. . . . وليست لدى الحكومة البريطانية أية نية باحتلال أي جزء من هذه المنطقة، أو إلحاق الضرر بأي شكل كان بمصالح رعايا صاحب الجلالة ".

حذرت التعليمات، التي وضعت وفقاً لخطة أعدتها السلطات البريطانية قائدي الحملة من الدخول في أية مجابهة مع الوهابيين؛ وقد جاء في هذا الخصوص: عليكم في جميع الحالات تجنب الصدام مع القوات الوهابية.

في الواقع لم تقتصر الأوامر والتعليمات على أطر العمليات الحربية، بل تضمنت أيضاً التخطيط لما بعد الحملة. وقد جاء في هذا الخصوص: "بعد الانتهاء من تدمير سفن القواسم كلياً يفضل التوصل إلى اتفاقية سلام مع القواسم يتعهدون فيها بالتخلي عن أعمال القرصنة. . . وعليكم التصرف تجاههم، والتعامل معهم على أساس أنهم يشكلون دولة مستقلة، أي كما كان الحال عندما جرى توقيع المعاهدة التي عقدها سيتون. فعلى الرغم من أنهم كانوا آنذاك خاضعين لسلطة الأمير الوهابي، إلا أنه (أي سيتون ـ المؤلف) لم يتدخل في شؤونهم الخاصة".

www.almajidcenter.org

من الغريب جداً أن منظمي الحملة وقادتها لا يملكون معلومات دقيقة عن الساحل العربي للخليج، لدرجة أنهم يجهلون أين تقع رأس الخيمة بشكل دقيق. فحسب كيلي أنه: ". . . بعد فترة قصيرة من إقلاع الحملة استفسر حاكم بومباي، دنكان من تجار فرس، وبارسيين كانوا يقيمون في بومباي ويعرفون الخليج جيداً عن المنطقة. ووفقاً لأجوبتهم أعد تقريراً تناول فيه القوة البحرية والحربية للموانئ، وأرسله إلى قائدي الحملة سميث ووينرايت، ولكن بوقت متأخر جداً لدرجة أنه لم تكن منه أية فائدة"[١].

ويبدو أنه لهذا السبب صدرت تعليمات "بإجراء مسح دقيق لسواحل الخليج والمناطق التي يسيطرون عليها (يقصد القواسم)، وتحميلها على الخرائط"[٢].

ويبدو أيضاً أنه بغية التلاقي مع مالكولم جاء في التعليمات: ". . . . علينا الاستيلاء على أفضل جزيرة قريبة من موانئ القواسم، وجعلها محطة بحرية تخدم مصالح مسقط، وتساعد مستقبلاً على بسط السيطرة على المدخل إلى الخليج العربي، ومجابهة التهديدات التي يمكن أن يشكلها القراصنة مستقبلاً".

كما طلب من قائدي الحملة "تقدير العدد اللازم من القوى الواجب تواجدها هناك، ليس لمواجهة القوى المحلية فحسب، بل الأوروبية أيضاً التي تقوم في بعض الأحيان بارتياد هذه المنطقة".

وفي اليوم الذي صدرت فيه التعليمات والأوامر إلى قائدي الحملة وجه حاكم بومباي رسالة إلى و. بروس يطالبه فيها بتنسيق الأعمال بين حاكم مسقط وقوات الحملة، وضرورة إقناع سعيد بن سلطان بمهاجمة موانئ القراصنة في شرقي رأس مسندم بقوات مسقطية، بينما تقوم قوات الحملة بتوجيه ضربة لهم من الجهة الغربية. وأخبره بأن مثل هذه

1- Kelly, op. cit., p. 117.
2- Secret and Political Department Diaries., op. cit., № 339/1809., pp. 8428-8444.

www.almajidcenter.org

الأعمال، حتى وإن فشلت أو كانت قليلة الفاعلية فإنها ستؤدي على الأقل إلى تغيير الموقف لصالحنا. . . "

وفي الوقت نفسه بعث دنكان برسالة إلى حاكم مسقط حاول فيها بصورة ديماغوجية تصوير الحملة على أنها مرسلة فقط لمساعدة مسقط في صراعها ضد القواسم. وقد جاء في تلك الرسالة في هذا الخصوص ". . . وبكل ثقة أعتمد على عون سموكم لرجال الحملة التي قامت أساساً بناءً على طلب سموكم"[1].

إن أبرز ما يمكن ملاحظته من تلك التعليمات أن الهدف الأساسي من الحملة، تدمير قوة القواسم البحرية، التي تشكل أساس قوتهم الحربية، ومن ثم العمل على إرغامهم على التوقيع على معاهدة مفيدة للإنكليز. وبذلك ستكون معاهدة فرض شروط استسلام، لا معاهدة بين طرفين شريكين متساويين في الحقوق.

كما تدل التعليمات على ضرورة اتباع خطة، لعزل القواسم عن السعوديين من جهة، بحيث يسهل توجيه الضربات إليهم، ومن جهة أخرى محاولة الحيلولة دون تحويل العلاقات البريطانية الوهابية إلى عداء سافر، الأمر الذي يمكن أن يضر كثيراً بمصالح بريطانيا في المنطقة.

غير أن السياسة المزدوجة للسلطات البريطانية، أي محاولتها القضاء على منافسيها القواسم، وفي ذات الوقت الحيلولة دون الإساءة إلى العلاقات مع الأمير الوهابي، كانت من الأسباب التي أدت إلى فشل الحملة في تنفيذ جميع المهام التي أُسندت إليها، حتى أنها فشلت في القضاء التام على القواسم.

1-Secret and Political Department Diaries., op. cit., № 339/1809., pp. 8428-8445.

www.almajidcenter.org

انطلقت الحملة العسكرية من بومباي في ١٤ سبتمبرعام ١٨٠٩، وكانت مؤلفة من فرقاطتي البحرية الملكية لاشيفون (Lachiffone، ذات ٣٦ مدفعاً)[١]، وكارولين (Caroline، ذات ٣٦ مدفعاً أيضاً)، وطرادات شركة الهند الشرقية: مورنينغتون (Mornington، ذات ٢٠ مدفعاً)، و أورورا (Aurora، ذات ١٦ مدفعاً)، وتيرنت (Ternate، ذات ١٦ مدفعاً)، ونوتيلوس (Nautilus، ذات ١٤ مدفعاً)، وايريال (Ariel، ذات ١٠ مدافع)، وفستال (Vistal، ذات ١٠ مدافع)، والسفينة الحربية الصغيرة فيوري (Fury، ذات ٦ مدافع)، وسفينة النقل سترومبولي (Stromboli). وانضمت إلى هذه الحملة فيما بعد الطرادات: تايكنماوث (Teignmouth)، وميركوري (Murcury)، وبرنس أوف ويلز (Prince of Walse)[٢].

وكانت هذه القطعات البحرية بقيادة الكابتن جون وينرايت. أما القوات البرية في الحملة فوضعت تحت قيادة المقدم ل. سميث من الفرقة الملكية الخامسة والستين، وكانت مؤلفة من كتائب من الفرقتين الملكيتين السابعة والأربعين والخامسة والستين؛ وكتيبة بومباي الثانية – مشاة بحرية ومدفعية. وقد تم نقل هذه القوات بسفن النقل فريندشب (Friendship)، ودونكان (Duncan)، وماري (Mary)، ومينيرفا (Minerva). (هذه الأخيرة غير السفينة التي مر معنا ذكرها؛ فتلك كانت سفينة تجارية عائدة لصمويل منستي، بينما هذه سفينة نقل حربية).

بلغ عدد القوات المشاركة في الحملة ٨٢٩ أوروبياً، و٥٢٩ سباهياً، و٢٥٢ عنصراً احتياطياً[٣].

١- فرقاطة فرنسية استولت عليها بريطانيا في عام ١٨٠٠ في مغوه، انظر:

Moyse- Barlett, H., op. cit., p. 46.

2- Low, op. cit., Vol. 1. p.325.

3- Secret and Political Department Diaries., op. cit., № 329/1809., p. 4385.

www.almajidcenter.org

لم تكن بداية الحملة تبشر بخير للبريطانيين؛ فقبل خروجها من بوشهر وصلت أنباء عن وفاة ديفيد سيتون، المقيم البريطاني في مسقط، وبذلك حُرمت قيادة الحملة من خبرته الواسعة، ومعرفته للوضع السياسي في منطقة الخليج. ثم ما إن مضت ٢٤ ساعة على خروج الحملة إلى عرض البحر حتى سقط قاع سفينة النقل سترومبولي فغرقت وأغرقت معها ضابطين، وأربعة عشر بحاراً، وقسماً كبيراً من الذخيرة كان على متنها[١].

وكان لفقدان هذه السفينة أثر بالغ على سير الحملة والهجوم على رأس الخيمة؛ إذ أن غاطسها القليل كان سيساعد على التقدم في المياه الضحلة بالقرب من المدينة، ويمكّن القوات البريطانية من قصف ميناء القواسم بفعالية كبيرة.

في الثالث من أكتوبر عام ١٨٠٩ أرسل قائد القوات البحرية في الحملة ثلاثة طرادات إلى ساحل مكران، واثنين إلى مسقط، وأعطى تعليماته إلى قبطان الفرقاطة كارولين بضرورة أن يتجمع الأسطول بالقرب من رأس مسندم، لشن الهجوم على رأس الخيمة على حين غرة[٢]. وبعد انقضاء أسبوعين، كانت العمارة البريطانية لا تزال على بعد ١٥٠ ميلاً شرقي مسقط، وكانت تشق طريقها في المياه في معاناة شديدة، بسبب هبوب رياح معاكسة أثرت على حركتها. وبالإضافة إلى عامل الرياح التي أعاقت التحرك السريع للسفن كان على وينرايت توجيه الأسطول أولاً إلى مسقط للتزود بالماء، حتى وإن أدى ذلك إلى إضعاف سرية الحملة[٣].

١ - يدل ضم هذه السفينة إلى الحملة العسكرية على أن حكومة بومباي حشدت كل ما لديها من سفن لتوجيه ضربة قاضية إلى القواسم؛ إذ أن هذه السفينة (سترومبولي كانت في المرسى، ولم تقم بأي إبحار خلال ثلاث سنوات).
Al-Qasimi, op. cit., p. 135
2- Kelly, op. cit., p. 117.
3-Moyse- Barlett, H., op. cit., pp. 48-49

www.almajidcenter.org

وصل الأسطول إلى مسقط في الثالث والعشرين من أكتوبر. وعلى الفور جرى اجتماع بين قائدي الحملة وسعيد بن سلطان لتنسيق العمل. وأثناء اللقاء وجد القائدان البريطانيان أن حاكم مسقط غير متحمس كثيراً للحملة، بل كان متشائماً إلى حد ما من إمكانية نجاحها. وقد عبر عن رأيه بالحملة بالقول: "إن مشروع الهجوم على رأس الخيمة بمثل هذه القوة عمل يفتقر إلى الحكمة"[١]. ورأى أن للاستيلاء على رأس الخيمة يلزم قوة تعدادها لا يقل عن عشرة آلاف جندي[٢].

وكان يرى أن رمايات مدافع الفرقاطات لن تكون مجدية في تدمير تحصينات القواسم؛ إذ أن ضحالة الماء عند تلك التحصينات ستمنع السفن البريطانية من الاقتراب منها إلى المسافة اللازمة للرمي عليها، وهذا ما سيضعف من فعالية قصفها.

وهكذا تهرب حاكم مسقط من المشاركة الفعالة في هذه العملية، حتى وإن وضع تحت تصرف القادة الإنكليز عدداً من المرشدين البحارة، وعشرين زورقاً لإنزال القوات[٣].

غادر الأسطول البريطاني مسقط في بداية نوفمبر، وفي الساعة الواحدة والنصف من يوم ١١ نوفمبر كان في ميناء رأس الخيمة. ولما تعذر على الفرقاطات والطرادات وسفن النقل الاقتراب من المدينة إلى الحد اللازم، رست الأولى على بعد أربعة أميال، بينما رست الثانية والثالثة على بعد ميلين.

بدأت المعركة في فجر ١٢ نوفمبر، عندما حاولت السفن الحربية الصغيرة، المدعومة من الطرادات، الهجوم على السفينة مينيرفا، الراسية بالقرب من قلعة صغيرة على بعد ميل جنوبي الميناء، في محاولة لتحريرها من أسر القواسم.

1- Low, op. cit., Vol. 1., p.326.
2- Moyse- Barlett, op. cit., p. 49.
3- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a., p. 646.

www.almajidcenter.org

عند الهجوم على هذه السفينة اضطر البحارة القواسم لمغادرتها، مما مكن المهاجمين من استرجاعها. غير أن الرمي الكثيف الذي وجه إلى الأخيرين من الساحل سرعان ما أجبرهم على التخلي عنها بعد أن أضرموا النار فيها. و في هذه العملية سقط للإنكليز قتيلان، وعدد من الجرحى.

يصف "لو" (Low) ما حدث في هذه العملية بالقول: "إن المقاومة العنيفة التي واجهتنا من الساحل، والرمي الدقيق المتواصل علينا، حال دون استرجاعنا لمينيرفا، وأظهر لنا بأننا نواجه عدواً لم نقدره حق قدره.

بعد ذلك أخذت السفن البريطانية تقصف المدينة بشدة. و"على الرغم من القصف المتواصل والكثيف على المدينة لمدة ثلاث ساعات، استمر القواسم أيضاً بالرمي علينا برباطة جأش، ودقة عالية، من مرابض مدفعياتهم المنصوبة على مشارف المدينة، واستطاعوا أن يلحقوا بنا خسائر كبيرة"[١].

بعد أن واجه الإنكليز مقاومة عنيفة من القواسم أعدوا خطة ما يسمى "مناورة المشاغلة"[٢]. وصدرت الأوامر إلى زوارق الإنزال بالاستعداد لنقل القوات. وفي الوقت نفسه أعطيت أوامر إلى زورقي طوربيد بالتوجه إلى مدخل الخليج الصغير، الذي يفصل شبه الجزيرة عن اليابسة، والبدء عند بزوغ فجر اليوم التالي بالرمي الكثيف على القسم الشمالي من الميناء من أجل شغل القواسم، وصرف أنظارهم عن القوات الرئيسة.

1- Low, op. cit., Vol. 1, p. 327.

٢- مناورة المشاغلة: القيام بحركات وتحركات يراد منها لفت انتباه العدو بغرض تضليله، وجعله يحشد قواته على اتجاه ثانوي المترجم.

www.almajidcenter.org

وبالفعل تمكن زورقا الطوربيد من الإيحاء للقواسم وإيهامهم بأن الاتجاه الذي يرميان منه هو اتجاه الضربة الرئيسة للهجوم البريطاني اللاحق. وعلى هذا الأساس حول القواسم رميهم الجوابي الكثيف إلى اتجاه الضربة الرئيسة المفترض، ونقلوا إليه معظم قواتهم. وبعد نصف ساعة على بدء مناورة المشاغلة هذه تم في الجانب الآخر من المدينة إنزال القوة الرئيسة، المؤلفة من قوات الفرقتين الملكيتين السابعة والأربعين، والخامسة والستين، وكتيبة بومباي الثانية – مشاة بحرية ومدفعية، المسلحة بمدافع هويتزر ومدافع ميدان. وتقدمت هذه القوات نحو تحصينات القواسم عبر المضاحل الرملية، ونجحت في الاستيلاء على قسم من السور الخارجي للمدينة، وعلى بعض الأبراج، وعدد قليل من الأبنية القريبة[1].

لاحظ القواسم تقدم العدو هذا فسارعوا إلى تحويل رمايتهم الأساسية نحوه. غير أن عملهم هذا جاء متأخراً. وعندما تبين لهم استحالة إيقاف تقدم المهاجمين، اندفعوا ببسالة إلى السواحل، حاملين سيوفهم، وعازمين على الالتحام بالعدو، ومنعه من إتمام إنزاله. إلا أن رمايات المدفعية وزوارق الطوربيد أوقفت اندفاعهم هذا.

بعد ذلك أخذت الوحدات العسكرية البريطانية بتحصين المواقع التي احتلتها، وتم تفريغ السفن من جميع المدافع، التي سرعان ما بدأت بقصف المدينة من مرابض جيدة.

بعد تقدير الموقف القتالي وجد قائدا الحملة البريطانية أن المقاومة الضارية التي تواجههم لن تمكنهم من إنهاء العملية بسهولة وسرعة، ولا سيما إن القواسم قد حولوا كل بيت إلى متراس[2]. ولهذا أعطى قائدا الحملة الأمر بإحراق الأكواخ المتناثرة بين البيوت.

1- Kelly, op. cit., p. 118.

٢- يقول لو : "عندما حاول الإنكليز الهجوم على القواسم لاقوا مقاومة عنيدة، وشرسة "، ويقول في وصفه لأحد مشاهد المعركة : " ظل حماة أحد البيوت الكبيرة يدافعون عنه، حتى بعد سقوط سقفه، وعندما ألقي إلى داخله عدد من القنابل اليدوية. وعندها فقط اندفعوا منه إلى الخارج في محاولة جريئة، لكنها فاشلة لشق طريقهم بين الجنود المحيطين به". انظر:

www.almajidcenter.org

وقد ساعدت الرياح التي هبت من الجهة التي جرى فيها إنزال القوات البريطانية على تأجيج النيران حتى "أصبحت البيوت مغطاة بألسنة اللهب"[١].

وشيئاً فشيئاً أجبرت النيران والدخان الكثيف القواسم على الانسحاب إلى القسم الشمالي من المدينة، حيث استطاع السكان المسالمون الانتقال بالقوارب إلى القسم الأساسي من البر الرئيسي[٢].

كان لاستخدام الإنكليز للأسلحة النارية الحديثة الفضل في التقليل من خسائرهم في هذه الحملة؛ إذ لم يفقدوا سوى ضابط واحد، وثلاثة بحارة، وجرح لهم ضابطان، وثمانية جنود، وتسعة بحارة[٣]. أما خسائر القواسم فقد كان من الصعب تحديدها بدقة وتشير بعض التقديرات إلى إن عدد القتلى في صفوفهم يتراوح بين سبعين وثمانين قتيلاً[٤]. والعديد من هؤلاء سقطوا أثناء القصف المدفعي. ويقدر بارتليت مجموع عدد قتلى القواسم بـ ٣٠٠ شخص[٥].

انتقمت القوات الغازية من المدينة بمنتهى القسوة والوحشية؛ إذ قامت بإحراق خمسين سفينة، منها ثلاثون سفينة ضخمة من نوع داو، كانت راسية في مراسيها. كما أحرقت المرافق والبيوت. وكان قسم من هذه البيوت يستخدم كمستودعات للذخيرة والبارود. وقد أدى ذلك إلى وقوع انفجارات واندلاع حرائق هائلة، طالت المدينة بأكملها. وقد دفع مشهد

Low, op. cit., Vol. 1. p. 329.

1-Low, op. cit., Vol. 1. p.329.

٢- يعتقد جون كيلي أن استيلاء القوات البريطانية على رأس الخيمة تم في الساعة العاشرة صباحاً انظر

Kelly, op. cit., P. 188 .

3- Kelly, op. cit., p.118.

4- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p. 647.

5- Moyse- Barlett, op. cit., p. 51.

www.almajidcenter.org

الحرائق والتدمير بالمقدم سميث إلى أن يذكر في تقريره اليومي، بشماتة: "آمل أن يكون قراصنة هذا الميناء قد تلقوا درساً قاسياً"[١].

يختلف المؤرخون في ما إذا كانت القوات البريطانية قد أقدمت على نهب المدينة بعد الإستيلاء عليها. فالبعض منهم يؤكد حدوث ذلك. فقد ذكر المؤرخ بكنجهام أن أوامر صدرت بإحراق كامل المدينة، والسماح للجنود بنهبها"[٢]. كما يؤكد ذلك ميلبورن (Milburn) بقوله: "الحق الإنكليز كل أنواع الأذى والضرر بالأبنية، وجرت عملية نهب واسعة للمدينة. ويقال بأن أحد الجنود غنم ١٤٠٠ خاتم ذهبي"[٣].

كما يؤكد وقوع عمليات النهب للمدينة عثمان بن بشر بقوله: " دخلوا البلد واستباحوها، ونهبوا ما فيها"[٤]. ويقول صاحب لمع الشهاب في ذلك: ". . . ونهبوا كل ما تناولوه من النقود أو غيرها"[٥]. وهناك بعض من المؤرخين ينفي صدور أوامر رسمية بنهب المدينة، حتى وإن وقعت أعمال نهب لهذه المدينة من قبل الجنود الإنكليز.

ومن أبرز هؤلاء المؤرخين جون لوريمر الذي تارة ما ينفي، وتارة ما يبالغ ، وذلك حسب هواه؛ إذ يقول: " لم يتم السماح بالنهب العام رسمياً، ولكن مع ذلك تم الحصول على بعض الغنائم من قبل بعض الأفراد. فأحد جنود الكتائب مثلاً وضع في يد أحد الضباط ٣٠٠ جنيه كي يوصلها إلى أصدقائه"[٦]. ويتفق بارتليت مع لوريمر فيقول: "بقيت في أيدي

١- العابد، صالح محمد، (مرجع سابق)، ص ٢٤٥.

2- Buckingham, op. cit., Vol. 2. p.236.

٣- العابد، صالح محمد، (مرجع سابق)، ص ٤٤.

٤- ابن بشر، عثمان (مرجع سابق)، ص ١٤٨.

٥- لمع الشهاب، (مرجع سابق)، ص ١٤٠.

6- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p. 647.

www.almajidcenter.org

الجنود كمية قليلة من الجواهر والنقود"[١]. وهناك إشارة لوقوع حوادث نهب للمدينة من ج. سلدانا[٢].

أما "لو" فمع أنه ينفي في البداية أن يكون قد صدر أمر رسمي من قادة الحملة بالنهب، انطلاقاً من أن القوات البريطانية لا تقاتل من أجل المكاسب المادية، وإنما تقاتل من أجل الانتقام"، إلا أنه يعترف بعد ذلك بنقل كمية قليلة من المواد الباهظة الثمن، التي تم العثور عليها في البيوت التي اقتحمتها القوات البريطانية واستولت عليها[٣]. أما كيلي فيصمت خجلاً ولا يعقب على ذلك أبداً.

يبين تحليل الوثائق المتوفرة أن القوات البريطانية نهبت رأس الخيمة فعلاً. ومحاولة إبعاد الصفة الرسمية عن عمليات النهب للمدينة، كما ذكر لو، ولوريمر، وبارتليت، ما هي إلا محاولة لإبعاد تهمة السلب والنهب عن القادة الإنكليز[٤].

وصلت إلى سميث معلومات في ١٤ نوفمبر تفيد بأن فرقة كبيرة من الوهابيين متجهة إلى رأس الخيمة. وعلى الفور أصدر أوامره إلى الجنود بإخلاء المدينة والإسراع بركوب السفن. يقول لو في تعليقه على انسحاب القوات البريطانية السريع: "أعاد الانسحاب السريع بهذا الشكل الثقة إلى نفوس القواسم الذين كانوا أقوى من أن يسمحوا للخوف من أن يدب في قلوبهم. وقاموا بفتح النيران على الجنود من جديد"[٥].

1- Moyse- Barlett, op. cit., p. 51.
2- Saldanha,,op. cit., p. 49.
3- Low, op. cit., Vol. 1. pp. 329-330.
٤- الغريب جداً أن المؤرخ العربي صلاح العقاد، الخبير والمطلع على الأحداث يرى أن الأسطول البريطاني لم يعزم على شيء غير تدمير رأس الخيمة، وأنه "تجنب إنزال أي جندي بريطاني على شاطئ بلاد العرب، خوفاً من أن يؤدي ذلك إلى صدام مع القبائل العربية، ولا سيما مع الوهابيين" انظر: العقاد، صلاح: الاستعمار في الخليج الفارسي (مرجع سابق)، ص ٧٧.
5- Low, op. cit., Vol. 1. p.330.

www.almajidcenter.org

في الصباح انسحبت القوات البريطانية، وبينما كان الأسطول راسياً في المكلا (الميناء) أخذ القواسم يتجمعون قبل الظهر بمجموعات على الساحل. وكانوا ينشرون راياتهم، ويلوحون بسيوفهم ورماحهم، بينما كان أزيز طلقات البنادق يدوي من كل اتجاه. وقد ذكر بكنجهام في هذا الخصوص: "لقد ظهر أن إخضاع رأس الخيمة كان أبعد مما يرغب به المنتصرون، ما دامت لم تظهر أية علامة تدل على الاستسلام"[1].

بعد منتصف يوم ١٤ فبراير بقليل توجه الأسطول البريطاني إلى لنجه، المدينة المزدهرة، الواقعة على الساحل الفارسي. وفي هذه المنطقة لم تجد القوات البريطانية أية مقاومة؛ فقد رحل جميع سكانها إلى الجبال آخذين معهم ما يحتاجون من أمتعة. وفي ١٧ نوفمبر أضرم الإنكليز النار بالمدينة كلها، ودمروا ٢٠ سفينة كانت راسية في الميناء، منها ٩ سفن ضخمة من نوع داو[2].

ومن لنجه توجهت الفرقاطة كارولين مع عدد من سفن النقل إلى منطقة الباطنة للقاء حاكم مسقط والتنسيق معه لتنفيذ هجوم على شناص، وخور كلبا، وخورفكان. وفي الوقت نفسه توجه وينرايت مع بقية قطعات الأسطول إلى القسم الشرقي من جزيرة قشم لمهاجمة ميناء لافت المحصن بقوة، حيث يتواجد القواسم وحلفاؤهم بنو معين.

وفي الساعة الواحدة والنصف من بعد ظهر يوم ٢٦ نوفمبر وصل الأسطول الإنكليزي إلى لافت، حيث تحشد سكانها للدفاع عنها في حصن حجري يقع على قمة مرتفع شديد الانحدار يطل على المدينة، تبلغ سماكة جدرانه ١٤ قدماً، وفيها طلاقات للرمي. ولم يكن للحصن سوى بوابة صغيرة محكمة الإغلاق. وعلى مقربة منها يوجد مرسى كانت ترسو فيه ١١ سفينة من نوع داو.

1-Buckingham, op. cit., Vol. 2. p. 237.

2- Warden, Francis. "Historical Sketch of the Joasmee Tribe of Arabs from the year 1747 to the year 1819", in S. R. B. G. №. 24. Bombay.1856. p. 36.

www.almajidcenter.org

أمضى الإنكليز بقية اليوم في مباحثات غير مثمرة في لافت مع ملا حسين، شيخ قبيلة بني معين، في محاولة منهم لإقناعه بالاستسلام. وعندما فشلوا في ذلك بدأ إنزال القوات في نحو الساعة الثانية من بعد ظهر يوم ٢٧ نوفمبر. وكان الهدف الأول لهذه القوات محاصرة الحصن بشكل تدريجي. إلا أن الرمي على القوات البريطانية من كل حدب وصوب أجبرها على الانسحاب إلى السفن.

وما إن اقتربت السفن البريطانية قليلة الغاطس من الساحل حتى أخذت مدافعها توجه نيرانها إلى الحصن بكثافة، الأمر الذي ألحق به أضراراً فادحة. وفي الوقت نفسه وجه الإنكليز إنذاراً نهائياً إلى حامية الحصن بالاستسلام قبل الساعة الثانية من فجر اليوم التالي؛ وإلا فلن تجد الرحمة من القائد الإنكليزي.

وعند غروب الشمس أعلن ملا حسين عن موافقته على الاستسلام. وفي يوم ٢٨ نوفمبر جرى تسليم الحصن والمدينة إلى وينرايت، الذي سلم قيادة لافت إلى الشيخ درويش، أحد شيوخ بني نعيم، الموالين لحاكم مسقط. ويذكر "لو" أن المدينة، والثروات التي تم العثورعليها في المدينة، والتي تبلغ ٢٠ ألف دولار عدت ملكاً لمسقط[1].

عندما استولت القوات البريطانية على لافت كانت الخسائر التي تكبدتها كبيرة؛ نسبياً: ١١ قتيلاً، و٥٤ جريحاً[2]. أما خسائر القواسم وحلفائهم فقد قدرت ما بين ٨٠ و٩٠ بين قتيل وجريح[3]. بعد ذلك أبحر الأسطول البريطاني إلى "برقة" (بركة)، وهناك انضمت إليه بقية السفن، وتوجه إلى مسقط، التي وصلها في ديسمبر عام ١٨٠٩.

1- Low, op. cit., Vol. 1. p. 332.

٢- يرى لوريمر أن عدد الجرحى كان ٥٥ رجلاً . انظر:

Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p.184.

أما هولي فيرى أن الخسائر في صفوف البريطانيين كانت ثلاثة قتلى - وأربعة عشر جريحاً . انظر:

Hawley, op. cit., p. 122.

3- Kelly, op. cit., p. 119.

www.almajidcenter.org

وفي مسقط جرت عدة لقاءات مع سعيد بن سلطان، وتقرر القيام بحملة مشتركة ضد ميناء شناص[١]، وخور كلبا، وخورفكان. واعتقاداً منه أن الاستيلاء على هذه الموانئ لا يتطلب قوة كبيرة أمر وينرايت طرادين، وسفينة نقل، وكتيبة مشاة بالعودة إلى بومباي. وفي ٢٥ ديسمبر خرج الأسطول من مسقط متجهاً إلى شناص، بينما سلك حاكم مسقط مع قواته الطريق الشمالية بمحاذاة الباطنة. وأثناء تقدم القوات العمانية إلى شناص تعرضت مرات عدة لهجمات تكبدت فيها بعض الخسائر.

وفي ٣١ ديسمبر ظهرت القوات العمانية والبريطانية بالقرب من شناص، حيث كان عليها القيام بمهمة معقدة جداً[٢]. ذلك أن "الدفاع عن هذا الموقع كان مستميتاً؛ وقد قدم المدافعون عنه أقصى درجات البطولة والتضحية والتفاني"[٣].

في الأول من نوفمبر عام ١٨١٠ طلب وينرايت الاستسلام من الحامية المدافعة عن القلعة والمتحصنة بها بشكل جيد. إلا أن المدافعين عن شناص قابلوا هذا الطلب بالاستهزاء[٤]. وقد ذكر مريزي، الذي كان يرافق القوات العمانية، أن الحامية قدمت اقتراحات للتفاوض، وكان هدفها من وراء ذلك كسب الوقت، لحين وصول التعزيزات الوهابية التي أرسلها الأمير سعود من الدرعية لنجدة القواسم.

١- تقع مدينة شناص على ساحل الباطنة في عمان، وهي غير شناص الواقعة على الساحل الشرقي للخليج، فالأولى تعد إحدى ولايات صحار، وتبعد ثلاثين ميلاً شمال غرب مدينة صحار. انظر:

Lorimer, op. cit., Vol. 2/b. pp. 1810-1812.

أما الثانية فتقع على ساحل مكران. وعلى الرغم من أن سكانها ليسوا من القواسم فإنهم وضعوا أنفسهم في حماية شيوخ رأس الخيمة، انظر:

Saldanha, op. cit., p. 5.

2- Kelly, op. cit., p. 119.

3- Warden, Francis. "Historical Sketch of the Joasmee Tribe of Arabs from the year 1747 to the year 1819", in S. R. B. G. №. 24. Bombay. 1856. p. 306.

4- Kelly, op. cit., p. 119.

www.almajidcenter.org

غير أن اقتراحات القواسم لم تلق القبول أيضاً. وفي هذا الوقت أخذت السفن البريطانية تقصف القلعة. إلا أن البعد الكبير لهذه الأخيرة عن الساحل أضعف من تأثير ضربات المدفعية بها[١].

في صباح اليوم التالي جرى إنزال كثيف للقوات البريطانية على الساحل، حيث أقيم لها معسكر. وكانت إحدى السفن تقصف القلعة طوال الليل. ويذكر بكنجهام أنه سقطت على القلعة أربعة آلاف قذيفة[٢].

وعندما أخفقت كل المحاولات في إجبار الحامية على الاستسلام أمر القائد البريطاني بإنزال مدفعين كبيرين من عيار ٢٤ باوند، ومدفعين آخرين من عيار ١٢ باوند من الفرقاطات إلى البر، حيث أخذت هذه المدافع بقصف كثيف للقلعة. وبعد ثماني ساعات من القصف المركز تم إحداث ثغرة في سور القلعة. وفي الساعة الثالثة ظهراً انهار أحد أبراج القلعة. ومع صرخات الكارثة، دوت من القلعة صيحات "الله أكبر"[٣].

على الرغم من استمرار القصف، ظلت الأبراج الأخرى في القلعة صامدة، متحدية. وعندها حاولت القوات الغازية مهاجمة القلعة والاستيلاء عليها بالاقتحام. وكان على القوات العمانية المبادرة في الاقتحام ، وعلى أثر ذلك نشب القتال وكان وجهاً لوجه بالبنادق والمسدسات، بالرماح والحراب، بالسيوف والخناجر. وكانت المعركة من الضراوة بحيث لم تشهد لها الحملة مثيلاً. وفي الساعة الخامسة مساء تمكنت القوات البريطانية من الاستيلاء على القسم الأكبر من القلعة. إلا أن الصراع لم ينته بعد.

1- Isow, op. cit., Vol. 1. pp. 333-334.
2- Buckingham, op. cit., Vol. 2. p. 243.
3- Mansur, Shaikh (Maurizi, Vincenzo). op. cit., p. 61.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

وصف المقدم سميث المرحلة الأخيرة من القتال بكثير من الدقة عندما قال: "إنه من الصعب تصور مقاومة أكثر ضراوة من تلك التي أبداها عدونا هنا. فعلى الرغم من تحول تحصيناته إلى ما يشبه الأنقاض، وتناثر الجثث المشوهة لمعظم مقاتلي الحامية على الأرض هنا وهناك، وعلى الرغم من إن المدافعين باتوا بحالة ميؤوس منها بعد احتلال الإنكليز والعمانيين للقسم الأكبر من قلعتهم، فقد استماتوا في المقاومة، وكانوا يطلقون علينا النار من برجين صعب علينا تدميرهما، كما لم نستطع تجنبهما"[١].

استمرت المعركة طوال الليل، وعمل الإنكليز خلالها على تحطيم مقاومة القواسم باستخدام المدافع، وبعد أن جرى تدمير القلعة بأكملها تمكنا من أسر ٧١٠ أشخاص من القواسم[٢].

تباينت الآراء في تقدير الخسائر التي مني بها القواسم في معركة شناص تبايناً كبيراً؛ فجون لوريمر قدر عدد من قضى من القواسم بنحو أربعمائة رجل، بينما قدر مريزي العدد بأكثر من ثمانمائة رجل[٣]، أما "بكنجهام"، و"لو" فقد قدرا خسائر القواسم بأكثر من ألف إصابة[٤].

أما خسائر الإنكليز الذين استخدموا الأسلحة النارية، ودفعوا بالعمانيين لشن الهجوم على القواسم والاشتباك معهم بتماس مباشر، فقد كانت ضئيلة بصورة تدعو إلى الدهشة: بلغ عدد قتلاهم جندي واحد، وجرح أحد عشر شخصاً من بينهم ضابطان[٥]. أما

1- Kelly, op. cit., p. 120.

٢- العقاد، صلاح: الاستعمار في الخليج الفارسي، القاهرة، (بدون عام) [١٩٥٦]، ص ٧٧.

٣- انظر:

Mansur, Shaikh (Maurizi, Vincenzo) ., op. cit., pp. 62-63.

4- Buckingham, op. cit., Vol. 2. p. 243.;
Low, op. cit., Vol. 1. p. 334.

5-Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p. 643.

www.almajidcenter.org

الخسائر التي تكبدها العمانيون فقد كانت جسيمة، حسب كيلي[١]، في حين قدر مريزي عدد قتلى العمانيين بخمسين رجلاً[٢]؛ بينما رأى لوريمر إن عددهم يتراوح بين ثلاثين وأربعين شخصاً[٣].

جرى تسليم القلعة إلى العمانيين، وكانت مدمرة لدرجة أن سعيد بن سلطان لم يجد ضرورة في الإبقاء على حامية من قواته فيها. وبعد معركة شناص درس القادة الإنكليز الموقف ليقرروا ما إذا كانوا سيواصلون تنفيذ خطتهم الأساسية بمهاجمة خورفكان، وخور كلبا، بعد أن رفض سعيد بن سلطان المشاركة في الهجوم، بحجة أنهم سيواجهون مقاومة ضارية كتلك التي واجهتهم في شناص.

وفي هذا الوقت وصلت بأمر من سعود فرقة من القوات الوهابية بقيادة مطلق المطيري قادمة من الدرعية لنصرة القواسم في رأس الخيمة؛ إلا أن وصول هذه القوات، المؤلفة من ٣٠٠٠ مقاتل، والتي استخدمت ألف بعير للانتقال، لضمان أقصى سرعة تحرك ممكنة، كان متأخراً[٤]. وعندما وجد قائد القوات الوهابية، مطلق المطيري أنه قد تأخر على تقديم المساعدة لقواسم رأس الخيمة سارع بالتحرك لنجدة شناص، لكنه وصلها متأخراً أيضاً، ووجد أن القوات البريطانية والعمانية على أهبة الاستعداد للتصدي لأي هجوم يشنه عليهم.

بعد تقدير الموقف العسكري قرر مطلق المطيري، وهو القائد الخبير بشؤون الحرب عدم المخاطرة بشن هجوم على الأعداء، وإنما التعسكر في واحة مواجهة لفرقة القوات البريطانية المعسكرة على الساحل. وبقي الطرفان في وضع التربص بالآخر ثلاثة أيام كاملة،

1- Kelly, op. cit., p. 120.
2- Mansur, Shaikh (Maurizi, Vincenzo). op. cit., p. 63.
3- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p. 443.
4- Mansur, Shaikh (Maurizi, Vincenzo). op. cit., pp. 61-63.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

وبعدها قرر سميث سحب القوات البريطانية إلى السفن، ونصح سعيد بن سلطان بسحب قواته أيضاً.

وفي فجر يوم الرابع من يناير صعدت القوات البريطانية وحاكم عمان مع عدد من قواته إلى السفن البريطانية. وبقي ٤٠٠٠ مقاتل عماني بقيادة سيد عزان متمركزين على الساحل في انتظار سحبهم أيضاً[١]. وبعد تقدير للموقف انقض مطلق المطيري على القوات العمانية المتبقية واندلعت معركة لمدة ساعتين فقط خسر العمانيون خلالها ألفي قتيل، ولاذت البقية بالفرار.

يذكر مريزي أن سميث عقد معاهدة مع القائد الوهابي مطلق المطيري تعهد فيها الأخير بعدم مهاجمة السفن البريطانية في الخليج العربي، بينما تعهد سميث بعدم التدخل في النزاعات العمانية الوهابية[٢]. وهذه المعاهدة تعد دليلاً على خيانة الإنكليز لحليفتهم عمان. الأمر الذي لم يشر إليه أحد من المؤرخين الإنكليز أو يعره أية أهمية.

توجه الأسطول البريطاني بعد مغادرة شناص إلى الخليج العربي في ١٥ يناير عام ١٨١٠ من أجل تمشيط السواحل من جديد، وتمكن من إغراق ١٠ سفن قاسمية كبيرة في الرمس، و ٨ في جزيرة الحمراء، و٤ سفن تابعة للشارقة في ميناء مغوه، أما الداوات التي كانت موجودة في الشارقة وعجمان، فقد استطاعت الإفلات من مصير الغرق[٣].

لم يكن من السهل إبرام أية معاهدة في هذا الوقت مع القواسم؛ إذ من الواضح تماما أنهم أخذوا يسيرون في مدار السياسة السعودية ـ الوهابية. وبغية عقد أية معاهدة معهم كان لا بد من إقامة علاقات مع الأمير سعود. الأمر الذي كان دنكان يتحاشاه تماماً.

١ - العابد، صالح محمد، (مرجع سابق)، ص ٢٦٠.

2- Mansur, Shaikh (Maurizi, Vincenzo). op. cit., p. 66.

3- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. pp. 184, 648.

www.almajidcenter.org

على الرغم من أن الحملة العسكرية البحرية التي جردتها بريطانيا ضد القواسم قد حققت انتصاراً عسكرياً بإغراق بضع عشرات من سفن الأخيرين، وتدمير ميناء رأس الخيمة تدميراً تاماً مع عدد من الموانئ على الساحل الفارسي، فإن قيادة الحملة فشلت في تنفيذ جميع المهام التي أسندت إليها؛ إذ تمكن القواسم من إنقاذ القسم الأكبر من أسطولهم من المصير القاسي، بأن توارى عن الأنظار في خلجان صغيرة في القسم الغربي من شبه جزيرة مسندم، التي لم تكن معروفة للإنكليز.

ولحسن حظ القواسم أن القسم الأكبر من أسطولهم كان بعيداً عن موقع الأحداث، إذ كان في رحلات تجارية في منطقة البحر الأحمر، وشرق إفريقيا[1]. ومع ذلك اعتقدت قيادة الحملة والحكومة البريطانية في الهند بأن الضربة القاسية التي تلقاها القواسم جعلتهم عاجزين عن القيام بأية أعمال لفترة طويلة.

غير أن الأيام برهنت على خطأ الإنكليز في هذا الاعتقاد. فالواقع أن النتيجة الوحيدة التي أسفرت عنها الحملة البريطانية على رأس الخيمة في عام ١٨٠٩ لم تكن سوى إضعاف مؤقت لنشاط القواسم البحري.

1- Kelly, op. cit., pp.121, 123.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

www.almajidcenter.org

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة... وعطاء مستمر

www.almajidcenter.org

الفصل السابع

التنافس بين القواسم وبريطانيا

(١٨١٠ – ١٨١٩)

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة ... وعطاء مستمر

www.almajidcenter.org

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة ... وعطاء مستمر

www.almajidcenter.org

استئناف القواسم لنشاطهم البحري:

سعت حكومة الهند في هذه الفترة إلى إقامة علاقات صداقة مع الوهابيين، خلافاً للنهج الذي تسلكه. وكانت تهدف من وراء ذلك إلى عزل القواسم عن الوهابيين من جهة، وامتصاص ردة فعل الأمير سعود السلبية من الحملة التي جردتها بريطانيا ضد القواسم من جهة ثانية.

في عام ١٨٠٧ بدأ مساعد المقيم في بوشهر، ن. هـ. سميث (N. H. Smith) بمراسلة الأمير سعود بن عبد العزيز، وتبادل معه الهدايا. أما منستي فقد أجرى اتصالاً مع وكيل السعوديين في الكويت. وفي هذه المرة قرر الإنكليز إشراك القرصان رحمة بن جابر[1]

١- رحمة بن جابر هو شيخ عائلة الجلاهمة من قبيلة العتوب.

في عام ١٧٨٢ استولى الجلاهمة مع آل خليفة على البحرين. إلا أنه وقعت خلافات فيما بينهم اضطرت الجلاهمة لمغادرة الجزيرة والإقامة في منطقة خور حسان، شمال الزبارة (في الدوحة). ومنذ ذلك الحين وقف رحمة بن جابر ضد أقربائه من قبيلة العتوب في البحرين، وعائلة آل الصباح في الكويت، وأخذ يهاجم سفنهم وقوافلهم التجارية. ونتيجة لذلك أُطلق عليه لقب القرصان الكبير، والقرصان العظيم. تحالف الشيخ رحمة مع كل من يساعده لقتال حكام البحرين؛ ففي عام ١٨٠٩ انضم إلى الحركة الوهابية، واشترك مع القواسم في حربهم ضد العتوب والفرس، لكنه انهزم في إحدى المعارك بالقرب من منطقة الوكرة.

عندما عقد الأمير سعود اتفاقية سلام مع حكام البحرين عام ١٨١١ تخلى الشيخ رحمة عن الوهابيين فوراً. ونتيجة للمعارك اضطر رحمة بن جابر لمغادرة قاعدته الأساسية في خور حسان عام ١٨١٦، وبعدها رحل عن الدمام إلى أن وجد له مأوى في بوشهر.

تحالف رحمة بن جابر مع العمانيين بعد خلافه مع الوهابيين، وفي عام ١٨١٦ عرض مساعدته على حكومة بومباي بوساطة العمانيين، وسرعان ما برهن للإنكليز أنه صديق وفي. وقد بلغ حكومة بومباي أنه قام بأسر عدد من السفن القاسمية.

بعد هزيمة الوهابيين أمام المصريين رجع الشيخ رحمة بن جابر إلى الدمام واستأنف أعمال السلب والقرصنة ضد سفن آل خليفة وآل الصباح. وفي عام ١٨٢٧(*) تعرضت سفينة رحمة بن جابر إلى هجوم بقيادة أحمد بن سليمان، ابن أخي حاكم البحرين. وعندما وجد نفسه محاصراً بسفن العتوب حمل ابنه، وأشعل نرجيلة وقذف بها إلى مستودع البارود في سفينته. فانفجرت السفينة وفي الوقت نفسه أحرقت السفن التي هاجمته. لزيادة التعرف على رحمة بن جابر الجلاهمة انظر:

Lorimer, op. cit.;

www.almajidcenter.org

كوسيط. ولهذا بعث و. بروس (W. Bruce)، المقيم البريطاني في بوشهر إلى الحكومة في بومباي، يخبرها بأنه أرسل إلى رحمة بن جابر رسالة في ٤ مارس عام ١٨١٠ مرفقاً بها رسالة إلى الأمير سعود يطالبه فيها باستخدام نفوذه للضغط على شيخ القواسم، ورعاياه لوقف أعمال القرصنة، أو أي عمل عدائي في عرض البحر[١].

أظهر الأمير سعود في رسالته الجوابية إلى المقيم البريطاني، الذي أرسلها بدوره إلى بومباي فيما بعد، استخفافاً بالحملة العسكرية البريطانية ضد القواسم، وقد جاء في الرد: "يجب أن لا يزدهيكم حرق عدد من السفن لأنها عديمة القيمة في نظري، ونظر أصحابها، وبلادنا". وأشار الأمير سعود في رسالته إلى أن السلطات البريطانية قد خدعها حاكم مسقط، الذي دفعها إلى التدخل في شؤون لا تعنيها، ومع ذلك فهو مستعد للصفح عنها.

وقد قال في هذا الخصوص: "... بما إنكم تطلبون السلام، فذلك يعني أن ما حدث من جانبكم كان نتيجة لعدم تبصر منكم. لقد بتم أضحوكة بسبب شخص لا يملك سيطرة على نفسه (يقصد سعيد بن سلطان ـ المؤلف)، ولم تكونوا قادرين على إدراك نتائج ذلك. وتحت هذه الظروف، أرى من الضرورة إعلامكم بأنني لن أقترب من سواحلكم، ومنعت أتباع العقيدة المحمدية وسفنهم من إلحاق أي ضرر بسفنكم...".

وأشار الأمير سعود إلى أنه يرحب مع رعاياه بالتجار البريطانيين في الموانئ العربية، ويتوقع بالمقابل الترحيب برعاياه في موانئ الهند البريطانية. وأعرب عن أمله في أن

قاسم، جمال زكريا : دولة آل بو سعيد في عمان وشرق أفريقيا (١٧٤١-١٨٦٤)، القاهرة، ١٩٦٧؛

قاسم، جمال زكريا : الخليج العربي (دراسة لتاريخ الإمارات)، (١٩١٤-١٩٤٠)، القاهرة، ١٩٦٦؛

Warden, Francis. "Sketch of the Proceedings (from 1809 to 1818) of Rahman bin Jabir, Chief of Khor Hassan" in S. R. B. G. №. 24. Bombay, 1856.

(*) سبق للمؤلف وأن ذكر في الفصل الأول بأن وفاة رحمة حدثت في عام ١٨٢٨، وليس عام ١٨٢٧ كما يشير هنا..... المترجم.

1- Political Department Diaries. op. cit., № 355/1810., pp.1996-2004.

www.almajidcenter.org

تمتنع حكومة الهند البريطانية عن القيام بأعمال عدائية على سواحله، وأن لا تتدخل في نزاعاته مع جيرانه. واختتم الأمير سعود رسالته بموعظة تقول بأن "الحرب مُرَّة لا يخوضها إلا أحمق "[1].

اقترح السكرتير العام للحكومة البريطانية ف. واردن، الذي استحسن رد الأمير سعود الإيجابي، أن يكون الرد على رسالة الأمير سعود الجوابية من حاكم بومباي شخصياً، وأن يبين فيها بوضوح تطلع الإنكليز لتحسين العلاقات مع الوهابيين.

وفي التاسع من أغسطس بعث دنكان برسالة إلى الأمير سعود أعرب فيها عن ارتياحه من منع الأمير لرعاياه من التعرض للسفن البريطانية. وأكد له أن الحكومة البريطانية غير معنية في الخلافات القائمة فيما بين المسلمين، لكنها معنية بما ترتكبه القبائل الساحلية من أعمال قرصنة[2].

ووفقاً لذلك أصدرت سلطات الهند البريطانية تعليماتها بعدم التدخل في النزاعات القائمة في عمان. وخلافاً للاتفاقيات الموقعة مع حاكم مسقط، لم يستأنف المقيم البريطاني أعماله في مسقط[3].

من الإجراءات الفعالة والمؤثرة التي اتخذتها سلطات الهند البريطانية ضد القواسم، فرضها حظر تصدير الأخشاب إلى الخليج العربي من جميع مناطق الهند، التي تسيطر عليها السلطات البريطانية للحيلولة دون بناء القواسم للسفن. وهدفها من ذلك القضاء التام على قوتهم البحرية. وقد أتى قرار الحظر هذا استجابة لتوصيات "ص. منستي"، المقيم البريطاني في البصرة، التي لاقت تأييداً ودعماً كبيرين من "ج. مالكولم".

1- Political Department Diaries. op. cit., № 358/1810., pp. 3066-3069
2- Political Department Diaries. op. cit., №360/1810., pp.4163-4165.
3- Kelly, op. cit., p 125.

www.almajidcenter.org

كان الهدف الأساسي من هذا الحظر حرمان العرب، ولا سيما القواسم، من إمكانية بناء السفن الحربية، والمراكب التجارية. غير أن هذا القرار لم يجد نفعاً لفترة طويلة؛ إذ وجد العرب طرقاً غير مباشرة لاستيراد الخشب من منطقة "ترافنكور" (Travancore) الهندية، التي لم تكن خاضعة للسيطرة البريطانية[١].

بينما كانت المحاولات قائمة لتحسين العلاقات بين حكومة الهند البريطانية والسعوديين، ورحمة بن جابر، كان القواسم يعملون على استعادة قوتهم البحرية التي فقدوها إثر تعرض رأس الخيمة للهجوم البريطاني عام ١٨٠٩. وظهر أن الخسائر التي لحقت بحلفهم القبلي كانت محدودة. ولهذا كان من الطبيعي أن يستأنف العرب عملهم البحري، الذي يعد مصدر دخلهم الرئيس.

يقول لوريمر أن القرصنة توقفت خلال الفترة المتبقية من عام ١٨١٠ وعلى مدى عام ١٨١١. وقد أرجع ذلك لوجود طرادي شركة الهند الشرقية المعظمة بناريس (Benares)، وبرنس أوف ويلز (Prince of Walse)، اللذين كانا يطوفان مياه الخليج بين الحين والآخر. "إلا أنه في عام ١٨١٢ شوهدت علامات دلت على أن القواسم عادوا مرة أخرى لممارسة أعمالهم الدنيئة"[٢].

أما كيلي فيعمل على إثبات أن القواسم تمكنوا من تعويض خسائرهم بالسفن ببناء داوات جديدة من أخشاب ترافنكور، وغيرها من المناطق غير الخاضعة للسيطرة البريطانية، وأنهم عززوا قوتهم في مياه الخليج في نهاية عام ١٨١٢، واستأنفوا أعمال القرصنة من جديد.

1- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p. 649.
2- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p. 650.

www.almajidcenter.org

غير إنه لا يوجد ما يثبت رسمياً أقوال كيلي هذه، ولا سيما إن الفرقاطة الملكية "هسبر" (Hesper) قامت، بطلب من حكومة بومباي، بالتفتيش بحثاً عن سفن للقواسم في الفترة من نوفمبر عام ١٨١٢ إلى فبراير عام ١٨١٣، وكانت تطوف الخليج كاملاً: من مضيق هرمز حتى الميناء القريب من مصب شط العرب، ومنه إلى مسقط، لكنها لم تعثر على أية سفينة قرصنة[1].

وبعبارة أخرى يحاول كل من لوريمر وكيلي التأكيد على أن القواسم أذعنوا لإرادة الإنكليز خلال عامي ١٨١٠ و١٨١١، وأنهم في عام ١٨١٢ عادوا "كما يشاع" لممارسة أعمال القرصنة، الأمر الذي جعل السفن البريطانية تجوب الخليج العربي بأكمله للتحقق من تلك الشائعات، لكنها لم تجد ما يؤكد ذلك.

في هذه الفترة تعرضت الدولة السعودية الأولى لحملة عسكرية قادها محمد علي باشا، وانتهت بسقوط الدرعية. ولعل هذا ما جعل القواسم يحجمون عن القيام بأي عمل، سواء ضد حاكم مسقط، أو ضد الإنكليز. وفي هذا الوقت كان ممثلو الوهابيين يسيطرون على رأس الخيمة، وكان سلطان بن صقر ينتظر الفرصة المناسبة ليعود مرة أخرى شيخاً أعلى لحلف القواسم القبلي.

استغل سعيد بن سلطان الوضع الصعب الذي يمر به القواسم، وقرر مهاجمة رأس الخيمة بمساعدة الإنكليز. وقد ذكر كيلي أن بروس رافق حاكم مسقط في هذه الحملة، التي باءت بالفشل عام ١٨١٣ بطراد بريطاني.

ويبدو أن هذا الفشل كان السبب في جعل المؤرخين الإنكليز من أمثال لوريمر، وكيلي ينشرون الشائعات الجديدة، كدأبهم، عن قيام القواسم بأعمال قرصنة. ويبدو أن

1- Kelly, op. cit., pp. 129-130.

www.almajidcenter.org

هذين الشخصين حكما على القواسم مسبقاً بأنهم قراصنة. وعملا على إثبات هذه "التهمة" بشتى السبل، خلافاً للوقائع الواضحة؛ لدرجة أنها غيرا في تسلسل مجرى الأحداث، بالشكل الذي يخدم ادعاءاتهما، بصرف النظر عما إذا كان ذلك سيؤدي إلى جلاء الحقيقة أو إخفائها.

فها هو لوريمر مثلاً يقول إن القواسم هاجموا في عام ١٨١٣ عدة سفن محلية كبيرة تابعة للبصرة وكنكون (Kangun) ونهبوها. وهذا ماتعرضت له أيضاً بعض سفن يملكها رعايا بريطانيون هنود، وكانت ترفع العلم البريطاني، فيما بقيت سفن أخرى حبيسة الموانئ في الهند لا تجرؤ على الإبحار بسبب الخطر المتزايد في البحر[١].

ومثل هذه الادعاءات العارية تماماً عن الصحة، يرددها كيلي أيضاً عن طيب خاطر؛ فها هو يقول إنه في خريف عام ١٨١٣، أخذت داوات القواسم تظهر فجأة على السواحل الشمالية للهند، وإن هذه الداوات استولت في بداية عام ١٨١٤ على عدد من السفن على ساحل كاثياوار (Kathiawar)[٢].

من المعروف أن الدقة في المعلومات، والأمانة في نقلها لم تكن من فضائل لوريمر؛ ولهذا يجدر بأي باحث أن يتوخى الحيطة والحذر عند التعامل مع ما يطرحه هذا المؤرخ، وأن ينظر إلى ذلك أولاً بعين الناقد. كما يجب عدم استبعاد أن يقوم كيلي، على الأقل، بتقديم أية أدلة غير حقيقية لتأكيد التهم الخطيرة التي توجه إلى القواسم.

1- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p. 650.

٢- كاثياوار، شبه جزيرة على الساحل الغربي للهند . وهي تقع جنوب خليج كيتش، وكان ميناؤها الرئيس ديو. انظر:

Kelly, op. cit., p.130.

www.almajidcenter.org

لقد جاء في رسالة بعث بها حاكم السند، "مير غلام علي خان جلبور" إلى دنكان تناول فيها هذه الأحداث: "... لقد علمت مؤخراً أن سفينتين تحملان بضائع قد تعرضتا إلى القرصنة البحرية بينما كانتا تبحران من بومباي إلى "بغونهار"، وأن القراصنة اقتادوهما ونهبوا ما كانتا تحملان من بضائع. وذكر مير غلام علي خان فيما بعد أنه يعتقد أن عملية القرصنة هذه تمت على يد القراصنة المحليين.

لم يحاول حاكم السند توجيه أصابع الاتهام إلى القواسم بأي شكل كان، خلافاً لحاكم بومباي، دنكان، الذي حاول، وفشل في ذلك؛ إذ قال في رده على حاكم السند: "لقد علمت أن المأوى الرئيس للقراصنة في الصير، التي هي، حسب علمي "بلدة صغيرة"، أو "جزيرة" تقع على حدود ممتلكات سموكم، وآمل من سموكم أن تقضوا عليهم جميعاً، ليس هناك فقط، إنما في كل مكان يقع ضمن ممتلكات سموكم"[1].

مما لا شك فيه أن هذا الدمج، والجهل الذي أظهره دنكان بموقع الصير يمكن أن يوقع في حيرة وارتباك، إذا لم يكن ذلك أمراً مقصوداً؛ إذ من غير المنطقي أن ينسب حاكم بومباي "الصير"، التي تقع في شبه الجزيرة العربية إلى حاكم السند، بل ويعدها من أملاكه، حتى أنه يسميها جزيرة.

إن مثل هذا الخلط والجهل، إلى جانب التزوير الواضح للوقائع يتضح أيضاً في حادثة وقعت للسفينة ماكولاي (Macculay). فبينما تشير المعلومات المأخوذة من أرشيف بومباي إلى أن الحادثة وقعت في عام ١٨١١ يقول لوريمر عنها أنها وقعت عام ١٨١٦، وأنها كانت هجوماً فاشلاً نفذه القواسم[2].

1- Political Department Diaries. op. cit., № 353/1810.
2- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p. 195.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

وليس غريباً أن يدعم كيلي هذا الادعاء، حتى دون أن يقدم أي إثبات. وقد قال في ذلك أن ماكولاي تعرضت إلى المطاردة والرمي من سفن القواسم في بداية عام ١٨١٦[١]. والجدير بالذكر أن قبطان السفينة ودينغتون لم يرفع - كما هو مفروض - أي تقرير رسمي في هذا الأمر. وهذا يعني أنه، إما لم يحدث شيء، أو أن ما حدث لم يكن من الأهمية بشيء. غير أن ما حصل لاحقاً يبين أنه تم تضخيم الحادثة لدرجة أن وزارة البحرية في حكومة بومباي طالبت بإجراء تحقيق فيها.

وفي ٢٣ فبراير عام ١٨١١ جاء في وثيقة رسمية لهذه الوزارة ما يلي: "... يؤكد قائد السفينة أن أربع سفن كبيرة وسبع عشرة سفينة صغيرة هاجمت سفينته ماكولاي بالقرب من "باليور"، وأنها قامت على مدى ثمان ساعات بعدة محاولات لأخذها بالمصادمة. وعندما أخفقت في ذلك تركتها واتجهت غرباً، مما أفسح المجال لسفينته لمتابعة طريقها وهي ترفع العلم البريطاني.

لقد ذكر ودينغتون أنه صرخ بالقراصنة أكثر من مرة، وأبلغهم أن هذه السفينة بريطانية، إلا أن ذلك لم يترك فيهم أي أثر، ولم يمنعهم من محاولة الهجوم على ماكولاي. وعند وصول السيد ودينغتون إلى مسقط علم بأن أسطول القرصنة هذا استولى على عدد من السفن من هذا الميناء، وعلى داوين كبيرين من البصرة، وأن هؤلاء "القراصنة" قسم من أولئك الذين فروا من رأس الخيمة، وأقاموا على جزيرة تقع في القسم الجنوب الغربي من الخليج ظن أن اسمها "بمباسا"، ثم علم أن اسمها الدقيق "بو موسى"[٢].

من المهم الإشارة هنا إلى أن ودينغتون أكد - كما جاء في الوثيقة - على أن سفينته تعرضت لهجوم بما لا يقل عن ٢١ سفينة، وأنه دارت معركة لمدة ثمان ساعات. لكن الغريب

1- Kelly, op. cit., p. 132.
2- Political Department Diaries. op. cit., № 370/1811. pp. 919-922.

www.almajidcenter.org

أنه لم يذكر أي شيء عن وقوع أضرار أو إصابات بين الناس؛ إذ من غير المعقول وقوع معركة لمدة ثمان ساعات دون أن تكون هناك خسائر تذكر، حتى ولو من طرف واحد.

ويبدو جلياً أن قائد السفينة أدرك وهو في مسقط أنه وسط أعداء للقواسم، وأنه جرى إقناعه هناك بأن السفن التي هاجمته تتبع لرأس الخيمة، حتى وإن كان المهاجمون قد أقاموا بعض الوقت في جزيرة بو موسى. ونظراً لأن وليم بروس بدأ بإقامة علاقات ودية مع رحمة بن جابر، فقد جرى إفهام القبطان الإنكليزي بأن لا علاقة لهذا القرصان بالهجوم على سفينته ماكولاي.

سرعان ما ظهرت ردود فعل السلطات البريطانية على هذه الحادثة. ففي الأول من مارس عام ١٨١١ اتخذ حاكم بومباي القرار التالي: ".... وبخصوص ما نشرته صحيفة اليوم عن قيام بعض سفن القراصنة بالهجوم على السفينة ماكولاي في الخليج الفارسي... فقد أمرت بتجهيز السفينتين ميركوري، وبرنس أوف ويلز، والاستعداد لتأدية عملهما في الخليج ضد أولئك الذين يعدون قراصنة بحق، ويوجهون أعمالهم العدوائية ضد التجارة البريطانية... "[1].

من الواضح تماما أن حكومة بومباي قررت، بعد فشل حملتها عام ١٨٠٩-١٨١٠ على رأس الخيمة للقضاء على حلف القواسم القبلي، توجيه ضربة أقوى تشل قدرة العرب على إعادة تنظيم أنفسهم وبناء قوتهم البحرية من جديد.

بينما كان بروس في بوشهر يتحالف مع قرصان الخليج الحقيقي، رحمة بن جابر، حاولت الحكومة البريطانية إرسال حملة عسكرية بحرية ضد من تزعم أنهم قراصنة؛ وقد

1-Political Department Diaries. op. cit., № 370/1811. pp. 914- 918.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

أحدث هذا التناقض خلافاً في مجلس مديري شركة الهند الشرقية، عندما استأنف مناقشة قرار خاص بالإجراءات الواجب اتخاذها لمكافحة القرصنة.

وعندها أشار ريتشارد، أحد أعضاء مجلس مديري الشركة، في مذكرة عرضها على المجلس، إلى رسالة وصلت مؤخراً من القائم بأعمال المقيمية في بوشهر، جاء فيها أن رحمة بن جابر عاد لممارسة أعمال القرصنة من جديد، وأنه توجه بخمس سفن كبيرة إلى عرض البحر بهدف القرصنة. وعليه، وأخذاً بعين الاعتبار المكان الذي وقع فيه الهجوم على السفينة ماكولاي، فإن كل الدلائل تشير إلى أن من قام بالهجوم هو إما هذا القرصان الحقيقي، أو أتباعه[1].

ومع ذلك بقيت حكومة بومباي على سياستها؛ إذ سرعان ما أرسل دنكان رسالة إلى حاكم مسقط يطلب منه المساعدة في مكافحة القرصنة، وبالطبع كان يقصد قرصنة القواسم، الذين فر قسم منهم من رأس الخيمة، وأقام في جزيرة بو موسى المقفرة".

وفي الوقت نفسه بعثت حكومة بومباي رسالة أخرى إلى الكابتن سيسلي، قائد الطراد بناريس، العائد لشركة الهند الشرقية تأمره فيها بالقضاء على القواسم - القراصنة، "دون التعرض للقرصان الحقيقي رحمة بن جابر"[2]. يلاحظ من هذه الرسالة مدى اهتمام حكومة بومباي بهذا الشيخ القرصان.

بغية تبرير السياسة العدوانية التي تنتهجها حكومة بومباي، جرى تزوير واضح للوقائع، ونُشرت أكاذيب كثيرة. منها أن سفن (داوات) القواسم أخذت تظهر على الساحل الشمالي للهند في خريف عام ١٨١٣، وأنها استولت في بداية عام ١٨١٤ على عدد من السفن

1- Political Department Diaries. op. cit., № 370/1811. pp. 1182-4.
2- Political Department Diaries. op. cit., № 371/1811. pp. 1358-60, 1494-1501.

www.almajidcenter.org

بالقرب من سواحل كاثياوار، الأمر الذي دفع حكومة بومباي لإرسال طرادات حربية للبحث عنها، وتحذيرها من مغبة التواجد في المياه الهندية[١].

ولعل هذه السفن هي السفن التي تحدث عنها لوريمر عندما قال: "وفي أغسطس عام ١٨١٤ استولى القراصنة العرب على عدد من السفن المحلية بالقرب من بور بندر، مع أنها كانت ترفع العلم البريطاني"[٢].

الغريب أن حكومة بومباي طلبت من بروس، المقيم في بوشهر، بموافاتها بتقرير مفصل عما جرى بالقرب من الساحل الهندي، مع أن هذا الساحل أقرب من بومباي بكثير مما هو بالنسبة لأبو شهر. وعندها أظهر بروس حماساً كبيراً لذلك، وسارع بإعداد ثلاث رسائل: واحدة إلى بومباي، وأخرى إلى الأمير "سعود؟"، وثالثة إلى الشيخ حسن بن رحمة، شيخ القواسم. وفي هذه الرسائل وجه بروس اتهاماً إلى القواسم بالقيام بأعمال قرصنة قرب الساحل الهندي.

تلقى بروس رداً من الأمير عبد الله بن سعود (الذي توفي والده سعود بن عبد العزيز في مايو عام ١٨١٤) جاء فيه: "وصلني خطابكم في الوقت الذي كان حسن بن رحمة [٣]، أمير القواسم بيننا، وقد علم بمضمون خطابكم، وكان رده أنه، حسب علمه لم يستول على ممتلكات للإنكليز". وكانت آخر جملة في رسالته واضحة جداً، ومسالمة للغاية، وهي: "أرجو إخباري من هم أتباعكم، وما هي العلامات المميزة لسفنهم؛ إذ هناك سفن

1- Kelly, op. cit., p. 130.
2- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p. 196.
٣- بعد انتهاء فترة حكمه كنائب وهابي لحلف القواسم أمر سعود بن عبد العزيز بإعادته إلى منصبه السابق، شيخاً على ميناء الرمس. انظر:
Saldanha, op. cit.,p. 143.

www.almajidcenter.org

لمحمديين حقيقيين تجوب البحار باستمرار". غير أن كيلي فسر هذه العبارة بأن "هجوم القواسم سيستمر على السفن غير البريطانية"[١].

أما حسن بن رحمة فقد كانت لهجة رسالته التي بعث بها إلى بروس أكثر مسالمة؛ فهو لم يوجه أي تهديد، ولم يحاول المراوغة عن جوهر القضية. وقد أكد لبروس في رسالته أنه على استعداد لإعادة كل ما يَثبت أنه لديه. ومما جاء في الرسالة: "... هناك بعض القبائل التي ترتاد سفنها أيضاً هذه المنطقة (يقصد سواحل الهند ـ المؤلف) ومنهم القواسم أتباع السيد سعيد، إمام مسقط وغيرهم ممن يستولون على الممتلكات ومن ثم يتهموننا بأننا نحن من قمنا بهذا الفعل ". وجاء في الرسالة أيضاً أن "الاتفاقيات والمعاهدات الموقعة بيننا وبينكم لا زالت قائمة ومستمرة بيننا، ونحن نتطلع إلى تقويتها وتعزيزها ..."[٢].

تدل الوقائع بما لا يدع مجالاً للشك بأنه تشكل لدى بروس، بعد استلامه هذه الرسائل قناعة تامة بأن قواسم رأس الخيمة لم يستولوا على أية سفينة بالقرب من الساحل الهندي؛ إلا أن المؤرخين الإنكليز يفضلون، لسبب ما، غض الطرف عن هذه الحقيقة.

اتفاقية بوشهر عام ١٨١٤:

قبل وفاة الأمير سعود بن عبد العزيز في مايو عام ١٨١٤ قام بمبادرة سياسية دبلوماسية؛ فقد أوفد مبعوثين إلى كل من فارس ومسقط لإجراء مباحثات مع حكومتي الدولتين. وكان هدفه من هذه الخطوة السياسية تأمين المجنبة الشرقية لدولته بعض الشيء؛ إذ أن الضغط المصري بدأ يتزايد عليه من جهة الغرب.

1- Kelly, op. cit., p. 131.
2- Political Department Diaries. op. cit., № 419/1815., pp. 125-128.

www.almajidcenter.org

توجه إبراهيم بن عبد الكريم مبعوث الأمير سعود إلى فارس، واجتمع في بوشهر مع المقيم البريطاني وليم بروس، ونقل له رغبة السعوديين بإقامة علاقات صداقة متينة مع الحكومة البريطانية[١]. وفي الوقت نفسه توجه محمد بن سليمان إلى حاكم مسقط، موفداً من الأمير سعود كرسول سلام، ومبعوث الإرادة الطيبة في محاولة لحل الخلافات بين السلطان سعيد، وشيخي القواسم حسن بن رحمة، وسلطان بن صقر. وفي الوقت نفسه كان هذا الموفد الوهابي مكلفاً أيضاً بالاتصال بالإنكليز وإقامة علاقات صداقة معهم.

لاقت مبادرة الأمير سعود استجابة من الإنكليز؛ إذ ما إن وصل محمد بن سليمان إلى مسقط حتى تلقى رسالة من "إ. نيبين "(Nepean)، الحاكم الجديد لبومباي، رحب فيها بإقامة علاقات صداقة مع السعوديين. لكنه لم يخف قلقه من استمرار الهجوم على السفن البريطانية من قبل القواسم والعتوب. وقال في هذا الخصوص: "... إنهم يهاجمون سفن رعايانا ويأسرونها حتى وإن كانت ترفع علمنا، وتحمل رخصنا"[٢].

في الوقت الذي كانت تجري فيه اللقاءات الدبلوماسية، وقعت حادثة أخرى لسفينة ترفع العلم البريطاني. وكدأبهم، وجه الإنكليز أصابع الاتهام إلى القواسم؛ فها هو لوريمير يقول عن هذه الحادثة: "في عام ١٨١٤ هاجم شيخ شراك (Charak) سفينة محلية تدعى "أحمد شاه"، كانت ترفع العلم البريطاني، بعدما جنحت بالقرب من جزيرة قيس، وقام القواسم الذين يحتمل أنه كان لهم ضلع في هذه الجريمة، بنقل قسم من الغنائم إلى رأس الخيمة "[٣].

1- Political Residency, Bushire, R/15/1/13-16.; R/15/1/14.; p. 152.
2- Political Department Diaries. op. cit., № 410/1814., pp.2164-2168.
3- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p. 194,

www.almajidcenter.org

دارت مراسلات عديدة بخصوص هذه الحادثة، ولا سيما إن شيخ شراك كان من رعايا فارس، وكانت بريطانيا مرتبطة معه بمعاهدة آنذاك. ولم تكن السلطات البريطانية تملك ما تتهمه به لتلجأ- كدأبها- إلى التهديد والعقاب.

أثبتت التحقيقات أن شيخ شراك لم يقم بأي هجوم على السفينة "أحمد شاه"، بل إنه أغاث قائدها، وركابها، وساعد على إنقاذ حمولتها، عندما تعرضت إلى كارثة أدت إلى جنوحها، وأن خلاف وقع بعد ذلك بين تجار بوشهر والهند بشأن المكافأة، التي كان شيخ شراك يأمل في الحصول عليها؛ إذ رفض تجار بوشهر أن تكون المكافأة قسماً من حمولة السفينة المنكوبة وهي خيولاً لشركة الهند الشرقية، تم إنقاذ قسم منها ونقله إلى الشاطئ، في حين بقي القسم الآخر على ظهر السفينة؛ إذ حال ارتفاع موج البحر دون نقله أيضاً.

ثم وجه اتهام إلى إحدى السفن العابرة بسرقة القسم الذي تبقي من الخيول على ظهر السفينة قبل إحراقها. وراجت شائعات بأن السفينة العابرة كانت قاسمية[1].

على الرغم من أن السلطات البريطانية أخذت تكيل التهم للقواسم في هذا الوقت، إلا أن الأخيرين أظهروا رغبة صادقة في التفاهم مع المقيم البريطاني في بوشهر، وليم بروس لعقد اتفاقية صلح مع الإنكليز. وقد جرت مفاوضات حول هذا الموضوع في بوشهر في الثاني من أكتوبر، حيث قدم ممثل القواسم حسن بن محمد بن غيث رسائل إلى بروس من الأمير عبد الله بن سعود، وحسن بن رحمة، أعرب فيها الزعيمان عن رغبتهما في التوصل إلى تفاهم إيجابي مع الإنكليز.

وذكر ممثل القواسم بأن حسن بن رحمة فوضه بإبرام اتفاقية مع الإنكليز، وأن القواسم يتطلعون لإقامة علاقات ودية مع الحكومة البريطانية، و "يأملون بأن لا تتدخل

1- Political Residency, Bushire, R/15/1/13-16.; R/15/1/15.pp. 128-138.

www.almajidcenter.org

هذه الأخيرة في حربهم ضد الدول المعادية لهم". وذكر المبعوث القاسمي أيضاً: "إذا ضمنت الحكومة البريطانية لهم عدم التدخل في هذه القضية فإنهم [أي القواسم - المؤلف] لن يتعرضوا للإنكليز ولسفنهم".

رأى وليم بروس أن حكومة الهند البريطانية تتطلع أيضاً إلى عقد اتفاقية مع القواسم، حتى ولو كانت اتفاقية أولية. وهذا ما جعله يتنازل عن جميع المطالب السابقة، "مسدلاً بذلك الستار على الماضي".

وفي الرابع عشر من أكتوبر عام ١٨١٤ عقد الطرفان اتفاقية تضمنت ثمان مواد نصت مقدمتها على رغبة الطرفين في إقامة علاقات صداقة، وطي صفحة الماضي.

كانت مضامين مواد الاتفاقية تنص على ما يلي:

- يحترم القواسم العلم البريطاني، ولا يتعرضوا لأي سفينة ترفع هذا العلم (مضمون المادة الأولى)؛
- تُفتح الموانئ القاسمية أمام الرعايا البريطانيين، الذين يحق لهم ممارسة التجارة فيها، كما هو الحال بالنسبة لموانئ الخليج الأخرى – (مضمون المادة الثانية)؛
- يتعهد القواسم بمساعدة السفن البريطانية، التي تجنح أو تتعرض إلى حادث ما بالقرب من موانئهم (مضمون المادة الثالثة)؛
- بغية تمييز السفن القاسمية عن غيرها من السفن العربية الأخرى يلتزم القواسم برفع علم أحمر على سفنهم مكتوب في وسطه بالعربية "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، وسيعد هذا العلم رمزاً لدولتهم (مضمون المادة الرابعة)؛
- إذا استولى القواسم على سفن معادية لهم، فعليهم إعادة ما تحمله من بضائع بريطانية، إذا ما ثبت أن ملكية هذه البضائع تعود لرعايا يتمتعون بالحماية البريطانية (مضمون المادة الخامسة)؛

www.almajidcenter.org

- يتعهد حسن بن محمد بن غيث، وكيل حسن بن رحمة، والذي عقدت معه هذه الاتفاقية، بإعادة الممتلكات البريطانية الموجودة في رأس الخيمة حال عودته إليها (مضمون المادة السادسة)؛

- لا يحق لأي طرف نقض هذه الاتفاقية ما لم يعلم الطرف الثاني بذلك مسبقاً (مضمون المادة السابعة)؛

- على حسن بن رحمة إرسال من يمثله إلى بومباي للتوقيع على اتفاقية دائمة مع الحكومة البريطانية تكون أكثر إلزاماً وشمولاً (مضمون المادة الثامنة).

بعد التوقيع على هذه الاتفاقية سلم وليم بروس ممثل القواسم هدية بقيمة ١٢٠٠ روبية لينقلها إلى حسن بن رحمة[١].

يقول لوريمر معلقاً على هذه الاتفاقية أنها "بقيت دون تجسيد فعلي"[٢]، لكنه لم يبد السبب في ذلك. غير أن هذا التعليق يعد - بحد ذاته - محاولة مكشوفة للإقلال من أهمية هذه الوثيقة.

أما جون كيلي فلم يعترف بأي وجود لهذه الاتفاقية. والذي ذكره في هذا الخصوص أنه قيل لبروس إن "حسن بن رحمة يرغب بتقديم تعهد كتابي بعدم مهاجمة السفن البريطانية. ومع أن المقيم، أي بروس، كان يشك ضمنياً بأهمية مثل هذا التعهد، إلا أنه فضل عدم رفضه. الأمر الذي لاقى استحساناً فيما بعد من حكومة بومباي"[٣].

نظر قسم كبير من القواسم إلى هذه الاتفاقية باستياء شديد. وقد أشار بوكينغهام في هذا الخصوص إلى المعاملة السيئة التي لقيها المندوب حسن بن محمد بن غيث عند عودته إلى

1- Al-Qasimi, op. cit.,; p. 182.
2- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p. 194.
3- Kelly, op. cit., p. 131.

www.almajidcenter.org

رأس الخيمة، كما كان استقبال حسن بن رحمة وبقية شيوخ القبيلة له فاتراً[1]. وهنا تجدر الإشارة إلى أن شيخ القواسم لم يرفض هذه الاتفاقية رسمياً، مما جعلها نافذة المفعول.

راعت اتفاقية عام ١٨١٤ وجود سلام بين القواسم وشركة الهند الشرقية في نطاق المياه الإقليمية لكلا الطرفين؛ إذ تعهد كل طرف باحترام سفن الطرف الآخر، وكفل له حرية التجارة وارتياد موانئه. والواقع أن القواسم منحوا تلك الحقوق لجميع السفن والمراكب على اختلاف أنواعها، التي تبحر رافعة العلم البريطاني أو تحمل تصاريح بريطانية.

وهذا يعني أنه بات بإمكان شركة الهند الشرقية بسط حمايتها على رعاياها – الهنود. وفي الوقت نفسه استعاد القواسم امتيازاً هاماً جداً، وهو فتح الموانئ البريطانية في الهند أمام القواسم بنفس شروط الدول العربية الأخرى، والزعماء الآخرين[2].

في الواقع لم تكن شركة الهند الشرقية ترغب في الدخول في منافسة فعلية مع السفن القاسمية في الموانئ الهندية على الرغم من سعي هذه الشركة إلى إدخال السفن الهندية موانئ الخليج العربي للتجارة. وبسبب هذا البند، وهو الأهم بالنسبة للقواسم، أهملت هذه الاتفاقية من الجانب البريطاني، ووضعت على الرف.

طالب بروس شخصياً بتطبيق هذه الاتفاقية بدقة، غير أن تعليمات شركة الهند الشرقية دقيقة، وتعد بمثابة أوامر عسكرية، ليس في وسع بروس سوى الإذعان لها.

سرعان ما أدرك شيوخ القواسم حقيقة موقف الحكومة البريطانية من الاتفاقية. وهذا ما جعل التوتر يزداد تدريجياً بين الطرفين. أما لوريمر فقد علق على ذلك بالقول:

1- Buckingham, op. cit., Vol. 2. pp. 245-246.
2- Al-Qasimi. op. cit.,; p. 185.

www.almajidcenter.org

"....سرعان ما جرى نقض الاتفاقية باستيلاء القواسم على قارب في ميناء رأس الخيمة كان الملازم بروس قد أرسله لينقل رسائل ودية إلى زعيمهم بأمر من الحكومة"[١]. ويرى لوريمر أن ذلك بمنزلة "إعلان فعلي للحرب"[٢].

وعندما وقعت هذه الحادثة لم يكن المقيم البريطاني في بوشهر أقل استياءً، وقد بعث إلى واردن في بومباي في ١٧ يناير عام ١٨١٥ يطلب منه "إرسال مجموعة صغيرة من خمسة أو ستة طرادات، لإحراق جميع سفنهم (يقصد سفن القواسم)"[٣]، وكان قد أبلغ شخصياً عن وجود ما لا يقل عن ٣٠٠ سفينة من أنواع مختلفة في ميناء رأس الخيمة فقط.

وفي الوقت نفسه أثار المقيم البريطاني من جديد، مسألة حرمان العرب من التزود بأخشاب صناعة السفن من بومباي، وساحل مالابار الهندي. وهذا ما كانت قيادته في بومباي تتوقع سماعه منه. والواقع أنه عندما تغير حاكم بومباي، اتخذت سلطات الجمارك موقفاً جديداً أكثر صرامة، ليس من القواسم فحسب، بل من جميع القبائل العربية في منطقة الخليج العربي.

أظهرت الأحداث فيما بعد أن إيفان نيبين الحاكم الجديد لبومباي، انتهج سياسة أكثر تشدداً وعدوانية من سلفه دنكان. أما بروس - المأمور التنفيذي- فلم يكن بوسعه سوى الإذعان لكل ما يتخذه الحاكم الجديد من قرارات.

1- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p: 563.
2- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. pp. 653, 194.
3- Political Residency, Bushire, R/15/1/13-16.- R/15/1/16. ; pp. 22-27.

www.almajidcenter.org

سرعان ما كانت الشائعات تتجدد في بومباي بأن القواسم يقومون بأعمال قرصنة. فقد ذكر لوريمر أنه في أغسطس عام ١٨١٤ استولى القراصنة العرب على مجموعة من المراكب المحلية كانت تبحر بالقرب من بور بندر رافعة العلم البريطاني[١].

وأخذ كيلي يعزف على الوتر نفسه، مردداً الإشاعات نفسها دون أن يقدم أي دليل. فمما قاله: "ما إن انقضى قليل من الوقت على بدء الموسم المناسب، حتى سارعت داوات القواسم بالظهور مرة أخرى على السواحل الشمالية من الهند بأعداد كبيرة؛ حتى إن أمراء السند طالبوا بالحماية البحرية لسفنهم من القواسم. إلا أن طلبهم رفض، على اعتبار أن شركة الهند الشرقية، ليس من اختصاصها تقديم الحماية لسفن غير بريطانية في حالة تعرضها لهجمات قرصنة"[٢].

لم يكن من المنطق في شيء تفسير شركة الهند الشرقية لسلوكها وتصرفها بهذا الشكل؛ إذ أن من مهامها في هذا الوقت، استناداً إلى اتفاقية عام ١٨١٤، تأمين الحماية للسفن الهندية التي تحمل رخصاً بريطانية وتبحر رافعة العلم البريطاني. والذي يؤكد عدم منطقية هذا التفسير أن حكومة بومباي أرسلت إلى قواتها البحرية في هذا الوقت بالتحديد، تطلب منهم حماية جميع السفن التي تبحر على امتداد سواحل السند، "سواء كانت ترفع العلم البريطاني أم لا"[٣].

بالإضافة إلى ذلك، كانت لدى القائد العام للأسطول البحري، ميريتون أوامر تقضي بإرسال سفن حربية بريطانية للبحث عن جميع السفن والداوات القاسمية وغير القاسمية، التي تمارس التجارة على سواحل الهند، ومطالبتها بالعودة إلى الخليج العربي،

1-Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p. 194.
2- Kelly, op. cit., p. 131.
3- Factory Records of the Late East India Company. op. cit., Vol. 3 2. p.1194.

www.almajidcenter.org

وتحذيرها من مغبة البقاء في المياه الهندية. وكانت هذه نقطة تحول في سياسة حكومة بومباي وشركة الهند الشرقية[١].

عندما علم وليم بروس، المقيم البريطاني في بوشهر، المطّلع جيداً على الأوضاع الداخلية لقبائل الخليج العربي بهذه الأوامر، عقب عليها بالقول إنه "لوحظ مؤخراً تكرار حدوث أعمال قرصنة، وكان من الصعب معرفة القبيلة التي تقوم بهذه الأعمال الوحشية".

لكنه سرعان ما أخبر بومباي عن أعمال "قرصنة" عند سواحل الهند. فقد جاء على لسانه أن شائعات راجت بأن عدداً من سفن رأس الخيمة، كانت تجوب سواحل كراتشي، والسند على امتدادها، وأنها عادت بعد أن أسرت ست سفن لمسقط"[٢].

دار الحديث بهذا الشكل عن ست سفن محلية، أكد جون لوريمر أن القواسم قاموا بالاستيلاء عليها . وتدل الوقائع أن هذه السفن تعود لمسقط، التي كانت في هذا الوقت في حالة حرب مع القواسم. وإذا صح أن القواسم فعلاً من استولى على هذه السفن عند سواحل الهند، فإن حالة الحرب القائمة بين مسقط والقواسم تبرر قيام أي طرف منهما بالاستيلاء على سفن الطرف الآخر، وقد يكون ذلك دفاعاً عن النفس.

ومع ذلك فالحقيقة أن القواسم لم يكن لهم يد في هذه القضية. وأن من استولى على هذه السفن هم قراصنة هنود. والدليل على ذلك تقرير برايور، قبطان سفينة صاحب الجلالة "اكرون" (Acron)، التي جرى تكليفها مع سفينتي شركة الهند الشرقية ميركوري وسيلف بالطواف على امتداد السواحل الهندية، والتحقق من هذه الحادثة، وحماية السفن التجارية.

1- Political Department Diaries. op. cit., № 420/1815., pp. 429-430.
2- Political Department Diaries. op. cit., № 421/1815., pp.1020-1022, 1059-1060.

www.almajidcenter.org

جاء في هذا التقرير: "...استناداً إلى المعلومات التي تسنى لي الحصول عليها بت على يقين بأنه لم تخرج أية سفينة للقواسم إلى شرقي "رأس جاودل"، وأن عملية القرصنة نفذها قراصنة من مكران، والسند، وكوجرات"[1].

وبالطبع تجاهلت حكومة بومباي هذه التبرئة للقواسم؛ إذ أنها تتعارض مع مخططاتها المعادية للعرب في منطقة الخليج العربي. وكانت القضايا التي تؤخذ على القواسم، تقوم على أساس من الأكاذيب والتلفيق والشائعات المغرضة.

ومهما كانت الحقيقة جلية، لم يكن بالإمكان تغيير الرأي المتحامل لحاكم بومباي، نيبين، ومرؤوسيه على القواسم. واستمرت تقارير وكلاء شركة الهند الشرقية في وصف القواسم بالقراصنة. وأينما تقع حادثة، سرعان ما كانت أصابع الاتهام توجه إليهم. وكانت حكومة بومباي تعد أية إشاعة تتلقاها أمراً واقعاً، دون أن تتحقق من مصداقيتها. ومثل هذه الإشاعات العارية عن الصحة كثيراً ما كان يروجها لوريمر وكيلي، المقتنعان تماماً بأن القواسم قراصنة، لدرجة أن أياً منهما لا يكلف نفسه عناء مراجعة التقارير للتأكد من صحتها.

وقد كانت التهم التي يكيلانها للقواسم، والتي تفتقر إلى الأدلة أكثر شدة وظلماً من تلك التي كانت الشركة نفسها توجهها لهم. ومن هذه التهم قول لوريمر بأن القواسم استولوا في عام ١٨١٥ على سفينة هندية – بريطانية بالقرب من مسقط، وقتلوا معظم بحارتها، وفرضوا الفدية على البقية الباقية[2].

تشير وثائق أرشيف بومباي إلى وقوع حادثتي هجوم في عام ١٨١٥ على سفن بالقرب مسقط. الحادثة الأولى وقعت في أواخر عام ١٨١٥ لسفينة يملكها ابن رزق، أحد

1- Al-Qasimi, op. cit.,; p. 191.
2- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p. 653.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

www.almajidcenter.org

الأشخاص البارزين في البصرة. والحادثة الثانية للسفينة "سلطانة"، وكان على متنها الملازم ماكدونالد، بينما كان في طريقه من البصرة إلى بومباي.

والغريب جداً أن الحادثتين كانتا من تنفيذ القرصان المشهور رحمة بن جابر، حليف الإنكليز. وهذا ما يؤكده تقرير أرسله كلهوهون (Colguhoun)، القائم بأعمال المقيم البريطاني في البصرة إلى بومباي. فقد جاء في هذا التقرير:

"٢- استناداً إلى هذه الوثائق، أرجو الانتباه إلى أن رحمة بن جابر لم يبرر في رسائله الهجوم الغاشم على "البغلة"، ومقتل طاقمها، (من بين ستين بحاراً، لم يستطع سوى ستة أشخاص النجاة بأنفسهم)، وكذلك سبب العداء الشديد الذي يضمره للأتراك، ولكل من هو تحت سلطتهم، حتى أنه [أي رحمة بن جابر - المؤلف] لم ينف علمه بأن السفينة التي هاجمها كانت تحت الحماية البريطانية"[1].

أما ماكدونالد فيقول في حادثة الهجوم على السفينة سلطانة: "بينما أنا على متن هذه السفينة هاجمها رحمة بن جابر، وأسر وذبح معظم بحارتها بوحشية، وكان من بين القتلى أحد الخدم خاصتي"[2].

يتضح من هذه الوثائق أن مسؤولية الهجوم على السفينتين يتحملها رحمة بن جابر، الذي حصل على موافقة صامتة من حاكم مسقط، وأنه ليس للقواسم أي ضلع في أي من هاتين الحادثتين.

1- Secret Department Diaries. op. cit., № 419/1815., pp. 295-299.
2- Political Department Diaries. op. cit., № 424/1815., pp. 2076-2077.

www.almajidcenter.org

مهمة بردجز – بروس:

ازداد التوتر في منطقة الخليج العربي في الفترة من عام ١٨١٤ إلى عام ١٨١٦ بسبب الحرب القائمة بين القواسم ومسقط، والتي كان للسلطات البريطانية يد فيها، وهذا مما لا شك فيه. وعلى الرغم من هزيمة سلطان مسقط أمام القواسم، فقد طالب المقيم البريطاني، وليم بروس أن يقدم له الدعم، "... حتى يتنازل لنا عن أحد الموانئ أو الجزر التي يحكمها في الخليج"[١]. هنا تتضح الطريقة الاستعمارية التقليدية التي يلجأ لها الإنكليز للإجهاز على حلفائهم الضعفاء.

وفي الوقت نفسه وسعت حكومة بومباي لائحة التهم للقواسم، وكان أخطرهذه التهم في عام ١٨١٦. والسبب في ذلك أن القواسم وسعوا منطقة نشاطهم لتشمل إلى جانب الخليج العربي بحر العرب والمحيط الهندي، والبحر الأحمر. يقول لوريمر إنه في هذه المنطقة جرى الاستيلاء على ثلاث سفن تجارية هندية من سورات، وهي ترفع العلم البريطاني، وإنه لم يبق على قيد الحياة من طاقمها سوى بضعة أشخاص.

وبالطبع وجه لوريمر التهمة في هذه العملية – كدأبه – إلى القواسم؛ فقد قال في ذلك: "وفي هذه الحادثة كان يقود القراصنة الأمير إبراهيم، أحد أقارب حسن بن رحمة، شيخ رأس الخيمة آنذاك"[٢]. أما كيلي فيقول عن هذه الحادثة إنه بعد استجواب من بقي من أفراد الطاقم، اتضح أن المهاجمين كانوا بقيادة الأمير إبراهيم. ومن هنا جرى الاستنتاج بأن هذا الشخص هو بلا شك إبراهيم بن رحمة، شقيق شيخ القواسم، حسن بن رحمة[٣].

1- Selection – 124, Vol. 72 (N. 1) proceedings for the year 1816., p. 27.
2- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p. 654.
3- Kelly, op. cit., p. 132.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

الغريب أن من توصل إلى هذا الاستنتاج لم يهتم لحقيقة أن اللقب الذي أطلق على قائد الهجوم هو "الأمير"، في حين أن اللقب الذي يطلق على زعيم القواسم هو "الشيخ".

والواقع إنه بعد مراسلات مطولة وبحث دقيق وجد الحاكم نيبين عدم توفر أي وثيقة تتضمن معلومات دقيقة عن أسماء أو قادة سفن القرصنة، كما لم يتضح ما إذا كانت هذه السفن قاسمية، أم أنها تعود لقبيلة أخرى. وفي مثل هذه الحالة من الشك، وعلى ضوء المعلومات التي توافرت لدى الحاكم، والتي تفيد بأنه توجد قبائل أخرى (غير القبيلة التي نسبت إليها حادثة القرصنة هذه) قامت بتنفيذ مثل هذه الأعمال من أعمال القرصنة، ليس فقط في خليج فارس، بل أيضاً إلى الشرق من الخليج العربي...[1].

ولكن على الرغم من الشك الواضح جداً في تورط القواسم بأي عمل من أعمال القرصنة هذه، فقد أصدر حاكم بومباي، نيبين أوامره إلى الكابتن بردجز (Bridges)، قائد السفينة الملكية تشالنجر (Challenger) بالتوجه إلى الخليج العربي مع طرادي شركة الهند الشرقية فستال وميركوري لمساعدة وليم بروس في استعادة البضائع التي سرقت من السفن في البحر الأحمر، ومعاقبة المدانين بقتل بحارتها، وعرض مطالب حكومة بومباي على حسن بن رحمة، وإخباره بأن "عليه أن يتوقع أن غضب الحكومة البريطانية سينصب عليه إذا رفض تنفيذها"[2].

وقد أكد نيبين في أوامره التي وجهها إلى بردجز على ضرورة توخي الحذر الشديد أثناء تنفيذ مهمته في رأس الخيمة، وأن قلة السفن الحربية البريطانية الموجودة في الخليج العربي تحتم عليه الإحجام عن القيام بأي عمل عسكري.

1- Selection – 124, Vol. 72 (N. 1) proceedings for the year 1816., pp. 46-54.
2- Kelly, op. cit., p.132.

www.almajidcenter.org

وبدوره أرسل المقيم البريطاني بروس رسالة احتجاج في أغسطس عام ١٨١٦ إلى حسن بن رحمة، شيخ القواسم في رأس الخيمة، نقلتها إليه الفرقاطة أريال (Ariel)، وقد رد الشيخ حسن على تلك الرسالة نافياً أن تكون رعيته قد استولت على أية سفينة بريطانية. وأشار في الوقت نفسه إلى أن ما ورد في اتفاقية بوشهر لا يشمل سفن الهندوس، وإنما "يقتصر على سفن الإنكليز النصارى، التي تحمل ترخيصاً بريطانياً وترفع العلم البريطاني".

وصلت السفن البريطانية بقيادة بردجز إلى بوشهر في نوفمبر عام ١٨١٦. وهناك انضمت إليها الفرقاطة أريال، التي كان على متنها المقيم البريطاني بروس. وفي السادس والعشرين من نوفمبر وصلت البعثة إلى رأس الخيمة. وفي صباح اليوم التالي توجه مساعد المقيم البريطاني في بوشهر، تايلور (Taylor) برفقة مترجم إلى حسن بن رحمة ليسلمه رسالة من المقيم بروس تتضمن مطالب حكومة بومباي له وهي:

إعادة الحمولة التي جرى الاستيلاء عليها من سفن سورات؛ وتسليم الأمير إبراهيم بن رحمة إلى السلطات البريطانية، بصفته قائد السفن التي أسرت سفن سورات؛ وتسليم اثنين من أبناء الشيخ حسن بن رحمة للسلطات البريطانية لتحتفظ بهم في بومباي كرهائن من أجل ضمان سلوك القواسم السلمي في المستقبل. وتحدد في الرسالة ظهر اليوم نفسه كموعد لتلقي الرد، الذي سيتصرف الأسطول البريطاني على ضوئه بما يجده مناسباً.

بينما كان مساعد المقيم البريطاني تايلور في طريقه لمقابلة الشيخ حسن بن رحمة اعترضه رجال الشيخ ومنعوه من مقابلته؛ فأسرع بالعودة إلى سفينة القيادة، وأخبر بروس بما جرى معه. وعندها توجه بردجز بنفسه إلى الساحل مصطحباً معه الكاتب الشهير والرحالة بوكينغهام، الذي قام بدور المساعد والمترجم.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

عند اقتراب الرجلين من المدينة أخذ بردجز يسجل الملاحظات التالية: "التحصينات قوية جداً، توجد في الميناء أربع داوات كبيرة تحمل رجالاً، وهي على أهبة الاستعداد للإقلاع. يوجد ما بين أربعين و خمسين سفينة صغيرة مهيأة لحالات الطوارئ. عدد الرجال المسلحين يبدو كبيراً. ازدادت التحصينات الدفاعية للمدينة قوة عن ذي قبل. إنهم في حالة دفاعية أفضل من أي وقت مضى. تبدو عليهم الثقة بقدرتهم على تحطيم أية محاولة هجوم يتعرضون لها، وهذا ما بدا لنا حين رؤيتهم لطراداتنا، ولذلك فإن القوة التي سيعهد إليها العمل ضدهم يجب أن تكون كبيرة جداً"[١].

عند وصول بردجز وبوكينغهام إلى الشاطئ لاقاهما وفد من القواسم، ورافقهما إلى مركز مدينة رأس الخيمة لمقابلة الشيخ حسن بن رحمة. وقد وصف بوكينغهام اللقاء الذي جرى مع الشيخ حسن بن رحمة بالقول: "التقينا بالزعيم وكانت تحيط به حاشية من خمسين رجلاً مسلحاً كتسليح الشيخ نفسه، بسيوف كبيرة على الطراز النورمندي القديم، وحراب طويلة، مستقيمة وعريضة. وكان البعض منهم يحمل رماحاً قصيرة، ودروعاً مزينة بقطع من الصفائح المعدنية. الزعيم رجل نحيل الجسم، في حدود الأربعين من العمر، يرتدي لباساً عربياً تقليدياً، لكنه خلافاً للآخرين يعتمر عمامة من الكشمير [قماش صوف ناعم]. نظراته توحي بالمكر، وفي ابتسامته شيء من السخرية الواضحة. كانت إحدى عينيه مصابة بجروح، إلا أن تقاطيعه الأخرى كانت وسيمة، أسنانه بيضاء، منتظمة، مما يظهر جمالها. بشرته داكنة، ولحيته خفيفة ومركزة عند ذقنه"[٢].

عرض بردجز على الشيخ حسن بن رحمة مطالب بومباي، وطلب منه الإسراع بالرد عليها، فأجابه الشيخ بأنه سيقدم الرد له بعد الظهر. وفي الوقت المحدد وصل ممثل

1- Factory Records of the Late East India Company. op. cit., Vol. 3 2. pp. 15,17,19.
2-Brydges, op. cit., Vol. 2. pp. 249-251.

www.almajidcenter.org

الشيخ إلى الطراد تشالنجر حاملاً الرد للكابتن بردجز. وعند الاجتماع بالمقيم البريطاني على تشالنجر أبدى ممثل حسن دهشته من الطلبات المقدمة، منكراً قيام القواسم بخرق الاتفاقية، حيث إنهم لم يهاجموا أية سفينة بريطانية، ولم يستولوا إلا على ممتلكات تعود للهندوس، ووثنيين آخرين من الهند[١].

وأوضح أنهم لا يعدون أي قسم من غرب الهند تابعاً لبريطانيا، باستثناء بومباي ومانكالور (Mangalore). وأنهى المبعوث القاسمي اللقاء بتأكيده على أن القواسم يحترمون الممتلكات البريطانية دون غيرها؛ فطلب منه بروس أن يخبر الشيخ حسن بأن الحكومة البريطانية ستشعر بالاستياء لعدم استجابته لمطالبها.

ذكر بوكينغهام أن مبعوثاً آخر للشيخ حسن بن رحمة وصل لمقابلة بروس قبيل إقلاع السفن الإنكليزية بوقت قصير، وأن هذا المبعوث أكد على أن القواسم قاموا بالاستيلاء فعلاً على السفن التي قدمت من سورات، إلا أن الغنائم التي غنموها وزعت فور وصول الداوات إلى رأس الخيمة، وأنهم لا يستطيعون حالياً تقديم التعويض عن الحمولة المغتنمة. وطلب المبعوث من بروس القبول بشخص آخر بدلاً عن إبراهيم بن رحمة؛ كما أبلغه باقتراح الشيخ حسن إرسال ممثلين عنه إلى بومباي لتسوية القضية.

إلا أن بروس رفض هذا العرض، وأصر على تلبية المطالب المقدمة سابقاً. وعندها طلب مبعوث الشيخ من بروس إمهالهم حتى ظهيرة اليوم التالي ليدرسوا القضية بين الشيوخ بشكل مفصل، ويقدموا الرد النهائي[٢].

١ – العابد، صالح محمد: دور القواسم في الخليج العربي، (مرجع سابق)، ص ٢٧٧.

2-Buckingham, op. cit., Vol. 2. pp. 358-372.

www.almajidcenter.org

عندما رجع مبعوث الشيخ إلى الساحل هبت رياح شمالية غربية قوية أجبرت الأسطول البريطاني على الإقلاع، والابتعاد إلى مرسى ملائم بالقرب من جزيرة قشم. ولم يتمكن هذا الأسطول من العودة إلى رأس الخيمة قبل ٣٠ نوفمبر. وعندها أوضح بروس لشيخ القواسم ما الذي دفع بالأسطول للإقلاع، ثم طلب الرد النهائي على المطالب البريطانية فكرر الشيخ حسن ابن رحمة رفضه الاستجابة لها.

بغية إظهار استياء بريطانيا من الموقف الذي اتخذه القواسم من المطالب المقدمة لهم، قرر بروس وبردجز القيام بعمل عسكري محدود، ضد رأس الخيمة، متجاهلين بذلك تحذيرات حكومة بومباي من مغبة الإقدام على أي عمل عسكري. وقد كانت تحذيرات نيبين وتعليماته التي قدمها إلى بردجز، قبيل توجهه إلى المنطقة دقيقة وواضحة جداً.

وجه بردجز أوامره إلى السفن البريطانية بالتقدم إلى أقرب ما يمكن من الساحل والرمي على سفن القواسم الأربع الراسية في الميناء والمليئة بالرجال المسلحين الذين قدرعددهم بنحو ستمائة رجل. إلا أن القذائف أخفقت في بلوغ الهدف وتدميره.

وعندها أخذ رجال تلك السفن يلوحون بأسلحتهم في الهواء بحركة تنم عن الثقة بالنفس، والتحدي للسفن البريطانية، مما جعل هذه الأخيرة تجازف بالاقتراب أكثر من الساحل، لدرجة أنه لم يبق بين قعرها وقاع البحر سوى أقل من قدم، واستأنفت الرمي الكثيف على الداوات فأمطرتها بما يزيد عن ٣٠٠ قذيفة. إلا أن هذا الرمي لم يحقق أيضاً أية إصابة مباشرة.

ردت سفن القواسم على الرمي بالمثل، لكن قذائفها هي الأخرى لم تصل إلى الهدف. وعند ذلك فتحت القلعتان القائمتان على الساحل نيران مدافعها فكانت إصاباتها أكثر دقة وفاعلية؛ إذ أصابت إحدى قذائفها الصاري الأمامي للسفينة فستال واقتلعته.

www.almajidcenter.org

الأمر الذي فجر حماس القواسم، الذين رفعوا الأعلام على القلاع، واحتشد جمع كبير منهم على الساحل يرفعون رايات كبيرة على صوار مرتفعة، وأخذوا يغنون بحماس، ويطلقون نيران أسلحتهم في الهواء[١].

أعاد بردجز تقدير الموقف وقرر الانسحاب بالسفن بعد أن منيت هذه العملية، التي كان الهدف منها إظهار قوة السفن البريطانية عند رأس الخيمة بالفشل الذريع، وبجميع المقاييس. وهذا الفشل المخزي جعل القواسم يستهترون بالقوة الحربية لبريطانيا[٢].

يقول بوكينغهام في تعليقه على العملية الفاشلة في رأس الخيمة: "لو جرى التقيد بتعليمات حكومة بومباي لظل القواسم في حالة من الشك والخوف من مغبة أسرهم للسفن البريطانية، ولظلوا بين الأمل والخوف، الأمر الذي كان سيمنح حكومة بومباي الوقت الكافي لإعداد حملة قوية ضدهم، دون المجازفة بتعريض سفنها لمخاطر هجماتهم في وقت إعداد مثل هذه الحملة. إلا أن الأعمال المكشوفة، وفشل عمليتنا وضعت حداً للأمن "[٣].

أثنت بقية الموانئ القاسمية الواقعة على الساحلين العربي والفارسي على الشجاعة الفائقة التي أبداها قواسم رأس الخيمة في تحديهم للقوة البريطانية. وعم الاستخفاف بهذه القوة جميع الموانئ. وهذا ما لمسه بروس عندما حاول استعادة قسم من الحمولة التي جرى الاستيلاء عليها من سفن سورات من زعماء القبائل الساحلية. وكل ما حصل عليه بروس من هؤلاء الأخيرين إنكار معرفتهم بمصدر هذه البضائع بشكل هازئ[٤]. حتى إن شيخ جزيرة خارج مثلاً ذكر أنه إذا ما بقي لديه شيء من تلك البضائع فلن يعيدها على أية حال، ويأسف على كل ما أعاده إلى الإنكليز من قبل، وقد بات لا يخشاهم[٥].

1- Buckingham, op. cit., Vol. 2. pp. 373-376.
2- Kelly, op. cit., p. 134.
3- Buckingham, op. cit., Vol. 2. p. 377.
4- Kelly, op. cit., p. 134
5- Moyse, op. cit., p. 75.

www.almajidcenter.org

علم بروس بأن سلطان بن صقر، الشيخ الأعلى للقواسم، الذي كان حاكماً للشارقة في ذلك الوقت، قد أعلن تضامنه مع حسن بن رحمة، وتعهد بدعمه فيما لو تعرضت رأس الخيمة إلى أي هجوم بريطاني.

قدرت إدارة بومباي قوة القواسم في تلك الفترة بـ ٨٩ سفينة كبيرة، و ٦١ سفينة صغيرة، ونحو ١٠٣٠٠ رجل مسلح. أما بوكينغهام ولو فقد قدرا تلك القوة بـ ١٠٠ سفينة كبيرة، و٨٠٠ مقاتل، و٤٠٠ مدفع[١]. غير أن بوكينغهام علق على تقديره هذا بالقول: ".. ولكن من الصعب تجميع كل هذه القوة دفعة واحدة، ولكن إذا ما حصل هجوم فيمكن للقواسم أن يحصلوا على الدعم عن طريق البر خلال ١٥ يوماً فقط "[٢].

لم تكن الحكومة البريطانية ترغب بحدوث أي صدام بينها وبين الوهابيين، وهذا ما كاد أن يحدث بسبب عملية بردجز ـ بروس. وقد أدان الأمير الوهابي عبد الله بن سعود بشدة قصف السفن الإنكليزية لرأس الخيمة، وأبدى استياءه الشديد من ذلك في رسالة بعث بها إلى بروس في فبراير عام ١٨١٧، وأكد فيها أنه يمنع مهاجمة السفن الأوروبية التي ترفع العلم البريطاني، لكنه حذر من أن ذلك لا ينطبق على سفن أعداء القواسم.

وقد قال في ذلك: "إذا استطعتم أن تثبتوا بما لا يدع مجالاً للشك بأنهم [أي القواسم ـ المؤلف] قاموا بسرقة الممتلكات البريطانية، فإنني - كما قلت سابقاً - سأرغمهم على إعادتها...". وتساءل أيضاً: "كيف يمكنكم أن تطلبوا ما غنمناه من أعدائنا ؟!... إنني أعلن بأن سكان مصر وجدة واليمن وصحار والمكلا ومسقط والبصرة وأهل فارس التابعين لسعيد بن سلطان، هم جميعاً أعداؤنا، ونحن - بعون العلي القدير- سنقتل رجالهم ونصادر أموالهم أينما وجدناهم[٣].

1- Low, op. cit., Vol. 2. pp. 343-344.
2- Buckingham, op. cit., Vol. 2. p. 353.
3- Al-Qasimi, op. cit.,; p. 201.

www.almajidcenter.org

بعد ذلك نشطت المراسلات بين أمير الوهابيين والمقيم البريطاني بروس، وخلال هذه المراسلات طالبت السلطات البريطانية بالسماح للسفن الهندية، بصرف النظر عما إذا كان أصحابها من الرعايا البريطانيين أم لا، بممارسة جميع أنواع النقل التجاري البحري على حساب العرب، ومن بينهم القواسم .

وبهذا الشكل كانت الحكومة البريطانية وشركة الهند الشرقية تتطلعان إلى تأمين حماية البضائع والسفن العائدة لبلدان أخرى، دون النظر إلى العداء القائم، سواء بين عرب الخليج العربي أنفسهم، أو بينهم وبين سكان آخرين لا يقيمون في هذه المنطقة. واتضح فيما بعد أن القواسم وافقوا على السماح بمرور السفن والبضائع الإنكليزية وعدم اعتراض طريقها، أو إلحاق الضرر بها في الموانئ غير الصديقة.

كانت رغبة الوهابيين والقواسم في التوصل إلى اتفاق مع السلطات البريطانية شديدة جداً، كحزمهم في القتال إذا ما اضطرتهم الظروف. إلا أن حكومة الهند كانت قد خططت مسبقاً لاستخدام القوة، عندما تتوفر لها، حتى تفرض سيطرتها على منطقة الخليج العربي.

على الرغم من أن لوريمر وكيلي من بعده، كانا يفتقران إلى الأدلة التي تثبت أقوالهما فقد كانا يسردان الكثير من الأخبار عن هجمات قرصنة وقعت بالقرب من السواحل الهندية. وكانا ينسبان هذه الأعمال- كدأبها- إلى القواسم. ومثل هذه الأخبار كثيراً ما كانت مجرد إشاعات مضخمة لم يجر تصديقها، أو التحقق من صحتها، حتى في الوقت الذي زاد فيه انتشارها. فهاهو الوكيل البريطاني في بوربندر (Porbander) يقول في مدى صحة الأخبار: "لا يمكن لي أن أثق أو أعتمد تماماً على المعلومات التي أحصل عليها من السكان المحليين، ولا سيما إذا كانت تخص عدد القوات المسلحة؛ إذ غالباً ما يبالغ في ذلك"[1].

1- Secret Department Diaries. op. cit., № 312/1819., pp. 1074-1078, 1084-1086.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

كما يشهد ج. ماكميندو، المقيم البريطاني في كيش أيضاً على وجود "تباين في المعلومات حول عدد السفن التي تشكل أسطول القراصنة". ويقول في تقرير آخر له: "... تبين لي أن المعلومات غير دقيقة، بحيث يمكن الاعتماد عليها".

استناداً إلى مثل هذه المعلومات غير الموثوق بها، كانت الأوامر توجه إلى جميع قادة طرادات شركة الهند الشرقية في الخليج العربي بتدمير جميع السفن والمراكب التابعة للقواسم، أو لغيرهم من قبائل "القراصنة".

وتعد الرسالة التالية التي وجهتها حكومة بومباي إلى هيل (Hill)، قبطان سفينة البحرية الملكية توفي (Tovey) مثالاً على هذه التعليمات: "... بغية تدمير سفن ومراكب القواسم، وقبائل القراصنة الأخرى في هذه المناطق، الشيء الذي لا يمكن أن يتحقق دون قوة عسكرية، فإن الحاكم ينوي إرسال حملة عسكرية إلى الخليج بمجرد تجميع القوات اللازمة لها، والتي هي منشغلة الآن في تنفيذ مهام عاجلة جداً. و من الممكن القيام بهذا الإجراء في غضون عدة أشهر. والمطلوب منكم في هذا الوقت أن تعيروا جل اهتمامكم لحماية السفن التجارية التي تبحر من الخليج وإليه من أعمالهم [يقصد القراصنة] الإجرامية، وكذلك أسر أو تدمير أية سفينة لهم حيثما وجدت".

ومن أجل مساعدة الكابتن هيل في تنفيذ هذه المهمة وضعت تحت قيادته ست سفن حربية من شركة الهند الشرقية، وهي: سايكي (Psyche)، وأريال، وبناريس، ثيتس (Thetis)، تايكنماوث (Teignmouth)، أورورا (Aurora).

صحيح أن هذه التعليمات صدرت في نوفمبر عام ١٨١٧، إلا أن السفن البريطانية كانت- كما هو معلوم- تقوم بأعمال عدوانية ضد سفن القواسم قبل هذا الوقت. وكثيراً ما هاجمت السفن القاسمية، وقصفتها دون أي مبرر. ومن الأمثلة على ذلك، الهجوم

www.almajidcenter.org

الاستفزازي للسفينة "سايكي" (Psyshe) على السفن القاسمية. ومن المفيد جداً التعرف على تعليقات موظفي ومأموري شركة الهند الشرقية المتباينة حول ذلك.

يقول رئيس مكتب بومباي في تقرير له موجه إلى الحاكم نيبين، يصف الحادثة على الشكل التالي:

"١- أتشرف بإحاطة الحاكم الموقر علماً بأنني تلقيت بلاغاً من الملازم تانير، قائد طراد الشركة الموقرة سايكي، أرسله من مكلأ بوشهر بتاريخ ٢٢ مارس، يفيد فيه بأنه خرج من مسقط في اليوم الثامن من ذاك الشهر (مارس) ومعه بريد قبطان السفينة الملكية توفي المتجهة إلى بوشهر. وأنه في يوم الثاني عشر (من مارس) التقى بالقرب من صخور "بومبارك" بأسطول صغير للقراصنة القواسم، يتألف من سفينتين كبيرتين من نوع " ترانكي"، عليهما عدد كبير من الرجال، وسفينتين أقل حجماً، تحملان عدداً أقل من الرجال. و كانت تسير بمحاذاة الساحل الفارسي.

وكان من الواضح أنها في طريق عودتها إلى مينائها بعد طواف طويل. (ومن طريقة إبحارها)، أيقن الملازم تانير تماما إنها سفن قراصنة؛ فجهز سفينته لمهاجمتها، ثم أخذ بمطاردتها. وما إن فتح عليها النار حتى تفرقت بسرعة ولاذت بالفرار. وعند ذلك أطلق الملازم تانير النار من سلاحه الناري الخفيف على أقرب سفينة كانت متجهة نحو صخور بومبارك حيث المضاحل. وقد فشل الملازم تانير في تدمير أو أسر سفن هؤلاء الأوغاد.

٢- كما تلقيت بلاغين أيضاً من الملازم تانير مؤرخين في ٣ و١٩ إبزيل يفيد فيهما أنه في ٢٧ مارس خرج من بوشهر مع بريد للكابتن هيل، والذي سلمه إلى الوكيل في مسقط ليجري نقله إلى بومباي، وأنه (أي الملازم تانير) كان في هذا الوقت مع سفينة الشركة الموقرة أريال، وثلاث سفن محلية، وعلم بأن أسطولاً مؤلفاً من ٢٥ سفينة للقراصنة القواسم

www.almajidcenter.org

موجود في البحر ويطوف بالقرب من جزيرة قيس باحثاً عن سفن تجارية ليأسرها. ومع أنه يمكن أن يكون ذلك صحيحاً، إلا أن الناس في مسقط يميلون إلى المبالغة في الكلام عن مثل هذه الأمور"[١].

من المهم الإشارة هنا إلى أنه ورد في هذا البلاغ أن الناس في مسقط "يميلون إلى المبالغة ". وقد كانوا كذلك عندما أعطوا معلومات عن سفن القواسم، وعددها، وتحركها. حتى إن الملازم تانير، الذي كان يقود السفينة سايكي، لم تخلو أقواله في تقريره عن العمل الذي قام به من المبالغة أيضاً؛ إذ أن "سفن القراصنة القواسم" التي هاجمها، والتي أسماها أسطولاً لم تكن تزيد عن أربع سفن صغيرة، كانت عائدة إلى مينائها بمحاذاة الساحل، فضلاً عن أن هذا الساحل كان ساحل فارس، وليس الساحل العربي. إلا أن تانير يبدو أنه مستعد دائماً للهجوم، إذ حكم عليها بأنها سفن قراصنة، بل نسبها إلى القواسم، ولهذا فتح عليها النار. لكن الغريب أن من أسماهم قراصنة لم يردوا حتى على رميه بالمثل، وكل ما فعلوه أنهم لاذوا بالفرار إنقاذاً لأرواحهم.

أما تقرير القبطان هيل الذي كان يقود تشكيلاً من السفن الحربية البريطانية في منطقة الخليج العربي، فقد جاء مختلفاً تماماً عن ذلك؛ إذ جاء فيه: "... فتح الملازم تانير، قائد السفينة سايكي النار على ثلاث سفن كانت مبحرة بالقرب من صخور بومبارك. إلا أنني لست واثقاً من أن هذه السفن كانت لقراصنة؛ إذ ليس هناك من سبب، يجعله يعتقد بأنها سفن قراصنة، "سوى أنها حاولت تجنب اللقاء به". وقد كان من الصعب التكهن بنواياها. أما في الوقت الحاضر فهي تبحر مطمئنة؛ إذ لم تتعرض أية سفينة صاعدة أم هابطة (في الخليج) إلى أي هجوم".

1- Selections on pirates in the Persian Gulf. op. cit., Vol. 7 2. pp. 437-438.367-369, 441-442-,498-499.

www.almajidcenter.org

يجدر بالذكر أن هيل كان يخدم في الأسطول الملكي، وليس في شركة الهند الشرقية. ولم يكن لديه سبب يدعوه إلى تزوير الحقائق، أو المبالغة في ما يقوم به. ونزاهة هذا القبطان ودقته، حملتاه على التصريح أكثر من مرة بما يتعارض تماماً مع ما يؤكده موظفو شركة الهند الشرقية، وحكومة بومباي. وعلى الرغم من الضغوط الكثيرة التي مورست عليه، فإنه أبى إلا أن يقول علناً: "منذ لحظة وصولي إلى منطقة الخليج لم تلتق سفن المراقبة، أو سفينتي بأية سفينة للقواسم"[1].

ومما يدعو إلى الدهشة معرفة أن بعض السفن التي هاجمتها السفن البريطانية في هذا الوقت، أي عندما كانت الحملة تجري على قدم وساق في عام ١٨١٧، لم تكن مطلقاً سفن "القراصنة" القواسم، وإنما كانت سفناً لسلطان مسقط، الحليف الأقرب لشركة الهند الشرقية، وللسلطات البريطانية في الهند. ففي مايو عام ١٨١٧ قام بمثل هذه الحماقة الملازم فيتفول قائد طراد شركة الهند الشرقية فستال.

وقد تطلب أمر تسوية هذه القضية ستة أشهر من المراسلات، والتفسيرات، والتهرب، والإنكار. وجاء في أول تقرير مرسل من ديوان بومباي إلى الحاكم نيبين أنه "في الساعة الواحدة والنصف من يوم ٧ مايو بينما كانت السفينة فستال موجودة في جنوبي جزيرة قيس، شاهد قبطانها الملازم فيتفول السفينة البريطانية "الإسكندر"، وعند الاقتراب منها أخبره قبطانها أن "١٥ سفينة تتعقبه منذ الساعة الواحدة ظهراً، وأن خمساً منها تتقدمه الآن لاعتراضه. فأمره الملازم فيتفول بالاستعداد للمعركة" . "وفي الساعة العاشرة مساء، عندما أصبحت السفن على مقربة منهما فتحتا عليها النار. وقد أسفرت رمايات السفينة الإسكندر عن نتائج كبيرة.

1- Selections on pirates in the Persian Gulf. op. cit., Vol. 7 2. pp.362-365.

www.almajidcenter.org

وعندما اتخذت السفن وضعاً على شكل الهلال، وجد الملازم فيتفول أن من غير المعقول اختراقها، ولهذا تابع حركته مع تغيير في مساره إلى أن تخطاها جميعاً. والسفن لم تبد أية مقاومة، بل كانت تصدر عنها طوال الوقت صرخات بأنها سفن مسقطية، حتى تتوقف فستال والإسكندر عن الرمي عليها"[١].

بهذا الشكل نفذ الملازم فيتفول واجبه بمهاجمة "القراصنة"، ولم يعر بالاً إلى "صرخات الاستغاثة الصادرة طوال الوقت عن هذه السفن بأنها سفن مسقطية". وبعد أن قام بما قام به ظهر أن ذلك كان خطأ غير مقصود، وجهلاً كبيراً. وعلى أية حال "... أمر (الملازم فيتفول) بإيقاف الرمي؛ لعدم رغبته في الرمي على من لا يقاوم دفاعاً عن نفسه"[٢].

بعد عدة أسابيع من وقوع هذه الحادثة تم البدء بالتحقيق في ملابساتها. وعندما جرى التأكد أن فستال قامت فعلاً بمهاجمة السفن المسقطية ورمت عليها، أخذت تظهر التلفيقات والأكاذيب لتبرير هذا الخطأ. وكان على المدير العام لديوان بومباي الاعتراف بارتكاب هذا الخطأ في تقرير رفعه إلى الحاكم نيبين، اعتمد في إعداده على أقوال الملازم فيتفول.

جاء في هذا التقرير: "كانت السفن التي رمى عليها (أي فيتفول) مسقطية. وقد حدث أن ١٢ أو ١٤ سفينة كانت قد أبحرت من بندر عباس إلى مسقط، والتقت هذه السفن بعدد من السفن القاسمية، فأخذت تتجنبها محاولةً الابتعاد عنها. ولكن عندما رأت طراد الشركة الموقرة فستال ألقت مراسيها، وانتظرت اقترابه منها. وبما أن السفينة "الإسكندر" كانت مطاردة من قبل سفن "القراصنة" نفسها، وتسير خلف السفن التي خرجت من بندر عباس، فقد أخطأ قائدها، للأسف بالاعتقاد بأن السفن المسقطية قسم من

1- Selections on pirates in the Persian Gulf. op. cit., Vol. 72. pp. 384-387.

www.almajidcenter.org

السفن التي تطارده. وعلى هذا الأساس فتح الملازم فيتفول النار على السفن المسقطية. إلى جانب ذلك كان الظلام سبباً في عدم التمييز بين سفينة وأخرى.

ونتيجة لذلك لحقت بعض الأضرار بالسفن، إلا أنه لم تكن هناك خسائر كبيرة بين الأشخاص؛ إذ استلقى الجميع على سطح السفينة، وقتل رجلان وامرأة، وجرحت امرأة واحدة فقط[١].

بعد انقضاء نحو خمسة أشهر على الحادثة، بدأ الملازم فيتفول يبرر خطأه، الذي أدى باعترافه إلى سقوط ضحايا، بالجمع بين الكذب والاعتذار. ففي الخامس من نوفمبر عام ١٨١٧ رفع تقريراً إلى ميريتون، قائد الأسطول في شرقي الهند قال فيه: "....لقد تشكل لدي انطباع قوي بأن هذه السفن قاسمية؛ إذ أن سفنهم تبدأ بالعودة من الخليج العربي، ومن السواحل الهندية في هذا الوقت من العام".

من نافلة القول أن الملازم فيتفول لم يحال إلى المحاكمة على خطأه الذي أودى بحياة عدد من الأشخاص، وأدى إلى ترد في العلاقات العمانية ـ البريطانية لبعض الوقت. ومما لا شك فيه أنه في كل يوم تقريباً تقع في منطقة الخليج العربي "أخطاء" كتلك التي اقترفها فيتفول؛ وخصوصاً إذا ما كان الأمر يتعلق "بالقراصنة القواسم".

ففي مايو عام ١٨١٧ أخبر بروس ديوان حاكم بومباي أن سفينة شركة الهند الشرقية ميركوري التقت بعدد من سفن القراصنة الصغيرة في مرسى بالقرب من البصرة، لكنها لم تهاجم السفينة ميركوري، ولم تلحق بها أي ضرر[٢]. وأن ست "سفن قاسمية" أخرى كانت تطارد هذه السفينة، لكنها "تركتها وانصرفت عنها" فجأة[٣].

1- Selections on pirates in the Persian Gulf. op. cit., Vol. 7 2. pp.396-397.
2-Selections on pirates in the Persian Gulf. op. cit., Vol. 7 2. pp. 412-413
3- Selections on pirates in the Persian Gulf. op. cit., Vol. 73., pp. 412-413

www.almajidcenter.org

في الوقت الذي كان ممثلو وموظفو شركة الهند الشرقية يتحدثون فيه باستمرار عن وقوع صدامات بين سفنهم وسفن القواسم القراصنة كان الضباط قادة سفن الأسطول الملكي يرفعون تقاريرهم بانتظام، وكانوا يؤكدون في تلك التقارير أنهم لم يسمعوا شيئاً عن أية سفن قرصنة، أو يلتقوا بها.

يقول "ب. بردجز"، قبطان السفينة الملكية تشالنجر في تقرير رفعه إلى ديوان حاكم بومباي في ٩ ديسمبر ١٨١٧ : "أنا لم أر، ولم أسمع شيئاً عن أية سفينة قراصنة منذ مجيئي إلى الخليج"[١].

يحاول المؤرخون الإنكليز وفي مقدمتهم ج. لوريمر، وج. كيلي ترك انطباع بأن عام ١٨١٨ شهد تزايداً ملحوظاً في عدد الحوادث في عرض البحر، وأن هذه الحوادث زادت من مخاوف الحكومة البريطانية في الهند، ودفعتها لتجريد حملة عسكرية جديدة ضد القواسم.

لكن تبقى الحقيقة التي لا تقبل الجدل، أن سنة كاملة تقريباً - حتى شهر أكتوبر على الأقل - مرت دون الإبلاغ عن أي عمل "قرصنة"، أو عن أي صدام مع القراصنة في منطقة الخليج العربي.

الإعداد لحملة عسكرية جديدة ضد القواسم:

أدلى حاكم بومباي، إيفان نيبين مضطراً باعتراف قال فيه إن "السفينة الوحيدة للشركة الموقرة، التي أسرها القراصنة في السابق هي مجرد "باتمار"[٢] صغيرة، كان يقودها بحار محلي. وقد جرى تدميرها بعد الإجهاز على القسم الأكبر من بحارتها. وأنا (والقول

1-Selections on pirates in the Persian Gulf. op. cit., Vol. 7 2. p. 519

٢- سفينة هندية المترجم

www.almajidcenter.org

لنيبين) لم أسمع في أي وقت عن القيام بأسر أية سفينة كانت تقل أوروبيين أو تعود ملكيتها لتجار بريطانيين "[١].

جدير بالذكر أن شهادة حاكم بومباي هذه تعود لشهر سبتمبر من عام ١٨١٨، عندما كان يطالب بحزم بتجريد حملة عسكرية بحرية ضد القواسم. وفي هذا الوقت أيضاً رفع نيبين تقريراً إلى الماركيز هاستنكز (Hastings) (الذي كان يلقب سابقاً باللورد موير) قال فيه:" لقد بلغني أن زعماء القراصنة تقدموا مؤخراً بمقترحات إلى الإمام (يقصد إمام مسقط ـ المؤلف) حول وقف الصراع، ورغبتهم في العيش بسلام مع سموه. وإنه لمن المشكوك فيه أن يكتفي زعماء القراصنة بأن يكون سموه على الحياد. وإذا ما اضطرته الظروف إلى إيواء الأعداء، ومنعنا من الدخول إلى موانئه، فإن نتيجة ذلك ستكون الضرر الشديد لتجارتنا في الخليج "[٢].

أشار حاكم بومباي في هذا التقرير بوضوح إلى الخطر الذي يتهدد التجارة البريطانية في الخليج العربي إذا ما قام اتحاد أو تحالف بين العمانيين والقواسم، وجرى إغلاق موانئ مسقط وغيرها أمام سفن شركة الهند الشرقية، وفتحها أمام القواسم. وكان موظفو شركة الهند الشرقية وحكومة بومباي يدركون جيداً خطورة مثل هذا التحالف على مصالحهم؛ ولهذا كانوا يعملون دائماً على استمرار النزاع بين مسقط والقواسم.

كان حاكم مسقط يتطلع إلى السيطرة التامة على التجارة العربية في المنطقة، ولم يكن يدرك مدى الفائدة من التعاون مع القواسم، وجعلهم شركاء تجاريين أساسيين له، الأمر الذي كان سيمكّن الجميع فيما بعد من منافسة شركة الهند الشرقية بقوة. أما القواسم فكانوا

1- Al-Qasimi, op. cit.,; p. 312.
2- Secret Department Diaries. op. cit., № 310/1891. pp. 301-309.

www.almajidcenter.org

من جهتهم يتطلعون لعقد اتفاق سلام مع العمانيين، وكثيراً ما سعوا إلى ذلك، لكن جهودهم كانت تبوء بالفشل.

ولعل الشيخ سلطان بن صقر كان من أكثر شيوخ القواسم إدراكاً لفائدة التعاون مع مسقط. أما بقية الشيوخ، ومن بينهم حسن بن رحمة، فكانوا يرون أن التحالف مع الوهابيين ضد العمانيين هو السبيل الوحيد لحمايتهم من سيطرة الأخيرين عليهم، وفي الوقت نفسه ضمان المساعدة للتصدي للهجمات المسلحة التي تنفذها شركة الهند الشرقية.

نظراً لتطور الأحداث في غربي الجزيرة العربية، وإحراز المصريين الانتصارات على الدولة السعودية[1]، كان الوهابيون يتطلعون لتحسين علاقاتهم مع الإنكليز. والواقع أن حسن بن رحمة والأمير عبد الله، رأسلا وليم بروس بشأن عقد معاهدة سلام مع الإنكليز. وقد قدم حسن بن رحمة شروطاً واضحة ودقيقة لعقد المعاهدة مع الإنكليز، وهي توقف الأخيرين عن مهاجمة سفن القواسم، مقابل توقف القواسم عن مهاجمة سفن النصارى الإنكليز، أي الأوروبيين، وهذا يعني استثناء سفن الهندوس.

وبعبارة أخرى كان القواسم على استعداد للسماح لسفن شركة الهند الشرقية بممارسة التجارة في منطقة الخليج العربي على أن لا تدخل البضائع الهندية الرخيصة الثمن

١- لزيادة الاطلاع على حملة محمد علي ضد الوهابيين انظر:

- فاسيليف، أ. م. : تاريخ المملكة العربية السعودية / ١٧٤٥ - ١٩٧٣/ ، موسكو، ١٩٨٢.
- أبو حاكمة، أحمد مصطفى : محاضرات في تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصور الحديثة، القاهرة، ١٩٦٧.
- الدباغ، مصطفى مراد : جزيرة العرب: موطن العرب ومهد الإسلام، بيروت، ١٩٦٣.
- هيفاء عبد العزيز : غزاة في الخليج، بغداد. [هكذا ورد الاسم والعنوان ولعل الصحيح هو: الربيعي، هيفاء عبد العزيز : غزاة في الخليج : الغزو الهولندي للخليج العربي والمقاومة العربية: دراسة تاريخية، الموصل، ١٩٨٩].
- سعيد، أمين : تاريخ الدولة السعودية، الرياض ١٩٨٣.

www.almajidcenter.org

في منافسة تجارية بين الهند ومنطقة الخليج العربي تحت حماية السفن البريطانية. أما شروط السعوديين لعقد معاهدة سلام مع الإنكليز فقد كانت أكثر شمولية؛ فقد طالب عبد الله بن سعود - إلى جانب شروط ألقواسم - بأن يتوقف الإنكليز عن مساعدة الأتراك في البصرة، والمصريين واليمنيين في البحر الأحمر[1].

وبدورها أحجمت السلطات البريطانية - الهندية، التي اتخذت قرارها النهائي بشن حملة عسكرية ضد القواسم عن إعطاء الرد على الشروط العربية المقدمة لعقد معاهدة السلام، واستمرت في مهاجمة السفن العربية، متهمة إياها بممارسة القرصنة. وقد برز في تنفيذ هذه السياسة العدوانية القبطان ف. لوك (F. Locke)، قائد السفينة الملكية "إيدن" (Eden)، الذي وصل بسفينته إلى منطقة الخليج العربي عام ١٨١٨، وبدأ- خلافاً لبقية ضباط الأسطول الملكي- بتنفيذ الأعمال القذرة التي عجزت طرادات شركة الهند الشرقية عن تنفيذها بمفردها.

يقول المؤرخ الإنكليزي لوريمر، مستشهداً بأقوال لوك: "قامت سفينتا شركة الهند الشرقية الموقرة ثيتس وسايكي في ديسمبر عام ١٨١٨ بمطاردة ١٤ سفينة للقواسم القراصنة، ومحاصرتها في خليج جوادار. غير أن تجاهل رأي ضباط الشركة، وتأجيل مهاجمتها إلى الصباح، أتاح لسفن القراصنة الفرصة للفرار تحت جنح الظلام.... وفي صباح يوم عيد الميلاد عام ١٨١٨ تمكنت سفينة صاحب الجلالة "إيدن" والسفينة الحربية سايكي، التابعة لشركة الهند الشرقية من تحرير قارب من أسر سفينتي قراصنة من نوع ترانكي تمكنتا من الفرار. وفي يومي ١٠ و١١ يناير عام ١٨١٩ أغرقت سفينة صاحب الجلالة إيدن سفينتين للقراصنة من نوع بغلة قبالة جزيرة قشم وهنجام"[2].

1- Al-Qasimi, op. cit., p. 213.
2- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p. 656.

www.almajidcenter.org

إلا أن لوك و لوريمر تجاهلا تماما إن السفينة المأسورة كانت في حالة " قطر" من قبل الترانكين، اللذان تم"أسرهما وتدميرهما"، ما هي، حسب لوك، إلا "قارباً صغيراً لا قيمة له، كان يحمل قطناً"، وهو ما أشار إليه أيضاً في تقريره قبطان السفينة بسيخيا الملازم "ج. هاي"[1].

وفي الوقت نفسه صمت الكابتن لوك عن أن الطراد ثيتس طارد مراكب صيد سمك، وأن سفينته الحربية إيدن هاجمت في ٢٨ ديسمبر عام ١٨١٨عدداً من السفن العربية ودمرتها. رفع لوك تقريراً إلى حكومة بومباي تضمن لائحة بسفن "القراصنة"، التي طاردتها سفينته إيدن، وهي: البغلة "شيماء" للقبطان سعيد بن حسن، وكان عليها أربعة مدافع، و١٤٠ بحاراً؛ والبغلة "طماشة" للقبطان ثابت بن نعيم، وكان عليها أربعة مدافع، و١٣٠ شخصاً؛ والترانكي (نوع من السفن) "عواد" للقبطان حميد، وكان عليه مدفعان، و١١٠ أشخاص؛ والترانكي "ثوبين" للقبطان سالم، وكان عليه مدفع واحد، و١٦٠ شخصاً.

استمرت مثل هذه التقارير، التي تتحدث عن الصدام مع سفن "القراصنة"، بالورود إلى بومباي، وكان ينظر لها من قبل السلطات الأنجلو هندية، ومن بعدها المؤرخين على أنها تقارير صادقة. ولم يكن الشك يساور أحداً بأن هذه السفن للقواسم "القراصنة". فها هو لوريمر يقول في هذا الخصوص: "التقى طرادا شركة الهند الشرقية ثيتس وسايكي في الفترة ما بين أكتوبر ١٨١٨ ويناير ١٨١٩ مجموعات من سفن القواسم أكثر من ١٧ مرة. وكانت كل مجموعة مؤلفة من سفينتين إلى عشر سفن. وكان هذان الطرادان يطاردانها من

1- Selections on pirates in the Persian Gulf (Not indexed), 5 vols., Nos. 71, 73-76. Vol. 73/1819, pp.306-308.

www.almajidcenter.org

مكان إلى آخر. إلا أن السفن البريطانية قلما نجحت، أو أنها لم تنجح قط في جر هذه السفن العربية للاشتباك معها بسبب ميزة التسلح الشراعي الأفضل للسفن العربية"[١].

أي بمعنى آخر، كان قادة السفن الحربية التابعة لشركة الهند الشرقية يرون أن السفن العربية إذا ما أبحرت مجتمعة تكون سفن قرصنة، وتعد هدفاً يجب تدميره في أول فرصة ممكنة. وفي هذا الوقت بالتحديد كان قادة السفن البريطانية، من أمثال لوك، يهاجمون جميع السفن العربية في منطقة الخليج العربي دون تمييز.

فها هو القبطان كونيرس (Conyers)، قائد طراد شركة الهند الشرقية ميركوري، الذي أظهر نشاطاً كبيراً في هذه الفترة، يقول في تقرير رفعه إلى بومباي في فبراير عام ١٨١٩ إن "سفينته توجهت إلى الساحل نحو سفن قيل إنها من رأس الخيمة". وعلى الرغم من عدم وجود ما يثبت تبعية هذه السفن للقواسم ، أو أنها شاركت بأي شكل من أشكال القرصنة، فإن كونيرس هاجم اثنتين منها، وأسرهما، ودمرهما[٢].

وفي هذا الوقت ورد أيضاً الكثير من التقارير حول مهاجمة سفن شركة الهند الشرقية لسفن تجارية. والواقع أن هذه الأخيرة كانت تخص دولاً تعد صديقة لبريطانيا العظمى. فقد وقعت مثل هذه الحوادث مع السفينة البحرينية "الأحمدي". ومن أجل الوقوف على ملابسات هذه الحادثة جرت مراسلات لمدة أربعة أشهر بين الطرفين البحريني والبريطاني.

وقد تبين في النهاية أن ج. أرتور، قبطان الطراد أنتيلوب، اشترك بطراده مع سفينة مسقطية بالهجوم على السفينة الأحمدي، وجرى أسرها ونهب حمولتها. وقد انفضح أمر هذا التعاون ضد السفينة الأحمدي، عندما اختلف قادة الطراد البريطاني والسفينة المسقطية على

1- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p. 657.
2- Selections on pirates in the Persian Gulf. op. cit., Vol. 73., pp. 306-308, 310, 352-353.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

تقاسم الغنيمة. فعندها طالب أرتور بالحلي والمجوهرات التي كانت تحملها السفينة الأحمدي لنفسه. وفي نهاية الأمر أعيدت السفينة إلى البحرين، وكل ما حصل للقبطان ارتور أنه تعرض إلى التوبيخ فقط !

وفي حادثة أخرى هاجمت طرادات شركة الهند الشرقية في فبراير عام ١٨١٩ سفينتين تجاريتين أيضاً وأسرتهما. وعندما تبين فيما بعد أن السفينتين مسقطيتان أعيدتا إلى مسقط. وعندها بعث سلطان بن سعيد شخصياً رسالة شكر إلى بومباي جاء فيها: "...لقد ظن قادة طرادات الشركة في البداية أن هاتين السفينتين قاسميتان، فأوقفوهما. وعندما تبين فيما بعد أنهما ملك لرعيتي وكنتم أنتم كرماء معنا بتحريرهما، فقد بات لزاماً علينا توجيه التقدير العالي لمعاليكم"[1].

وفي مايو عام ١٨١٩ ارتكب القبطان لوك خطأً مشابهاً، عندما هاجم بطراده أربع سفن مسقطية، ظناً منه أنها قاسمية. وقد أدرك خطأه هذا عندما استولى على أصغر هذه السفن، واستجوب طاقمها المكون من ستة أشخاص، فأفادوه بأن سفينتهم والسفن الثلاث الأخرى مسقطية.

وفي يوليو عام ١٨١٩ أسر ولبول قائد السفينة الملكية كيرلو، سفينة لشيخ القواسم في لنجه "محمد بن كاش"، وسحبها إلى بوشهر، حيث جرى حجزها إلى أن أمر حاكم شيراز بإخلاء سبيلها. وفي سبتمبر عام ١٨١٩ استولى هذا القبطان أيضاً على سفينة للشارقة.

تضم أرشيفات بومباي عدداً كبيراً من التقارير التي تتحدث عن عمليات هجومية نفذتها السفن الحربية البريطانية في هذه الفترة ضد سفن ، والادعاء بأنها سفن "قرصنة" للقواسم، أو قد تكون للقواسم. ومن هذه العمليات ما ذكره الملازم"ج. هاي"، وكان قائداً

1- Selections on pirates in the Persian Gulf. op. cit., Vol. 74., pp. 116

www.almajidcenter.org

لطراد شركة الهند الشرقية سايكي، وكيف أحرق سفينة قاسمية من نوع بغلة، وأسر ثلاثة من طاقمها. واستولى في الوقت نفسه على سفينة صغيرة كانت تقطرها السفينة بغلة[1]. وفي الشهر التالي أسر طاقم السفينة البريطانية تايكناوث سفينة تجارية عربية ودمرها. وعندها لم يتثبت قبطانها الإنكليزي من أن هذه السفينة للقواسم وأنها سفينة قرصنة.

استمرت الهجمات على السفن العربية دون تمييز. ولم تكن الرحمة تأخذ المهاجمين، حتى في تلك الحالات التي يتأكد لهم فيها أن السفن المستهدفة مجرد سفن تجارية عادية. وبات من الواضح تماما إن هدف الإنكليز ليس قطع دابر القرصنة كما يدعون، وإنما القضاء على تجارة القواسم في مختلف موانئ الخليج العربي. حتى أنهم عملوا على خنق سكان حلف القواسم القبلي جوعاً من خلال منعهم من نقل المؤن من أي مكان في المنطقة.

والذي يؤكد ذلك تقرير لوك الموجه إلى بومباي في ١١ نوفمبر عام ١٨١٩، والذي جاء فيه: "... وفي هذا اليوم تمكنت سفينة صاحب الجلالة التي أقودها (يقصد إيدن - المؤلف) من أسر بتلة كبيرة الحجم للقراصنة، كان على متنها ٢٩ رجلاً"[2]. ثم كشف التقرير فيما بعد أن هذه البتلة لم تكن سوى سفينة تجارية عادية، كانت قد أقلعت من دبي إلى أبو ظبي للحصول على رخصة تجارية لارتياد الساحل الفارسي، وشراء التمور من هناك. ومع ذلك تم الاستيلاء عليها، وأسر طاقمها وأُرسل إلى بومباي قبل شرائه التمور.

ويوجد أيضاً تقريران يشيران الدهشة، رفعهما القبطان كونيرس إلى بومباي في نوفمبر عام ١٨١٩، لا يتركان أي شك في أن الهدف الحقيقي لشركة الهند الشرقية هو القضاء على التجارة القاسمية في منطقة الخليج العربي. تحدث التقرير الأول عن هجوم على

1- Selections on pirates in the Persian Gulf. op. cit., Vol. 73., pp. 121, 127-128.
2- Political Department Diaries. op. cit., Vol. 73/1819., pp. 226-228.

www.almajidcenter.org

سفينتين عربيتين كانتا تبحران بالقرب من أبو ظبي، وعلى متنهما ١٤ رجلاً يتسلحون ببنادق شطف وحراب، وكان ثلاثة منهم ركاباً.

وعلى الرغم من أن هاتين السفينتين كانتا من السفن التجارية العادية، فقد هوجمتا وسقطتا في الأسر . ويقول التقرير إن ضابطاً إنكليزياً صعد إلى سطح السفينتين وصادر منهما ٢٠٠ تالير، كما جرى نزع مجموعة الصواري من السفينتين.

أما التقرير الثاني فيدعو إلى الدهشة أكثر من الأول؛ ففيه أن القبطان كونيرس شاهد خمس سفن عربية تعبر باتجاه الساحل الشرقي للخليج العربي، وقام بمهاجمتها. وعندما استولى على إحداها تبين أنها سفينة تجارية من لنجه. وكانت تحمل أسماكاً مملحة، وأقمشة، ودهانات. ومع ذلك وصف هذه السفن في تقريره بأنها سفن قراصنة، ونسبها إلى القواسم[١].

في الوقت الذي كانت فيه القوات المصرية تتقدم في أراضي الجزيرة العربية باتجاه الدرعية بقيادة إبراهيم باشا ابن محمد علي، ملحقة الهزيمة تلو الأخرى بالوهابيين، كانت سلطات بومباي تنهي استعداداتها لشن حملة عسكرية ضد القواسم. وقد بدأت الاستعدادات لشن هذه الحملة في فبراير عام ١٨١٧، حينما أصدر الحاكم العام للهند، الماركيز هاستنكز تعليماته إلى حاكم بومباي، نيبين بالإسراع ما أمكن بتقدير حجم وطبيعة القوات اللازمة لتنفيذ هذه المهمة[٢].

وبناء على تعليمات الحاكم العام للهند أصدرت حكومة بومباي أوامرها إلى القبطان روبرت تايلور (مساعد الممثل السياسي البريطاني في العراق، الذي سبق أن شغل

1-Selections on pirates in the Persian Gulf. op. cit., Vol. 73., pp. 226-228, 231-232,239-241.
2-Kelly, op. cit., pp. 134-135.

www.almajidcenter.org

منصب مساعد المقيم البريطاني في بوشهر لمدة طويلة) بإعداد تقرير مفصل عن مواقع موانئ القواسم، والقبائل المتحالفة معهم، وقوتهم البحرية، وقدراتهم القتالية. وقد أعد روبرت تايلور تقريره في صيف عام ١٨١٨ ورفعه إلى حكومة بومباي، ذاكراً فيه معلومات مفصلة عن موانئ ومراسي القواسم، ومواقعها، وتضاريس السواحل، وعدد السكان، ونوع النشاط الاقتصادي الذي يزاولونه، والقوة البحرية التي يملكها العرب.

وذكر روبرت تايلور أن موانئ القواسم الرئيسة على الساحل العربي تقع في رأس الخيمة، والرمس، وجزيرة الحمراء، وأم القيوين، وعجمان، والشارقة. كما أشار إلى موانئ اتحاد بني ياس القبلي - دبي وأبو ظبي. وأكد على أن سكانها لا يمارسون القرصنة في عرض البحر، لكنهم يستغلون فرص اقتراب السفن الصغيرة من سواحلهم ليقوموا بأسرها[1].

رفع حاكم بومباي نيبين في سبتمبرعام ١٨١٨ تقريراً مفصلاً إلى الحاكم العام للهند، هاستنكز تناول فيه الحديث عن الحملة العسكرية القادمة، وأرفقه بتقرير لـ "سميث"، الذي أصبح جنرالاً، وهو من أحد القادة الأساسيين الذين شاركوا في حملة عام ١٨٠٩ ضد القواسم. وقد قال سميث في تقريره: "إذا كان المطلوب تحقيق نجاح كبير في ضرب رأس الخيمة، فلا بد من وجود ما لا يقل عن ثلاثة آلاف رجل من القوات البرية تدعمهم مدفعية قوية ".

كما أرفق نيبين بتقريره خطاباً رسمياً من المقيم البريطاني في بوشهر، الكابتن بروس، ذكر فيه أن شيوخ بعض القبائل العربية قد اجتمعوا في رأس الخيمة، واتفقوا على التصدي لأي هجوم تتعرض له المدينة[2].

1- Thomas, op. cit., №. 22. pp. 18-19.
2- Factory Records of the Late East India Company., Vol. 32.,№.23., 28/1/1819.

www.almajidcenter.org

عرض نيبين في تقريره بعض المقترحات حول المهام العسكرية والسياسية للحملة المقبلة، وكان مهتماً جداً بمعرفة رأي الحاكم العام في الهند فيها. وفيه استفسر نيبين من هذا الأخير عن بعض الأمور كأهداف الحملة، وما إذا كانت تقتصر على تدمير سفن القراصنة، وتحصيناتهم في موانئهم؛ وما إذا كان الحاكم العام يرغب بتعزيز سلطة بريطانيا في الخليج بإقامة قاعدة دائمة فيه؛ وما إذا كان من الحكمة السياسية وضع ساحل القراصنة، وجزر البحرين تحت حكم سلطان مسقط؛ وإلى أي درجة يمكن الاعتماد على خدمات رحمة بن جابر، الحاكم السابق لخور حسان، الموجود حالياً في بوشهر، والذي يضمر العداء للقواسم[1].

في هذا الوقت نقل تايلور رسالة من حاكم بومباي إلى سعيد بن سلطان يطلب فيها تقديم المساعدة للحكومة البريطانية في حربها ضد القواسم. وبعد اجتماعه بالسلطان سعيد بن سلطان وتسليمه الرسالة في أواخر عام ١٨١٨، ذكر تايلور أن سلطان عمان على استعداد للتعاون مع القوات البريطانية، وأنه تعهد بتقديم كل مساعدة ممكنة[2].

أعطى الماركيز هاستنكز الرد على تساؤلات نيبين في السابع من نوفمبر عام ١٨١٨، وقد جاء في رده أن المعلومات التي وصلت إلى حكومة الهند من حكومة بومباي جعلت الأولى على قناعة تامة بأن القضاء على القواسم بصورة نهائية بات أمراً لا بد منه. وأكد هاستنكز على ضرورة أن تكون الحملة العسكرية البحرية قوية جداً. وقال في ذلك: "إن أي محاولة لا تؤدي إلى تدمير القاعدة الأساسية لقوتهم لن تكون مجدية، وستكون

١- أثناء تجريد الحملة ضد القواسم نصح نيبين بضرورة الاستعانة برحمة بن جابر الذي كان في حالة عداء مع القواسم، وكان يشن عليهم الهجمات بداوات كان يمتلكها، انظر:

Factory Records of the Late East India Company. op. cit., Vol. 32.,№.54., 12/3/1819.

2- Factory Records of the Late East India Company. op. cit., Vol. 32.,№.5., 29/1/1819.

www.almajidcenter.org

نتائجها مؤقتة، مما سيضطرنا إلى إعادة الهجوم عليهم مرة أخرى في وقت يكونون فيه على أهبة الاستعداد لمواجهتنا"[١].

وأضاف هاستنكز أن المعلومات التي وصلته تؤكد على أن القواسم يتوقعون شن حملة بريطانية عليهم، وهم يستعدون لمواجهتها وأصبح بإمكانهم جمع قوة كبيرة لذلك، ولهذا "لا يمكن السماح بأن تكون القوة الواجب استخدامها لتنفيذ هذه العملية أقل من خمسة آلاف رجل". ونظراً لأنه كان من الصعوبة بمكان توفير مثل هذه القوة في هذا الوقت بالتحديد[٢]، فقد رأى الحاكم العام للهند تأجيل هذه الحملة إلى العام القادم، ولا سيما أن معلومات وردته تفيد بأن إبراهيم باشا يحرز انتصارات على الوهابيين. وقد ولد ذلك الأمل لدى هاستنكز بأن يضع الجيش المصري الوهابيين في وضع حرج، يمنعهم من تقديم المساعدة إلى القواسم عند الهجوم عليهم.

وقد قال هاستنكز في هذا الخصوص: "نرى من الضرورة بمكان الإسراع بعرض اقتراح على إبراهيم باشا بتنظيم حملة عسكرية مشتركة ضد رأس الخيمة، حيث تقوم قواتنا بمحاصرتها من البحر، بينما تقوم القوات المصرية بضرب حصار عليها من البر إلى أن تستسلم المدينة لنا. وعندها نقوم بتسليمها إلى قوات إبراهيم باشا[٣].

١- العابد، صالح محمد: دور القواسم في الخليج العربي، (مرجع سابق)، ص٢٩٨.

-٢ يرجع السبب في وجود النقص في عدد القوات إلى أن الإنكليز كانوا يخوضون حرباً ثالثة ضد ماهراتا . وفي هذه الحرب شارك أكبر جيش ماهراتي خلال فترة استعمار الهند. وقد حشدت بريطانيا لهذه الحرب ١٢٠ ألف مقاتل، منهم ١٣ ألف إنكليزي، و٣٠٠ مدفع . وانتهت الحرب بهزيمة أمراء ماهراتا. وعندها تسنى لحكومة الهند البريطانية إرسال القوات الإنكليزية إلى منطقة الخليج العربي لمحاربة القواسم . لمزيد من الاطلاع على الحروب بين الإنكليز وماهراتا، انظر:

- Beare, G. D. British Attitudes Towards India, 1784-1858.L., 1961;
- Cadell, Sir Patrick. History of the Bombay Army. L., 1938;
- Cambridge History of the British Empire. The Delhi, 2nd rep., 1963.

3-Factory Records of the Late East India Company. op. cit., Vol. 32.,№.5., 20/1/1819.

www.almajidcenter.org

إلا أن وجهة نظر حاكم بومباي هذه تعني السماح للسلطات المصرية، ومن ثمَّ العثمانية ببسط سيطرتها على منطقة الصير، على الساحل العربي، الأمر الذي يتعارض مع وجهة نظر الحاكم العام للهند، حتى وإن كان هذا الأخير يأمل بالحصول على مساعدة إبراهيم باشا في الصراع ضد القواسم.

في الثاني من إبريل عام ١٨١٩ عرض نيبين على مجلس حكومة بومباي خطة تهدف- حسب رأيه - إلى الاستقرار السياسي في منطقة الخليج العربي، بعد القضاء على القواسم، وتأمين التجارة البريطانية الهندية في مياه الخليج مستقبلاً، دون توريط الحكومة البريطانية بأية التزامات.

وأشار نيبين في خطته إلى إمكانية تحقيق الأمن في الخليج بزيادة قوة سعيد بن سلطان وسلطته، الحليف الأقرب لبريطانيا في منطقة الخليج العربي، وبإنشاء قاعدة بريطانية بالقرب من هرمز، وبوضع الساحل العربي من رأس الخيمة حتى الكويت في أيدي السلطات المصرية - العثمانية، وجعل المنطقة جنوبي رأس الخيمة تحت سيطرة سعيد بن سلطان.

كما اقترح نيبين تسليم البحرين أيضاً إلى حاكم مسقط. وذكر أن الغرض من ذلك ليس فقط معاقبة آل خليفة وعزلهم عن الحكم، لتعاونهم الكبير مع القواسم في القرصنة، وإنما لتعزيز مكانة مسقط اقتصادياً، وتمكين سلطانها سعيد بن سلطان من زيادة دخله؛ كي يتمكن من تحمل المسؤولية الملقاة على عاتقه، وتقديم المساعدة في إقامة قاعدة عسكرية بريطانية، واقترح أن تكون جزيرة قشم مكاناً لإقامة هذه القاعدة.

تباينت آراء أعضاء مجلس حكومة بومباي حول مقترحات نيبين بشدة، وكان من أكثر المعارضين لفكرة زيادة قوة سعيد بن سلطان وسلطته السكرتير العام في حكومة

www.almajidcenter.org

بومباي البريطانية، فرانسيس واردن، الذي أكد في اجتماع المجلس الذي عقد في ٣ إبريل على أن تطبيق خطة نيبين سيزج البريطانيين في صراع داخلي في الخليج.

وقال في هذا الخصوص: "إن وضع هذه المناطق تحت سلطة سلطان مسقط يعني أننا نبذر بذور الشقاق من جديد في الخليج، وسيدفع ذلك القواسم وآل خليفة إلى خوض القتال من أجل تحرير أنفسهم من السيطرة المسقطية. ولكن - من ناحية أخرى - إذا استطاع إبراهيم باشا إخضاع رأس الخيمة، فيمكن عندها القول إن القرصنة قد انتهت في هذه المنطقة، وإذا ما جرى اتفاق مع إبراهيم باشا على ذلك فيجب أن يكون اتفاقاً شفهياً وليس كتابيا". وقال أيضاً: "إذا كان لا بد لبريطانيا العظمى من تقسيم هذه المنطقة ورغبت في أن يكون لها حليف قوي في الخليج العربي، فعليها اختيار حكام كشيخ أبو ظبي، أو شيخ الكويت".

إما فيما يخص إنشاء قاعدة عسكرية لبريطانيا في جزيرة قشم فقد كان رأي واردن مطابقاً لرأي نيبين؛ وقد قال في هذا الخصوص: "إن ذلك يجعلنا في وضع أكثر تمركزاً وسيطرة في الخليج" . وأضاف: "علينا أن نضمن لطراداتنا حرية الدخول إلى أي ميناء في الخليج، وأن نضمن لها الحق في تفتيش أية سفينة بغية الحد من عدد أفراد طاقمها، وتقييد تسليحها إلى الحد الأدنى، الذي يمكنها من الإبحار بسلام، ويجب تخويل سفننا حق مطاردة السفن المخالفة ومصادرتها"[1].

أي بعبارة أخرى كان الهدف من هذه المقترحات تحويل الخليج العربي إلى بحيرة داخلية لبريطانيا العظمى، حيث يمكن للإنكليز أن يلعبوا دور الوسيط والحكم بالنسبة للسكان المحليين.

1- Factory Records of the Late East India Company. op. cit., Vol. 32.,№.17., 14/4/1819.

www.almajidcenter.org

استحسن ألكسندر بيل (Alexander Bell)، العضو في مجلس حكومة بومباي فكرة نيبين الخاصة باستخدام قوات إبراهيم باشا. فقد قال في هذا الخصوص: "إن قوة صغيرة من جانبنا ستكون كافية في هذه الحالة"، لكنه كان من المعارضين لفكرة تسليم البحرين إلى سلطان مسقط. في حين رأى المستر "برندرجاست" (Brendergast)، وهو عضو آخر في المجلس أن الحكمة تقتضي تجنب كل ما من شأنه توريط الإنكليز في سياسة حكومات الخليج الصغيرة، وأن يقتصر هدف الحملة الأساسي على الإسراع في القضاء على القراصنة بشكل تام[1]. كما أيد برندرجاست فكرة أن تكون لبريطانيا قاعدة عسكرية خاصة بها في منطقة الخليج العربي.

الواقع أن الحاكم العام للهند، الماركيز هاستنكز، لم يتدخل في النقاش الدائر بين أعضاء مجلس حكومة بومباي، وجعل القرار النهائي بيد حاكم بومباي نيبين، على أن يراعي هذا الأخير مسألتين أساسيتين:

الأولى ـ عدم التدخل في سيادة شيوخ المنطقة، باستثناء ما يتعلق بأعمال القرصنة.
والثانية ـ إنشاء قاعدة عسكرية لبريطانيا في الخليج العربي، على أن يكون ذلك إما على حساب سعيد بن سلطان، أو من عوائد الجمرك.

إزاء تباين الآراء أعلن نيبين لمجلس حكومة بومباي أنه سيرجئ اتخاذ القرار النهائي الخاص بالسياسة التي ينبغي على بريطانيا اتباعها في منطقة الخليج العربي إلى أن تتضح معالم خطط إبراهيم باشا. وفي الوقت نفسه أيد اقتراح واردن " إخبار إبراهيم باشا برغبة بريطانيا بأن تحتل القوات المصرية رأس الخيمة بعد سقوطها شفهياً، وليس كتابياً ".

1- op. cit.,

www.almajidcenter.org

عندما وصلت أنباء سقوط الدرعية في يد إبراهيم باشا إلى الهند في أواخر عام ١٨١٨، وجد الحاكم العام هاستنكز أن الفرصة مناسبة لأن يبعث إلى إبراهيم باشا برسالة يهنئه فيها بالانتصار، ويعرض عليه القيام بحملة مشتركة ضد رأس الخيمة. وقد وقع الاختيارعلى النقيب جورج سادلير(G. Sadlier) من الفوج الملكي السابع والأربعين لينقل رسالة هاستنكز إلى إبراهيم باشا، وأرفق بها سيفاً جميلاً كهدية له[١].

تلقى سادلير التعليمات من حاكم بومباي نيبين في ١٣ إبريل عام ١٨١٩. ووفقاً لهذه التعليمات كان عليه أن يتوقف بداية في مسقط، للاجتماع بسعيد بن سلطان والاتفاق معه على حجم المساعدة التي سيقدمها للحملة ضد رأس الخيمة، وكذلك لمعرفة موقفه من مسألة التعاون مع القوات المصرية في تنفيذ هذه الحملة؛ ومن ثم يتوجه إلى القطيف أو العقير في الإحساء، ومنها إلى الدرعية للقاء إبراهيم باشا.

وفيما يخص هذا القائد المصري، كان على سادلير الاجتماع به وإعلامه – في حال وجد لديه الرغبة في التعاون مع حكومة بريطانيا في شن حملة عسكرية ضد القواسم – أن هذه الحملة ستبدأ رسمياً حالما ينتهي موسم الرياح الذي يشكل عائقاً حقيقياً أمام إرسال القوات من بومباي[٢]؛ وأنه سيجري إرسال جنود وقوات بحرية من الهند إلى الخليج العربي من أجل العمل معاً في الاستيلاء على رأس الخيمة.

كما طُلب من سادلير أن يخبر إبراهيم باشا شفهياً بأن مدينة رأس الخيمة ستسلم إلى قواته فور سقوطها، على أن يساهم سموه بتخصيص قوة عسكرية مناسبة لتأمين حصار هذه المدينة[٣].

1- Adamiyat, op. cit., pp. 142-143.
2-Factory Records of the Late East India Company. op. cit., Vol. 32.,№.29., 21/7/1819.
3- Saldanha, op. cit., p. 93.

www.almajidcenter.org

كما كان على المبعوث الإنكليزي القيام في الوقت نفسه بجمع معلومات استطلاعية عن جيش إبراهيم باشا، وعن الأوضاع الداخلية في شبه الجزيرة العربية.

أبحر سادلير من بومباي إلى مسقط في إبريل عام ١٨١٩ للتباحث مع سعيد بن سلطان بموضوع التعاون الثلاثي (الإنكليزي - المصري - العماني) في الحملة المراد تجريدها ضد حلف القواسم القبلي. وفي الخامس عشر من مايو عام ١٨١٩ عرض سادلير موقف سلطان مسقط في تقرير أرسله إلى حكومة بومباي. وقد جاء في هذا التقرير أن سعيد بن سلطان يرفض تماماً فكرة التعاون مع المصريين. وقد برر رفضه هذا بأن قواته قادرة، بالاشتراك مع القوات البريطانية، على إحراز النصر على القواسم، دون حاجة إلى تدخل إبراهيم باشا[1].

وذكر سادلير في تقريره أن سعيداً أخبره بأنه سيشارك شخصياً في هذه العملية، وسيرسل في أي وقت كان خمسة آلاف رجل من رجاله للعمل مع الإنكليز. وفي حال إصرار الحكومة البريطانية على مشاركة القوات المصرية، فإن سعيد بن سلطان سيساعد الإنكليز فقط. ويطالب بعدم دعوة قواته للعمل في البر جنباً إلى جنب مع قوات إبراهيم باشا[2].

يمكن رد موقف سعيد بن سلطان هذا إلى تخوفه من أن يصبح استقلاله الذاتي مهدداً في حال إذا ما استولت القوات المصرية على ساحل القواسم؛ إضافة إلى ادعاء الإمبراطورية العثمانية وقتها بالبحرين، التي كان سلطان مسقط يتطلع للاستيلاء عليها، وجعلها تحت سيطرته.

1- Factory Records of the Late East India Company. op. cit., Vol. 32.,№.29., 21/7/1819.

2- Persian Gulf Territories, R/15, Bushire, vols. 11, 18, 21. Vol. 32., №.29., 21/7/1819.

www.almajidcenter.org

ولكن بعد مباحثات مطولة ومحاولات إقناع وافق سعيد بن سلطان على أن يخصص قوات بحرية لدعم الجيش المصري. وقد حصل سادلير من حاكم مسقط على تعهد مفصل بحجم وطبيعة المساعدة التي سيقدمها الأخير أثناء الحملة المشتركة ضد القواسم في رأس الخيمة.

غادر سادلير مسقط في ١٨ مارس متوجهاً إلى بوشهر من أجل الحصول على معلومات دقيقة عن الطريق عبر القطيف إلى الدرعية، حيث كان يعسكر القائد المصري إبراهيم باشا. وفي ٢١ يونيو وصل إلى القطيف، حيث علم بأن القوات المصرية شرعت بالانسحاب بعد أن عهد إبراهيم باشا بحكم الأحساء لشيخ قبيلة بني خالد. وبدا واضحاً للمبعوث الإنكليزي سادلير أن القائد المصري صرف نظره عن متابعة التوسع بالفتوحات. ولهذا "أصبحت مسألة التعاون معه، لإخضاع موانئ القواسم خارج نطاق البحث". ولكن مع ذلك كان عليه، وفقاً للتعليمات التي يحملها، الاجتماع مع إبراهيم باشا، الذي كان في هذا الوقت يسحب قواته صوب المدينة.

اضطر المبعوث البريطاني سادلير إلى قطع الجزيرة العربية من الشرق إلى الغرب. وبعد طول عناء وصل المدينة، واجتمع مع إبراهيم باشا في ١٨ سبتمبر، وسلمه رسالة وهدية الماركيز هاستنكز. وعندها أبدى إبراهيم باشا أسفه لعدم اطلاعه على خطط الحكومة البريطانية من قبل، وذكر بأنه سيحيل اقتراح الحاكم العام للهند إلى والده محمد علي، وطلب من سادلير أن يتجه إلى جدة وينتظره هناك. ففعل سادلير ذلك.

في ٢٩ أكتوبر وصل إبراهيم باشا إلى جدة وبدا محجماً عن ربط نفسه برد صريح ومحدد على عرض الحاكم العام للهند، هاستنكز. لكنه أعرب عن رغبة في إرسال هدية إلى هذا الأخير. ثم انقضى أسبوعان دون أن يحصل سادلير على الجواب النهائي من إبراهيم باشا أو على هديته إلى هاستنكز.

www.almajidcenter.org

وفي ١٢ نوفمبر استلم سادلير الهدية، واستغرب كثيراً عندما وجد أنها لا تعد عن كونها زينة قديمة لفرس، فردها إلى إبراهيم باشا وعلق على ذلك بأن هدية كهذه لا تتناسب مع مكانة من يشغل أعلى منصب بريطاني. وقد أغضب تصرف سادلير هذا إبراهيم باشا؛ فأمره بمغادرة معسكره.

أمضى سادلير شهرين آخرين في جده على أمل أن يهدأ غضب إبراهيم باشا، ويعطيه الرد النهائي على مقترحات هاستنكز. إلا أن ذلك لم يحدث. وفي ٢٣ نوفمبر عام ١٨٢٠ رسى الطراد برنس أوف ويلز في جده، فركبه سادلير وعاد به إلى بومباي. وبذلك أصبح النقيب جورج سادلير أول أوروبي يقطع الجزيرة العربية من شرقها إلى غربها. وقد كتب بعد ذلك مذكراته، التي أصبحت فيما بعد من المراجع الرئيسة التي تتناول الحديث عن منطقة الخليج في تلك الفترة. وكانت هذه المذكرات تعويضاً كبيراً له عن فشل مهمته.

انقطعت أخبار سادلير عن حاكم بومباي نيبين منذ يوليو عام ١٨١٩. إلا أن ذلك لم يغير في وضع الأمور في شيء؛ إذ أن التقارير التي وصلت إلى نيبين من بوشهر جعلته يقرر إعادة النظر في مسألة الحصول على مساعدة المصريين لإخضاع القواسم. وفي ١٠ يوليو عام ١٨١٩ عرض على مجلس حكومة بومباي خطة جديدة لمناقشتها.

غير أن هذه الخطة لم تكن تختلف كثيراً عن سابقتها، ولا سيما أن نيبين أصر على ضرورة وضع ساحل القراصنة، وجزر البحرين تحت سيطرة حاكم مسقط. غير أن أعضاء المجلس أعادوا رفضهم للخطة، ولا سيما فيما يخص البحرين وتسليمها إلى حاكم مسقط. ومع ذلك قرر مجلس حكومة بومباي في ٢١ أغسطس عام ١٨١٩ رفع تقرير إلى الحاكم العام، ومجلس مديري شركة الهند الشرقية يتضمن الاسئلة التالية:

www.almajidcenter.org

– على ضوء الأحداث الأخيرة، هل ستتم زيادة عدد أفراد الحملة الذي جرى تحديده في السابق بـ ٣٠٠٠ رجل، أم إنقاصه ؟

– هل ستبقى البحرين تحت سلطة حاكمها الحالي؟

– هل سيتم تسليم البحرين إلى حاكم مسقط أوغيره؟

– هل سيتم إنشاء قاعدة عسكرية بريطانية في جزيرة قشم، وإذا كان الجواب بنعم، فعلى أي أساس سيكون ذلك ؟

على الرغم من اعتراض أعضاء مجلس حكومة بومباي على تسليم البحرين إلى السلطان سعيد بن سلطان، فقد أكد نيبين أن عدم القيام بذلك سيجعل حكومة بومباي عاجزة عن إقامة قاعدة عسكرية بريطانية على حسابها. عدا عن ذلك كان حاكم بومباي يرى إن "من الصعب مراقبة سلطان مسقط في إدارة ساحل القرصنة، الذي كان ملكاً لأسلافه في يوم ما".

تلقت حكومة بومباي رداً من الحاكم العام للهند في ٢٩ سبتمبر جاء فيه أن عدد القوات سيبقى على ما هو عليه إلى أن ترد معلومات دقيقة عن أوضاع القواسم، وعندها سيصار إلى اتخاذ القرار النهائي حول هذه المسألة. أما فيما يخص المسائل الأخرى – لا سيما مسألة البحرين – فقد أشار الرد إلى أن البت في هذا الموضوع، لن يحدث ما لم تصل معلومات أكثر.

أما فيما يتعلق بمسألة التواجد العسكري البريطاني الدائم في منطقة الخليج العربي، فقد كان رد هاستنكز أنه من غير المرغوب فيه إقامة قاعدة عسكرية دائمة، ما لم تسدد نفقاتها من قبل سلطان مسقط، أو من جمارك الميناء، أو من أي مصدر مالي آخر. أما بخصوص

www.almajidcenter.org

منطقة حلف القواسم القبلي، فقد أبدى الماركيز هاستنكز رغبته بعدم التدخل في شؤون الإمارات أو المشيخات العربية، أكثر مما هو ضروري للقضاء على القرصنة"[1].

يدل تحليل رسالة الحاكم العام للهند، الماركيز هاستنكز على أن سياسة بريطانيا في الخليج العربي لم تكن قد تبلورت بعد، وإن كانت تسير باطراد نحو التكامل. غير أن الهدف الأساسي الذي كان واضحاً تماما إنذاك، هو القضاء التام على حلف القواسم القبلي، وتدمير القوة البرية والبحرية للقواسم، مما سيضمن - حسب رأي السلطات البريطانية في الهند - أمن مواصلاتها إلى الهند.

إلا أنه في العقود التالية من القرن التاسع عشر، وبعد إنجاز هذه المهمة، انكشف بوضوح زيف ادعاءات الإنكليز، وظهرت مطامع جديدة لبريطانيا في المنطقة. ففي الوقت الذي كانت تتزايد فيه النوايا العدوانية لسلطات الهند البريطانية، كان القواسم يحاولون التقرب من الممثلين البريطانيين، مما يؤكد رغبتهم الصادقة في التوصل إلى اتفاق سلام مع بريطانيا.

والذي يدحض افتراءات الإنكليز الكاذبة وتلفيقاتهم أن شيخ القواسم، حسن بن رحمة، الذي كان أكثر من وجهت إليه الاتهامات، بأنه يساعد على انتهاج سياسة القرصنة، كان من أكثر المهتمين بإقامة السلام مع الإنكليز. ومما يؤكد ذلك أنه في مارس عام ١٨١٩ طلب من شيخ البحرين، عبد الله بن أحمد أن يكون وسيطاً بين القواسم والإنكليز. وكان شيخ البحرين قد توسط فيما بينهم قبل شهر في مسألة تبادل أسرى.

1- Factory Records of the Late East India Company. op. cit., Vol. 32.,№.29. 09.1819.

www.almajidcenter.org

وإظهاراً لحسن النية، أفرج القواسم عن ١٧ امرأة إنكليزية كن في رأس الخيمة والشارقة، وتم تسليمهن إلى القبطان كونيرس، مقابل إطلاق سراح عدد قليل فقط من القواسم كانوا محتجزين في بومباي[١].

وبطلب من شيخ القواسم كتب عبد الله بن أحمد رسالة إلى بروس أخبره فيها بأن القواسم يتطلعون إلى عقد معاهدة سلام مع الإنكليز. فرد عليه بروس بأنه يرغب بموافاته بالشروط التي يعرضها القواسم لإرسالها إلى بومباي. وبعد أقل من شهر أرسل حسن بن رحمة شخصياً رسالة إلى الكابتن لوك جاء فيها: "يوجد بيننا اتفاقية أن لا يتسبب أحدنا بالضرر للآخر. وقد تقيد الطرفان بها، كما يتضح من سلوكنا. لكن حدث بعد ذلك، أن كانت مشيئة الله أن جاء بروس إلى هنا بعدد من السفن وتقدم لنا بعدد من المطالب، التي لم يكن لها أساس. ونتيجة لذلك جرى نقض الاتفاقية، واستئناف الأعمال الحربية"[٢].

بالطبع كان لوك أقل ميلاً من بروس في إقامة السلام مع القواسم. ولهذا بعث إلى بومباي رسالة مرفقاً بها رسالة حسن بن رحمة، الذي يؤكد أنه بعث بشروط الاتفاقية إلى بومباي. وقد علق لوك على تلك الشروط بالقول: "أنا على ثقة بأنه لا يمكن لأية حكومة بريطانية أن تأخذ هذه الشروط على محمل الجد"، وقال أيضاً: "لو عُرضت هذه الشروط عليَّ أولاً لرفضتها فوراً ودون أي تردد"[٣].

أما شروط الاتفاقية التي أشار إليها لوك فتتلخص بأن لا يتسبب القواسم في رأس الخيمة بالضرر للرعايا البريطانيين وسفنهم، وأن يعاملهم الإنكليز بالمثل[٤]؛ وكان على السفن الإنكليزية – بالإضافة إلى رفع العلم البريطاني – أن تحمل علامة مميزة خاصة بها، أما

1- Political Department Diaries. op. cit., №. 466/1819., pp. 2381-2382
2- Political Department Diaries. op. cit., №. 466/1819., pp. 3159-3160.
3- Political Department Diaries. op. cit., №. 466/1819., p. 3165.
4- Political Department Diaries. op. cit., №. 466/1819., p. 3166.

www.almajidcenter.org

سفن رأس الخيمة فعليها أن ترفع العلم الأبيض وعليه رمز مميز؛ وعلى كل طرف احترام المصالح المادية للطرف الآخر.

نصح لوك الذي يقف- كما يبدو- موقف العداء من القواسم أن ترفض سلطات بومباي على الفور شروط حسن بن رحمة لعقد اتفاقية سلام معه. وهذا ما نصح به بروس أيضاً. ومما يؤكد ذلك رسالته التي رفعها إلى حكومة بومباي في ٣٠ مارس عام ١٨١٩، والتي جاء فيها: "يدرك مجلس مديري الشركة الموقر من رسالة حسن بن رحمة أنهم يتطلعون إلى عقد اتفاقية مع الحكومة البريطانية، وأعتقد أن ذلك له علاقة بنواياهم العدوانية. إنهم يدركون أننا سنحاسبهم في نهاية الأمر عن كل ما ارتكبوه من أعمال شريرة بحق تجارتنا ورعايانا، وهم قلقون من أن تهاجمهم سفننا الحربية، إذا ما تعرضوا لهجوم تركي من البر. ولكي يضمنوا عدم حدوث ذلك، يتطلعون إلى عقد اتفاقية سلام مع الحكومة البريطانية".

على ضوء هذه الرسالة بعث نيبين في ٢٤ إبريل رسالة استفزازية إلى حسن بن رحمة رافضاً فيها تماماً مقترحات السلام التي يعرضها القواسم. فقد جاء في تلك الرسالة: "إن المقترحات التي تقدمتم بها الآن مرفوضة تماماً؛ فعلى الرغم من أن رعايا الشركة الموقرة وحلفاءها، قد يتأثرون من استمرار الأعمال الحربية، فإن الحكومة ترى في هذا الوقت أنه ليس بالإمكان القبول بأي من المقترحات التي تقدمتم بها"[1].

يبين مضمون هاتين الرسالتين بوضوح أن الحكومة الهند البريطانية وممثلي شركة الهند الشرقية أخذوا يسيرون فعلاً على طريق المواجهة، واستخدام القوة ضد القواسم. ولكن على الرغم من هذا الرفض القاطع من جانب حاكم بومباي، ظل حسن بن رحمة يأمل بالسلام. وقد أرسل إلى بروس رسالة في سبتمبر عام ١٨١٩ وعده فيها بإرسال ثلاثة

1- Al-Qasimi, op. cit.,; p. 220.

www.almajidcenter.org

مبعوثين لمناقشة اتفاقية عقد الصلح معه، وتعهد له فيها بتطبيق جميع الشروط التي سيوافق عليها المبعوثون مهما كانت[1].

وعندما وصل المبعوثون القواسم إلى بوشهر رفض بروس مناقشة المسألة معهم، وأرسل إلى بومباي رسالة في ٢٥ أكتوبر يرجو فيها أن يكون حاكم بومباي قد استحسن تصرفه هذا مع وكلاء القواسم- الاسم الذي عرفوا أنفسهم به- (أي المبعوثين ـ المؤلف) الثلاثة الذين قدموا إلى بوشهر، وبرر موقفه هذا بخشيته من أن يؤدي التباحث معهم إلى الإقلال من هيبة الأمة البريطانية[2].

في الوقت الذي كانت تجري فيه هذه المباحثات والمراسلات في منطقة الخليج العربي أخذت تظهر النزعة لتوحيد القوى العربية لمواجهة الروح العدوانية المتزايدة لشركة الهند الشرقية. وهذا ما أخبر به المقيم البريطاني في بوشهر حكومة بومباي في تقرير رفعه لها في ١٩ أغسطس عام ١٨١٨. وقد جاء في ذلك التقرير ما يلي:

"أتشرف بإحاطتكم علما أنه بلغني من خلال مراسلات خاصة مع مراسل لي في رأس الخيمة، وآخر في البحرين أن زعماء القبائل العربية: "هزاع"(؟)، وبني ياس، وسودان، وسلطان بن صقر شخصياً، والعتوب من البحرين، وكذلك زعماء لنجه، ومغو، وشراك قد اجتمعوا في رأس الخيمة، وتعاهدوا على نصرة بعضهم بعضاً، إذا ما تعرض الخليج إلى حملة عسكرية بريطانية، واتفقوا على أن تكون رأس الخيمة مقراً لقيادتهم، وأن يجمعوا فيها قوة كبيرة خلال وقت قصير. وقد جرى تعزيز مدينة رأس الخيمة بسور إضافي، وعدد من الأبراج. وقد كتب لي مراسلي أنهم يأملون بتحقيق النصر؛ بسبب تنامي قوتهم التي يؤمنها هذا التحالف". وأضاف المقيم البريطاني قائلاً: "إذا لم تقم حكومة بومباي

1- Selections on pirates in the Persian Gulf. op. cit., №. 76/1819., pp. 97-98.
2- op. cit., pp. 91-96.

www.almajidcenter.org

بتجريد حملة في هذا العام لعدم جاهزيتها، فإنني أخشى أن يضطر القسم الأكبر من الخليج للخضوع إلى هؤلاء القراصنة، وأن يكون من بينهم حتى سمو الإمام [يقصد إمام مسقط - المؤلف]؛ إذ أنه لن يكون بمقدوره مجابهة قوات هؤلاء الزعماء المتحالفين"[١].

لا شك بأن هذا الاجتماع غير العادي لزعماء القواسم من ساحلي الخليج العربي، بمن فيهم سلطان بن صقر، المدعومين من حلفائهم على اليابسة، ومن شيخ البحرين، كان له نتائجه المهمة. ومن الطبيعي أن الشيوخ الذين قرروا الدفاع عن رأس الخيمة، كانوا يدركون جيداً أن سقوط رأس الخيمة في أيدي الإنكليز يعني سقوط أول وأقوى خط دفاعي في وجه التدخل البريطاني.

فالقضية هنا لا تمت بصلة إلى القرصنة، ولا سيما إن القرصان الحقيقي الوحيد، رحمة بن جابر، لم يشارك في هذا الاجتماع، في حين شارك فيه العتوب من البحرين مع أنه توجد علاقات رسمية جيدة تربطهم بالإنكليز. وقد أكدت مشاركة البحرين في هذا الاجتماع أن القضية خاصة بحماية التجارة العربية في منطقة الخليج العربي، والحيلولة دون القضاء عليها من قبل القوات المسلحة البريطانية. وتدل مشاركة الشيوخ من الساحل الفارسي، وتقديمهم الدعم على أنهم كانوا يتوجسون خيفة على مستقبلهم إذا ما سقطت رأس الخيمة.

شكلت مشاركة سلطان بن صقر في هذا الاجتماع قلقاً شديداً للسلطات البريطانية في الهند؛ إذ كان من الواضح تماما أن الصدام سوف يكون ضد جبهة متحدة مع حلف القواسم القبلي[٢]. وقد سارعت حكومة بومباي باتخاذ الإجراءات الكفيلة بإضعاف خطر

1- op. cit., pp. 113-114.

٢- عندما أدرك القواسم جيداً مدى الخطر الذي يهددهم، إذا ما جرى تنسيق الأعمال بين الإنكليز والمصريين، أخذوا يبحثون عن قاعدة عسكرية احتياطية يمكنهم الانتقال إليها، إذا ما سقطت رأس الخيمة. وقد وقع اختيارهم على ميناء باسيدو، الواقع في الجهة الغربية من جزيرة قشم لإقامة القاعدة العسكرية عليها. وعندما علم حاكم

www.almajidcenter.org

اتحاد قوى القواسم على المخططات الإنكليزية الهادفة إلى الهيمنة على منطقة الخليج العربي؛ فقد أمرت بروس بالتوجه إلى البحرين والاجتماع مع زعماء العتوب، والتأكيد لهم على أن بريطانيا العظمى ستدعم استقلالهم، بغض النظر عن الحالة التي سوف تكون عليها المنطقة مستقبلاً. وقد كان ذلك قمة النفاق والرياء؛ إذ سبق لحكومة بومباي أن وعدت سلطان مسقط بتأييد مزاعمه بالبحرين.

ومن جهته قرر سعيد بن سلطان أخذ المبادرة مرة أخرى والهجوم على رأس الخيمة. غير أنه عاد إلى مسقط "بخفي حنين"، بعد أن حاصرها ثلاثة أشهر. ومنذ ذلك الحين أخذ يرأسل حسن بن رحمة، ويعده بالتوسط له مع الإنكليز. إلا أن الزعيم القاسمي رفض ذلك؛ لأنه كان يتطلع آنذاك إلى إجراء حوار مباشر دون وسيط مع السلطات الهندية البريطانية.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة... وعطاء مستمر

بومباي بذلك، أمر القبطان لوك بمنعهم من تنفيذ ذلك بأي شكل كان، وبمحاصرة موانئهم على الساحل العربي للخليج، وكذلك محاصرة قشم.

www.almajidcenter.org

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة... وعطاء مستمر

www.almajidcenter.org

الفصل الثامن

الحملة العسكرية البريطانية ضد القواسم

(١٨١٩ - ١٨٢٠)

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة... وعطاء مستمر

www.almajidcenter.org

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة... وعطاء مستمر

www.almajidcenter.org

المرحلة الأولى من الحملة:

عندما احتشدت قوات الحملة في بومباي في صيف عام ١٨١٩ لم تكن الحكومة الهندية أو حكومة بومباي قد توصلت إلى الترتيبات النهائية بشأن مستقبل الخليج العربي، ولا سيما فيما يخص الإجراءات السياسية الواجب اتخاذها بعد نجاح الحملة ضد القواسم. ونظراً لأن هذه المسألة بقيت معلقة، فقد أخبر نيبين في بداية أكتوبر اللواء وليم جرانت كير(William GrantKeir)، الذي أُسندت إليه مهمة قيادة الحملة بأن التعليمات المفصلة حول الشؤون السياسية للحملة ستصله لاحقاً.

وفي ٢٧ أكتوبر عام ١٨١٩ تلقى اللواء كير التعليمات الأولية حول المهام المباشرة للحملة، والتي هي:

- تحريك القوات البريطانية إلى رأس الخيمة؛
- تدمير أسطول القواسم المتواجد في رأس الخيمة دون النظر إلى نوع السفن، حربية كانت أم تجارية؛
- تدمير كافة القواعد العسكرية والحصون القاسمية على الساحل؛
- عدم زج قواته في معركة مع القواسم من خلال إرسالها إلى مسافات بعيدة عن الساحل أكثر مما هو ضروري لتدمير سفنهم في موانئها[1].

كانت الأوامر المسندة إلى كير تنص على أنه بعد تنفيذ مهام الأفضلية الأولية، يجب عليه الانتقال بالقوات إلى أم القيوين، والرمس، والحمرية، وجزيرة الحمراء، و عجمان، والشارقة، وإلى أي ميناء يقع على الساحل يمكن أن يكون تابعاً للقواسم، وتدمير كافة السفن الموجودة فيه، ومن ثم مهاجمة الموانئ الواقعة على الساحل الفارسي: مغوه، و لنجه،

1- Selections on pirates in the Persian Gulf (Not indexed), 5 vols., Nos. 71, 73- 76.

www.almajidcenter.org

وخارج. وأحيط اللواء كير علماً بأنه يستطيع عند الضرورة الاستعانة بخدمات القرصان رحمة بن جابر.

عندما أسندت حكومة بومباي مهمة قيادة الحملة إلى كير منحته أيضاً حقوقاً سياسية كبيرة؛ عندما فوضته باتخاذ ما يراه مناسباً من قرارات سياسية. ومن ناحية أخرى، في الوقت الذي تهيأت فيه الحملة للإبحار، قررت حكومة بومباي إرسال مبعوث خاص إلى سلطان مسقط للوقوف على طبيعة المساعدة العسكرية التي سيقدمها السلطان للحملة البريطانية، وقد وقع اختيار الحكومة على السيد "أ. جوكس" (A. Jukes) للقيام بهذه المهمة، وفي بداية نوفمبر توجه هذا الأخير من بومباي إلى مسقط.

وفي هذا الوقت أيضاً أرسلت حكومة بومباي مبعوثاً آخر إلى شيراز حاملاً رسالة إلى شاه فارس، توضح له أهداف الحملة القادمة، وللفت نظره إلى الفوائد التي يمكن أن يجنيها إذا ما شارك في العمليات البحرية ضد لنجه وغيرها من المناطق التي تخضع لسيطرة القواسم[1]. وتضمنت الرسالة إشارة إلى أن الممتلكات الفارسية على الساحل سوف تتعرض إلى هجوم، ولكن نتيجة لذلك سوف يسترد الشاه قسماً من الأراضي التي احتلت من فارس.

كما اقترحت حكومة بومباي على الشاه أن تقوم بدور الوساطة أثناء المباحثات مع آل خليفة، وأن تعمل على انتزاع اعتراف العرب بالسيادة الفارسية على البحرين. وستعمل السلطات البريطانية كل ما في وسعها حتى لا ينكشف دورها في هذه المسألة، ويبقى ذلك سراً بينها وبين الشاه.

1- Saldanha, op. cit., p. 95.

www.almajidcenter.org

يتضح هنا مرة أخرى نفاق ورياء الساسة الإنكليز؛ ذلك أنهم يعرضون على فارس استلام الحكم في البحرين في الوقت الذي يعرضون ذلك على مسقط أيضاً.

كما أحيط اللواء كير علماً بأن تردد الشاه يجب أن لا يمنعه من توجيه الضربات إلى مراكز القرصنة على الساحل الشرقي للخليج، مع مراعاة واحترام حقوق السيادة الفارسية. وقد قيل له في هذا الخصوص: "إن حكومة بومباي تمنحكم في مثل هذه الحالة حرية التصرف والحركة". أرسلت نسخ من صورة رسالة شاه فارس إلى المقيم البريطاني في بغداد، وسفير بريطانيا في طهران "ويلوك" (Willock) من أجل توضيح مهام عمل الحكومة البريطانية في الخليج[1].

في الأسبوع الأخير من أكتوبر كانت قوات الحملة العسكرية البريطانية في بومباي على أهبة الاستعداد للتحرك[2].

بلغ عدد القوات البرية التي شاركت في الحملة ٣٥٤٧ جندياً، منهم ١٤٥٣ أوروبياً، و٢٠٩٤ سباهياً (جنود هنود). وكان توزيع الأوروبيين على الشكل التالي: ٩٥ رجلاً من قوات المدفعية، و١٣٥٨ جندي مشاة منهم: ٥٨٥ من فوج المشاة الملكي الرابع، و٧٧٣ من فوج المشاة الملكي الخامس والستين.

1- Saldanha, op. cit., p. 95.

٢- يقدر لوريمر وولسون عدد القوات العاملة ضمن الحملة بـ ٣٠٦٩ مقاتلاً، بينما يقدرهم كل من مايلز وكوبلاند بـ ٣٠٠٠ رجل. وهذه الأعداد غير دقيقة إذا ما قورنت بالوثائق في أرشيف بومباي انظر:

- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p. 351, 665;
- Wilson, op. cit., p. 207;
- Miles, op. cit., p. 324;
- Coupland, op. cit., p. 149.

www.almajidcenter.org

أما السباهيون البالغ عددهم ٢٠٩٤ فكان منهم ٨٠٠ عنصر من الفرقة الثانية، و٨٠٠ من الفرقة الثالثة، و٢٠٠ من وحدات من الكتيبتين الأولى والثانية، و ٢٠٠ من مشاه البحرية، ٩٤ من عناصر الاستطلاع[١].

ضمت القوات البحرية التي شاركت في الحملة السفن التالية: فرقاطة العلم (القيادة) الملكية ليفربول (Liverpool) (ذات ٥٠ مدفعاً) بقيادة الكابتن "فرنسيس اوغسطس كولبير" (F. Augstus Collier) قائد القوات البحرية في الحملة، والفرقاطة " إيدن " (ذات ٢٦ مدفعاً)، والفرقاطة كيرلو (Curlew) (ذات ١٨ مدفعاً)، والطراد الحربي تايكتهاوث (ذو ١٦ مدفعاً)، السفن الحربية: بناريس (ذات ١٦ مدفعاً)، وأوروورا (ذات ١٤ مدفعاً)، ونوتيلوس (ذات ١٤ مدفعاً)، و أريال (ذات ١٠ مدافع)، وفستال (ذات ١٠ مدافع)، و تيرنت (ذات ١٦ مدفعاً)، وميركوري (ذات ١٤ مدفعاً)، وبسيج (ذات ١٠ مدافع). بالإضافة إلى ذلك كانت الحملة تضم ١٨ سفينة لنقل القوات والقادة والذخيرة[٢].

شكلت هذه القطع الحربية البحرية أكبر أسطول بريطاني يشهده الخليج العربي حتى ذلك الحين[٣]. و قد خرج هذا الأسطول من بومباي إلى الخليج في ٣ نوفمبر ١٨١٩؛ وعندها توجهت سفينة العلم ليفربول إلى مسقط، بينما توجهت بقية السفن إلى منطقة التحشد في جزيرة قشم.

وصلت الفرقاطة ليفربول إلى مسقط في ١٣ نوفمبر. وعلى الفور عقد اجتماع ضم القائد العام للحملة البريطانية، اللواء وليم جرانت كير، ومواطنه الكابتن كولبير ـ قائد

1- Cadell, Sir Patrick. op. cit., pp. 16-18.

٢- انظر:

- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p. 665;
- Low, op. cit., Vol. 1. pp. 351-352;
- Moyse- Barlett, op. cit., p. 86.

3- Wilson, op. cit., p.207.

www.almajidcenter.org

القوات البحرية، وحاكم مسقط سعيد بن سلطان. وخلال الاجتماع تعهد حاكم مسقط بدعم الحملة بثلاث سفن حربية، وأربعة آلاف مقاتل، إلى جانب ٧٥ قارباً لتنفيذ العمليات الصغيرة، ونقل الجنود إلى الساحل[١].

رفع كير تقريراً إلى حكومة بومباي أخبرها فيه عن نتائج المباحثات التي جرت بينه وبين حاكم مسقط. وبدورها بعثت هذه الحكومة بتعليمات جديدة إلى القائد العام للحملة، حول الإجراءات الواجب اتخاذها بعد تدمير رأس الخيمة. وكانت هذه التعليمات تختلف قليلاً عن سابقاتها التي كانت تنص على تسليم الحكم في المدينة إلى سلطان بن صقر، الشيخ السابق للقواسم، "إذا ما وجد لديه ما يكفي من النفوذ ليحكم القبيلة". أما التعليمات الجديدة فقد طالبته بنقل الحكم إلى زعيم تختاره القبيلة بنفسها، بشرط أن لا يكون له أي ارتباط مع الوهابيين بأي شكل كان، وأن يقسم على عدم استئناف أعمال القرصنة التي كانت السبب في تجريد هذه الحملة[٢].

بعد أن أنجز اللواء كير مهمته في مسقط، توجه إلى جزيرة قشم للقاء بقية سفن الحملة. وبعد ثلاثة أيام وصل إلى هناك، ولاحظ أن بعض السفن التي خرجت من بومباي لم تصل بعد، فقرر استغلال الوقت والتوجه إلى رأس الخيمة؛ بغية إجراء استطلاع شخصي[٣] لها، من أجل الحملة المقبلة. أقلع كير في ٢٥ نوفمبر بسفينة العلم ليفربول متجهاً إلى ساحل القواسم، وكان يرافقه قائد القوى البحرية، وضباط استطلاع، واختصاصيون في

١- العابد، صالح محمد : دور القواسم في الخليج العربي، (مرجع سابق)، ص ٣١٠.

2- Factory Records of the Late East India Company, G/29, Persia and Persian Gulf، vols. 20- 32., vol. 32.

٣- الاستطلاع الشخصي : مصطلح عسكري يعني قيام القائد باستكشاف منطقة الأعمال القتالية بغية تقدير الموقف العملياتي، واتخاذ القرار المناسب، كتحديد ساعة الصفر، واتجاه الضربة الرئيسة والضربات الثانوية وغير ذلك.....المترجم.

www.almajidcenter.org

الهندسة الميدانية، بالإضافة إلى الفرقاطة "بناريس". وفي يومي ٢٦ و٢٧ نوفمبر أجرى دراسة على المدينة وميناءها من مسافة بعيدة.

لاحظ الإختصاصيون الإنكليز أن تحصينات رأس الخيمة عبارة عن سور صخري جديد يحيط بالمدينة من جهة البحر، والجهة الجنوبية الغربية، وهو على ارتفاع تسعة أقدام، وسماكته قدمان، ومعزز بأبراج صخرية منفصلة عن بعضها بمسافات محددة. وتحتوي هذه الأبراج على طلاقات. أما الجانب المطل على الخليج فكان بسيطاً ومكشوفاً، ولهذا جرى هنا وضع عدد من بطاريات المدفعية. وإلى الجنوب من المدينة توجد قلعة مربعة الشكل، كانت في ذلك الوقت من أقوى المنشآت الدفاعية في الخليج[1]، وهناك قلعة ثانية منتصبة على جزيرة "المهرة" المقابلة للمدينة، بالإضافة إلى عدد من الأبراج المحصنة في منطقة مزارع النخيل.

بعد القيام بالاستطلاع الشخصي وجد كير أن القوات المحتشدة في جزيرة قشم تكفي للاستيلاء على عاصمة القواسم، وأنه لا بد من الإسراع بمهاجمتها قبل حلول موسم الرياح الشتوية، التي ستؤثر على سير الحملة، وتقلل من فرص نجاحها.

وعليه فقد أمر كير الفرقاطة بناريس التي ترافقه بالعودة فوراً إلى جزيرة قشم، واستدعاء سفن الأسطول المحتشدة هناك. وفي ٢ ديسمبر أقلع الأسطول باتجاه رأس الخيمة، وكانت ترافقه فرقاطتان مسقطيتان تحملان ٦٠٠ مقاتل بقيادة سعيد بن سلطان. وفي صباح اليوم نفسه، كانت سفن النقل الأربعة، التي أقلعت من بومباي بمفردها قد وصلت إلى المنطقة. وبذلك اجتمعت القوة البريطانية بأكملها واستعدت لبدء الهجوم[2].

1- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p. 666.
2- Low, op. cit., Vol.1. p. 353.;
Kelly, op. cit., p. 152.

www.almajidcenter.org

بدأت عملية الإنزال عند فجر يوم ٣ ديسمبر[١] تحت غطاء كثيف من نيران مدافع السفن، واستُخدمت القوارب، و"سفن الدعم"، لنقل القوات التي نزلت على بعد نحو ميلين عن المدينة. و كان للعمانيين وسفنهم فائدة كبيرة في نقل المدافع والذخيرة. ولتعزيز القوات جرى إنزال ٥٠٠ بحار من سفن الأسطول.

عند تنفيذ عملية الإنزال لم تتعرض القوات المهاجمة إلى مقاومة عنيفة من المدافعين؛ ذلك أن الفرقاطة "اوروورا" والفرقاطة "نوتيلوس" نفذتا عملية مشاغلة ناجحة؛ فقد اقتربتا من مدخل الخليج وفتحتا نيراناً كثيفة على المدافعين للفت انتباههم، والإيحاء لهم بأن اتجاه هذه النيران هو اتجاه الضربة الرئيسة لشن الهجوم.

بعد إتمام عملية الإنزال، أمضت القوات البريطانية بقية يومها في تحصين خط هجومها المقبل، ونصب بطاريات المدفعية، وتجهيز مرابض المدفعية، وحفر المساند[٢].

قدر الإنكليز عدد قوات القواسم لحظة تنفيذ عملية الإنزال بنحو سبعة آلاف مقاتل. بينما قال أحد الضباط الإنكليز،الذين شاركوا في المعركة بشكل مباشر: ".... حسب تقديري لم يكن عدد قوات العدو لحظة قيامنا بالإنزال البحري يزيد عن أربعة آلاف شخص"[٣].

١- أخطأ جراهام عندما أكد على أن عملية الإنزال حدثت في الساعة الرابعة من صباح ٤ ديسمبر عام ١٨١٩.انظر:

Graham, op. cit., p.249.

2-Low, op. cit., Vol.1. pp. 353-354.

3-Thomas, R. H. (Comp. &. ed.) Historical and other information connected with the Province of OMAN, Muscat, Bahrein and other places – in the Persian Gulf. Bombay, 1856.; p. 237.

www.almajidcenter.org

مما لا شك فيه أن القواسم نقلوا النساء والأطفال من المدينة إلى منطقة مزارع النخيل قبل بدء المعركة، واستعدوا لخوض المعركة الدفاعية بقيادة الشيخ حسن بن رحمة، وأخيه إبراهيم.

وفي فجر اليوم التالي، الرابع من ديسمبر فتحت المدفعية البريطانية نيرانها الكثيفة على مواقع العرب، وبعد ذلك تمكنت الوحدات الأمامية من الفوج ٤٧ من الاستيلاء على مرتفع يبعد مسافة ٩٠٠ ياردة عن تحصينات القواسم، في حين تمكنت مقدمة الفوج ٦٥ من التوغل إلى مسافة تبعد ٢٠ ياردة عن القلعة الكبيرة المربعة الشكل، بهدف استكشافها[1].

تعرضت مواقع العرب لقصف مدفعي مستمر من البر والبحر. ونجح الإنكليز في إقامة تحصينات ميدانية من أكياس الرمل، ونصبوا بطارية مدفعية على بعد ٣٠٠ ياردة عن المدينة. وعلى الفور بدأت هذه البطارية بالرمي على المدينة، إلا أنها لم تستمر بذلك طويلاً؛ فقد تمكن القواسم من إسكاتها بنيران مدافعهم.

ازدادت المعارك ضراوة في صباح اليوم التالي، الخامس من ديسمبر، عندما اقتربت سفن الأسطول البريطاني من رأس الخيمة بشكل كبير، وأخذت تقصفها بكثافة متزايدة، مما ألحق خسائر فادحة بالقواسم. فقد سقط منهم في مساء ذلك اليوم - حسب أقوال أحد العرب الذين وقعوا في أسر الإنكليز - ما لا يقل عن ٩٠ رجلاً بين قتيل وجريح.

إلا أن هذه الخسائر لم تؤثر على الروح المعنوية العالية للقواسم؛ إذ كانوا يردون على الإنكليز بالمثل، الأمر الذي اضطر الأخيرين للاستعانة في اليوم التالي بمدافع إضافية، أحضروها من سفنهم. وبذلك ضاعفوا من كثافة قصفهم المستمر للمدينة، إلى أن ظهر لهم

1- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p. 666.

www.almajidcenter.org

أن العرب أخذوا يعانون من النقص في الذخيرة، مما اضطرهم إلى إيقاف الرمي على المهاجمين من أعالي البرج.

وكان من أحداث العمليات العسكرية أن القواسم شنوا في إحدى العمليات هجوماً معاكساً على القوات البريطانية، واستولوا على عدد من المدافع الإنكليزية، واستخدموها ضد المهاجمين المعتدين.

في ليلة ٧ ديسمبر هاجمت مفرزة من القواسم بقيادة إبراهيم بن رحمة موقعاً إنكليزياً متقدماً، واستطاعت بعد معركة ضارية بالسلاح الأبيض الاستيلاء على مدفع مورتير. إلا أن صمودها في الموقع لم يستمر طويلاً؛ فقد تعرضت إلى هجوم مقاكس، شنته عليها قوات من الفوج ٦٥ المستنفر، مما اضطرها إلى الانسحاب بعد أن فقدت ٩٠ رجلاً بين قتيل وجريح [١]. وقد كان من بين الجرحى إبراهيم بن رحمة[٢].

سجل اللواء جرانت كير كلمات لأحد الجنود الذين شاركوا في هذه المعركة الليلية يقول فيها: "..... قتل من فصيلتي ما لا يقل عن ثمانية رجال، ولعل خمسة منهم قتلوا دون أن يبدوا أية مقاومة، أما الجنود الثلاثة الآخرين فقد كانت على أيديهم دماء. مما يعني أنهم تمكنوا هم أيضاً من قتل عدد من القواسم" [٣].

قبل بزوغ فجر اليوم التالي شن العرب هجوماً آخر على مواقع إنكليزية. إلا أنهم أخفقوا في هذه المرة في تحقيق أي نتيجة. وفي صباح اليوم الخامس من المعركة أجرى اللواء جرانت كير تقديراً جديداً للموقف، واتخذ قراراً بعدم استخدام المدافع ذات العيار ١٢ و ١٨ باوند؛ ذلك أن قذائفها لم تكن تلحق أضراراً كبيرة في المنشآت الدفاعية المحصنة. بل

١- ذكر لوريمر أن القواسم انسحبوا من المعركة مخلفين وراءهم ستة قتلى. انظر نفس المرجع ص ٦٦٦-٦٦٧.

2- Low, op. cit., Vol.1. pp. 355-358.

3- Secret Department Diaries., op. cit., №. 497, p. 183.

www.almajidcenter.org

الأكثر من ذلك أن القواسم كانوا يستفيدون من القذائف الإنكليزية بإعادة إطلاقها على المهاجمين، فقد كانت أعيرتها تتناسب مع أعيرة مدافعهم.

وقد أمر كير بإحضار مدافع أخرى من عيار٢٤ باوند من الفرقاطة ليفربول، ونصب بطاريات جديدة. وسرعان ما فتحت هذه البطاريات نيرانها على العرب. ومن تأثير انفجار قذائف هذه البطاريات أخذت أبراج القلعة تهتز. وعندما حاول القواسم استخدام هذه القذائف أيضاً وجدوا أن حجمها كبير، لا يتناسب مع مدافعهم. وقبل حلول الظلام أخذت الرايات البيضاء ترتفع في المدينة مرات عديدة. غير أن المهاجمين تجاهلوا ذلك واستمروا في قصف المدينة.

استمر القصف المدفعي للمدينة طيلة يوم ٨ ديسمبر، ولم يهدأ حتى في الليل. وفي الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي أحدث القصف ثغرة كبيرة في سور القلعة، فاستعدت القوات البريطانية لاقتحامها. عند إعطاء إشارة الاقتحام خرج الجنود من مساندهم، واندفعوا إلى الثغرة، دون أن يتعرضوا لأية مقاومة؛ إذ كان العرب قد انسحبوا إلى التلال تحت جنح الظلام. وما إن اقتحم الجنود المدينة حتى أخذوا بنهبها.

يقول "لو"(Low) في هذا الصدد: "... كانت خيبة أمل الجنود الإنكليز كبيرة عندما لم يجدوا في المدينة ما يسلبونه؛ فقد أخذ القواسم معهم كل ما هو ثمين. ولم يتركوا سوى الماشية. ومع ذلك كان الجنود الإنكليز يشاهدون وهم يسوقون الماعز والعجول إلى الساحل خمسة، وعشرة، وعشرين. إلى أن جرى تحميل السفن بقطعان الماشية، بحيث لم تعد تتسع لشيء. وفي المدينة أُنزل علم القواسم، ورفع محله العلم البريطاني[1].

١- للاطلاع على الوصف الكامل للقتال في معركة رأس الخيمة، انظر التقرير المرسل من الجنرال كير إلى القائد العام للجيش الإنكليزي في الهند، المؤرخ في ٩ ديسمبر عام ١٨١٩ . انظر:

Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. pp. 258-260.

www.almajidcenter.org

بعد تدمير أسوار القلاع ومساواتها بالأرض، أخذ الجنود الإنكليز بتخريب المدينة. وأثناء المعارك فقدوا ٤١ قتيلاً، كان من بينهم ضابط واحد، وأصيب ٥٢ جريحاً من بينهم ثلاثة ضباط. أما خسائر القواسم فكانت فادحة، إذ سقط منهم ما لا يقل عن ٣٠٠ قتيل و٧٠٠ جريح[١].

أعلن الشيخ الأعلى للقواسم، حسن بن رحمة في اليوم التالي عن استعداده للاستسلام بشرط التعهد له بسلامته وسلامة أتباعه. وعندما حصل على تعهد الإنكليز بذلك حضر إلى معسكرهم يرافقه أربعة من أتباعه. وجرى حجزهم في المعسكر بشكل إفرادي إلى أن تصل التعليمات بشأنهم من بومباي.

بعد ذلك استولت القوات البريطانية على سبعين مدفعاً تقريباً، كان عدد كبير منها غير صالح للاستعمال. كما استولت على نحو ثمانين سفينة تتراوح حمولتها بين ٤٠ و ٢٥٠ طناً. وعندها وجد اللواء كير أن الحكمة تقتضي عدم تدمير هذه السفن، وإنما استخدامها، لحين ترد التعليمات من حكومة بومباي. وبالفعل استخدم البحارة الإنكليز تسع سفن منها، وأمضوا عليها مدة خدمتهم[٢].

لم تكن القوات البرية العمانية قد شاركت بشكل مباشر في معركة رأس الخيمة؛ ذلك أنها وصلت إلى ساحة المعركة بعد الانتهاء منها. وهذا ما يتضح على وجه الخصوص من نص جلسة حكومة بومباي التي عقدت في ٢٦ يناير عام ١٨٢٠. فقد جاء في ذلك النص ".... ومن المؤسف أنها (أي قوات مسقط البرية ـ المؤلف) وصلت إلى أرض المعركة بعد انسحاب القواسم. ولو أنها وصلت في الوقت المناسب، لكان من الممكن تعزيزها بعدد

1- Low, op. cit., Vol.1. pp. 256-257,259-60.
2- Saldanha, op. cit., p. 103.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

قليل من جنودنا، وحشدها على الجانب المقابل للخليج الصغير، حيث تقع رأس الخيمة، مما كان سيحول دون نجاح العدو (القواسم ـ المؤلف) بالانسحاب"[١].

يدل نص جلسة حكومة بومباي هذا، وتقرير اللواء كير على الخطأ الذي يرتكبه البعض من المؤرخين عندما يدعون أن قوات مسقط البرية شاركت في معركة رأس الخيمة. ومن هؤلاء المؤرخين على سبيل المثال: "ر. كوبلاند" (Coupland) الذي قال: "... انضم السيد سعيد إلى الأسطول البريطاني في جزيرة قشم قبل بدء الحملة على رأس الخيمة، وكان على رأس ثلاث سفن و٤٠٠٠ مقاتل"[٢]. ووقع في مثل هذا الخطأ أيضاً ج. جراهام؛ إذ قال:"... بعد القيام بالإنزال الأول بوقت قصير انضم إليهم (إلى القوات البريطانية) سلطان مسقط. وقد تمكن هؤلاء من عبور التلال"[٣].

ويكرر هذا الخطأ أيضا "ر. سانجر"؛ إذ يقول: "بينما كانت مدفعية السفن البريطانية تقصف من البحر، كان هناك أربعة آلاف جندي مسقطي يهاجمون القواسم من المؤخرة"[٤]، ويشارك هؤلاء المؤرخين في هذا الأمر " كلارنس مان " الذي يقول: "أطبقت القوتان (يقصد الإنكليزية، والعمانية البرية ـ المؤلف) على رأس الخيمة، التي أصبحت بين فكي كماشة"[٥].

لم تبق قوات سلطان مسقط في المنطقة لفترة طويلة؛ فقد كان القائد العام للحملة، اللواء وليم جرانت كير يخشى من أن يؤدي تواجدها في المنطقة إلى هيجان السكان المحليين الذين طالبوا برحيلها.

1- Factory Records of the Late East India Company, G/29, Persia and Persian Gulf, vols. 20- 32.

2-Coupland, Sir Reginald. op. cit., p. 150.

3- Graham, op. cit., p. 249.

٤- العابد، صالح محمد : دور القواسم في الخليج العربي، (مرجع سابق)، ص ٣١٨.

5- Mann, op. cit., p. 27.

www.almajidcenter.org

بعد سقوط عاصمة القواسم بدأت الاستعدادات لمهاجمة الرمس الواقعة على بعد ستة أميال شرق رأس الخيمة، التي يحكمها حسين بن علي، أحد شيوخ حلف القواسم القبلي. وقد جرى إرسال السفن "كيرلو" و"أورورا" و"نوتيلوس" في المقدمة، لمحاصرة المدينة قبل وصول القوة الرئيسة إليها. وعند الاقتراب من المدينة لاحظ الإنكليز أن سكانها قد غادروها إلى قلعة "ضايا" الواقعة في التلال، عند مدخل صغير على بعد ميلين تقريباً عن ساحل البحر. وقد قدر عدد المقاتلين في هذه القلعة بنحو ٤٠٠ مقاتل كانوا بقيادة حسين بن علي.

تعد هذه القلعة نقطة مهمة جداً من الناحية الإستراتيجية؛ ذلك أنها تشكل "المفتاح الشمالي" لرأس الخيمة، وتشرف على عدد من الممرات والتلال، ويمكن منها مراقبة الطريق الساحلية المؤدية إلى عاصمة القواسم. ولما كانت هذه القلعة منشأة تحصينية قوية جداً، فقد اعتقد العرب أن بإمكانها الصمود أمام المدفعية البريطانية، ولأهميتها وجدت قيادة الحملة أن سقوط هذه القلعة سيحبط الروح المعنوية العالية للقواسم في بقية المناطق، وسيضعف كثيراً من مقاومتهم المستمرة.

اقتربت القوة الرئيسة في الأسطول إلى الرمس في ١٨ ديسمبر، وكانت بقيادة الرائد "وارن" (Warren). إلا أنه نظراً لأهمية المعركة المقبلة، قرر القائد العام للحملة اللواء كير قيادة هذه العملية بنفسه، وفي مساء اليوم نفسه وصل إلى ميناء القواسم، وكان برفقته الكابتن "كولبير" تصحبهما بقية سفن الأسطول. بينما كانت قوة الرائد وارن مؤلفة من: ٣٠ مدفعاً، بما في ذلك مدفعين عيار ١٢ باوند، ومدفعان مورتير، و٤ بطاريات مدفعية، والفوج ٦٥، ووحدات من الكتيبتين الأولى والثالثة.

www.almajidcenter.org

في اليوم التالي ١٩ ديسمبر بدأ الهجوم على القواسم الذين "كانوا يدافعون بأسلحتهم عن كل شبر من أراضيهم أثناء انسحابهم إلى مزارع النخيل"[١]، وأخذت مدافع المورتير تقصف القلعة. وسرعان ما تبين أن تحصينها أقوى مما كان متوقعاً.

في اليوم التالي حقق المهاجمون بعض النجاح، وتمكنوا من محاصرة القلعة من جميع جهاتها، وجرى إحضار مدافع من عيار ٢٤ باوند ومدفعين – ١٢ باوند من الفرقاطة ليفربول. ونصب مدفعان من عيار ٢٤ باوند أمام القلعة من جانبها الشمال الشرقي، بينما جرى نصب مدفعين آخرين عيار ١٢ باوند في الجهة الغربية لها.

في الساعة الثامنة والنصف من صباح ٢٢ ديسمبر فتحت المدافع نيرانها الغزيرة، وبعد ساعتين من القصف المتواصل جرى إحداث ثغرة في جدران القلعة. وعندما استعد الجنود الإنكليز لاقتحامها شوهدت الرايات البيضاء ترتفع في القلعة. وأعلن المحاصرون الاستسلام بشرط الإبقاء على حياتهم.

وفي الساعة الواحدة ظهراً احتلت القوات البريطانية القلعة، ورفعت عليها العلم البريطاني. وعلى الفور جرى تحميل الأسرى في السفن، وكان عددهم ١٣٩٨ أسيراً لنقلهم إلى رأس الخيمة. وعملاً بنصيحة بروس، قام الجنرال كير بإطلاق سراح عدد من الرجال كبار السن، والفلاحين، وأبقى في الأسر أنصار الشيخ البارزين، ومقاتلين من مدن أخرى بلغ عددهم جميعاً ١٦٩ شخصاً، وكان على رأسهم حسين بن علي. وقد جرى نقلهم إلى رأس الخيمة حيث حجزوا مع أسرى آخرين، وقد بلغت خسائر الإنكليز في هذه المعركة من القتلى ضابطاً واحداً وثلاثة جنود؛ ومن الجرحى ١٦ جريحاً، مات أحدهم متأثراً بجراحه[٢].

1- Low, op. cit., Vol.1. p. 361.

٢- وصل عدد الأسرى الذين جرى ترحيلهم إلى رأس الخيمة حسب تقدير لوريمر إلى ١٧٧ أسيراً.

Lorimer, op. cit.,Vol. 1/a. pp. 668-669.

www.almajidcenter.org

بعد تدمير جميع التحصينات في الرمس، عاد الإنكليز إلى معسكرهم في رأس الخيمة في ٦ ديسمبر. وعندها وصف أحد الضباط الإنكليز الذين شاركوا في العملية الأخيرة عاصمة القواسم بالقول: "عندما عدنا إلى رأس الخيمة وجدناها مدمرة تماماً. فقد قام الجنود والبحارة بتدمير الأبراج، وهدم المنازل.."[١].

الاتفاقيات الأولية والمعاهدة العامة عام ١٨٢٠ :

بعد إلحاق الهزيمة بالعرب في رأس الخيمة كان على قائد الحملة العسكرية الإنكليزي، اللواء وليم جرانت كير إيجاد نوع من التسوية السياسية تضمن منع القواسم من إعادة تهديد الملاحة بين البصرة وبومباي في المستقبل[٢]. كما كان عليه اتخاذ قرار بشأن مصير الأسرى، ولا سيما الشيخين حسن بن رحمة، وحسين بن علي؛ إذ بدأت المنطقة تشهد اضطرابات شديدة بين العرب الهائجين منذ اليوم الأول لاحتجازهما.

وبات واضحاً للقائد البريطاني كير أن الإبقاء على هذين الشيخين في الأسر "سيخلق له بالتأكيد عائقاً سياسياً يمنعه من إقامة علاقات مع سكان المناطق المجاورة مبنية على الثقة والسلام". وكانت الصعوبة التي تواجه كير تكمن في أنه لم يتلق أية تعليمات جديدة من حكومة بومباي بخصوص الإجراءات التي يجب عليه اتخاذها بعد إنجاز الحملة العسكرية بنجاح، ولهذا كان عليه حل هذه المشكلة بنفسه.

بدأ كير عمل المصالحة مع القواسم بإطلاق سراح الشيخين حسن بن رحمة، وحسين بن علي. وقد قوبل ذلك بارتياح شديد من قبل سكان المنطقة، الذين قابلوا ذلك

1- Low, op. cit., Vol.1. p. 362.

٢- ابن عيسى، إبراهيم بن صالح : تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم، وبناء بعض البلدان من ٧٠٠ إلى ١٣٤٠ هـ، الرياض ١٩٦٦. ص ١٥٤.

www.almajidcenter.org

بارتياح كبير، وعادوا إلى رأس الخيمة بجماعات كبيرة؛ ليجمعوا ما تركوه في المدينة من الأرز والتمر بعد انسحابهم السريع منها.

وفي بداية يناير عام ١٨٢٠ حضر إلى معسكر كير عدد من الشيوخ العرب البارزين، وأبدوا رغبة بعقد صلح مع الإنكليز. وكان من بين هؤلاء الشيوخ الشيخ الأعلى السابق لحلف القواسم، الشيخ سلطان بن صقر، وشيخ أبو ظبي، شخبوط بن ذياب، وشيخ دبي، محمد بن هزاع (وقد كان هذا الأخير قاصراً، في التاسعة من عمره، ولهذا كان يرافقه عمه الوصي زايد ابن سيف)، وشيخ جزيرة الحمراء، قضيب بن أحمد، وشيخ رأس الخيمة، حسن بن رحمة، وشيخ الرمس، حسين بن علي[1].

وقع كل من هؤلاء الشيوخ على تعهد، أو كما يسميه الإنكليز اتفاقية أولية أو اتفاقية تمهيدية، قبل أن يتم السماح لهم بالانضمام إلى معاهدة سلام عامة. وكان الهدف من التعهدات والاتفاقيات المنفردة تمكين كير من طرح قضايا خاصة ومسائل تكتيكية، ومناقشتها بمعزل عن الاتفاقية الرئيسية التي تمتاز بأنها دائمة. وكان كل التزام يعد وثيقة مستقلة، تراعي قوة الشيخ، الذي وقع عليها، ومكانته في حلف القواسم القبلي، وعلاقة سلطان مسقط به، وموقفه منه، وغير ذلك.

فمثلاً جاء في الاتفاقية الأولية بين اللواء جرانت كير والشيخ سلطان بن صقر، أن على الشيخ سلطان تسليم كل ما لديه من قلاع وسفن، وأسرى هنود إلى الإنكليز، الذين يعيدون له بدورهم سفن صيد السمك، ومراكب استخراج اللؤلؤ فقط. وبما إن الشيخ القاسمي وقع على هذه الوثيقة فقد تم السماح له بالانضمام إلى معاهدة السلام العامة.

1- Saldanha, op. cit., pp. 13-104, 106.

www.almajidcenter.org

وكانت الاتفاقية التي وقعها محمد بن هزاع تختلف قليلاً جداً عن الاتفاقية التي وقعها سلطان بن صقر؛ إذ أن اللواء كير أبقى للأول على أسطوله، وقلاعه إرضاءً لسلطان مسقط، الإمام سعيد بن سلطان، الذي بعث إلى كير يوصيه خيراً بالشيخ محمد.

في الخامس من فبراير عام ١٨٢٠ جرى في الشارقة التوقيع على الاتفاقية الأولية بين عبد الجليل بن سعيد ياس، الذي ناب عن شيخي البحرين، واللواء وليم جرانت كير. وكانت المادة الأولى من هذه الاتفاقية تختلف في مضمونها عن الاتفاقيات الأخرى المبرمة. فقد جاء فيها: المادة (١). على شيخي البحرين من الآن فصاعداً حظر بيع أي سلعة في البحرين، أو في أي منطقة تابعة لها جرى الحصول عليها عن طريق السلب والقرصنة، كما عليها حظر بيع أية سلعة إلى أشخاص يشتبه بضلوعهم بعمليات سرقة أو قرصنة، وتعد أية مخالفة من الرعية بمثابة قرصنة [١].

يقول سيد نوفل في كتابه: "الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية" بخصوص هذه الاتفاقيات: "ظهر في الاتفاقيات الأولية إذلال للشيوخ دون وجه حق، كما ظهر غياب التعامل بالمثل، وجرى حمل المهزوم على القبول بهذه التعهدات قسراً"[٢].

تكمن خطورة هذه الاتفاقيات في أنها أصبحت وسيلة قانونية بيد الإنكليز تستخدم لمتابعة تدمير قوى القواسم الحربية والبحرية.

أخذت السفن الحربية البريطانية "ليفربول" و"تيرنت"، و"تايكناوث" و"أورورا" تطوف السواحل على امتدادها، وتدمر سفن وتحصينات القواسم في جزيرة

1- Aitchison, op. cit., Vol., pp. 122-123, 116.

٢- نوفل، سيد: الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٦٤-٦٥.

www.almajidcenter.org

الحمراء، وعجمان، وأم القيوين، والشارقة، وفشت، وأبو هيل، دون أن تلقى أية مقاومة. وفي الثامن عشر من يناير عام ١٨٢٠ أتمت السفن البريطانية تنفيذ المهام الأخيرة للحملة بنجاح. وقد علق أحد الضباط الإنكليز على نجاح هذه العملية بالقول: "آمل أن نكون قد اقتلعنا جذور القرصنة، وقضينا على ركائزها لفترة طويلة قادمة "[1].

بعد ذلك جرى التوقيع على معاهدة السلام العامة. وخلال الفترة من ٨ يناير حتى ١٥ مارس عام ١٨٢٠ وقع عليها عن الجانب البريطاني اللواء وليم جرانت كير، بينما وقع عليها عن الجانب العربي كل من:

- حسن بن رحمة، شيخ رأس الخيمة وخت والفلية (في ٨ يناير، في رأس الخيمة).
- قضيب بن أحمد، شيخ جزيرة الحمراء (في ٨ يناير، في رأس الخيمة).
- شخبوط بن ذياب، شيخ أبو ظبي (في ١١ يناير، في رأس الخيمة).
- حسين بن علي، شيخ الرمس (في ١٥ يناير، في رأس الخيمة).
- زايد بن سيف، نيابة عن ابن أخيه القاصر محمد بن هزاع – شيخ دبي (في ٢٨ يناير، في الشارقة).
- سلطان بن صقر، شيخ الشارقة (في ٤ فبراير، في الشارقة).
- عبد الجليل بن سعيد ياس، نيابة عن شيخي البحرين "سلمان آل خليفة، وعبد الله آل خليفة " (في ٥ فبراير، في الشارقة).
- راشد بن حميد، شيخ عجمان (في ١٥ مارس، في الفلية).
- عبد الله بن راشد، شيخ أم القيوين (في ١٥ مارس، في الفلية).

أصبحت المعاهدة العامة التي تشكل تحولاً خطيراً في تطور العلاقات بين السلطات الأنجلو هندية وحلف القواسم القبلي، الأساس الذي استندت عليه بريطانيا فيما بعد في سيطرتها السياسية والاقتصادية على كامل منطقة الخليج العربي.

1-Low, op. cit., Vol.1. p. 362.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

www.almajidcenter.org

يقول صالح محمد العابد في هذا الخصوص: "تحددت علاقاتها (أي بريطانيا - المؤلف) به (أي الخليج العربي - المؤلف) باعتباره جزءاً لا يمكن الاستغناء عنه من إمبراطوريتها في الهند...".

ونظراً لأهمية المعاهدة، وللنتائج التي أسفرت عنها، فإن دراسة تفصيلية للظروف التي عقدت بها، والتحليل العميق لموادها، ولموقف المبادرة الذكي الذي اتخذه اللواء كير آنذاك، وردود فعل حكومة بومباي "السلبية"، تعد مسألة في غاية الأهمية؛ إذ تتضح بذلك خطوط السياسة التي تنتهجتها بريطانيا في الخليج العربي، والتي اتسمت حتى ذلك الوقت "بشيء من التردد"[1].

بداية لا بد من الأخذ بالاعتبار أن المعاهدة العامة قد فرضت من جانب واحد، وهذا الجانب هو بالطبع الجانب المنتصر في المعركة، أي بريطانيا. أما الجانب الآخر، أي العرب، فلم يكن أمامه سوى الإذعان دون قيد أو شرط؛ ذلك أنه جرى تحطيم قوة القواسم الرئيسة، ومصادرة أسطولهم.

لقد طلب القائد البريطاني من الشيخ الأعلى لحلف القواسم القبلي التوقيع على الاتفاقيات الأولية والمعاهدة العامة في الوقت الذي كان فيه هذا الشيخ أسيراً لديه. وهذا يشير بشكل واضح تماماً إلى النتائج التي ستنجم عن ذلك؛ فمما لا شك فيه أن كير كان يدرك تماما أن اعتقال شيخ القواسم، حسن بن رحمة، دون أخذ توقيعه على "وثائق"، يمكن أن يضعف من قوة تأثير المعاهدة على أعضاء الحلف القبلي. بينما أخذ توقيع هذا الشيخ تحديداً يؤكد استسلامه التام للإرادة البريطانية، بل الأخطر من ذلك بالنسبة للقواسم، أن الجنرال وليم جرانت كير تعامل مع جميع الشيوخ على أنهم ممثلون مستقلون، ولا يوجد ما يربط بينهم، مع أنهم يخضعون جميعهم لشيخهم الأعلى.

١- العابد، صالح محمد: دور القواسم في الخليج العربي، (مرجع سابق)، ص ٣٢٥.

www.almajidcenter.org

وقد تضمنت مقدمة المعاهدة إشارة واضحة إلى هذه النقطة الخطيرة جداً، التي تؤثر على مصير حلف القواسم القبلي. فهنا لم يُشَر إلى المعاهدة على أنها معاهدة مبرمة بين بريطانيا والشيخ الأعلى للقواسم، وإنما جرى الحديث على الشكل التالي: " أُقر السلام بين حكومة بريطانيا العظمى والقبائل العربية المشتركة في هذه المعاهدة ". وكان هذا الموقف الذي اتخذته بريطانيا إيذاناً ببدء تفتت حلف القواسم القبلي.

اللافت للنظر أن توقيع عبد الجليل بن سعيد ياس على الاتفاقية الأولية، والمعاهدة العامة باسم شيخي البحرين سلمان بن أحمد آل خليفة، وعبد الله بن أحمد آل خليفة، ومن ثم توقيع هذين الشيخين عليها، يدل على أن بريطانيا تعترف بسيادة آل خليفة على البحرين، وعليه، ووفقاً للوثائق الموقعة، لا توجد أية قوة في المنطقة تستطيع تغيير هذا الواقع في البحرين إذا لم تكن بريطانيا بالذات راغبة بذلك، أوجرى ذلك ضمن إطار "حرب مشروعة" فقط.

لم تكن أي من حكومة الهند أو حكومة بومباي تسعى لتغيير السلطة في البحرين بسلطة أخرى، على الرغم من تقديم الوعود المتكررة بذلك، سواء إلى حاكم مسقط، أو إلى حاكم فارس، إلا أنها كانت تستطيع في حال عدم إخضاع شيوخ البحرين لإرادتها أن تعاقبهم كما عاقبت القواسم، عندما جردت حملة ضدهم عامي ١٨١٩ - ١٨٢٠. وإدراكاً منهم لمخططات حكومة بومباي البريطانية، اتخذ شيوخ البحرين موقفاً مشابهاً لموقف بقية الشيوخ العرب في المنطقة، الذين أرغموا على تنفيذ رغبات الإنكليز، والعمل (رهبة لا رغبة) وفقاً لمصالح بريطانيا.

www.almajidcenter.org

تضمنت المعاهدة العامة التي وقعها الشيوخ العرب مع كير (١١) مادة. جاء في المادة الأولى منها أنه "على العرب، الذين يشكلون طرفاً في المعاهدة التوقف عن القيام بأعمال النهب والقرصنة في البر والبحر بشكل دائم"[1].

أبقت السلطات البريطانية بهذه المادة على حالة التفتت والانقسام التي كانت سائدة قبل ذلك على الساحل العربي للخليج، وهدفها من منع الشيوخ من إمكانية أن يشن أحدهم حرباً على الآخر، هو أن لا يقوى طرف على حساب طرف آخر، ويستحوذ على سلطته بالصدام معه، وحتى لا تتمكن المنطقة من أن تتحد تحت راية واحدة.

وعند التوقيع على هذه الوثيقة التي جرى إعدادها بشكل سريع، حتى قبل وصول التعليمات من بومباي إلى كير، كان واضحاً للإنكليز أن الحروب البرية تصرف اهتمام القبائل عن البحر، وتجعلها تقضي على بعضها البعض في البر، ومن ثمَّ تبقيها على درجة كبيرة من التفتت والانقسام.

وعلى الرغم من أن بريطانيا العظمى دعت الحكام إلى عدم إشعال نيران الحرب ضد بعضهم، وجعلت هذا شرطاً من شروط المعاهدة، فقد اندلعت معارك برية عديدة بين مختلف القبائل العربية. ومع ذلك لزمت بريطانيا الصمت، ولم تقم بأي مسعى لإيقافها. وما ذلك إلا لأن المعارك، ووجود الخلاف بين العرب يصب في مصلحة الإنكليز، ويساعدهم على تحقيق مطامعهم الاستعمارية في هذه المنطقة، وذلك باعتمادهم الذي ينصب بشكل أساسي على قوة أسطولهم، وليس على القوات البرية.

قبل عودة اللواء كير إلى الهند أبقى حامية عسكرية إنكليزية في مدينة رأس الخيمة التي قاد ضدها حملة عسكرية، وأسند أمر الحامية إلى الكابتن طومسون (Thompson).

1- East India. Company. A Collection of Treaties, Engagements and Sands Relating to India and Neighboring Countries. Calcutta, 1865., p. 114.

www.almajidcenter.org

وهذا الإجراء لاقى استحساناً من حاكم بومباي، نيبين. أما الفنستون (Elphinstone)، الذي خلف نيبين في حكم بومباي فلم يكن راضياً تماماً عن المعاهدة التي أبرمها كير مع الشيوخ العرب، كما أمر بسحب الحامية من رأس الخيمة بحجة أن المناخ فيها سيئ، والقوات البريطانية الموجودة هناك تعاني كثيراً من الأمراض المتفشية بشكل كبير.

وقد رأى هذا الحاكم الجديد لبومباي أن إبقاء حامية في البر هو آخر ما تفكر به بريطانيا في الوقت الراهن، وأن كير أخطأ في تقدير درجة الأولويات بالنسبة لبريطانيا بالشكل المناسب عندما وضع شروط المعاهدة.

رد اللواء وليم جرانت كير على اعتراضات الفنستون في رسالة بعثها إلى بومباي، مرفقاً بها نص المعاهدة قائلاً: "... نحن لا نرغب بالتدخل في الصراع البري الذي يدور بين هؤلاء الحكام الصغار؛ إذ أن مشاكلهم وادعاءاتهم المتبادلة كثيرة ومتنوعة، وكل ما نطلبه منهم هو مراعاة شروط معاهدتنا؛ إذ أن سياسة التدخل في البر تحتاج إلى قوة كبيرة ووقت طويل، كما تحتاج إلى بذل جهود مناسبة، وتحقيق شروط أولية، وعقد جلسات لهيئات شورى، واتخاذ قرارات"[1].

في السابع عشر من إبريل عام ١٨٢٠ صدرت الأوامر إلى طومسون بتسليم رأس الخيمة إلى سلطان بن صقر ومغادرتها.

نصت المادة الثانية من المعاهدة على ما يلي:

" إذا قام أحد من العرب الخاضعين لهذه المعاهدة بأعمال السلب أو القرصنة في البر أو البحر ضد أي شخص كان في غير ما حرب معترف بها، فيعد عدواً للجنس البشري،

1- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. pp. 675-677.

www.almajidcenter.org

ويعاقب بالإعدام، وبمصادرة أمواله. وإن الحرب المعترف بها هي الحرب التي يتم الإعلان عنها جهاراً، وبالتأكيد عليها، وبإعطاء الأمر بشنها من قبل الحكومة ضد حكومة أخرى. ويعد قتل الناس والاستيلاء على ممتلكاتهم دون ادعاء، أو إعطاء الأمر بذلك من قبل الحكومة نهباً وقرصنة"[1].

يعطي نص هذه المادة مفهوماً بأن الإنكليز – باتباعهم طريقة التفكير الأوروبية – يجمعون خبرات وتجارب التاريخ الأوروبي، و يعدون ورثة اليونان والرومان القدامى، وحتى البرتغاليين بمتابعة أعمالهم في المنطقة. فمثلاً عندما غير الإنكليز تسمية الخليج من الخليج العربي إلى الخليج الفارسي في عام ١٨٢٠، اعتمدوا على تاريخ العالم القديم؛ ذلك أن تسمية "الخليج الفارسي" وردت في وصف الحملة البحرية في عهد اليونان القدامى، التي قادها "نيارخوس" في عام ٣٢٥ ق. م.

ويعود السبب في ذكر هذه التسمية إلى أنه قبل وفات الإسكندر المقدوني بوقت قصير أرسل إلى هذه المنطقة أمير البحر، القائد اليوناني "نيارخوس" على رأس حملة عسكرية إلى الهند. وعندها سلك هذا الأخير طريق الساحل الشرقي للخليج فقط، وكان معظم سكانه من الفرس، وعليه فقد أطلق على الساحل اسم ساحل الفرس، ثم الساحل الفارسي، ومنه الخليج الفارسي.

وهناك سبب آخر لإطلاق هذه التسمية على الخليج، وهو أن العرب في القديم لم يكونوا يقيمون علاقات كثيرة مع اليونان، وكان سكان اليونان القديمة لا يعرفون بشكل جيد سوى الفرس؛ إذ أن هؤلاء الآخيرين كانوا كثيراً ما يشنون هجمات من الجهة الشرقية

1- East India. Company. op. cit., p. 115.

www.almajidcenter.org

إلى أن وضع الإسكندر المقدوني حداً لهم بالقضاء عليهم بشكل نهائي. وقد أطلق المؤرخون على الحملة اسم "الحملة المقدونية على فارس ومنطقة الخليج الفارسي"[١].

ومن الأدلة على أن الإنكليز كان يتبعون طريقة التفكير الأوروبية أثناء إعداد المعاهدة، أنهم عرَّفوا القراصنة (أي العرب في نظرهم) في هذه المادة من المعاهدة "بأعداء الجنس البشري".

أليس هذا اقتباساً مباشراً من القانون الروماني، الذي ساد في مناطق نفوذهم ؟ ! لقد كان الرومان يمارسون التجارة مع الكثير من المناطق، وكانون يقمعون بشدة أية مظاهرة وطنية تندد باحتكارهم للتجارة، بل كانون يعدون ذلك معاداة للجنس البشري، مع أنهم أنفسهم كانوا أعداء البشرية؛ ذلك أن قوانينهم لم تكن تمنح الحرية السياسية لغير المواطن الروماني.

اللافت للنظر في هذه المادة أنها حددت معنى الحرب المعترف بها، كتلك التي تدور بين دولتين، وتكون مسبوقة بالإعلان عنها. والسؤال هنا: هل ينظر كير، ومن بعده سلطات بومباي إلى المشيخات والإمارات المحلية الصغيرة على أنها تمثل دولاً ؟ وهل يظن الإنكليز الذين فرضوا هذه المعاهدة على الحكام العرب أن الحرب تجعل من أولئك السكان الذين اعتادوا على المعارك فيما بينهم منذ أمد بعيد أعداء خطرين؟

في الواقع تعد هذه المادة واحدة من المواد التي يكتنفها الغموض، وبعيدة عن الدقة. وهذا ما لا يمكن تفسيره إلا من قبل السلطات الأنجلو هندية، أو من خلال النظر إلى

١- لزيادة الاطلاع حول تسمية الخليج انظر مثلاً قلعجي، قدري: الخليج العربي. دار الكاتب العربي، بيروت [١٩٦٥]، ص ٧-٩. ... المترجم.

www.almajidcenter.org

الخلفية العامة للمصالح الإنكليزية في منطقة الخليج العربي. لقد وقعت فيما بعد صدامات وأحداث كثيرة تؤكد على الغموض في هذه المادة. ومن تلك الأحداث مثلاً:

١ – مهاجمة القرصان رحمة بن جابر عام ١٨٢٤ لأسطول تجاري بحريني، وأسر سبع سفن. وعلى أثر هذه الحادثة طلب حاكم البحرين من المقيم البريطاني "ستانوس" (Stannus) التدخل لإعادة السفن المحجوزة عملاً بالمادة الثانية من المعاهدة العامة، وخوفاً من ردود فعل سلبية من جانب الفرس، إذا ما تدخل الإنكليز في هذه القضية، فقد صرح المقيم ستانوس بكل نفاق قائلاً:

"بما إن رحمة بن جابر تحت وصاية الفرس، فيجب التوجه بهذا الطلب إلى السلطات الفارسية". إلا أن رحمة بن جابر سرعان ما تخلى عن الوصاية الفارسية وأعلن نفسه من أتباع حاكم مسقط. أي فعل ما يفعله الآخرون وفقاً لما تقتضيه مصالحهم الشخصية. وهنا اضطر المقيم البريطاني للتوسط بين رحمة بن جابر والشيخ عبد الله بن أحمد، وجمع بينهما في لقاء في باسيدو، إلا أن ذلك لم يسفر عن أي شيء. وبعد ذلك رفض سعيد بن سلطان حماية رحمة بن جابر، الذي استمر في شن هجماته على سفن آل خليفة من موقعه الذي اتخذه في الدمام.

وبفضل وساطة المقيم ستانوس هدأت الهجمات، واستتب الأمن خلال عامي ١٨٢٤ – ١٨٢٥، إلا أنه تجدد الصراع بعد ذلك بقوة جديدة، وكان أكثر ضراوة مما سبق.

ظهر المقيم البريطاني بسفنه بالقرب من الدمام في محاولة منه للضغط على القرصان رحمة بن جابر، إلا أن هذا الأخير لم يكن يشعر بشيء من الخوف من الإنكليز؛ ذلك أنه كان في تلك الفترة يتلقى المساعدات والدعم من الوهابيين، الذين ظهروا بجيوشهم في منطقة

www.almajidcenter.org

نجد. وعندها ادعى حاكم بومباي "الفنستون " أن أعمال هذا القرصان لا تخرج عن إطار الحرب المعلنة، وعليه أصدر أوامره إلى ستانوس بسحب قواته من المنطقة[1].

٢ – أقام سعيد بن سلطان في عام ١٨٢٤ تحالفاً مع شيخ أبو ظبي، طحنون بن شخبوط ضد سلطان بن صقر في محاولة منه للحد من تزايد نفوذ هذا الأخير في منطقة البريمي. [والذي حدث أن سلطان بن صقر أرسل قوة إلى البريمي وأمر بتشييد القلاع فيها. وعندها اعترض الشيخ شخبوط بن ذياب على تواجد القوة القاسمية في البريمي، وتشييدها للقلاع بالقرب من حدوده؛ لأنها تثير حساسيات قديمة، وطالب بسحب هذه القوات، والتوقف عن بناء القلاع.

ولما رفض الشيخ سلطان بن صقر ذلك، طلب الشيخ شخبوط من الشيخ زايد بن سيف، الوصي في دبي إنشاء قلاع في المنطقة الشرقية من "ديرة القديمة"، حيث تقيم قبيلة السودان الموالية لحاكم أبو ظبي. وفي الوقت نفسه تحالف شخبوط بن ذياب مع سعيد بن سلطان لوقف نفوذ القواسم في البريمي]. وفيما بعد جرى اتفاق بين الشيخين شخبوط بن ذياب وسلطان بن صقر على إزالة القلاع التي جرى تشييدها. إلا أن هذا الاتفاق لم ينفذ من قبل أي منهما، مما أدى إلى نشوب حرب بين الطرفين في عام ١٨٢٥.

وأثناء المعارك هاجم القواسم عن طريق الخطأ سفينة بحرينية بالقرب من هنجام القريبة من جزيرة قشم، ظناً منهم أنها تابعة لأبو ظبي، وعندها عد المقيم البريطاني ستانوس ذلك عملاً قتالياً غير مشروع، ومن ثمَّ خرقاً للمعاهدة، وعلى الشيخ سلطان بن صقر تحمل تبعية ذلك. وبالفعل أرسل ستانوس قوة بحرية مقاتلة إلى الشارقة لمطالبة الشيخ سلطان بن

1- Bombay political Letters Received, Vol. 5, 9, 10., Vol., 10. 10/4/1852.

www.almajidcenter.org

صقر بدفع تعويض مالي عن هذه العملية، "التي خرق بها المعاهدة". وبعد شيء من التردد وافق الشيخ سلطان بن صقر على تلبية مطالب الإنكليز بدفع التعويض المطلوب[١].

٣ – في شهر مايو من عام ١٨٢٦ دخل سعيد بن سلطان في نزاع مسلح مع شيخ بوشهر "عبد الرسول خان " الذي كان يعارض زواج حاكم مسقط من أخت حاكم شيراز. فقد كان شيخ بوشهر يرغب في الزواج منها ليوطد بذلك العلاقة بين بوشهر وشيراز[٢].

في أواخر يوليو ظهر سعيد بن سلطان بسفنه في بوشهر لمحاربة شيخها عبد الرسول خان، بيد أن هذا الأخير لم يكن حينها في المدينة. وعندها توجه حاكم مسقط إلى البصرة لإرغام حاكمها على معاودة دفع المنحة المالية، التي كانت حكومة الباب العالي قد خصصتها لعمان في عهد الإمام أحمد بن سعيد. وعندما وصلت سفن سعيد بن سلطان إلى البصرة فرضت عليها حصاراً. وعندها تدخلت السلطات البريطانية، ولعبت دور الوسيط. وقد رأت أن مطالب حاكم عمان عادلة، وعلى هذا الأساس أرغمت حاكم البصرة على الاستمرار بدفع الإتاوة إلى مسقط. وبعد ذلك رجع سعيد بن سلطان إلى باسيدو، حيث قام بأسر حاكم بوشهر عبد الرسول خان، ولم يطلق سراحه إلا بعد أخذ فدية منه في عام ١٨٢٨.

وجدت سلطات بومباي أن كل الأعمال التي قام بها سعيد بن سلطان شرعية ولا تخرج عن إطار مفهوم "الحرب المعلنة "[٣].

1- Kelly, op. cit., p. 215.
2- Bombay Government. Selections from the Records of B0mbay Government, №. 24, New Series, the Persian Gulf. Bombay, 1956., p. 195.
3- East India. Company. op. cit., p. 197.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

www.almajidcenter.org

يتضح من هذه الأمثلة أن هدف الإنكليز من معاهدة السلام العامة ما هو إلا تحقيق مصالحهم الخاصة، وتنفيذ مهام شركة الهند الشرقية. وكانت حكومة بومباي تعد أي حرب تصب في مصلحتها، وتضعف من إمكانيات الأطراف المتحاربة، وخصوصاً إذا ما اندلعت ضمن إطار عائلة واحدة، أو بين ممثلي قبيلة واحدة حرباً مشروعة و"معترفاً بها".

أما إذا كانت تشكل مصدر تهديد لمصالح بريطانيا وتلحق بها الضرر فيجري إيقافها على الفور، وتعرَّف عندها بأنها "حرب غير معترف بها"، أو حرب غير مشروعة. فمثلاً عندما توجه سعيد بن سلطان إلى حكومة الهند طالباً منها التدخل في الأحداث التي تجري في المنطقة، ومعاقبة القواسم عملاً بالمادة الثانية من المعاهدة العامة، رد عليه الفنستون بالقول، "... إننا لا نستطيع محاربة كل من يعاديك"[1].

كان الفنستون يرى أن أي رد على سعيد بن سلطان مخالف لذلك سيغير الأحداث، ولن يكون في مصلحة الإنكليز.

يدل تحليل المادة الثانية من هذه المعاهدة بشكل واضح على أن بريطانيا توخت من وراء انتهاجها هذه السياسة في تلك الفترة تحقيق الأهداف التالية:

١. ضمان مصالح الإنكليز الخاصة.

٢. إبقاء الحروب الإقليمية المدمرة مشتعلة باعتبارها "حرباً معترفاً بها".

ومثل هذه الحروب تعد مشروعة في نظر الإنكليز، حتى وإن أدت إلى تقسيم البيوت. أما الحرب غير المعترف بها، أو الحرب غير المشروعة، فهي بنظر بريطانيا تلك الحرب التي يقوى فيها أحد الأطراف على حساب الطرف الآخر، أو عندما تمس هذه الحرب مصالح الإنكليز ولو بصورة افتراضية.

1- Bombay political Letters Received, vol. 5, 9, 10. Vol., 9. 14/1/1824.

www.almajidcenter.org

٣. تعزيز التفاهم بين بريطانيا وفارس، طالما إن المعاهدة تحافظ بشكل غير مباشر على مصالح التجارة الفارسية في الخليج العربي، بصرف النظر عن عدم توقيع الشاه على وثيقة هذه المعاهدة.

تنص المادة الثالثة من المعاهدة على ما يلي:

"يستخدم العرب المتصالحون في البر والبحر علماً أحمر ضمن حاشية بيضاء، ويكون عرض الأبيض في الحاشية مساوياً لعرض الأحمر كما يظهر في الهامش. وللعرب الخيار في أن يحمل هذا العلم شيئاً من الكتابة أم لا. (يشكل مجموع الأبيض والأحمر العلم المعروف في البحرية البريطانية باسم بياض تخترقه حمرة)، وهذا سيكون علم العرب المتصالحين ولا شيء سواه".

ونصت المادة الرابعة من المعاهدة على ما يلي:

" على القبائل المتصالحة المحافظة على علاقاتها القديمة بين بعضها، وستكون في حالة سلام مع الحكومة البريطانية، وأن لا تحارب إحداها الأخرى، وسيكون العلم الموصوف سابقاً رمزاً لا أكثر من ذلك".

أما المادة الخامسة فتنص على ما يلي:

على كل سفينة من سفن العرب المتصالحين أن تحمل معها وثيقة (سجلاً) فيه توقيع الشيخ التابعة له، وأن يدون في هذه الوثيقة اسم السفينة وطولها، وعرضها، وحمولتها، كما يجب على هذه السفن أن تحمل وثيقة أخرى (رخصة ميناء) موقعة من الشيخ، وتحتوي على اسم مالكها، والنوخذة (القبطان). وعدد بحارتها، وتسليحها، وجهة قدومها، ووقت

www.almajidcenter.org

إبحارها، والميناء المتجهة إليه. وعلى أية سفينة من هذه السفن تقديم سجلها، ورخصة الميناء التي تحملها إلى أية سفينة بريطانية أو أية سفينة أخرى تصادفها في طريق إبحارها[1].

جاءت صياغة المواد الثلاثة الأخيرة بغرض تنظيم ملاحة القواسم حسب القواعد الإنكليزية. هنا تجدر الإشارة إلى أن العرب كانوا يطوفون مياه الخليج العربي، والمحيط الهندي بسفنهم قبل ظهور الاستعمار البرتغالي، والدول الأوروبية الأخرى في مناطقهم بوقت طويل. والملاحظ من المادة الثالثة أنها تحدد العلم الذي يجب أن ترفعه سفن القواسم. والواقع أن هذا العلم لا يرمز إلى الحرية أو السيادة، وإنما يرمز إلى استسلام بحارة هذه السفن ، وإتاحت الفرصة للإنكليز كي يفرضوا عليهم شروطهم وقيودهم.

أما المادة الخامسة فتدل بشكل واضح على استمرار الإنكليز في تطبيق تلك القوانين البحرية الاستعمارية التي كان البرتغاليون قد فرضوها على سفن الشعوب الأخرى، أثناء سيطرتهم على المحيط العالمي.

وهدف الإنكليز من وراء وضع هذه الشروط ضمان مصالحهم الاستعمارية. وحرصاً على كسب الوقت حدوا من فعالية هذه الأعمال في المادة السادسة من هذه المعاهدة.

على الرغم من سلبية المادة الخامسة من المعاهدة بالنسبة للعرب، فقد اعترض عليها الكابتن طومسون؛ إذ رأى أن وجود سجل الميناء وأية وثائق أخرى على متن السفن القاسمية لن يجدي نفعاً، ما لم يكن هناك ممثل إنكليزي خاص يراقب هذه السفن ويتفقد وثائقها. وأكد على أن السفن التجارية لا تختلف عن سفينة القراصنة؛ ذلك أن "سفن

1- East India. Company. op. cit., p.115.

www.almajidcenter.org

القراصنة هي السفن المسلحة التي تهاجم، بينما السفن التجارية هي سفن مسلحة، لكنها لا تهاجم"[١].

استحسن الفنستون رأي طومسون هذا ودعمه فيما بعد، عندما نادى بزيادة عدد الممثلين البريطانيين في منطقة الخليج العربي.

كانت المادتان الثالثة والخامسة من المعاهدة العامة مهينتين للعرب لدرجة أن المقيم البريطاني الجديد في بوشهر، جون ماكلويد (John Mcleod)، طالب شخصياً بإلغائهما في عام ١٨٢٣ . وقد ذكر في رسالة بعث بها إلى بومباي: "... لم تصدر حتى بداية هذا العام أية إشارة عن أي ميناء، ولم يقم أي شيخ بتعديل أوراق سفنه، طبقاً لما جاء في المعاهدة... ". وأضاف المقيم البريطاني: "إن الدقة المتناهية في الأمور البسيطة تمس بمشاعر العرب، ولا تعود على شركة الهند الشرقية بأية فائدة ". وأكد ماكلويد على أن السفن التجارية ليست السفن التي تستخدم للقيام بأعمال قرصنة، والأوراق المشار إليها لا تغير من الواقع كثيراً.

وجدت حكومة بومباي أن حجج المقيم البريطاني ماكلويد مقنعة. ونزولاً عند طلبه تم إلغاء العمل بمضمون هاتين المادتين.

نصت المادة السادسة على أنه "يمكن للعرب المتصالحين – إذا ما رغبوا – إرسال ممثل عنهم مع التفويضات اللازمة إلى المقيمة البريطانية في الخليج العربي. على أن يبقى هذا الممثل فيها إلى أن ينتهي من جميع الأعمال مع المقيم، ويمكن للحكومة البريطانية – إذا ما رغبت هي أيضاً – أن ترسل إليهم ممثلاً عنها بالشروط نفسها. ويقوم الممثل بالتوقيع مع شيخه على الوثيقة (السجل) الموجودة في كل سفينة؛ حيث يذكر طول السفينة، وعرضها،

١ – إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني : بريطانيا وإمارات الساحل العماني: دراسة في العلاقات التعاهدية، بغداد. ص ٢٠٨. [لعل الصحيح أن مدينة النشر هي البصرة... المترجم].

www.almajidcenter.org

وحمولتها. ويجب تجديد توقيع الممثل في كل عام، وتكون إقامة الممثل على نفقة الطرف الذي أرسله".

تدعو هذه المادة من المعاهدة إلى تبادل الممثلين بين المقيمين البريطانيين، والشيوخ العرب، وكذلك إلى إرسال وكلاء مفوضين عن المقيمين الإنكليز من أجل التأكيد على وثائق الموانئ وتفقدها. ومع مرور الوقت أصبح الوكيل المفوض عن المقيم وكيلاً يعنى بمصالح شركة الهند الشرقية في منطقة محددة. وفي عام ١٨٢٣ تقرر رسمياً منصب هذا الوكيل بتوصية من المقيم البريطاني في بوشهر جون ماكلويد، ويتضح من هذا الأمر أن الإنكليز خرجوا عن إطار عمل معاهدة السلام العام.

تنص المادة السابعة من المعاهدة العامة على ما يلي: "إذا لم تتوقف هذه القبيلة أو تلك عن النهب والقرصنة، فإن جميع العرب المتصالحين سيعملون ضدها قدر استطاعتهم، وحسب ظروفهم. وفي الوقت الذي تقع فيه حادثة نهب أو قرصنة، فإن العرب المتصالحين يتفقون بخصوصها مع الإنكليز".

جرى في هذه المادة من المعاهدة إقرار مبدأ ثباتها، ليس هذا فحسب، بل وتقسيم الشيوخ أيضاً؛ إذ عندما يقوم أحدهم بأعمال عسكرية لا يعترف الإنكليز بشرعيتها، فعلى بقية الشيوخ الحصول على موافقة السلطات البريطانية، قبل قيامهم بأي رد على تلك الأعمال العسكرية.

مما لا شك فيه أن هذا الشرط أتاح للمقيم البريطاني توجيه جميع الشيوخ في المنطقة بالشكل الذي يريد، وأدى إلى انهيار حلف القواسم القبلي.

www.almajidcenter.org

وجاء في المادة الثامنة من المعاهدة أنه: "يعد قتل الناس بعد تسليم أسلحتهم عملاً من أعمال القرصنة، ولا يدخل ضمن إطار الحرب المعترف بها (المشروعة)، وإذا حدث أن أقدمت أي قبيلة على قتل أشخاص مسلمين كانوا، أو غير ذلك، بعد أن يكونوا قد سلموا أسلحتهم، فسينظر إلى هذه القبيلة على أنها قد خرقت الأمن، وعلى العرب المتصالحين الوقوف في هذه الحالة مع الإنكليز ضد هذه القبيلة. وبمشيئة الله ستستمر الحرب ضد هذه القبيلة إلى أن يسلِّم مرتكبو الجريمة، وتجري معاقبة أولئك الذين أمروا بارتكابها"[1].

وهذا تأكيد آخر على أن الإنكليز شاركوا في المعارك التي كانت تندلع بين الشيوخ. وقد أرعبت هذه المادة الشيوخ، وأرغمتهم على الكف عن القيام بأي نوع من المعارك، أو "الجهاد" في البحر، وفي الوقت نفسه فتحت الباب على مصراعيه أمام الإنكليز ليتدخلوا عسكرياً، إذا ما دعت الحاجة. فمثلاً عندما قام شيخ أبو ظبي، محمد بن شخبوط بالاستيلاء على سفينة تابعة لدبي في عام ١٨٢٥، وقتل في الحادثة عدد من أفراد طاقمها[2]، وجد ستانوس أن المادة الثامنة من المعاهدة العامة تنطبق على هذه الحادثة، وقرر تطبيق "النظام والقانون". إلا أن الفنستون منع المقيم البريطاني من استخدام القوة العسكرية بحجة أن الحادثة وقعت بسبب خلاف قائم بين أخوين من أبناء شخبوط "الشيخ محمد والشيخ طحنون"، وزعم بأن الحادثة تقع ضمن إطار "الحرب المعترف بها"، ومن ثمَّ فإن المادة الثامنة من المعاهدة لا تنطبق عليها.

يدل هذا المثال على أن المقيم البريطاني في منطقة الخليج العربي يستطيع تفسير نص أية مادة في المعاهدة بالشكل الذي يريده، حتى وإن كان بشكل تعسفي. ولن يستطع أحد تغيير ما يراه هذا المقيم، سوى حاكم بومباي أو حكومة الهند، وذلك انطلاقاً من مصالح

1- East India. Company. op. cit., p. 116.

٢- براهيم، عبد العزيز عبد الغني، (مرجع سابق)، ص ٢١٩.

www.almajidcenter.org

الإنكليز الاستعمارية، وأدى العمل في هذه المادة إلى توقف شيوخ القواسم عن اتباع الأعراف والتقاليد القديمة التي تحتم عليهم حماية أفراد قبيلتهم بأي ثمن كان.

وكمثال على ذلك يمكن أن نورد حادثة قيام شيخ الشارقة الغربية بقتل قريبه "مسلم بن راشد" عام ١٨٢٨، فقد كان الاثنان يقومان ببعض أعمال القرصنة، إلا أن الشيخ قرر التخلص منه خوفاً من أن تعرف حكومة بومباي بأمر هذه الأعمال. في البداية طالب الشيخ قريبه مسلم ابن راشد بدفع فدية، وعندما عجز هذا الأخير عن دفعها فوراً، عقد مجلس شورى من كبار الشخصيات، وخلافاً لكل الأعراف والتقاليد نُفذ به حكم الإعدام، عملاً بأحكام المادة الثامنة من المعاهدة.

تنص المادة التاسعة على أن: "جلب الرقيق سواء من الرجال أو النساء أو الأطفال من سواحل إفريقيا، أو من أي مكان آخر، ونقلهم بالسفن يعد من أعمال النهب، والقرصنة، وأن العرب المتصالحين لن يقوموا بأي عمل من هذا القبيل".

نصت هذه المادة على تحريم التجارة بالرقيق. وقد تم إدخال هذه المادة في المعاهدة، كما يقول لوريمر بطلب من الكابتن طومسون.

يبدو للوهلة الأولى أن تحريم تجارة الرقيق، ومنع جلبهم إلى منطقة الصير "يعود لأسباب إنسانية "، ولكن الواقع ليس كذلك؛ وإنما بسبب الخوف من ازدياد عدد سكان المشيخات؛ إذ كان العبيد أثناء اندلاع المعارك، يحمون بيوت أسيادهم، أي القواسم، بل كانوا يشتركون معهم في معاركهم ضد القوات الإنكليزية.

تنص المادة العاشرة على أنه: "يمكن لسفن العرب المتصالحين التي ترفع العلم المذكور آنفاً، الدخول إلى جميع موانئ بريطانيا وحلفائها، ما دامت تستطيع الدخول. ولها

www.almajidcenter.org

الحق في ممارسة البيع والشراء في تلك الموانئ. وفي حال تعرض إحدى هذه السفن إلى هجوم، فإن المسؤولية عن ذلك تتحملها حكومة بريطانيا".

راعت هذه المادة حق القواسم في الملاحة في موانئ الإنكليز وحلفائهم، ومنحتهم حرية شراء وبيع البضائع في تلك الموانئ، وهي تضمن تأمين سفنهم من أخطار مهاجمتها. ويقول واردن (على الأقل) في هذا الخصوص بأن " كل شيء سيعاد إلى الشيوخ وإلى سفنهم إذا ما حدث لها شيء وجرى إعلام الجانب البريطاني بذلك"[١].

أما المادة الحادية عشرة والأخيرة فقد جعلت هذه المعاهدة مفتوحة لكل القبائل الراغبة في الانضمام إليها مستقبلاً ، وتنطبق عليهم الشروط التي انطبقت على الموقعين عليها في البداية[٢].

تدعو هذه المادة حلفاء وأنصار شيوخ القواسم، الذين وافقوا على الاتفاقية إلى القبول بها. وتتضمن هذه المادة دليلاً واضحاً على تدخل الإنكليز في شؤون المنطقة؛ إذ أن أي حاكم لا يستطيع أن يشغل موضع القيادة ما لم يعترف بنص هذه المعاهدة، ولهذا كان من الطبيعي أن يسارع الشيوخ بالقدوم إلى المقيم البريطاني، الواحد تلو الآخر للتأكيد على موافقتهم واعترافهم بهذه المعاهدة. في حين وصف الإنكليز أنفسهم هذه المعاهدة بأنها"" ورقة صغيرة عديمة الأهمية"[٣].

نظراً لأهمية الدور الذي لعبه اللواء وليم جرانت كير في مسألة التوقيع على هذه الوثيقة، ونظراً لأهمية تأثيرها على مستقبل حلف القواسم القبلي، وعلاقاتهم مع الحكومة

١- أبو حاكمة، أحمد مصطفى، (مرجع سابق)، ص ٣٨٦.

2- East India. Company. op. cit., p. 116.

٣- إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني، (مرجع سابق)، ص ٢٢٢.

www.almajidcenter.org

البريطانية، لا بد من تتبع ومراقبة ردود فعل حكومة بومباي على سير الأحداث، وكذلك مواقف اللواء وليم جرانت كير من ذلك.

بما إن هذا القائد البريطاني لم يتلق التعليمات الأساسية من حكومة بومباي حول الإجراءات الواجب اتخاذها بعد نجاح الأعمال العسكرية والانتهاء منها، فقد بدأ يعمل من تلقاء نفسه. وتجدر الإشارة هنا إلى أن موقف سعيد بن سلطان، حاكم مسقط من الإجراءات التي اتخذها كير كان سلبياً جداً. وقد عبر حاكم مسقط عما يشعر به من استياء بأن جمع قواته وعاد بها إلى مسقط قبل أن يجري التوقيع على المعاهدة العامة؛ إذ اعتبرها تنازلاً كبيراً يقدمه هذا القائد العام البريطاني إلى القواسم[1].

بعد توقيع معظم الشيوخ العرب على الاتفاقيات الأولية، والمعاهدة العامة وصلت إلى كير في ٢٨ يناير التعليمات من بومباي، وهي نسخة من توصيات بعثها الفنستون إلى الحكومة في الهند في ١٥ ديسمبر عام ١٨١٩ حول أسس السياسة البريطانية في منطقة الخليج العربي. وقد تضمنت تلك التوصيات التأكيد على ضرورة تدمير أية سفينة حربية راسية في الموانئ العربية الواقعة بين الرمس وأبو ظبي. وقد أعطيت التعليمات بتدمير هذه السفن بالإضافة إلى سفن رأس الخيمة التجارية "بهدف حرمانهم (أي القواسم ـ المؤلف) من جميع وسائل الدفاع"[2].

كما أشارت التوصيات إلى ضرورة تعيين ممثل بريطاني في رأس الخيمة للتأكد التام من عدم خروج أية سفينة غير تجارية من هذا الميناء، وكذلك حتى تتمكن السفن البريطانية من الدخول إلى هذا الميناء في أي وقت دون أن يعترضها شيء. ووجد الفنستون أن الضرورة تتطلب تواجد عدد من السفن الحربية البريطانية في المنطقة للقيام بدوريات عند مدخل هذا

1- Kelly, op. cit., p. 1571.
2- Factory Records of the Late East India Company, G/29, Persia and Persian Gulf, vols. 20- 32

www.almajidcenter.org

الميناء. وقد أوصى الفنستون بصورة ديماغوجية بتشجيع الفعاليات التجارية للقواسم بالسماح لهم بارتياد موانئ الهند دون أية عقبات.

وكانت هناك أيضاً بعض التوصيات المتعلقة بالبنية السياسية لمنطقة الصير. منها التوصل إلى اتفاق تام مع الشيخ الأعلى للقواسم حسن بن رحمة، ومن ثم عزله عن زعامة القواسم، ووضع منطقة الصير تحت الحكم المسقطي.

وتحدثت التعليمات أيضاً عن ضرورة إعادة جميع المشيخات الصغيرة الواقعة على الساحل الشرقي للخليج العربي إلى أصحابها السابقين، التي كانت في السابق تحت السيطرة الفارسية قبل أن يفرض القواسم سيطرتهم وسلطتهم عليها. واعتُبر أن إقامة قاعدة عسكرية بريطانية دائمة في المنطقة مسألة أساسية للسيطرة المباشرة على مياه الخليج.

وأشير أيضاً إلى ضرورة الإبقاء على أقوى قوة بحرية لبريطانيا في الخليج العربي لإجراء تفتيش نظامي، ومراقبة مستمرة لمختلف الموانئ، ومصادره أية سفينة ذات استخدام حربي.

وختم الفنستون توصياته بالإشارة إلى ضرورة فرض حظر على استيراد أخشاب بناء السفن من الهند إلى أية منطقة في الخليج العربي.

بعد تلقي كير لهذه التعليمات بات في وضع صعب؛ إذ لم يكن بوسعه التراجع عما أقدم عليه، بإعداد اتفاقية جديدة، ولا سيما أنه هو شخصياً من وضع معظم شروط المعاهدة العامة. ولهذا ما كان منه إلا أن بعث برسالة جوابية إلى حكومة بومباي ذكر فيها أنه كان يأمل بأن تحظى التسوية التي قام بها على موافقة الفنستون "[1].

1- Kelly, op. cit., p. 156-157.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

www.almajidcenter.org

إلا أن ما حدث كان عكس ما كان يرجوه اللواء كير، إذ على الرغم من أن حكومة بومباي قدرت له عمله "الإنساني"، فقد بعثت له برسالة انتقادية أبدت فيها عدم الرضا عن التنازل الكبير الذي قدمه في قضية التسوية العامة"[1].

تنحصر الاعتراضات الرئيسة لحاكم بومباي على معاهدة السلام العامة في "رغبته بعزل جميع الزعماء الذين لهم علاقة بالقرصنة والقبض عليهم، بعد تدمير سفن القواسم الحربية وقلاعهم". وقد عد الفنستون "إطلاق سراح حسن بن رحمة، وحسين بن علي تنازلاً كبيراً من كير؛ إذ أنهما - حسب رأي حكومة بومباي - "لم يلقيا العقاب الذي يتناسب مع ما ارتكباه من جرائم فظيعة".

كما شدد حاكم بومباي مجدداً على ضرورة حظر تصدير أخشاب بناء السفن من الهند إلى كل من له علاقة بالقرصنة؛ وذلك بغية منع العرب من بناء السفن الحربية، أو إعادة إنشاء القلاع والتحصينات العسكرية القاسمية. وهنا ناقض الفنستون نفسه بنفسه؛ إذ أنه طالب في توصياته التي قدمها في ١٥ ديسمبر ١٨١٩ "بتشجيع روح التجارة والتمدن".

كانت حكومة بومباي ترى أنه لا بد من الإبقاء على حق الإنكليز في إنزال قواتهم في أية بقعة من منطقة الصير، وتدمير أية تحصينات عسكرية يحاول شيوخ القواسم تشييدها. وكذلك الإبقاء على حقهم في تحديد عدد أفراد الطواقم على السفن العربية. أما فيما يخص تعهدات الشيوخ بالكف عن أعمال "القرصنة" وتجارة الرقيق وإعدام الأسرى، فيرى الفنستون أن "الوسائل المتوفرة من أجل ضمان تنفيذ هذه التعهدات غير كافية، وليس بالإمكان الاعتماد فقط على الوعود العربية، وخصوصاً أن سجلات السفن ورخص الميناء لا تتضمن سوى الإشارة إلى الجهة التي أبحرت منها السفينة، وهذا لا يوضح الشيء الكثير؛ إذ كنا لفترة طويلة نجهل الموانئ التي توجد فيها سفن القراصنة".

1- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p. 673.

www.almajidcenter.org

ورأى حاكم بومباي أنه من أجل أن تكون هذه الوثائق أكثر فاعلية كان لا بد من سن عقوبات قاسية لكل من لا يحملها، أو إذا ما كانت غير نظامية. وفي حالة إبحار أية سفينة عربية دون هذه الوثائق فيجب أسرها، أو مصادرتها. كان من الأفضل لو أن اللواء كير حصل على موافقة الشيوخ على تحديد أبعاد السفن. الأمر الذي كان سيتيح لسفننا التعامل معها بسهولة في حال جرى استخدامها لأغراض القرصنة.

اختتم حاكم بومباي رسالته الانتقادية بالقول: "أنا على ثقة تامة بأن أي تغيير يطرأ على الاتفاقية التي جرى التوصل إليها سينظر إليه سكان الجزيرة العربية على أنه نقض لها". ولهذا لم يكن لديه خيار سوى أن ينصح الحاكم العام بالمصادقة على المعاهدة ".

لم يتلق جرانت كير هذه الملاحظات الانتقادية إلا بعد انتهاء الحملة في بداية إبريل عام ١٨٢٠، عندما كان في طريق عودته إلى بومباي، وعندها أخذ يدافع بقوة عن تصرفه، وعن النهج السياسي الذي سلكه مع شيوخ القواسم. وعرض وجهة نظره حول الانتقادات السابقة في تقرير بعثه إلى حاكم بومباي في ١١ إبريل عام ١٨٢٠ أكد فيه أنه يشاطر حاكم بومباي شكوكه فيما يتعلق بوعود الشيوخ الذين وقعوا على المعاهدة العامة بالكف عن القرصنة، ما لم تكن المراقبة دقيقة ومستمرة بغية إحباط أية محاولة للعودة إلى عملهم السابق[1]. وقال: "أعتقد أن القوى التي ستقوم بالمراقبة يجب أن تبقى تحت تصرف السلطات البريطانية في الخليج".

ورأى اللواء كير أن من أهم المكاسب التي حصل عليها من الاتفاقيات الأولية، والمعاهدة العامة، أن السفن العربية والمدافع التي كانت موجودة في النقاط المحصنة قد آلت إلى الإنكليز. وقال في هذا الخصوص: "لقد قمنا بذلك على أساس أنه مثبت في الاتفاقيات،

1- Factory Records of the Late East India Company, G/29, Persia and Persian Gulf, vols. 20- 32.

www.almajidcenter.org

وليس كإجراء قاس يمكن أن يقطع جميع علاقات الصداقة معهم مستقبلاً، وقد وجدنا أنه ليس من الحكمة في شيء عرض قوتنا العسكرية أمام الأسرى، أو تدمير سفنهم وتحصيناتهم".

وحول اعتراض حاكم بومباي على أبعاد سفن القواسم وتسليحها، أشار كير إلى أن الحكومة البريطانية أخذت تعهداً على نفسها بحماية القبائل الموقعة على المعاهدة من هجوم سفن جيرانها غير الخاضعين للشروط والقيود المشار إليها.

ورأى كير أن إدراج بند في المعاهدة العامة ينص على منع تصدير أخشاب لبناء السفن من سواحل الهند ليس بالأمر المنطقي؛ ذلك أن السلطات الهندية – البريطانية قادرة على اتخاذ ما تراه مناسباً من إجراءات فعالة في هذا الخصوص داخل الهند وبشكل مباشر. ورداً على انتقاد حاكم بومباي له على إطلاق سراح الشيوخ الأسرى، ذكر كير أن السبب الرئيس الذي دفعه إلى القيام بذلك هو أن الكثير من هؤلاء الشيوخ كانوا يعانون المرض، أو كانوا مثخنين بالجراح، مما جعله يخشى موتهم وهم في الأسر لدى الإنكليز، الأمر الذي قد ينعكس على الإنكليز سلباً من الناحية السياسية. في حين أن إطلاق سراحهم سيؤدي إلى ما يراد تحقيقه.

وأوضح كير أن الشيوخ العرب قد استسلموا له طواعية، عندما أدركوا سياسة الإنكليز الحكيمة تجاه الأسرى، وعلموا بأن من استسلم لهم من القواسم قد أطلق سراحه، وأنه لولا قيامه بذلك لاضطر إلى نقل المعارك إلى عمق المنطقة، الأمر الذي يخالف التعليمات الأولية، التي كان قد تلقاها قبيل انطلاق الحملة، والتي تطالبه بعدم الابتعاد عن الساحل.

www.almajidcenter.org

كما أعترض كير على استبدال الشيوخ المحليين بأشخاص مناسبين للإنكليز مبرراً ذلك بأن القيام بمثل هذا الإجراء سيؤدي إلى حدوث اضطرابات، وهيجان وسط القواسم، مما سيضطر بريطانيا إلى التدخل في الشؤون الداخلية للقبائل.

أما بخصوص عزل حسن بن رحمة، فقد أكد اللواء كير هنا أنه عمل وفقاً لتعليمات الفنستون التي تقضي بإعادة السلطة في رأس الخيمة إلى الشيخ الأعلى السابق للقواسم سلطان بن صقر، الأمر الذي سيجعله مديناً للإنكليز فيما بعد.

إن تحليل طرق اللواء كير، وحاكم بومباي الفنستون في الإقبال على حل مختلف قضايا السياسة البريطانية نحو القواسم، ومنطقة الخليج العربي بأكملها يدل على أن هذين الشخصين كانا يسعيان لتحقيق هدف واحد، وهو تأمين سيطرة بريطانيا على منطقة الخليج، إلا أنهما كانا يعملان بطريقتين مختلفتين. فاللواء كير أظهر حصافة وحكمة كبيرة في تعامله مع شيوخ القبائل العربية، أما حاكم بومباي فقد كانت نظرته لقضايا الخليج العربي ضيقة بعض الشيء؛ إذ سعت حكومته إلى إسقاط حكم شيوخ القواسم باتخاذ إجراءات قاسية. في حين تطلع اللواء كير إلى أن يضمن شيئاً من التعاون من قبل الشيوخ العرب دون اللجوء إلى اتخاذ تدابير قاسية أو الإقدام على أعمال قمعية فيما بعد.

المرحلة النهائية للحملة ونتائجها:

أنجزت الحملة العسكرية البريطانية كامل مهامها على الساحل العربي للخليج في النصف الأول من شهر فبراير عام ١٨٢٠. وفي السابع من الشهر نفسه أخبر اللواء وليم جرانت كير حكومة بومباي عن إنتهاء الأعمال العسكرية في منطقة الصير، وتدمير جميع نقاط استناد القواسم وتحصيناتهم في المنطقة الممتدة من الرمس حتى أبو طبي، وكذلك إحراق أو مصادرة ٢٠٢ سفينة معادية كبيرة.

www.almajidcenter.org

بعد ذلك أخذ اللواء كير يفكر بتنفيذ القسم الثاني من مهمته، وهو ضرب الموانئ المتحالفة مع القواسم على الساحل الشرقي للخليج العربي. ونظراً لأن فارس تعد هذا الساحل جزءاً من أراضيها، فقد كان من الضروري أن تكسب حكومة بومباي تأييد ودعم الحكومة الفارسية لها. وعليه فقد أرسلت برسالة إلى أمير شيراز بينت له فيها أهداف الحملة، وحاولت في الوقت نفسه إقناع الشاه شخصياً بأهميتها، والفوائد التي ستجنيها فارس منها، وأسندت حكومة بومباي هذه المهمة الدبلوماسية إلى القائم بأعمال المبعوث البريطاني في طهران "ويلوك" (Willock)، الذي اجتمع مع وزراء الشاه في ٢٢ ديسمبر عام ١٨١٩.

وبعد إطلاع هؤلاء الوزراء على الإجراءات التي تنوي حكومة بومباي اتخاذها للقضاء على حلف القواسم القبلي، أعرب ويلوك عن أمله في أن لا تسمح الحكومة الفارسية لحلفائها القواسم بالإفلات من العقاب لمجرد أنهم يقيمون على الأراضي الفارسية.

والواضح أن هذا الطلب أثار استياء وزراء الشاه ؛ لأنه يعبر عن عجز حكومتهم عن ضبط رعاياها، وهذا ما جعلهم يردون عليه بأن الشاه لم يسمع بوقوع حادثة قرصنة تستحق الاهتمام، وحتى إذا وقعت مثل هذه الحادثة، فإن الاسلوب اللائق الذي يجب على حكومة بومباي اتباعه هو التوجه إلى الشاه مباشرة وطلب المساعدة منه، وليس القيام بأعمال عدائية على سواحله. وكان رد ويلوك على ذلك أن الفرس لا يملكون القوة العسكرية الكافية للسيطرة على القبائل العربية على الساحل الشرقي.

إلا أن الشاه "فتح علي شاه" أصدر أوامره إلى ابنه حسين ميرزا، أمير شيراز بتقديم كل مساعدة ممكنة إلى الإنكليز أثناء قيامهم بحملتهم العسكرية. ولهذا ما إن بدأت المرحلة الأولى من الحملة بعد وصول الأسطول الإنكليزي إلى الخليج العربي، حتى بعث أمير شيراز برسالة إلى كير أعرب له فيها عن سروره بالعقاب المراد إنزاله بالقواسم، وأبدى استعداده لتزويد سفن الأسطول بكل ما يلزمها من مؤن.

www.almajidcenter.org

أما رسالته الثانية التي بعثها إلى كير بعد سقوط رأس الخيمة، فقد كانت باردة في لهجتها بشكل واضح تماماً، بينما اتصفت رسالته الثالثة بروح عدائية واضحة. وقد قال فيها عن نية اللواء كير بالقضاء على القواسم في لنجه: "...أن مياه لنجه فارسية... وسكانها تحت رعاية الحكومة الفارسية، وما يقومون به من أعمال لا يتنافى مع الرعاية التي تقدم لهم... وعليكم أخذ ذلك بعين الاعتبار ما دمتم في الخليج، وليس من حقكم القيام بأي عمل من شأنه استفزاز السكان في أي ميناء يعود لفارس، ولا سيما لنجه "[1].

إلا أن موقف ولي عهد فارس، الأمير حسين ميرزا لم يثن كير عن تنفيذ الأوامر التي صدرت له من حكومة بومباي القاضية بتدمير جميع السفن، والمراكب العائدة إلى القواسم. ففي الأسبوع الأول من فبراير قرر كير استطلاع الساحل الشرقي قبل الإقدام على أي عمل أساسي.

وما إن غادر رأس الخيمة مع قواته الأساسية حتى قام قسم من السفن البريطانية المتبقية بأعمال قتالية على سواحل فارس. فقد قام الكابتن "لوك"، قائد الفرقاطة "إيدن" بالتوجه إلى منطقة البحرين مع السفينتين. "كيرلو" و"نوتيلوس"، تنفيذاً للأوامر الصادرة له بتعقب السفن القاسمية، التي يمكن أن تكون قد لجأت إلى هناك للاختباء. وفي الطريق شاهد لوك ثلاث سفن عربية فهاجمها، وأحرق اثنتين منها[2]، وسحب الثالثة إلى دبي.

وتبين فيما بعد أن هذه السفن كانت تجارية، وتتبع لنجه، وكانت متجهة إلى "عسيلوه"، التي يقع ميناؤها على الساحل الشرقي للخليج العربي. كما صادف الكابتن لوك

1- Kelly, op. cit., p. 161.

٢- عندما وصل لوك إلى البحرين سلمه الشيخ سلمان بن أحمد، والشيخ عبد الله بن أحمد سفن القواسم الراسية في الميناء، وكان عددها عشر سفن. فقام لوك بإحراقها جميعاً. كما حصل لوك على تعهد من الشيخين المذكورين بأن يقطعا أية علاقة لهما بحلف القواسم القبلي، انظر:

Kelly, op. cit., p. 165.

www.almajidcenter.org

سفينتين أيضاً بالقرب من ميناء "كنكون" تابعتين للنجه. وكانتا تجاريتين أيضاً. ومع ذلك قام بإحراقهما.

وعندما سمع كير بهذه الأعمال التي قام بها لوك خشي من احتجاج الحكومة الفارسية، لا سيما إنه شك في البداية في أن يكون لوك قد تأكد تماماً من حقيقة أن هذه السفن العربية التي جرى إحراقها هي سفن قراصنة فعلاً. وعليه فقد قرر كير إجراء استطلاع دقيق لسفن القواسم على الساحل الشرقي، وخصوصاً في لنجه، وخارج وعسيلوه، ومغوه. وكلف المقيم البريطاني في بوشهر "بروس" بالقيام بهذه المهمة. أما هو فقد أبحر بنفسه لاستكشاف الساحل الفارسي.

بعد مرور أسبوعين تلقى كير تقريراً من المقيم بروس جاء فيه أن سكان هذه الموانئ (لنجه، وخارج، و عسيلوه، و مغوه) لم يقوموا بأي أعمال قرصنة ضد السفن الإنكليزية. إلا أن بروس أشار في تقريره أيضاً إلى حادثتين: الأولى: قيام سكان خارج بنهب سفينة بالقرب من جزيرة قيس في عام١٨١٤؛ والثانية قيام سكان لنجه بنهب سفينة عام ١٨١٥. إلا أنه كانت هناك أسباب لكلتا الحالتين. وهي أن شيخ خارج شارك في إنقاذ حمولة السفينة الأولى التي حدث أن تعرضت إلى كارثة طبيعية. أما بالنسبة للحادثة الثانية فقد كانت لنجه في هذا الوقت خاضعة لسلطان بن صقر، وليست تحت حكم الشيخ الأعلى للقواسم.

كان على اللواء كير التخلي عن فكرة الهجوم على الموانئ العربية على الساحل الشرقي بشكل خاص؛ خشية صدور فعل سلبي حاد عن الفرس. وهذا ما حمله على تغيير وجهة نظره مع حاكم بومباي في هذه القضية. والواقع أن الفنستون لم يكتف بتأييد قرار كير بالتوقف عن مهاجمته للموانئ العربية، بل أمر بتعويض أصحاب السفن التي تعرضت للتدمير عن "طريق الخطأ" على يد الكابتن لوك[1].

1- Kelly, op. cit., pp. 161-162.

www.almajidcenter.org

يدل ذلك كله على أن الحملة العسكرية التي تنفذها السفن البريطانية ضد القواسم قد شارفت على النهاية. ففي الأسبوع الأخير من شهر فبراير أمر اللواء وليم جرانت كير سفن النقل المحملة بالجنود الأوروبيين قرب جزيرة قيس بالعودة إلى بومباي. أما هو فقد عاد إلى رأس الخيمة في ٢٨ فبراير مع بقية قوات الأسطول لوضع الترتيبات الأخيرة للحملة، وتحديد قوام القوات البرية الواجب تركها في هذا الميناء كحامية.

انتهت الحملة البحرية ضد موانئ القواسم في مارس عام ١٨٢٠، وفي هذا الوقت كانت معظم قطع الأسطول البريطاني تشق طريقها عائدة إلى بومباي. في الأسبوع الثاني من شهر مارس قام اللواء كير بزيارة أخيرة إلى الساحل العربي للخليج، وفي ١٥ مارس اجتمع مع شيخي عجمان، وأم القيوين على متن الفرقاطة " ليفربول " بالقرب من الشارقة، وهناك منحهما حق الانضمام إلى معاهدة السلام العامة.

كانت لهذا الأمر أهمية كبيرة بالنسبة لمستقبل حلف القواسم القبلي المقبل. فقبل شهر واحد على هذه الأحداث، عندما وضع سلطان بن صقر توقيعه على المعاهدة العامة، صرح بأن شيخ عجمان راشد بن حميد، وشيخ أم القيوين عبد الله بن راشد هما من رعاياه، وأن توقيعه على هذه الوثيقة يعني في الوقت نفسه توقيع هذين الشيخين عليها أيضاً. إلا أن اللواء كير وجد بعد عميق تفكير أن الأنسب لمصالح بريطانيا سياسة تقسيم منطقة الصير، والاعتراف بالشيخين، فذلك سيحد بنظره من سلطة ونفوذ الشيوخ الأقوياء، ويجعلهم على مستوى واحد مع بقية الحكام الأقل نفوذاً.

وهذا ما جعله يقول "..أعتقد أن من الأفيد إدراج أسمائهم في المعاهدة..."[1]. ويرى كير أن ذلك يزيل الخطر من احتمال اندلاع مجابهة مستقبلاً بين بريطانيا وحلف القواسم القبلي، الذي يستطيع تهديد النفوذ البريطاني في منطقة الخليج العربي، إذا ما تمكن

1- Saldanha, op. cit., p. 126.

www.almajidcenter.org

القواسم من إعادة بناء قوتهم التي فقدوها نتيجة للهزائم التي لحقت بهم في عام ١٨١٩-١٨٢٠. وبعد "التسوية" القاسمية البريطانية ظهرت على أنقاض حلف القواسم القبلي مشيخات صغيرة مستقلة عن بعضها.

كان كل شيخ من حكام هذه المشيخات ينظر إلى بريطانيا على أنها الركيزة الأساسية لضمان حكمه، وأصبح المقيم البريطاني في الخليج الحكم الفصل في المنازعات التي تنشب بين هؤلاء الشيوخ. إلا أنه بقيت هناك مسألة واحدة غير منجزة، وهي إقامة قاعدة حربية دائمة في منطقة الخليج العربي.

قبل مغادرة كير بومباي جرى تكليفه بدراسة مدى ملائمة قشم لإقامة قاعدة عسكرية فيها، إلا أن الآراء تباينت حول أصحاب هذه الجزيرة، فنيبن مثلاً يرى أن ملكية هذه الجزيرة تعود إلى سعيد بن سلطان. وقد كون رأيه هذا معتمداً على معلومات تلقاها من ج. سالدير، وكان من المؤيدين لهذا الرأي أيضا "تايلور". أما واردن فيرى أن سلطان مسقط لا يملك أي حق في هذه الجزيرة، وأن أية محاولة لنشر قوات بريطانية فيها ستؤدي إلى تأزم العلاقات مع فارس. وقد كون واردن رأيه هذا على أساس المعلومات التي جمعها بنفسه، وكذلك من معلومات وصلته من حاكم بومباي السابق "دنكان" و"سيتون"، الذي يعد من الخبراء الأساسيين في شؤون مسقط. أما الفنستون فكان ميالاً للقبول برأي واردن،وقد طلب الإذن من شاه فارس بوضع الحامية البريطانية في قشم. إلا أن تقريراً وصله من الرقيب "بوكس" يؤكد أن الجزيرة تقع تحت حكم سعيد بن سلطان. ولهذا تم توجيه التعليمات إلى كير بضرورة جعل قشم قاعدة لقواته، بغض النظر عن رأي حكومة فارس في هذه المسألة.

تغير الوضع مرة أخرى عندما ظهر لكير أن الجزيرة غير مناسبة لإقامة قاعدة عسكرية فيها؛ إذ بدا أنها جزيرة سهلة البلوغ والاقتحام من الناحية العسكرية، وسواحلها

www.almajidcenter.org

المنخفضة كثيراً ما تغمرها المياه، ولا يوجد فيها خور آمن. وعليه فقد قرر كير نقل القاعدة العسكرية إلى جزيرة قيس الأصغر مساحة، متجاهلاً بذلك تعليمات حاكم بومباي. إلا أنه في هذا الوقت وصلت أوامر الفنستون بنقل الحامية الإنكليزية التي تركها كير في رأس الخيمة بقيادة الكابتن طومسون إلى قشم. وكانت هذه الحامية مؤلفة من ١١٦٠ رجلاً منهم ٤٠ رجلاً من سلاح المدفعية، و ٦٠ بحاراً، و ١٠٦٠ رجلاً من المشاة السباهيين. إلا أن هذه القوات لم تبق في هذه المدينة طويلاً؛ إذ اصطدمت فجأة بمشكلة النقص في مياه الشرب، والتهديد بالأوبئة.

عندما تلقى طومسون الأوامر من حكومة بومباي بنقل الحامية البريطانية من رأس الخيمة إلى قشم ، وتحويلها إلى قاعدة أساسية لبريطانيا العظمى في المنطقة، قام بتدمير جميع التحصينات والأبنية في المدينة[1]. وبعد أن سلم السلطة إلى سلطان بن صقر، رحل في ١٨ يوليو مع قواته إلى قشم، لاتخاذها قاعدة أساسية لبريطانيا في هذه المنطقة، وبعد يومين نزل الجنود الإنكليز في جزيرة قشم.

إلا أن تعسكر الجنود في هذه الجزيرة لم يجر بيسر ودون مشاكل. فمن ناحية لم يكن المناخ صحياً بالنسبة للأوروبيين، ومن ناحية أخرى تأزم الموقف بشدة في نهاية عام ١٨٢٠، عندما تقدم رئيس وزراء فارس بطلب رسمي إلى حكومة بريطانيا العظمى بسحب الحامية الإنكليزية من جزيرة قشم، مؤكداً أن قشم أرض فارسية، وليس لحاكم مسقط أية حقوق فيها، ورفض رئيس وزراء فارس مزاعم الإنكليز بأن تواجد قواتهم المسلحة في الخليج العربي أمر ضروري للحفاظ على الأمن والاستقرار في المنطقة.

1- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a. p. 676.

www.almajidcenter.org

وصرح بأنه في حال لزم الأمر خوض صراع مع القراصنة، فإن فارس قادرة على ذلك بمفردها، وعلى اتخاذ التدابير المناسبة دون الحاجة إلى أي تدخل أجنبي[١]. كما أشار إلى أن أعمال الإنكليز تعد خرقاً فاضحاً للمادة ١١ من معاهدة ١٨١٤، التي تشير إلى عدم جواز إنزال قوات إنكليزية من السفن إلا بطلب من فارس، و"في الموانئ التي تحددها لهم الحكومة الفارسية فقط".

ومن أجل التوصل إلى اتفاق حول هذه المسألة جرت اتصالات بين ممثلي الدولتين دون تخطيط مسبق لها. وعلى الرغم من الجهود التي بذلت من قبل بعثة جوكس – فريزر الخاصة، التي كانت حينها في طهران، فقد ثبت الفرس على موقفهم.

خلال هذه الأحداث جرى تكليف سميث المتواجد في المنطقة منذ عام ١٨٢٠ بالبحث عن مكان آخر أفضل لإقامة قاعدة بريطانية فيه، على أن لا يكون للفرس أي ادعاء بالحق فيه. ومر وقت طويل دون أن يحصل حاكم بومباي على أي خبر حول هذه المسألة. وعندها وجد نفسه أمام أحد أمرين، إما الإسراع بسحب القوات البريطانية من قشم، ومن ثمَّ إتاحة الفرصة أمام "القراصنة" ليرفعوا رأسهم من جديد؛ وإما البقاء في الجزيرة، حتى وإن أدى الأمر إلى مواجهة مع الحكومة الفارسية[٢].

وبعد وقت قليل وصلت أخبار من سميث تقول بأنه لا يوجد مكان أفضل من جزيرة قشم لإقامة قاعدة عسكرية. وفي هذا الوقت كانت شكوك شاه فارس تتزايد حول الأهداف الحقيقة لاحتلال بريطانيا لهذه الجزيرة، ولهذا ثبت على موقفه المطالب بسحب الحامية الإنكليزية. ولم يبق أمام الفنستون سوى التخلي نهائياً عن فكرة إنشاء قاعدة عسكرية

١ - سمور، زهدي عبد المجيد : تاريخ ساحل عمان السياسي في النصف الأول من القرن التاسع عشر، الكويت، ١٩٨٥. ص. ١٥٨ [فات المؤلف الإشارة هنا إلى أن هذا الكتاب يقع في جزأين] المترجم

2- Kelly, op. cit., pp. 170-173.

www.almajidcenter.org

في قشم. وعليه تم إرسال " بروس" إلى شيراز لإجراء مباحثات مع الجانب الفارسي في هذا الشأن.

إلا أن بروس المدرك جيداً لحقيقة المشاكل في الخليج العربي، تجاهل تعليمات حكومة بومباي، واتفق مع السلطات الفارسية على السماح للحامية البريطانية بالبقاء في قشم لخمس سنوات مقابل تسليم البحرين إلى فارس. والواقع أن هذا التصرف غير المتبصر من بروس أغضب الفنستون، وجعله يقرر بحزم إخلاء الجزيرة من القوات البريطانية. وبعث إلى أمير شيراز يخبره بأنه لا يعترف بما جرى الاتفاق عليه بين بروس والحكومة الفارسية، وأنه سيسحب الحامية البريطانية من الجزيرة. وبالفعل في الأسبوع الأول من عام ١٨٢٣ جرى سحب الحامية الإنكليزية من قشم.

إلى جانب تدهور العلاقات مع فارس كانت هناك أسباب أخرى حملت الإنكليز على سحب حاميتهم، والتخلي عن فكرة إنشاء قاعدة عسكرية في قشم. ومن أول هذه الأسباب أن إنشاء مثل هذه القاعدة، والمحافظة عليها يتطلب زيادة في النفقات. هذا إلى جانب المعارضة الشديدة لهذا المشروع التي أبداها أعضاء مجلس بومباي الذين أقروا بضرورة إقامة نقاط إمداد للقوات البحرية بدلاً من إنشاء قاعدة بحرية. ومع أنهم اعترفوا بأن قشم تعد أفضل مكان لذلك إلا أنهم كانون يعارضون دائماً تحويل هذه النقطة إلى قاعدة عسكرية تتواجد فيها قوات بشكل دائم؛ إذ كانوا على قناعة تامة بأن الفائدة من ذلك ستكون قليلة أو معدومة.

رأت حكومة بومباي أن تواجد الوحدات العسكرية، حتى وإن كان مفيداً للإنكليز، ويؤثر بشكل كبير على قبائل القراصنة، ويجعلها تهدأ تماماً، ويخلق جواً من الطمأنينة، إلا أن ذلك كله مرهون باستخدام سفن الأسطول الحربية بالشكل المناسب[1].

1- Kelly, op. cit., p. 195.

www.almajidcenter.org

ذكر العماد سميث في هذا الخصوص أن الأسطول البريطاني لا يستخدم بشكل فعال البتة، ويرى أن من أسباب ذلك أن السفن تمضي نصف وقتها في البصرة و بوشهر؛ إذ أن تزويدها بما تحتاج إليه لا يتم إلا على يد ممثلي شركة الهند الشرقية الذين يتواجدون في هذين الميناءين. كما جرت العادة أيضاً أن تقوم السفن بنقل حمولات ثمينة للتجار المحليين إلى بومباي لقاء أجر، وكثيراً ما كانت هذه السفن تتأخر في الموانئ في انتظار تحميلها بالحمولات المربحة. وكل هذا جعل قباطنة السفن البريطانية يهملون واجباتهم الأساسية. الأمر الذي أضعف المراقبة على السواحل العربية والطرق المائية.

وعليه فقد رأى سميث أن الضرورة تقتضي أن يوضع إمداد السفن في أيدي القباطنة، وأن يدفع تعويض للطواقم مقابل تخليهم عن نقل أية حمولات للتجار المحليين، كما أوصى أيضاً بتخصيص أسطول قيادة صغير في الخليج العربي بقيادة ضابط بحري برتبة أميرال، ونقل مقر قيادته إلى جزيرة قشم، وأن تكون المهمة الأساسية لهذا القائد مراقبة سفن الدوريات، والتأكد من أنها تنفذ المهام الموكلة إليها، وهي المراقبة الدائمة والقيام بدوريات مستمرة.

وبغية إقناع قادة السفن بالبقاء في مياه الخليج العربي والتعرف على سواحل الجزيرة العربية بشكل أفضل، اقترح سميث زيادة مرتباتهم الشهرية أثناء تواجدهم في الخليج بمقدار ٢٠٠ روبية[1].

لاقت معظم توصيات سميث استجابة، وكان أول من بدأ بالتعرف على الساحل العربي في أواخر عام ١٨٢٠ بشكل دقيق، النقيب "مجهن" الذي ترأس بعثة طبوغرافية ورسم خارطة للمنطقة حمل عليها عددا كبيراً من المداخل، والممرات، والأخوار، والخلجان

١- سمور، زهدي عبد المجيد، (مرجع سابق)، ص ١٦٢.

www.almajidcenter.org

الصغيرة الواقعة في شبه جزيرة ممتدة من رأس مسندم حتى رأس الخيمة، وكان القواسم يستخدمون هذه المنطقة كملجأ لسفنهم عندما يخططون للإغارة على السفن التي تعبر مضيق هرمز.

تجدر الإشارة هنا إلى أن النقيب "مجهن" والملازم "جي"، الذي خلفه في بعثة طبوغرافية أخرى، وأتم رسم خريطة هذه المنطقة وسواحلها، لم يواجها أية مقاومة من جانب القواسم، بل إن طواقم السفن الإنكليزية كانت تقابل بالترحاب الشديد من السكان المحليين، الذين قدموا لها المساعدة والحماية.

ومما لا شك فيه أن لبعثتي مجهن وجي الطبوغرافيتين، اللتين جرى خلالهما وضع وصف مفصل للقبائل المحلية، والمدن، والموانئ، وقدراتها الاقتصادية، وظروفها الجغرافية أهمية كبيرة. وقد لعبت هاتان البعثتان دوراً في بقاء السكان العرب في الخليج العربي خاضعين لبريطانيا.

ومع ذلك ذكر "الفنستون" لموظفي شركة الهند الشرقية أنه ليس بالإمكان الإبقاء على سفن المراقبة لفترة أطول، وأصدر أوامره بتحويل الأموال التي جمعتها طواقم السفن البريطانية لقاء نقل الأحمال الثمينة العائدة للتجار المحليين إلى خزينة الدولة. وكتعويض عن ذلك تم رفع رواتب القباطنة، والضباط، والبحارة، وكان مقدار العلاوة مطابقاً لما أوصى به "سميث".

على الرغم من أن الفنستون، وميريتون (Meriton) القائد العام للأسطول في شرقي الهند، كانا على قناعة بضرورة تعيين قائد لسفن مراقبة تقوم بالطواف في مياه الخليج، فإنهما اصطدما بعدد من المشاكل؛ إذ جرت العادة أن تكون سفن شركة الهند الشرقية سفن مراقبة، وأن يكون قبطان سفينة أسطول صاحبة الجلالة قائداً لها. إلا أن إصدار ميريتون أمر

www.almajidcenter.org

في عام ١٨٢٤ يخول بموجبه قادة سفن الأسطول الملكي حق إعطاء التعليمات إلى قادة سفن شركة الهند الشرقية التي تقوم بالطواف والمراقبة، على أن يكون ذلك بأمر من مقيمي ووكلاء الشركة قلل من احتمال حدوث خلافات بين الوحدتين البحريتين. وبات إخضاع ضباط سفن شركة الهند الشرقية إلى قائد سفن الأسطول الملكي حقيقة قائمة[1].

عملاً بنصيحة الجنرال سميث قام ميريتون بإعداد خطة عمل وانتشار للسفن الطوافة في منطقة الخليج العربي، والتي جرى العمل بها في عام ١٨٢١. ويعتمد أساس هذه الخطة على مبدأ "راقب وضع حداً" أو "راقب وأخمد". ولتحقيق ذلك تطلب الأمر توفير ست سفن طوافة للمراقبة : منها ثلاث سفن تتواجد على مسافة محددة عن موانئ القواسم لتقوم بمراقبتها : رأس الخيمة، والشارقة، والرمس، ودبي، وتدخل إلى موانئها من حين إلى آخر؛ وسفينتان تطوفان على الطريق البحرية بين مسقط والبصرة لحماية السفن التجارية ونقل البريد؛ وسفينة مخصصة لتأمين الاتصال مع بومباي. وكانت الخطة تنص على أن لا تتوانى أية سفينة عن القيام بواجبها في تنفيذ أية مهمة. وجرى منح القباطنة حق إيقاف أية سفينة يُرتاب بأمرها من منظرها الخارجي، بل واحتجازها إذا دعت الضرورة لذلك.

في نوفمبر عام ١٨٢١ أدخلت بعض التعديلات على مهام السفن الطوافة؛ فقد بقيت ثلاث سفن تراقب الساحل البحري للصير كما في السابق. وجرى نقل إحدى السفينتين " اللتين كانتا تحميان السفن التجارية على المحور مسقط – بوشهر – البصرة إلى منطقة خليج عمان، القطاع الواقع بين رأس مسندم ومسقط، الذي نشط فيه العمل التجاري من جديد.

إضافة إلى البنية العسكرية التي تشكلت على أساس ثابت، جرى توسيع كبير في حقوق ومهام المقيم البريطاني في منطقة الخليج العربي وفقاً لمبادئ اتفاقية السلام العامة. وفي

1- Kelly, op. cit., pp. 191, 197.

www.almajidcenter.org

عام ١٨٢٢ أصبحت المحطة التجارية لشركة الهند الشرقية في بوشهر المقر الرئيس للمقيمية، أي بعبارة أخرى تحولت المحطة التجارية إلى مركز سياسي لبريطانيا العظمى في المنطقة. وأصدرت حكومة الهند البريطانية أمراً منعت بموجبه المقيمين البريطانيين من ممارسة أي عمل تجاري سواء لصالحهم الشخصي أو لصالح شخصيات أخرى غير رسمية، كما كان يحدث سابقاً.

شكل المقيم البريطاني العين الساهرة للمستعمرين الإنكليز التي تبصر كل شيء في الخليج العربي. ولهذا أرسل إلى الصير وغيرها من مناطق الخليج العربي جيوشاً استعمارية، ولعب دور الممثل السياسي لبريطانيا، وتحمل المسؤولية عن تنفيذ القرارات السريعة.

يدعي سالدانا أن الإنكليز استطاعوا بمساعدة المقيمين التحكم بمصير القواسم، وبقية القبائل العربية، والتأثير على الحكام المحليين، وتوجيه سياستهم الداخلية، ورسم العلاقات الخارجية للإمارات؛ وأن المقيم البريطاني وموظفيه كانوا يشكلون ركيزة الشيوخ، الذين يبقون متربعين على كرسي الحكم ما داموا لا يؤثرون على سياسة بريطانيا. وكان الإنكليز يدعمون السلطات ضد أفراد القبيلة العاديين، وأقرباء الحكام، وكانوا يستطيعون ترك الشيخ دون دعم ليواجه بنفسه شعباً ثائراً، إذا ما كان ذلك يصب في مصلحتهم. وكان قرار المقيم بالنسبة للشيوخ العرب أمراً نهائياً لا يمكن تجاوزه[1].

يبدو أن بريطانيا لم تعد بعد الحملة العسكرية الثالثة (١٨١٩ – ١٨٢٠) بحاجة إلى تواجد أعداد كبيرة من قواتها في المنطقة. وكانت الإدارة الاستعمارية تتجسد في المناورات والمراوغات والحيل. فقد كان المقيم يوجه سلوك الشيوخ من خلال تقديمه لهم الهدايا البسيطة والعطايا كالأموال، والملابس، والبارود. إضافة إلى ذلك كان الأطباء الذين يعملون على السفن الإنكليزية يقدمون الخدمات الطبية إلى الشيوخ ورعاياهم عندما يكون

1- Saldanha, op. cit., p. 143.

www.almajidcenter.org

ذلك ممكناً. وكثيراً ما كان المقيم يلجأ إلى أسلوب التهديد وفرض العقوبات على الحكام إذا ما أعرضوا عن تنفيذ أوامره.

في عام ١٨٢٣ جرى إحداث منصب وكيل سياسي لمنطقة "الصير" على وجه الخصوص. ونظراً لأن الخطورة الأكبر تأتي من إمارة الشارقة من وجهة نظر الإنكليز، فقد تقرر أن تكون هذه الأخيرة مكاناً لإقامة الوكيل السياسي.

وأصبح هذا الموظف الإنكليزي (الوكيل السياسي) "الملك غير المتوج" في المنطقة كلها؛ إذ كان واحداً من الشخصيات المسؤولة في المملكة البريطانية. وكان شيوخ القواسم يضطرون لتقديم الهدايا له حتى يفضلهم على الآخرين.

كانت المهمة الأساسية للوكيل السياسي رفع تقارير مفصلة للمقيم البريطاني أو نائبه بكل ما يحدث. أي بعبارة أخرى كانت مهمته الأساسية التجسس على كل ما يجري في منطقة الصير على وجه الخصوص. وقد أجاد البعض منهم لدرجة أنه كان يحصي على الشيوخ كل حركاتهم وسكناتهم وحوادث زواجهم وطلاقهم وأمزجتهم الخاصة.

و كان الوكيل السياسي يشكل حلقة الوصل بين المقر العام للمقيمية في بوشهر والشيوخ. فقد كانت تجري من خلاله جميع المراسلات الشخصية والرسمية. عدا عن ذلك كان مسؤولاً عن تحصيل "الغرامات" المختلفة التي يفرضها المقيم على الحكام بسبب صدامات أو أحداث تقع في الخليج العربي. ومن التصرفات التي كان يقوم بها الوكيل السياسي أيضاً حضور ما يسمى "مجالس الصلح" التي يعقدها الشيوخ، والتدخل في سيرها بما يلبي مصالح السياسة البريطانية.

www.almajidcenter.org

جرت أول محاولة لوضع وكيل سياسي في الصير بعد انتهاء الحملة العسكرية ١٨١٩- ١٨٢٠ مباشرة، عندما جرى تعيين ج. طومسون "مديراً لرأس الخيمة" (ولكنها كانت محاولة فاشلة). ففي يونيو ١٨٢٠ تم نقل طومسون إلى جزيرة قشم التي أصبح فيها "الوكيل السياسي للمنطقة الوسطى في الخليج"، إلى جانب وظيفته "قائد المفرزة". وكان عليه تطوير العلاقات بين إمارات الصير وحاكم بومباي، وتعزيز العلاقات السياسية مع حاكم مسقط، التي لم يكن فيها آنذاك أي ممثل إنكليزي.

والذي ساعد على تثبيت ج. طومسون في المنصب الجديد وحصوله على تفويضات واسعة غياب "و. بروس" عن الحلبة السياسية في بوشهر. وفي هذا الوقت كان المقيم في البصرة مشغولاً تماماً في علاقاته مع حاكم بغداد العثماني، ولم يكن يعير اهتماماً تقريباً إلى الأوضاع في الخليج العربي. إلا أن طومسون لم يبق في هذه المناصب لفترة طويلة؛ إذ صدر قرارعن حكومة بومباي بعزله عن جميع المناصب إثر إخفاقه في قيادة حملة عسكرية ضد قبيلة بني بو علي في شمال شرق عمان.

بعد التوقيع على معاهدة السلام العامة حاولت بومباي تشكيل شبكة مقيمين ووكلاء في الخليج العربي، وإقامة علاقات وثيقة فيما بينهم. وجرى التخطيط بصورة خاصة لتشكيل ممثلية واحدة من المقيمية في بوشهر والمقيمية في البصرة، وتسميتها المقر العام للمقيمية البريطانية في أعالي الخليج. وكان على الممثلية في جزيرة قشم الاهتمام بالمصالح البريطانية في القسم الأوسط من الخليج. إلا أنه لم يكتب لهذه الخطة النجاح؛ إذ اضطر الإنكليز للإسراع في الخروج من الجزيرة. وانتقلت مراقبة مشيخات الساحل العربي إلى المقيم في بوشهر، والوكيل في الشارقة.

كان "ج. ماكلويد" الذي خلف بروس أول مقيم يشغل هذا المنصب في الممثلية (المقيمية) التي تم تجديدها في بوشهر في أكتوبر عام ١٨٢٢. وقد تلقى تعليمات من بومباي

www.almajidcenter.org

تتعلق بالصير، والقضاء على القرصنة وفقاً لمبادئ الاتفاقية العامة، ومراقبة الأمن في الخليج العربي، وحث القواسم على مصادقة بريطانيا، وتعزيز نفوذها. ومن أجل ذلك طُلب منه التعامل مع الشيوخ بثقة بالنفس، على أن يكون في الوقت نفسه ليناً كي يشعرهم بميله نحو الصداقة[1].

كان على المقيم ماكلويد معرفة كافة الإمكانيات العسكرية للشيوخ، ونواياهم، وخططهم، وما بقي لديهم من قوة عسكرية، وإبلاغ بومباي عن ذلك كله. كما طُلب منه مراقبة ما إذا كانت جميع سفن القواسم ترفع العلم الذي حددته المادة الثالثة من الاتفاقية العامة، والتحقق من أنها تحمل الوثائق اللازمة، والإدلاء برأيه حول أفضل الطرق لمنع تجارة الرقيق.

وحذرت حكومة بومباي ماكلويد من مغبة الدخول في صراع بري في الصير، وطلبت منه الاتصال مع حاكم شيراز إذا ما أراد القيام بأي عمل ضد القراصنة على الساحل الشرقي للخليج للحصول على موافقته. وعليه في حال عدم وجود حاكم شيراز عرض المسألة على المبعوث البريطاني في طهران، وإبلاغ بومباي عن ذلك فوراً، وانتظار التعليمات منها.

اتبع ماكلويد في عمله في منصب المقيم البريطاني طريقة تجعل من يخلفه يلمس نتائج عمله، ويدرك مدى خبرته. فقد كان يقوم بشكل دائم بجولات استكشافية على شيوخ الساحل العربي، الأمر الذي أصبح عادة يتبعها المقيمون. ومن الأعمال التي قام بها وميزته في وظيفته أنه قام بجولة برفقة الكابتن "فيذفول" (Faithfull)، كبير ضباط البحرية في الخليج العربي. وعندما وصل الرجلان إلى الرمس، وكان ذلك في ١٢ يناير ١٨٢٢ علم بأن حاكمها حسين بن علي "أحد زعماء القراصنة القدامى، ومن الذين وقعوا على المعاهدة العامة قد عزله قومه".

1- Thomas, op. cit., pp. 40,43.

www.almajidcenter.org

وفي رأس الخيمة لمس ماكلويد ومرافقه أن سلطان بن صقر هو الشخصية الأقوى، وصاحب النفوذ الأكبر في الصير؛ إذ بسط سيطرته على رأس الخيمة (كان يحكم هذه الإمارة باسمه أخوه محمد بن صقر)، والشارقة، والرمس، والحمرية، وأم القيوين. وكان (سلطان بن صقر) يملك أسطولاً يعد في نظر الإنكليز قوة تكفي لامتلاك زمام المبادرة. وقام ماكلويد بإحصاء عدد سفن القواسم في ميناء الشارقة فوجد أنها نحو ٤٠ داواً، حمولة الواحد منها تتراوح بين ٣٠ و ٤٠ طناً. كما شاهد إحدى السفن الكبيرة التي تصل حمولتها إلى نحو ١٢٠ طناً.

أثار هذا الأمر قلق ماكلويد الذي رأى أن من الضروري وضع حد لشيخ القواسم، ولا سيما أن هذا الأخير يعمل على بسط نفوذه وسيطرته على كامل الساحل العربي، وإخضاع عجمان التي لم يعترف بسلطة حاكمها راشد بن حميد. أشار ماكلويد – المخلص لمبادئه – على الشيوخ في حوار معهم إلى أن من الأفضل لهم الحد من سلطة سلطان بن صقر ونفوذه؛ كي لا يغزوهم.

أنهى المقيم البريطاني جولته في الخليج العربي بزيارة إلى كل من الشارقة، وأبو ظبي، والدوحة (قطر)، والبحرين، التي أبدى أحد حاكميها إعجابه بالاتفاقية العامة. فقد رأى عبد الله بن أحمد أن هذه الاتفاقية تؤكد استقلالية البحرين، وترفع عنها يد أعدائه، كشاه فارس وسلطان مسقط ورحمة بن جابر. إلا أن ماكلويد لم يؤكد أن مواد الاتفاقية يمكن تفسيرها بهذا المعنى، وذكّر شيخ البحرين بأن وثيقة المعاهدة تتضمن مسمى "الحرب المعترف بها"، التي يمكن لعدوه أن يعلنها عليه في أي وقت.

في العاشر من فبراير عام ١٨٦٣ عاد ماكلويد إلى مقره في بوشهر حيث أرسل إلى بومباي تقريراً مفصلاً عن جولته تضمن تحليلاً دقيقاً للأوضاع في المنطقة. وكانت النتيجة الأساسية التي استخلصها ماكلويد من جولته أن الحملة العسكرية التي نفذتها بريطانيا عام

www.almajidcenter.org

١٨١٩ – ١٨٢٠ أخفقت في تحقيق الهدف الرئيس الذي قامت من أجله وهو تدمير سفن القواسم بكاملها. ورأى أن وجود قوى بحرية لدى العرب يعد عقبة كبيرة تحول دون القضاء على القراصنة. ورأى أن ركوب السفن من قبل أناس لديهم تسليح قتالي سيجعل خطر القرصنة واقعاً قائماً من جديد، وستكون مواجهته من الصعوبة بمكان، بغض النظر عما إذا وقعت صدامات "على أسس قانونية" أو غير قانونية. فعندها ستكون القرصنة رهناً بالظروف المواتية فقط[1].

في الواقع تضمنت المادة الرابعة في المعاهدة العامة نصاً غامضاً جداً فيما يخص منع نشوب الحرب بين القبائل في البحر. ولكن مع ذلك تبقى الفكرة الأساسية لهذه المادة منع القرصنة أكثر من منع الحرب، حتى وإن كانت هذه الحرب "غير قانونية". وكل ما كان المقيم البريطاني يفعله لمنع اندلاع الأعمال القتالية والهجمات العدوانية بين القبائل نفسها – إذا لم يكن هذا المنع يشكل تهديداً لمصالح بريطانيا – هو الاجتماع مع ممثلي الأطراف المتنازعة، ومساعدتهم على إجراء مباحثات فيما بينهم، ومن ثم تعويض الطرف الذي تعرض للعدوان عن الأضرار التي لحقت به نتيجة لهذا العدوان.

توقف ماكلويد في تقريره الذي رفعه إلى بومباي عند الصعوبات التي تحول دون تنفيذ بنود الاتفاقية العامة، وذكر من بين هذه الصعوبات عدم وجود المعايير الدقيقة التي تحدد السفن الحربية، والمراكب التجارية. وأشار في التقرير إلى أنه يرى أن القوات الإنكليزية المتواجدة في الخليج العربي ليست كافية تماماً، وهي غير قادرة حتى على تفقد وجود سجلات السفن، وغيرها من وثائق الملاحة، كما رأى أن تنفيذ المادة الخامسة من الاتفاقية بحذافيرها سيعود بالضرر أكثر من المنفعة، كما هو الحال بالنسبة للمادة التاسعة الخاصة بحظر تجارة الرقيق.

١- سمور، زهدي عبد المجيد، (مرجع سابق)، ص ١٦٥.

www.almajidcenter.org

ترك تقرير ماكلويد أثراً كبيراً في نفس حاكم بومباي الفنستون، الذي تقبل استنتاجاته كاملة، ووافقه تماماً على أن المادة الرابعة من الاتفاقية العامة تبدو كتوصية للقبائل بأن تعيش في أمن وسلام، وهي في الوقت نفسه تعبر فقط عن موقف السلطات الإنكليزية، وهو عدم التدخل في الخلافات بين العرب. ووجد حاكم بومباي أن وضع حد لأعمال الحلفاء – العرب، لن يجد من أعمال القوى الأخرى حتى في النزاعات فيما بينها، و ستصطدم هذه الطريقة بعقبات؛ إذ أن كل طرف من الأطراف المتنازعة سيطلب من بريطانيا التي تدخلت في شؤونهم وتعهدت بحماية حقوقهم تعويضاً مناسباً له إذا ما وجد نفسه خاسراً في النزاع.

كما أيد حاكم بومباي الفنستون رأي المقيم البريطاني في بوشهر، ماكلويد فيما يخص المادة الخاصة بتجارة الرقيق التي بقيت لأسباب عديدة مجرد حبر على ورق. لكنه (الفنستون) كان متردداً في موقفه من المادة المتعلقة بالعلم، والوثائق الواجب حملها في السفن. غير أنه اعترف فيما بعد بضرورة أن تتواجد أعداد كبيرة من القوات في الخليج العربي؛ للتحقق من وثائق سفن القواسم، ورأى أن ذلك يمكن أن يعود ببعض الفائدة على دعم السلام. إلا أن ذلك أيضاً ظل حبراً على ورق، ولم يتحقق منه شيء بشكل عملي. فحتى بداية شهر مايو عام ١٨٢٣ لم يطالب أي قبطان عربي بالحصول على وثائق لسفينته، ولم يكتب الممثل الإنكليزي الرسمي أية "شهادة رخصة". ولهذا بادر ماكلويد إلى التخلص من هذه الفكرة، ولا سيما أن العرب لا يهتمون بمثل هذه الوثائق، وأي ضغط عليهم بسبب ذلك "سيحول استخفافهم بهذا الأمر إلى إنكار عدائي"[1].

أخذت حكومة بومباي كل ذلك بعين الاعتبار، وأصدرت أوامرها إلى ماكلويد بإلغاء نظام منح الرخص، وقرار لزوم تجديد وثائق السفن سنوياً. وبهذا الشكل لم تكد تمضي ثلاث سنوات على التوقيع على الاتفاقية العامة حتى أصبحت معظم بنودها غير معمول بها.

1-Thomas, op. cit., pp. 42-45.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

www.almajidcenter.org

على الرغم من قصر المدة التي شغلها ماكلويد في منصب المقيم البريطاني في بوشهر (حتى نهاية عام ١٨٢٣)، فقد بقي تأثيره في تطوير العلاقات بين بريطانيا والقواسم لفترة طويلة، وقد وضع تقييماً معلَّلاً لهذه العلاقات في تقرير بعث به إلى بومباي في ٢٧ فبراير عام ١٨٢٣، وبقي هذا التقييم حتى نهاية القرن التاسع عشر دون أن يطرأ عليه سوى القليل من التعديلات. وقد دعا ماكلويد إلى الاهتمام بالقبائل العربية، وتشجيعها على ممارسة التجارة، وعدم التدخل كثيراً في شؤونها الداخلية، والعمل بشكل عقلاني وحذر، وعدم إثارة سخط الشيوخ.

ومثل هذه التوصيات صدرت أيضاً عن واردن وكير. وقد دلت السياسة الأخيرة المتبعة على أن السلطات الهندية – البريطانية استحسنت هذا النهج بعد أن فتحت موانئ الهند أمام السفن العربية، ورأت أن مصالحة القواسم، وبقية قبائل العرب الساحلية هو الطريق الأفضل لتحقيق السلام في البحر. وفي النتيجة حققت بريطانيا ما كانت تصبو إليه، ولا سيما إخضاع القبائل العربية، ودرء الصدامات في البحر.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

www.almajidcenter.org

الفصل التاسع
العلاقة القاسمية البريطانية
من ١٨٢٠ حتى ١٨٣٥.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة... وعطاء مستمر

www.almajidcenter.org

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة ... وعطاء مستمر

www.almajidcenter.org

على الرغم من الصعوبات الكثيرة التي عانى منها حلف القواسم في بداية العشرينات من القرن التاسع عشر، بعد انهيار قوته العسكرية، نتيجة للحملة العسكرية التي جردتها بريطانيا ضده في عام ١٨١٩ – ١٨٢٠، وعلى الرغم من انهيار الروح المعنوية للقبائل، نتيجة للهزيمة العسكرية التي منيت بها الدولة السعودية الأولى وأدت إلى سقوطها، فقد تمكن هذا الحلف من تضميد جراحه، والنهوض لاستعادة قوته شيئاً فشيئاً، كما فعل الوهابيون بقيادة أميرهم الجديد تركي بن عبد الله بن سعود. ففي عام ١٨٢١ فرض سعد بن مطلق، ابن النائب السعودي السابق في البريمي سيطرته على هذه الواحة، وأخذ يبسط نفوذه على بعض مناطق عمان والصير[١].

كان من الطبيعي جداً أن يشكل ذلك تهديداً لسلطان بن صقر باحتمال أن يفقد منصب الشيخ الأعلى للقواسم مع ظهور الوهابيين في منطقة الصير، مع الأخذ بالاعتبار أن نائب الوهابيين في هذه المنطقة هو شيخ الرمس حسين بن علي. ويبدو أن سلطان بن صقر كان محقاً في مخاوفه؛ إذ أن القسم الأكبر من الساحل العربي، وكذلك شيوخ عجمان، وأم القيوين[٢] كانوا ميالين للحركة الوهابية.

في عام ١٨٢٥ اجتمع الشيخ سلطان بن صقر مع المقيم البريطاني الجديد، "ستانوس" الذي خلف ماكلويد، وأبدى له مخاوفه الشديدة من تزايد قوة الوهابيين ونفوذهم، واستوضح منه عن مدى استعداد بريطانيا للوقوف إلى جانبه وحمايته، وما الذي عليه القيام به، إذا ما استنصره الأمير السعودي في صراعه ضد سلطان مسقط. وعندها أخذ المقيم البريطاني يتهرب من الرد عليه وكان يجيبه بما يقبل التأويل.

١ – يبدو أنه لم يكن هناك اتصال مباشر بين سعد بن مطلق والأمير الجديد، وكان القائد الوهابي يعمل معتمداً على نفسه.

٢ – حاول شيخا الإمارتين مجابهة القواسم بالتعاون مع الوهابيين.

www.almajidcenter.org

فمن جهة ذكر أن حكومة بومباي لا يمكنها - بأي حال من الأحوال - إظهار العداء للسعوديين؛ إذ أنها تنظر إلى النزاعات البرية على أنها مشاكل إقليمية بين العرب ولا شيء أكثر، ومن جهة ثانية طمأن سلطان بن صقر بأن بريطانيا لن تقبل بأن يضغط الوهابيون عليه، ولن تسمح لهم بالاستعانة بالقبائل البحرية لاستئناف أعمال القرصنة. وفي الوقت نفسه أوضح ستانوس أن السلطات البريطانية لا ترغب بأن يدخل الشيخ سلطان في أي تحالف ضد حليفها القديم حاكم مسقط[١].

عندما استعاد الوهابيون سيطرتهم على منطقة الأحساء في النصف الثاني من العقد الثاني من القرن التاسع عشر، وأصبح ظهورهم في منطقة الصير مسألة وقت، التقى سلطان بن صقر سراً بالمقيم البريطاني ستانوس؛ ليستوضح منه ما إذا كانت بريطانيا ستقف إلى جانبه وتدعمه أم لا. وعندها عاد المقيم البريطاني إلى المراوغة مرة أخرى ولم يعطه رداً صريحاً، لكنه ذكر بأن كل ما يهم بريطانيا العظمى في هذا الوقت هو المحافظة على السلام في مياه الخليج العربي، ولهذا ليس في نية حكومة التدخل في الصراع بين القوى العربية المختلفة في شبه الجزيرة العربية[٢].

ومن جهته لم يكن تركي بن عبد الله يسعى لتوتير العلاقات مع بريطانيا، ولا سيما أنه كان منشغلاً في هذه الفترة بحربه ضد المصريين لاستعادة الدولة السعودية. ولهذا رفض طلب شيخ عجمان راشد بن حميد جعله نائباً وهابياً في الصير. وأوضح الأمير السعودي في

١- سمور، زهدي عبد المجيد، (مرجع سابق)، ص ١٨٢.

٢ - يعود السبب في عدم رغبة السلطات الأنجلو هندية في التدخل في النزاعات المحلية البرية في ذلك الوقت إلى أن الإنكليز لا زالوا يذكرون جيداً النتيجة المخزية لحملة برية جردوها ضد قبيلة بني بو علي، حيث منيت القوات البريطانية بخسائر جسيمة.

[زيادة في الاطلاع على الحملة ضد قبيلة بني بو علي، انظر: سمور، زهدي عبد المجيد. - تاريخ ساحل عمان السياسي في النصف الأول من القرن التاسع عشر، الكويت (١٩٨٥، ج ١، ص ١٥١ - ١٥٤]. المترجم.

www.almajidcenter.org

هذا الصدد أنه لا يزال يعد سعيد بن سلطان، وسلطان بن صقر حاكمين على جميع القبائل المقيمة في عمان والصير[1].

وقد جرى تأكيد وجهة نظر تركي بن عبد الله هذه مرة أخرى في عام ١٨٣٠، عندما عقد تحالفاً مع سلطان مسقط؛ حيث تم الاتفاق على أن تكون البحرين بعد تخلصها من التبعية البريطانية خاضعة للأمير الوهابي، وتدفع له الزكاة سنوياً. وهو النهج الذي سلكته فيما بعد عجمان، وأم القيوين، في محاولة منهما لإنهاء تبعيتهما للقواسم.

يمكن من خلال إجراء تحليل للوضع العام في الصير في الفترة بين عامي ١٨٢٠ و ١٨٣٥ الاستنتاج بأنه إذا كان على القواسم أن يحسبوا حساباً للقوة التي تجمعها الدولة السعودية في البر، فعليهم أن لا ينسوا أيضاً بنود معاهدة السلام العامة التي جرى توقيعها في عام ١٨٢٠ الخاصة بالبحر.

مناورات الإنكليز السياسية:

لم تكن معاهدة السلام العامة، التي أُعدت على عجل، وجرى توقيعها في ظروف حرب، فعالة بما فيه الكفاية، إذ لم تستطع إزالة التوتر بين قبائل الصير؛ حيث بقي الوضع على ما كان عليه بعيداً عن الاستقرار. بل إن التوتر ازداد لدرجة كبيرة نتيجة لانخفاض حصة القبائل العربية، ولا سيما القواسم من التجارة المحلية ، التي احتكرتها شركة الهند الشرقية البريطانية آنذاك بشكل شبه تام. عدا عن أن القبائل العربية التي اعتادت على القتال في البحر وألفته لم تستطع التخلي عنه بشكل فوري.

1- Thomas, op. cit., p. 40.

www.almajidcenter.org

ومهما يكن من أمر، فقد أظهرت العلاقات سواء بين القبائل نفسها، أو بينها وبين بريطانيا، أن معاهدة السلام العامة لا يمكن أن تضمن الأمن الحقيقي في المنطقة. وقد ذكر المقيم البريطاني "كمبال" (Kemball) في بداية الثلاثينات[١] [من القرن التاسع عشر] في هذا الصدد: "... قد يتمكن الناس في المستقبل من التخلص من العادات التي فطروا عليها، والتي تتعارض مع القوانين، ولكن يكفي الآن أن حدث تحول حقيقي في المنطقة مع ظهور قوة بحرية محايدة..."[٢]

على الرغم من وجود معاهدة السلام العامة، فقد استمرت المعارك البحرية في العقد الثاني من القرن التاسع عشر، وكان أكبرها بين أبو ظبي والشارقة في عام ١٨٢٤، وعندها لم يتدخل المقيم البريطاني للحيلولة دون وقوعها، وكل ما قام به أنه أرسل سفينتين حربيتين؛ لتأمين موسم ملائم لصيد اللؤلؤ في المنطقة، وذلك نزولاً عند طلب الإمارات الأخرى.

وفي عام ١٨٢٥ هاجم سكان من الشارقة سفينة بحرينية بالقرب من "عنجر" واستولوا عليها، وقتلوا قسماً من طاقمها، وعلى أثر ذلك أرسل قائد القوات البريطانية في منطقة الخليج رسالة إلى شيخ الشارقة يلزمه فيها بدفع تعويض عن القتلى والأضرار التي لحقت بالسفينة.

في البداية رفض سلطان بن صقر الامتثال لذلك معللاً رفضه بأن العداء بين البحرين والقواسم قائم منذ وقت طويل، وأن الهجوم على السفينة البحرينية ينضوي تحت

١- لعل الباحث يقصد ماكنيل (Mcneill)، الذي شغل، حسب لوريمير منصب المقيم في الثلاثينات من القرن التاسع عشر، أما كمبال فقد شغل هذا المنصب في الخمسينات من نفس القرن وتحديداً من عام ١٨٥٢ إلى عام ١٨٥٦. انظر لوريمير، السجل التاريخي للخليج وعمان وأواسط الجزيرة العربية، ج ١، مج ١٠، دار غارنت للنشر، إنجلترا، ص ٢٥٥ المترجم.

2- Thomas, op. cit., p. 60.

www.almajidcenter.org

مفهوم "الحرب المشروعة المعترف بها". غير أن السلطات البريطانية قررت خلافاً لبنود معاهدة عام ١٨٢٠ معاقبة شيخ القواسم، وأمرت بمصادرة جميع السفن التابعة للشارقة إلى أن يجري دفع التعويض[١]. وعندها لم يكن أمام سلطان بن صقر إلا أن يرضخ لإرادة السلطات البريطانية.

كان حزم الإنكليز في هذه المرة سبباً في جعل المقيم البريطاني يصرح بصورة ديماغوجية قائلاً: "....لقد اكتسبنا شهرة كبيرة في جميع أنحاء الخليج العربي وصلت إلى زواياه البعيدة، وأثبتنا أهمية الاتفاقية وفعاليتها... "[٢].

غير أن الوقائع تدل على أن الإنكليز لم يكونوا على دراية جيدة بحقيقة الأوضاع الداخلية وما يحدث في المنطقة، وكثيراً ما كانوا يخطئون في اتخاذ القرارات. ومما يؤكد على ذلك قضية شيخ أبو ظبي المخلوع، محمد بن شخبوط. ففي شهر إبريل عام ١٨٢٥ علم المقيم البريطاني "ستانوس" أن أفراد من قبيلة بني ياس، من أتباع حاكم أبو ظبي السابق هاجموا سفينة لدبي بالقرب من ساحل قطر واستولوا عليها ونهبوها. وقد قتل في هذا الهجوم عدد كبير من البحارة. في هذا الوقت كان الصراع على حكم الإمارة محتدماً بين الشيخ محمد بن شخبوط وأخيه الحاكم الجديد "طحنون بن شخبوط". وعندها وجد المقيم البريطاني أن ما حدث يستوجب التدخل بموجب المادة الثامنة من اتفاقية السلام العامة التي تحرم قتل الأسرى.

بعث ستانوس برسالة إلى الفنستون مبدياً فيها رغبته في التدخل في هذه القضية، وأشار في هذه الرسالة إلى أن أي موقف يتسم بالتردد في معاقبة المعتدين سوف يجعل القبائل

١- وفقاً لمبدأ "فرق تسد" المفضل لدى الإنكليز كان عليهم آنذاك الحد من قوة ونفوذ الشيخ الأعلى للقواسم بين بقية القبائل العربية على سواحل الخليج العربي.

2- Thomas, op. cit., p. 45.

www.almajidcenter.org

العربية تعتقد بأن الحكومة البريطانية كانت في حالة حرب مع محمد بن شخبوط وبأنه ليس شخصاً متمرداً على الحكم القائم في أبو ظبي، وبالتالي فقد كان من حقه مهاجمة كل من يتحالف مع شقيقه طحنون. ورأى المقيم البريطاني أن ذلك "سيؤدي إلى تشجيع الكثير من الناس من مختلف القبائل على الانتفاضة على الشيوخ الذين يحكمونهم، كما سيشجعهم على القيام بأعمال السلب والقرصنة"[١].

إلا أن حاكم بومباي، الفنستون لم يؤيد رؤية المقيم البريطاني في ذلك؛ فقد كان يعلم جيداً أن محمد بن شخبوط هو الذي أُزيح عن ناصية الحكم على يد أخيه طحنون بن شخبوط بسبب تدخل سعيد بن سلطان الذي كان يتطلع إلى إخضاع هذه الإمارة، واتحاد قبائل بني ياس المقيمة فيها إلى نفوذه. ورأى حاكم بومباي أن ستانوس لم يستطع تقييم الدوافع الخفية وراء هجوم محمد بن شخبوط، الذي كان يسعى لاستعادة الحكم في أبو ظبي.

وكان رأي الفنستون أن التصرف الصحيح والأنسب للسياسة البريطانية عدم التدخل في منع أحد من الحصول على حق يدعيه غيره لنفسه، حتى ولو باستخدام القوة، وأن أي شيء غير ذلك يمكن أن يعقد وضع الإنكليز، ويسيء إلى علاقاتهم مع القبائل، ويؤدي إلى نزاعات سواء بين الشيوخ أنفسهم، أو بينهم وبين السلطات البريطانية. وعليه جرى تحذير المقيم البريطاني من مغبة التدخل في النزاع، ولا سيما أنه سرعان ما اتضح أن محمد بن شخبوط لم يشارك في هذا الهجوم[٢].

في هذا العام أيضاً جُر المقيم البريطاني إلى نزاع معقد بين القواسم والعمانيين، المدعومين من شيخ أبو ظبي بسبب واحة البريمي التي أصبحت بعد خروج الوهابيين

١- سمور، زهدي عبد المجيد، (مرجع سابق)، ص ١٧٢.

2-Thomas, op. cit., pp. 44-47.

www.almajidcenter.org

منها[1] كمنطقة محايدة. وعندها سرعان ما فرض سلطان بن صقر سيطرته على عدد من القلاع الموجودة فيها وزاد من بناء التحصينات، وعندها اعترض الشيخ شخبوط بن ذياب المقيم في مدينة العين المواجهة للبريمي على وجود قوة قاسمية مسلحة في البريمي، وقيامها ببناء التحصينات قرب حدوده، وطلب سحب القوة والكف عن بناء الحصون، وبعث لابنه الشيخ طحنون يخبره بالأمر.

إلا أن القواسم لم يبالوا باعتراض شيخ أبو ظبي، واستمروا ببناء التحصينات، ورداً على ذلك قامت قبيلة السودان بدعم من مسقط وأبو ظبي بإنشاء تحصينات بين دبي والشارقة، وأقامت فيها متخذة موقفاً معادياً للقواسم. اشتد التوتر في المنطقة بشكل كبير لدرجة اضطرت المقيم البريطاني "ستانوس" إلى التدخل، ومطالبة الأطراف المتنازعة بالانسحاب من القلاع في البريمي والتحصينات التي أقامتها قبيلة السودان.

إلا أن العرب الذين يدركون جيداً أن الإنكليز لا يملكون القوة الحربية الكافية لحل النزاع في البر تجاهلوا دعوة المقيم البريطاني، مما أدى إلى اشتداد النزاع بقوة جديدة، وانتقاله إلى البحر عندما ظهر أسطول مسقطي بالقرب من سواحل الصير في أكتوبر عام ١٨٢٥. وأثناء المعارك البحرية استولى القواسم على سفينة بحرينية مارة بالقرب من ساحة المعركة، وأسروا طاقمها وحمولتها، إلا أنه سرعان ما جرت تسوية هذه القضية من قبل المقيم البريطاني.

أثارت السرعة التي تمت بها تسوية حادثة السفينة البحرينية استياء سعيد بن سلطان، فقد وجد أنه في الوقت الذي يسوي فيه المقيم البريطاني الخلافات بين الإمارات العربية يعجز عن حماية مسقط وأبو ظبي من هجمات القواسم. وقد بعث برسالة احتجاج إلى ستانوس يقول فيها بحدة: "إن أهل الشمال- يعني القواسم - يظنون أن باستطاعتهم

١- في نهاية عام ١٨٢٤ غادر سعد بن مطلق هذه الواحة بشكل مؤقت.

www.almajidcenter.org

مهاجمة شعبين. وقبل الآن لم يكن يدور في بالي أنه يوجد فرق بين رعاياكم ورعاياي، ولكن إذا كان ذلك يرضيكم، فاعلموا إذاً أن جميع العرب يعرفون بعضهم منذ زمن بعيد، ويعرفون أين تكمن مصلحتهم"[١].

في الواقع لم تكن هذه الشكوى الأولى والوحيدة من نوعها. ففي السابق أبدى سعيد بن سلطان استغرابه، واستياءه من موقف السلطات البريطانية، التي لم تر ضرورة لمنع الإمارات الموقعة على معاهدة عام ١٨٢٠ من الاقتتال في البحر، وقد أبدى أسفه بشكل خاص على أن ماكلويد لم يتخذ أي إجراء أثناء جولته على الساحل العربي في فبراير ١٨٢٣ لفرض رقابة صارمة على الشيوخ قبل شهر من انسحاب الحامية البريطانية من قشم.

ورأى سلطان مسقط أن القبائل العربية شعرت بعد انسحاب الحامية البريطانية أنها حرة في إشعال حروبها في البحر، ووجه مثل هذه الشكوى أيضاً إلى ستانوس عندما زار هذا الأخير مسقط في ديسمبر عام ١٨٢٥، وهو في طريقه إلى بومباي. وقال سعيد في شكواه: "كنت أعتقد دائما أن بإمكاني أنا ورعيتي طلب المساعدة من الإنكليز، والحصول عليها فوراً؛ إلا أن الموافقة الصامتة للإنكليز في هذه الحالة تعني السماح للقواسم الأعداء بالاستمرار في هجماتهم العدوانية التي تلحق أضراراً جسيمة بمسقط". وكان رد المقيم البريطاني على ذلك أن حكومته لا تملك الحق، طبقاً للمعاهدة العامة في أن تمنع النزاعات البحرية، وأن تدَخلها يقتصر على تقديم النصح والإقناع[٢].

تلقى سعيد بن سلطان هذا الرد بحزن عميق واكتئاب، ولم يعد يناقش هذه المسألة مع ستانوس. ولكن عندما غادر ستانوس مسقط بعث سعيد بن سلطان برسالة على الفور

١- سمور، زهدي عبد المجيد، (مرجع سابق)، ص ١٧٣.

٢- يدل هذا القرار مرة أخرى على أن المقيم البريطاني لا يعتمد في عمله على الاتفاقيات والمعاهدات التي جرى عقدها مع العرب، وإنما يتصرف على هواه.

www.almajidcenter.org

إلى الفنستون تتضمن احتجاجاً على طريقة التعامل مع الشيوخ الذين يشجعون - حسب رأيه - على بث الفوضى والعنف في منطقة الخليج العربي[١].

اتضح لحاكم مسقط بشكل جلي موقف السلطات البريطانية وسياستها، عندما علم بأن ثورة اندلعت ضده في ممباسة التابعة لمسقط، على الساحل الشرقي لإفريقيا، وأن الإنكليز وقفوا إلى جانب الثوار وحموهم. وعندها اتضح له تماماً أن الإنكليز لم يحرموه من دعمهم في منطقة الخليج العربي فحسب، بل قرروا سلخ ممتلكاته في إفريقيا، وتجاهلوا تماماً المادة الثانية من اتفاقية عام ١٧٩٨ التي تشير إلى أن "صديق الطرفين المتحالفين واحد، ومن ثمَّ فعدوهم واحد".

بعد تلقي الفنستون رسالة حاكم مسقط كان عليه اتخاذ موقف محدد منه، فمنحه حرية التصرف فيما يريد فعله دون أي تدخل من الإنكليز، باستثناء تلك الحالات التي يظهر فيها أن أعمال السلطان يمكن أن تشكل تهديداً مباشراً على الملاحة في منطقة الخليج العربي.

هذا يثبت ان السلطات البريطانية حتى وإن لم تكن تساعد العمانيين على تنفيذ مخططاتهم، إلا أنها لم تكن تمنعهم من ذلك، ما دامت المصالح المشتركة لكلتا الحكومتين تكمن في الحفاظ على الأمن في المنطقة، والقضاء على القرصنة أينما كانت. ووجد حاكم بومباي أن الأصح لكلا الطرفين المحافظة على التوازن السلمي الحالي، وتوحيد الجهود ضد أي شيخ أو إمارة تظهر فيها نزعة العودة إلى أعمال النهب والقرصنة السابقة[٢].

كان "واردن" قد نبه في وقته إلى ضرورة "تهدئة" سلطان مسقط ظناً منه أن الحد من اندفاعه في الخليج العربي ضروري للحفاظ على الأمن والهدوء في المنطقة، وأن السياسة

1-Thomas, op. cit., p. 61.

٢- قاسم، جمال زكريا (مرجع سابق)، ص ٢١٣.

www.almajidcenter.org

العقلانية والمتبصرة والموزونة هي التي يجب انتهاجها في جميع الأحوال، وقد أكدت الأحداث التالية صحة رؤية واردن، ولا سيما في عام ١٨٢٨، عندما قام سعيد بن سلطان بالتعاون مع حاكم أبو ظبي طحنون بن شخبوط في محاولة هجوم فاشلة على البحرين؛ بغية احتلالها وضمها إلى عمان. وعندها طلب الشيخ عبد الله بن أحمد، أحد حاكمي البحرين من المقيم البريطاني ستانوس معاقبة شيخ أبو ظبي لخرقه المادة الرابعة من معاهدة السلام العامة بعمله العدواني ضد البحرين.

نظراً لتغير الحكام في بومباي لم يعرف المقيم البريطاني كيف يتصرف إزاء هذا الطلب، فقرر عدم التدخل في الأمر. ولهذا راوغ في رده على حاكم البحرين بأن أوضح له أن المادة المذكورة في المعاهدة العامة تتحدث عن منع القرصنة البحرية، وليس الحرب البحرية.

وعندها فهم شيخ البحرين عبد الله بن أحمد رد المقيم البريطاني على أنه "تصريح ضمني له" بالرد على مسقط وأبو ظبي بالمثل. إلا أن الرد العملي للبحرين لم يعطي نتائج إيجابية؛ ذلك أن البحارنة لم يتمكنوا من رصد أو اكتشاف أية سفينة لخصومهم، وعندها قاموا بمهاجمة سفينة لسكان الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية، ونهبوها ثم أغرقوها.

وقد اعتبر د. ويلسون (Wilson)، الذي خلف ستانوس في منصب المقيم البريطاني في بوشهر، أن ما قامت به البحرين يعد عملاً من أعمال القرصنة. وعليه فقد أرسل سفينتين حربيتين إلى البحرين، وطلب من شيخها إعادة ما جرى نهبه، ودفع تعويض إلى أصحاب السفينة التي جرى إغراقها. وعندها ما كان من الشيخ عبد الله بن أحمد إلا أن رضخ للقوة، ونفذ الأمر، لكنه قال عندها إن الممثل البريطاني وقف منه موقفاً عدائياً[1].

1- Warden, Francis. "Historical Sketch of the Uttoobbee Tribe of Arabs (Bahrein). op. cit., pp. 29-30.

www.almajidcenter.org

استمر التوتر في العلاقات بين الشارقة وأبو ظبي، وتجددت المعارك البحرية في عام ١٨٢٧، إلا أنه سرعان ما تمت المصالحة بين الطرفين، ليس نتيجة لوساطة المقيم البريطاني، وإنما نتيجة لوساطة سلطان مسقط الذي حاول حماية حليفه. إلا أنه في نوفمبر من العام نفسه تجدد القتال مرة أخرى بين الإمارتين. وفي هذه المرة قام شيخ دبي الذي وقف إلى جانب شيخ أبو ظبي بالاستيلاء على سفينتين للشارقة، وكان ذلك في موسم صيد اللؤلؤ.

ولتحرير السفينتين القاسميتين من الأسر تطلب الأمر تدخلاً من قائد إحدى السفن الحربية البريطانية التي كانت متواجدة بالقرب من مكان وقوع الحادث. وفي إبريل عام ١٨٢٨ بعث المقيم البريطاني رسالة إلى شيخ دبي بخصوص هذه الحادثة أكد له فيها أن تكرار مثل هذا العمل يهدد الأمن في الخليج بأكمله. وفي السنة السابقة (١٨٢٧) كان سكان عجمان قد هاجموا سفينة، ولكن عندما علم سلطان بن صقر بالأمر، عثر على المهاجمين وعاقبهم[1].

نتيجة لاستمرار التوتر في البحر بين القبائل العربية اضطر المقيم البريطاني إلى إعطاء تعليمات إلى قادة السفن البريطانية العاملة في الخليج العربي حول التعامل مع كل من يجرؤ على مهاجمة السفن البريطانية، أو أية سفينة ترفع العلم البريطاني. ونصت التعليمات على ضرورة حجز أية سفينة يُشتبه بأنها تمارس القرصنة، وتقديمها إلى المقيم البريطاني شخصياً. وقد لاقت تعليمات المقيم البريطاني هذه تأييداً من الفنستون الذي طالب بدوره بتسليم المذنبين المتورطين بمثل هذه الأعمال إلى بومباي لمحاكمتهم، وليس إلى المقيم البريطاني في بوشهر.

إلا أنه من الناحية العملية لم يكن من السهل تنفيذ مثل هذا الأمر؛ وذلك لبعد بومباي عن منطقة الخليج العربي. عدا عن أنه لم يكن من الواضح تماماً ما إذا كان من حق

1-Thomas, op. cit., p.?

www.almajidcenter.org

المحكمة العليا في بومباي، والتي هي محكمة عسكرية، النظر في قضايا مواطنين من غير البريطانيين، وإصدار أحكام فيهم. وهذا ما كان يشك فيه المدعي العام في بومباي؛ عدا عن ذلك فإن الجميع يذكر أوامر حكومة بومباي فيما يخص التنكيل القاسي الذي تعرض له الأسرى من قبيلة بني بو علي.

هنا كان على الفنستون اختيار أحد أمرين: إما تسليم المذنبين المدانين بأعمال قرصنة إلى القبيلة التي تضررت من أعمال قرصنتهم؛ أو تسليمهم إلى شيخهم لمحاكمتهم ومعاقبتهم. إلا أن اختيار الحالة الأولى قد يعني الموت المؤكد للمذنبين، ولن يكون من السهل على السلطات البريطانية أن تتجرأ وتقدم على خطوة كهذه مهما كانت الجريمة المرتكبة وحشية. أما اختيار الحالة الثانية فما هو- حسب رأي حاكم بومباي - سوى "نظام تبني قرصنة"؛ إذ من المشكوك فيه تماماً أن يقدم الشيوخ على معاقبه رعاياهم. ومع ذلك فقد بدأ الفنستون يميل للاعتقاد بأن الحالة الثانية مقبولة أكثر إذا ما تعلق الأمر بسفن غير بريطانية، ولا يمس بمصالح بريطانيا.

إلا أن ذلك لم يلق تأييداً من الحاكم العام للهند اللورد "أمهرست" (Lord Amierst) الذي أصر على ضرورة تسليم المذنبين إلى القبيلة المتضررة التي تعرضت سفنها للقرصنة. كما طرح فكرة أن يكون للضابط البريطاني الذي يعتقل مذنبين حرية التصرف بين تسليمه إلى الطرف المتضرر لينال عقابه المعروف، أو تسليمه إلى شيخ قبيلته لمحاكمته وإنزال العقاب الذي يراه هذا مناسباً حسب درجة خطورة الجرم المرتكب[1].

إلا أن الحل الأخير الذي طرحه الحاكم العام للهند ولد ميتاً؛ ذلك أن المقيم البريطاني، والوكيل السياسي، وضابط البحرية تجاهلوه تماماً ؛ إذ أن تواجدهم في الخليج العربي جعلهم على دراية أكثر من اللورد أمهرست بالعقلية العربية، وبطريقة تفكير العرب.

1- Cambridge, History of the British Empire. The Cambridge,1961., p. 209.

www.almajidcenter.org

ولهذا وجدوا أن تبني هذا الحل سيؤدي إلى العنف ضد الإنكليز، ليس عند القواسم فحسب، بل عند العرب الآخرين أيضاً. ولذا وجدت السلطات البريطانية في منطقة الخليج العربي أن من الأفضل الالتزام بالعرف السائد، وهو الحصول على تعويض عما يتم نهبه، وفدية عن القتل.

جرى انتهاج هذه السياسة أيضاً في عهد مالكولم الذي خلف الفنستون في منصب حاكم بومباي. ففي سبتمبر من عام ١٨٢٨ أصدر تعليمات إلى المقيم البريطاني حد فيها من تدخله في قضايا الهجوم إذا لم يكن هذا الهجوم يتعلق بالرعايا البريطانيين، أو يمس مصالحهم، والاكتفاء بضمان تعويض المتضرر مع إعطاء شيوخ الجناة أنفسهم الحق في تحديد العقوبة. وأجاز مالكولم للمقيم البريطاني استخدام القوة إذا ما كان الحصول على التعويض يحتاج إليها، كما أجاز له إرسال القراصنة إلى بومباي في حال جرى الهجوم على رعايا بريطانيين.

وهذه السياسة ظلت متبعة في منطقة الخليج العربي حتى نهاية القرن التاسع عشر. ووفقاً لذلك جرى في عام ١٨٢٨ تغيير الدور الذي تلعبه سفن المراقبة البريطانية بشكل جوهري من أعمال المراقبة والهجوم وإجبار القراصنة على الاستسلام، ومن تطبيق مبدأ "راقب وضع حداً" إلى اتخاذ الإجراءات الدفاعية مع ارتياد الموانئ بشكل منتظم، وإجبار شيوخ مرتكبي الهجوم على دفع تعويض عن الخسائر التي تسفر عنها الهجمات التي ينفذها رعاياهم في البحر.

ويعود سبب حدوث التغيرات في وظائف ومهام السفن البريطانية إلى حد ما إلى النقص في عدد السفن الحربية؛ إذ كان الأسطول البريطاني في الهند يستعد خلال سنتي ١٨٢٤-١٨٢٦ للقيام بحملة عسكرية على بورما. إضافة إلى الهدوء الذي شهدته منطقة

www.almajidcenter.org

الخليج العربي عام ١٨٢٨، الأمر الذي أوحى إلى السلطات الأنجلو هندية بإمكانية خفض عدد سفنها العاملة في منطقة الخليج العربي.

ففي أواخر عام ١٨٢٧ رفع ستانوس تقريراً إلى حكومة بومباي أكد فيه أنه اعتباراً من شهر يناير المقبل لن تكون هناك حاجة إلى أية سفينة مراقبة طوافة في المنطقة. أما خليفته الرائد د. ويلسون فقد وجد في مايو ١٨٢٨ أن بالإمكان المحافظة على الأمن في منطقة الخليج العرب، والاكتفاء بأربع سفن حربية فقط، وكان يتعين على سفينتين منها البقاء في منطقة صيد اللؤلؤ خلال موسم الصيد[1].

كان السبب الرئيس في اعتماد هذه الرؤية لدور السفن الحربية البريطانية في منطقة الخليج العربي القناعة والثقة المتزايدة بأنه لا يمكن القضاء التام على القرصنة ما دام الصراع البحري مستمراً بين مختلف القبائل. والواقع أن هذا الصراع لا يعيق تجارة شركة الهند الشرقية البريطانية فحسب، بل التجارة المحلية أيضاً. كما يضعف القبائل البحرية، ويستنزف قواها، ويتيح لبريطانيا إمكانية البقاء في هذه المنطقة من الكرة الأرضية، وفرض سيطرتها عليها والتحكم بها. وكان من الصعب جداً إيجاد إمارة لم تهاجم أو تعاد جيرانها على امتداد الساحل العربي من مسقط حتى الكويت.

كان شيخ الجلاهمة رحمة بن جابر مثالاً على عداء دائم مع آل خليفة، شيوخ البحرين. وكان يشن عليهم الغارات باستمرار. وكان على آل خليفة التصدي لهجمات هذا القرصان، والسيطرة في الوقت نفسه على رعاياهم في الوكرة، والدوحة، وقطر. وكذلك كان عليهم أن يدرأوا عن أنفسهم الخطر الفارسي، وإحباط أية محاولة يقوم بها الشاه لاستعادة الحكم الفارسي على البحرين.

1- Home Miscellaneous (Home / Misc. / vols. 472, 477, 479). Vol. 479., pp.160-161.

www.almajidcenter.org

أما على ساحل الصير فقد كان قسم من القبائل من حلف بني ياس في أبو ظبي، ودبي على عداء مع حلف قواسم رأس الخيمة والشارقة الذين كانوا بدورهم على عداء مع عائلة آل بو سعيد الحاكمة في عمان. وقد وصل العداء بين القواسم وآل بو سعيد إلى درجة أن القواسم كانوا على استعداد للتحالف مع أية قوة للقضاء على منافسيهم. وقد أدى هذا العداء المزمن إلى تدخلهم في الشؤون الداخلية لعمان، والتحالف مع التجمع الغافري العماني الذي وقف ضده آلبوسعيديون تساندهم قبيلة البوفلاح.

ولكن تجدر الإشارة إلى أن معظم الخلافات والمنازعات بين القواسم والعمانيين قلما كانت تظهر في معارك بحرية، وليس كما يدعي الإنكليز، وفي مقدمتهم طومسون، وماكلويد اللذان يؤكدان أن خروج أية سفينة عربية مسلحة إلى البحر سينتهي بعملية قرصنة[1].

كان السؤال المطروح باستمرار منذ عام ١٨٢٠، إلى أي مدى يمكن للسلطات البريطانية أن تؤثر عليالإمارات المطلة على الخليج العربي، بحيث تجعلها تحد من نزاعاتها الداخلية في البحر؟

يؤكد ماكلويد مثلاً أن وقف الأعمال العدوانية بين العرب في البحر كان المهمة الأساسية والهدف الأسمى الذي سعى الساسة البريطانيون لتحقيقه، لكن مع التنبيه إلى عدم الضغط بشدة على الشيوخ. والحقيقة أنه كانت هناك أسباب قانونية وعملية محددة، وأسباب أخرى، جعلت من الصعوبة بمكان الحيلولة دون وقوع النزاعات والخلافات في البحر، ليس بين الشيوخ الموقعين على المعاهدة العامة فحسب، بل وبين بقية الحكام.

١- سمور، زهدي عبد المجيد، (مرجع سابق)، ص ١٧٠.

www.almajidcenter.org

في شهر مارس عام ١٨٢٣ ذكر الفنستون أن تعهد بريطانيا بالقضاء على القرصنة سيخلق لها صعوبات وتعقيدات جديدة، وسيؤدي إلى حدوث خلافات مع العرب الموقعين على المعاهدة العامة؛ إذ أن كل شيخ يتعرض لخسارة سيرى أن من حقه مطالبة السلطات البريطانية بالتعويض عن خسائره. ومن ناحية أخرى فإن هذا الوضع سيجعل من الصعب على المقيم البريطاني أو الوكيل السياسي تصور الوضع على حقيقته في كل مرة، ولن يمكنه من اتخاذ كل ما يلزم من إجراءات بشأن القرصنة البحرية، ولن يعرف إلى أي حد يمكنه التدخل في الشؤون الداخلية للإمارات، ولن يكون بامكانه الاعتماد إلا على ما نصت عليه المعاهدة العامة، وعلى التعليمات التي يتلقاها من بومباي التي تطالبه ببذل أقصى جهد ممكن لمنع الاعتداءات التي تؤثر على التجارة.

تعد مسألة حشد عدد كبير من السفن البريطانية في كل عام في موسم صيد اللؤلؤ من الصعوبات التي تواجه الإنكليز باستمرار. وهذا ما جعل ستانوس يصدر تعليماته في عام ١٨٢٤ بإبقاء سفينتي مراقبة في هذه المنطقة في الفترة الصيفية. أما مالكولم فكانت وجهة نظره حول المعارك البحرية تنحصر في أن على المقيم البريطاني الاكتفاء باستخدام نفوذه، والضغط على زعماء القبائل البحرية، ومطالبتهم بالعيش بسلام فيما بينهم وعدم اللجوء إلى القوة لحل خلافاتهم. وكان يعارض أن تلعب السلطات البريطانية دور القاضي أو الحكم الفصل في أي نزاع يقع بين الحكام العرب.

وفيما يخص الوضع العام في منطقة الخليج العربي كان مالكولم على قناعة بأن على بريطانيا أن تعتبر نفسها على رأس اتحاد إمارات عربية، وأن تكون المهمة الرئيسة لهذا الاتحاد القضاء على القرصنة. كما كان يرى حاكم بومباي أن السلطة يجب أن تكون بيد الزعيم

www.almajidcenter.org

الأقوى، وعلى بقية الشيوخ الخضوع لهذا الزعيم الذي يكون مسؤولاً أمام بريطانيا في نهاية الأمر عن تطور الأحداث في كافة مراحلها[١].

ازدياد الصراع القبلي في البحر:

ولكن مهما كانت وجهات نظر كبار موظفي الإدارة الأنجلو هندية بشأن الحالة في منطقة الخليج العربي، فقد تطورت الأحداث فيها بشكل لا يرضي بريطانيا. ففي عام ١٨٢٩ اشتد التوتر لدرجة كبيرة، وقد ارتبط ذلك بالدرجة الأولى بتوجه سلطان مسقط سعيد بن سلطان إلى عمباسة لقمع ثورة تمرد اشتعلت ضده هناك. وعندها قرر زعماء الساحل العربي، والمناطق الداخلية في عمان استغلال هذه الفرصة والهجوم على مسقط بقوى متحدة، وتقدم عدد من الشيوخ بعرض للأمير السعودي من أجل الاستيلاء على أراضي مسقط، وقد وافق الوهابيون على ذلك، وعملوا فيما بعد على تطبيقه من خلال حلفائهم بني ياس.

دعا الشيوخ سلطان بن صقر للانضمام إلى هذا التحالف، فكانت المفاجأة الغريبة أن الشيخ القاسمي لم يرفض ذلك فحسب، بل ووقف بحزم ضد مخططات الهجوم على مسقط. وتفسير ذلك أن القواسم الذين كانوا في عداء دائم مع السلطان سعيد قرروا القضاء أولاً على أقرب منافسيهم بني ياس، ومن ثم الالتفات إلى سعيد بن سلطان لتصفية الحساب معه.

وبدل أن يحدث الهجوم بقوى متحالفة على مسقط احتدم التنافس في المنطقة بين حلفاء قبائل بين ياس والقواسم، وسطر هذا التنافس صفحات دموية في تاريخ الصير لستة أعوام كاملة، من عام ١٨٢٩ حتى عام ١٨٣٥. وأسفر ذلك عن استنزاف قوى الطرفين

١- تتعارض وجهة نظر مالكولم هذه مع رأي بقية موظفي الإدارة الأنجلو هندية الذين يرون أن على كل شيخ أن يتحمل المسؤولية أمام بريطانيا مباشرة. وقد عمل الإنكليز في الوقت نفسه على تقسيم اتحاد القبائل العربية وإضعاف مقاومتها لسياسة إملاء الشروط التي تنتهجها بريطانيا، انظر:

Home Miscellaneous (Home / Misc. / vols. 472, 477, 479). , Vol. 479., p.163.

www.almajidcenter.org

بشكل كبير. وعندما امتدت المعارك بكل قوتها إلى البر والبحر، توقفت أعمال التجارة وصيد اللؤلؤ في المنطقة بشكل شبه تام.

وخلال هذه السنين تبين للحكومة البريطانية في الهند وممثليها في المنطقة، أن سياسة عدم التدخل في المنازعات البرية بين الشيوخ التي وضعها مالكولم حديثاً، وسعى جاهداً لتطبيقها في الحياة، يمكن أن تؤدي من جديد إلى وضع تكون فيه الطريق المؤدية إلى الهند عبر الخليج العربي تحت الخطر.

ذكر ويلسون [المقيم البريطاني في بوشهر] أن السلطات البريطانية قادرة على السيطرة على الوضع من جديد إذا ما جرى استئناف حماية السفن الإنكليزية، والاهتمام بالمصالح السياسية والاقليمية لمسقط، التي تعد من أهم عوامل الاستقرار السياسي في هذه المنطقة. ويرى هذا المقيم البريطاني أن القضاء على سلطة سعيد بن سلطان، وهزيمته في صراعه ضد شيوخ الساحل العربي سيؤثر بشكل سلبي جداً على الوضع السياسي في بقية مناطق الخليج العربي[1].

كان مالكولم مضطراً للقبول بصحة وجهة نظر ويلسون بأنه من غير المنطقي القضاء على سلطان مسقط ، وتسليم حكم الأراضي العمانية إلى مجموعة من الشيوخ؛ مادام ذلك قد يشكل عقبات جديدة على طريق التجارة مع الهند. كما أدرك حاكم بومباي أن الشيوخ الذين وحدتهم الظروف ضد حاكم مسقط، يمكن أن يستغلوا قوتهم ويحصلوا على دعم الوهابيين، ليس من أجل التجارة، وإنما من أجل تنشيط صراعهم في البحر حتى ضد بريطانيا.

1- Thomas, op. cit., pp. 53-55.

www.almajidcenter.org

وتنفيذاً لتعليمات حاكم بومباي عمل ويلسون في هذه الفترة على تقديم الدعم للابن الأكبر لحاكم مسقط هلال بن سعيد، وابن أخيه محمد بن سالم، اللذين استنصرا الإنكليز على حمود بن عزان، الذي استغل فرصة غياب سعيد بن سلطان في عام ١٨٣٠، واستولى على صحار، وأعلن نفسه حاكماً عليها، كما اتخذ الإنكليز عدداً من التدابير الأخرى للحيلولة دون تفكك عمان.

عندما عاد سعيد بن سلطان من ممباسة تصرف مع أعدائه بشكل مختلف، فقد أعلن عن استعداده لتقديم مساعدة مالية إلى شيخ أبو ظبي، وإلى زعيم قبيلة البوفلاح لحماية أراضي عمان الشمالية، واعترف بحمود بن عزان حاكماً على صحار، كما وقع اتفاقية مع الوهابيين، كان ذلك في الحقيقة، بطلب من المقيم البريطاني، ووفقاً لهذه الاتفاقية أصبحت ممتلكاته تمتد حتى جعلان، بينما امتدت حدود دولة السعوديين إلى قطر. واتفق الطرفان على التعاون فيما بينهم لقمع أي تمرد أو ثورة تحدث على أراضيهم، وعلى أن يدفع سلطان مسقط إلى الرياض "جزية" قدرها خمسة آلاف دولار سنوياً [١].

قد يبدو للوهلة الأولى هذا التنازل السريع لسعيد بن سلطان أمام الشيوخ الآخرين والوهابيين غريباً، ولا سيما أن سلطته في البلاد العربية قوية جداً ونفوذه عظيم، ويملك من القوة العسكرية ما يكفي لمواجهة أي عدو له، عدا عن أن عمان تشكل عقبة كأداء أمام أي محتل. والقبائل التي تسكنها تكون دائماً على أهبة الاستعداد لخوض أية معركة في سبيل وطنها. ولكن الواقع أن السلطان بعد أن أعطى الكثير من قوته وجهده لحماية ممتلكاته في سواحل شرق إفريقيا قل اهتمامه بعمان التي لم تعد بنظره تجسد قلب سلطته وروحها. بل إنه بدأ ينظر إلى عمان ومسقط على أنها مناطق يصعب حكمها [٢].

1- Kelly, op. cit., pp. 241.

٢- قاسم، جمال زكريا (مرجع سابق)، ١٣٧.

www.almajidcenter.org

لزمت السلطات البريطانية الصمت الحذر إزاء الموقف الجديد الذي اتخذه السلطان سعيد، طالما أنها لم تكن مرتبطة معه بأي اتفاقية دفاع مشترك. والواقع أن اهتمام السلطات البريطانية لم يكن لينصب إلا على أمر واحد فقط، هو الحالة التي ستؤول إليها تجارة الإنكليز إذا ما استولى الوهابيون على مسقط وحكموها. وتحسباً من ذلك وجد الإنكليز أن من الأفضل لهم الإبقاء على علاقاتهم وتطويرها سواء مع شيوخ المنطقة أو مع الوهابيين لأقصى درجة. وقد تلقى المقيم البريطاني تعليمات جديدة بهذا الخصوص تنص على ضرورة التزام الحياد التام في أي نزاع يقع بين سلطان مسقط وجيرانه.

إلا أن العمل بهذه التعليمات لم يستمر لفترة طويلة؛ إذ أن الوضع قد تغير بشكل حاد، عندما أقدم السلطان سعيد الذي أحس بمرارة العلاقة مع الحكومة البريطانية على إبرام اتفاقية تجارية مع الأمريكان في عام ١٨٣٣. وكانت وثيقة هذه الاتفاقية تتحدث عن فرض رسوم جمركية على البضائع الأمريكية التي ترد إلى الموانئ العمانية، وعن التبادل التجاري بين الطرفين، وعن ارتياد سفن الطرفين واستخدام موانئ بعضهم، والسماح بتشكيل إدارات قنصلية أمريكية على الأراضي العمانية؛ بغية حماية الأمريكان المتواجدين في مسقط، والدفاع عن مصالحهم[1].

وعلى الرغم من أن الاتفاقية لم تتحدث عن منح أراض لأمريكا، أو عن تقديم المساعدة الأمريكية لعمان، فإن السلطات البريطانية وجدت في الاتفاقية ما يشكل خطراً عليها. ولهذا سارعت بإرسال الكابتن هارد إلى مسقط للوقوف على حقيقة المعلومات التي تصلها، والتعرف شخصياً على بنود الاتفاقية المسقطية الأمريكية، وكذلك لاستيضاح سبب إقامة علاقات مع الأمريكان.

1- Kelly, op. cit., pp. 242-243.

www.almajidcenter.org

عندما اجتمع سعيد بن سلطان بالمبعوث الإنكليزي أبدى استعداده لإلغاء الاتفاقية المبرمة مع الأمريكان إذا ما وجد الإنكليز أنها تشكل أي خطر عليهم، وراح إلى أبعد من ذلك بأن صرح للكابتن هارد بأنه تعجل - على ما يبدو- في التوقيع على هذه الوثيقة، ولتأكيد نواياه الطيبة نحو الإنكليز قدم سعيد إحدى سفنه الحربية هدية إلى المبعوث الإنكليزي، ومع ذلك لم تبد حكومة بومباي أي ارتياح سواء من اقتراح السلطان بإلغاء الاتفاقية مع الأمريكان، أو من مسألة تقديم الهدية القيمة لمبعوثها[١].

سرعان ما تغيرت وجهة نظر حكومة بومباي بشكل جذري بسبب تطور الأحداث في شبه الجزيرة العربية. ففي التاسع من مايو عام ١٨٣٤ جرى اغتيال الأمير الوهابي تركي بن عبد الله، وازداد نشاط القوات المصرية في منطقة نجد[٢]. إضافة إلى ذلك قررت الحكومة البريطانية مد طريق عبر نهر الفرات والبحر الأحمر؛ بغية تطوير طرق المواصلات مع الهند. وعند ذلك اتضحت تماما الأهمية الإستراتيجية لمسقط، فهي تقع في منتصف الطرق المؤدية إلى الهند.

في تلك الفترة أيضاً توترت الأوضاع داخل الخليج العربي عندما تعرضت السفينة الإنكليزية "سانبري" (Sunbury) إلى هجوم عام ١٨٢٩ بعد زيارة لها إلى الشارقة. وقد أسفر ذلك الهجوم عن مقتل عدد من بحارتها، وجرح قبطانها وإنزال علمها. وعندها سارع سلطان بن صقر لتقديم الاعتذار للمقيم البريطاني، وأمر بإحراق أول سفينة عربية اقتربت من السفينة "سانبري"، وعاقب من شارك في الهجوم، ولا سيما العربي الذي أنزل العلم البريطاني عقاباً جسدياً.

١- سمور، زهدي عبد المجيد، (مرجع سابق)، ص ١٧٨.

٢- أدى مقتل تركي بن عبد الله إلى اندلاع الصراع على الحكم لما يقرب من عشرة أعوام . وخلال هذه الفترة لم يبذل الوهابيون حملات عسكرية كبيرة على الساحل.

www.almajidcenter.org

وقد شهد على ذلك قبطان السفينة الملكية وطاقمها، الذين حضروا إلى مكان الحادث، واعتبروا أن هذه الحادثة قد سويت. وفي السنة نفسها قام عرب من قبيلتي بني بو علي وآل بو حسن بالهجوم على السفينة التجارية الإنكليزية " اسكر"، إلا أن شيخ بني بو علي قدَّم تعويضاً عن الخسائر التي لحقت بالسفينة؛ تنفيذاً لأمر المقيم البريطاني[1].

في شهر ديسمبر عام ١٨٣١ جرت في البحر صدامات كبيرة؛ فقد هاجم عدد من افراد قبيلة القواسم عدة سفن تابعة لأبو ظبي والبحرين، واستولوا عليها. ورداً على ذلك أسرت قبيلة بني ياس ١٤ سفينة للقواسم كانت راسية في موانئها. إلا أنه سرعان ما جرت تسوية هذه الحادثة بين العرب أنفسهم دون تدخل من الخارج. وقد ألقى سلطان بن صقر القبض على منفذي الهجوم وعاقبهم. ومن جهته أطلق طحنون بن شخبوط شيخ أبو ظبي سبيل سفن القواسم التي جرى أسرها.

وفي ديسمبر أيضاً من عام ١٨٣١ هاجم عدد من قواسم عجمان سفينة كانت متجهة إلى بوشهر ونهبوها. وفي بداية عام ١٨٣٢ توجه المقيم البريطاني هينل (Hennell) إلى الشارقة للمطالبة بدفع تعويض للمتضررين. إلا أن سلطان بن صقر أعلن أنه لا يتحمل مسؤولية ما حدث، ما دام غير مسؤول عن سلوك رعايا عجمان وأم القيوين، وعندها توجه المقيم البريطاني إلى عجمان مباشرة، وهناك حاول شيخها التهرب من دفع التعويض متذرعاً بحجج شتى، منها أنه تابع للوهابيين، وأن على الإنكليز التفاوض معهم في هذا الأمر. إلا أن هينل أكد بحزم على أن شيخ عجمان كان من أحد الموقعين على الاتفاقية العامة، ولهذا فهو يتحمل مسؤولية الخرق الأخير لهذه الاتفاقية كاملة.

1- Bombay political proceedings, Range 384, vol. 39, consultation 27 January 1819;, Range 385, vol. 23, 36, 47.R/385., Vol. 47, 12/5/1829.

www.almajidcenter.org

وعندها ما كان من شيخ عجمان إلا أن وافق على دفع التعويض المناسب. والواقع أنه منذ ذلك الحين ظهرت إمارة عجمان الجديدة على الخريطة السياسية للخليج العربي بشكل واضح، واعترف المقيم البريطاني، والشيخ الأعلى للقواسم بها رسمياً[١].

في عام ١٨٣٣ قرر سلطان بن صقر الاستفادة من الضعف الذي أصاب أبو ظبي نتيجة لانفصال قبيلة البو فلاسا عنها، وكان على رأسها الشيخان عبيد بن سعيد، ومكتوم بن بطي، اللذان أسسا إمارة دبي الجديدة، التي أخذت بدورها تهاجم بني ياس، ودخلت في حلف مع القواسم. وفي هذا الوقت قرر زعيم القواسم مهاجمة أبو ظبي واحتلالها. وقد جند لهذا الغرض ٢٢ سفينة كبيرة استدعاها من مناطق صيد اللؤلؤ مع ٥٠٠ مقاتل، وتلقى دعماً من شيخ دبي قوامه ٨ سفن و٧٠٠ مقاتل. إلا أن استدعاء السفن من أماكن صيد اللؤلؤ بهذا العدد لفت أنظار شيخ أبو ظبي الجديد خليفة بن شخبوط الذي استعد جيداً لخوض معركة محتملة بمساعدة قبيلة المناصير.

في العاشر من سبتمبر نزلت قوات القواسم المدعومة بقوات من البو فلاسا إلى الساحل، وتمركزت على بعد ٤ أميال من أبو ظبي، وتقرر أن يكون الهجوم على المدينة في صباح اليوم التالي، إلا أنه عند بزوغ فجر اليوم التالي وجدوا أنفسهم محاصرين بقوات من بني ياس تفوقهم عدداً، فدب الرعب في صفوف القواسم، وبارعوا بالانسحاب تاركين خلفهم عدداً من السفن، و٣٠ قتيلاً.

غضب شيخ القواسم سلطان بن صقر بشدة من هذا الإخفاق، وقرر إعادة المحاولة، واستدعى شيوخ دبي، وعجمان، و لنجه لمساعدته في ذلك. وفي التاسع من نوفمبر هاجم القواسم أبو ظبي، وعندما أخفقوا في احتلال المدينة في هذه المرة أيضاً على الرغم من

١- إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني، (مرجع سابق)، ص.٢٠٣، ٢٦٠-٢٦١.

www.almajidcenter.org

تفوقهم العددي ضربوا عليها حصاراً استمر حتى ربيع عام ١٨٣٤، واستولوا على نحو ٣٠ سفينة لبني ياس، كانت تبحر في مياه الخليج العربي.

ومع أن سكان أبو ظبي كانوا يعانون من النقص في الماء والطعام، إلا أنهم صمدوا أمام حصار القوات القاسمية لهم، والتي لم تكن في الواقع أفضل منهم حالاً. وبحلول الموسم الجديد لصيد اللؤلؤ أقنع شيخ لنجه محمد بن قصب الزعيم القاسمي بالدخول في مفاوضات صلح مع الشيخ خليفة بن شخبوط. وبمساعدته توصل الطرفان إلى هدنة، ولكن بعد أن منيا بأضرار وخسائر فادحة لعدم مشاركتهما في صيد اللؤلؤ في الموسم الماضي. وكان من شروط الهدنة رفع الحصار القاسمي عن أبو ظبي، وتبادل الأسرى، وإعادة ما جرى الاستيلاء عليه من سفن وغير ذلك.

غالباً ما كانت المنازعات البحرية تقع في موسم صيد اللؤلؤ، فمثلاً في مايو عام ١٨٣٥ تعرضت دبي إلى هجوم مفاجئ شنه عليها حاكم أبو ظبي خليفة بن شخبوط. وقد أسفر هذا الهجوم عن سقوط عدد من قلاع المدينة في أيدي المهاجمين، الذين قاموا أيضاً بتخريب الحقول، وكادوا أن يستولوا على المدينة كلها لولا أن سكانها علموا بالأمر فسارعوا بالعودة إلى مدينتهم من مصائد اللؤلؤ للدفاع عنها. وعندها توسط الشيخ سلطان بن صقر في حل الخلاف بين الإمارتين، وجرى بالفعل التوقيع على اتفاقية سوت الخلاف بين شيخي أبو ظبي ودبي لحد ما. وعلى أثر ذلك عادت سفن الطرفين إلى مصائد اللؤلؤ، واستأنفت عملها هناك إلى أن انقضى الموسم. وعند ذلك وقع نزاع جديد، ولكنه كان في هذه المرة بين دبي، والشارقة التي تدعمها أم القيوين، وكان السبب في هذا النزاع شيخ دبي مكتوم بن بطي؛ بسبب تدخله في الشؤون الداخلية لإمارة القواسم.

والذي حدث أن صقر بن سلطان كان يحكم الشارقة عام ١٨٣٤ بالاتفاق مع والده سلطان ابن صقر، لكنه آثر الاستقلال بحكم الشارقة بنفسه، فقرر القيام بانقلاب على

www.almajidcenter.org

والده. إلا أنه فشل في ذلك، فهرب إلى دبي التي فتحت له أبوابها وحمته. الأمر الذي أغضب الشيخ سلطان بن صقر بشدة، فقرر مهاجمة دبي مستفيداً من الهدنة التي وقعها مع شيخ أبو ظبي، خليفة بن شخبوط. وعليه جهز الشيخ سلطان بن صقر قواته وأخذ يهاجم المدينة، وأثناء الهجوم لحق الدمار شبه التام بمدينة دبي، واضطر سكانها للرحيل عنها إلى أبو ظبي، و(الشارقة)[1].

إلا أن خطط شيخ القواسم سلطان بن صقر لم تنته عند ذلك؛ إذ أغار عدة مرات على إمارة دبي بالتعاون مع شيخ أم القيوين، ونتيجة لهذه الغارات المتكررة أصبحت دبي حتى نهاية العقد الثالث في حالة يرثى لها.

لم يكن شيوخ الساحل العربي يتقاتلون فيما بينهم فقط، بل كانوا يشتركون بشكل منتظم في المنازعات التي تقع في مسقط. ففي ٢٥ نوفمبر عام ١٨٣٤ استغل حاكم صحار حمود بن عزان غياب سعيد بن سلطان في مباسة لمعالجة مشاكل التمرد التي تقع فيها بين حين وآخر، وقام بهجوم على مدينة سويق ونهبها، وعندها لجأ الابن الأكبر للسلطان، هلال بن سعيد، وابن عمه، محمد بن سالم إلى شيوخ بني ياس، والقواسم المدعومين من شيخ عجمان طلباً للمساعدة.

وعندها وجد سلطان بن صقر في تلبية النداء فرصة مناسبة لتحقيق هدفه، وهو السيطرة على بعض الأراضي المسقطية. وعليه أصدر أوامره إلى سفنه بالخروج من رأس الخيمة، والشارقة، وبقية الموانئ إلى خليج عمان، وفي طريقهم إلى صحار استولى القواسم على خليج خورفكان الذي كثيراً ما استخدموه في السابق كممكن للإغارة على السفن المتجهة إلى الخليج العربي، وبذلك استطاعت القوى المتحدة للشيوخ العرب محاصرة صحار، وأسر جميع السفن الموجودة فيها

١- إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني، (مرجع سابق)، ص ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٧.

www.almajidcenter.org

أما شيخ أبو ظبي، خليفة بن شخبوط، الذي كان شعبه يعاني في ذلك الوقت من ضائقة اقتصادية خانقة، فقد وجد في هذه الفرصة ما يهيئ له مجالاً يحقق من خلاله ربحاً مادياً يخفف من وطأة المعاناة الاقتصادية على شعبه. وبعد نجاح العملية في صحار أصدر الشيخ خليفة بن شخبوط أوامره إلى رجاله بالتوجه بسفنهم إلى مدخل الخليج العربي ومهاجمة السفن التجارية، وسلبها.

وقد جرت في الفترة من فبراير حتى إبريل عام ١٨٣٥ مهاجمة ١٧ سفينة تجارية كانت معظمها فارسية، وسفينتين كانتا ترفعان العلم البريطاني. وكان بنو ياس آنذاك واثقين من قوتهم لدرجة أنهم تحدوا الإنكليز بأن أرسلوا إلى قائد القوات البحرية الإنكليزية في الخليج العربي جون سوير، الذي كان حينها في باسيدو، يدعونه للنزال في البحر. أمر المقيم البريطاني هينل قائد البحرية البريطانية في الخليج العربي جون سوير القبول بالتحدي. وفي ١٦ إبريل جرت معركة بحرية بين العمارة البريطانية وسفن بني ياس استمرت طيلة النهار، وأسفرت عن هزيمة قاسية للعرب.

وفي ١٩ إبريل وصل هينل على متن المدمرة أمهرست (Amierst) إلى أبو ظبي، وطالب خليفة بن شخبوط بإعادة الأسرى والتعويض عن كل ما جرى سلبه من بضائعه. وبعد ذلك ترك المقيم البريطاني ثلاث سفن حربية بالقرب من سواحل أبو ظبي لتطويق الملاحة في هذه المنطقة، وتوجه إلى باسيدو، وأخذ ينتظر دفع التعويضات، وبقيت السفن الإنكليزية الثلاث في المنطقة طيلة شهر مايو، إلى أن دفع شيخ أبو ظبي التعويض المطلوب.

نتيجة لكل هذه المعارك البحرية والتدخل المستمر من المقيم البريطاني في شؤون العرب بدأت تختل البنية الداخلية للمجتمع العربي، التي كانت موجودة في هذه المنطقة منذ أمد بعيد، وبدأ يظهر نشاط القبائل والتشكيلات الصغيرة التي كانت خارج التأثير السياسي لحلف القواسم وبني ياس، والتي لم تكن تعترف بسلطة المقيم البريطاني، أو بالاتفاقية

www.almajidcenter.org

العامة. وأخذت القبائل الصغيرة والفصائل والأسر تثور ضد كبار الشيوخ مرة تلو الأخرى، بعد أن انفصلت عنهم، ونزحت إلى أراض جديدة.

كان من أبرز هذه القبائل قبيلة القبيسات، التي تحالفت مع بني ياس، ثم رحلت عن أبو ظبي واستقرت في منطقة خور العديد بالقرب من جزيرة قطر، وكان أفراد هذه القبيلة يتمردون على شيخ أبو ظبي خليفة بن شخبوط، ويرفضون الانصياع لأوامره بدفع الغرامة إلى الإنكليز على مشاركتهم في الغارات البحرية على سفن الآخرين[1]. إلا أنه مع مرور الوقت تمكنت الإدارة البريطانية في الخليج العربي من حمل هؤلاء المنفصلين على الاعتراف بسلطة المقيم البريطاني، والرضوخ لمطالبه.

كانت النتيجة المباشرة لهذا الصراع الداخلي استمرار تردي الأوضاع الاقتصادية للقبائل، التي بات أفرادها يعانون من الفقر المدقع؛ إذ ازداد جمع المحاصيل سوءاً، وانخفض دخلهم من صيد البحر، ولا سيما إن صيد اللؤلؤ قد توقف بشكل شبه تام، بعد أن كان يشكل المصدر الأساسي لدخل سكان الساحل، إلى جانب أنه سقط لهذه القبائل عدد كبير من القتلى في المعارك.

والواقع أن الشيوخ كثيراً ما كانوا يلجأون إلى المقيم البريطاني طالبين منه العمل على إيقاف المنازعات البحرية. ففي عام ١٨٢٧ على وجه الخصوص لجأ سلطان بن صقر إلى المقيم البريطاني طالباً منه التقيد بالمادة الرابعة من الاتفاقية العامة التي تشير إلى الحفاظ على الأمن في الخليج العربي، وعدم الاعتراف بالمنازعات المسلحة.

وفي عام ١٨٢٨ تقدم بمثل هذا الطلب أحد شيوخ البحرين، وكذلك تجار الشارقة طالبوا المقيم البريطاني بالتدخل لحماية الخليج العربي من المنازعات والصدامات. إلا أن رد

١ – إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني، (مرجع سابق)، ص ٢٦٩، ٢٧٠.

www.almajidcenter.org

المقيم البريطاني في جميع الحالات كان الرفض، والتذرع بشتى الذرائع. والواقع أن استجابة المقيم البريطاني لمثل هذه المطالبات لا تتفق مع المصالح التكتيكية للسياسة البريطانية. وقد صرح المقيم البريطاني بأن حكومة بومباي تخشى الإخلال بميزان القوى بين القبائل البحرية، وتلك التي لها أنشطة أساسية في البحر.

وعندما لمس الشيوخ العرب أن المقيم البريطاني لن يقوم بأي عمل لوقف المعارك البحرية، قرروا أخذ المبادرة بأنفسهم في إجراء مباحثات فيما بينهم لوضع حد لحروبهم ونزاعاتهم. وكان أول من لجأ إلى تحكيم العقل في حل الخلافات الشيخ خليفة بن شخبوط، شيخ أبو ظبي، الذي أرسل والده شخبوط بن ذياب إلى الشارقة للتباحث مع شيخها بشأن إنهاء النزاع، وقد أسفرت تلك المباحثات عن عقد هدنة مؤقتة بين الإمارتين[١] وتنازلت أبو ظبي بموجبها عن مطالبها السابقة بدبي، وأخذت تنظر إليها على أنها تابعة إلى القواسم[٢].

أدرك الإنكليز عندما تحدتهم قبيلة بني ياس أن عليهم إعادة النظر في سياستهم القديمة، والعمل على إحلال السلام الحقيقي في منطقة الخليج العربي. وقد سنحت الفرصة لذلك في شهر مايو عام ١٨٣٥ عندما حضر إلى باسيدو الشيخ الوالد شخبوط بن ذياب لمقابلة هينل ودفع التعويضات التي فرضها على بني ياس. وقد صادف عندها أن سلطان بن صقر كان في زيارة أيضاً إلى هينل، وهناك وجد هذا الأخير الفرصة مناسبة لتسوية الخلافات بين القواسم وبني ياس ولو بشكل مؤقت.

وبالفعل تمكن هينل من التوصل إلى تسوية قبل بها الشيخان، الأمر الذي جعله يقوم بمحاولة لإقناع بقية شيوخ الساحل العربي بالحذو حذو القواسم وأبو ظبي، والمشاركة في هذه التسوية التي من شأنها وقف المنازعات البحرية في مواسم صيد اللؤلؤ على الأقل.

١- تؤكد مبادرة الشيوخ لإقامة السلام زيف ادعاء الإنكليز حول صحة قيام القواسم بأعمال القرصنة.

٢-إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني: سياسة الأمن لحكومة الهند في الخليج العربي، (مرجع سابق)، ص ٣٢.

www.almajidcenter.org

وعندها قام هينل باستدعاء كل من الشيخين راشد بن حميد، شيخ عجمان، وعبيد بن سعيد، أحد شيوخ دبي.

إلا أن هينل لم يكن يعقد آمالاً كبيرة على التوصل إلى اتفاقية عامة بسبب الخلافات العميقة القائمة بين القبائل، هذا من جهة، ومن جهة أخرى بسبب اشتراط الشيوخ أن تضمن الحكومة البريطانية هذه التسوية، حتى تكون لها قوة وفاعلية، ويجري الالتزام بها. إلا أن هينل رفض ذلك لعلمه بأنه يتنافى مع قرار مجلس مديري شركة الهند الشرقية الذي صدر في أغسطس عام ١٨٣٤. فعندها كان المجلس على قناعة تامة بأن الحكومة البريطانية غير معنية بالمنازعات القائمة بين الزعماء العرب إلا فيما يتعلق بالمحافظة على مصالحها التجارية.

اقترح هينل على الشيوخ المجتمعين عنده عقد اتفاقية هدنة بحرية مؤقتة خلال موسم صيد اللؤلؤ عام ١٨٣٥، وعندها وجد الشيوخ العرب أن هذا الاقتراح يلبي مطالبهم ولا يتعارض مع مصالحهم، حتى وإن كانت لديهم ادعاءات، سواء كانت حقيقية أو غير واقعية. وكان جميع الشيوخ على قناعة تامة بأن من الأفضل لهم انقضاء موسم صيد اللؤلؤ دون حدوث ما يعيقه.

يعد يوم ٢١ مايو عام ١٨٣٥ يوماً هاماً في تاريخ قبيلة القواسم وغيرها من قبائل الساحل العربي. فهذا اليوم يعد بداية لنهاية الخلافات القبلية، والمنازعات البحرية. ففي هذا اليوم جرى في باسيدو التوقيع على أول معاهدة هدنة بحرية مؤقتة مدتها ستة أشهر بحضور الكابتن هينل. وقد وقع عليها شيخ القواسم - سلطان بن صقر، والشيخ شخبوط الأب، الممثل الشخصي لخليفة ابن شخبوط ، زعيم بني ياس، وعبيد بن سعيد ، زعيم آلبو فلاسا ودبي، وراشد بن حميد ، شيخ عجمان.

www.almajidcenter.org

وقد تضمنت هذه المعاهدة أربعة بنود، نص البند الأول منها على ما يلي: "في اليوم الثاني والعشرين من محرم لعام ١٢٥١ هـ، الموافق ٢١ مايو عام ١٨٣٥ ستتوقف جميع الأعمال العدائية البحرية بين شعوبنا ورعايانا. وستقوم هدنة حتى تاريخ ٢٩ رجب عام ١٢٥١ هـ، الموافق ٢١ نوفمبر عام ١٨٣٥، وسيجري خلالها تأجيل كافة المطالب التي يطالب بها البعض تأجيلاً مؤقتا".

ونص البند الثاني على ما يلي: "إذا قام أحد رعايانا بأي عمل من أعمال العنف في البحر ضد أي من رعايا الموقعين على هذه الهدنة، فإننا سنقوم في الحال بدفع التعويض المناسب الحاصل عن هذا الضرر".

أما البند الثالث فقد نص على ما يلي: "عند تعرض أحد رعايانا إلى اعتداء بحري من قبل رعايا الأشخاص الموقعين على هذه الهدنة، فلن نأخذ بالثأر، ولكننا سنتقدم بشكوى إلى المقيم البريطاني في بوشهر، أو إلى القائد العسكري في باسيدو لطلب تعويض عن الضرر، ولإنزال العقوبة المناسبة".

ونص البند الرابع على أنه "ستكون هناك محاولة لوضع صيغة معاهدة سلام دائم بين جميع الأطراف، والتعهد بإبلاغ المقيم البريطاني أو قائد العمارة الإنكليزية مسبقاً بالعزم على استئناف الأعمال القتالية مع انقضاء فترة الهدنة "[1].

يتضح من هذه المعاهدة أنها تمنع جميع الشيوخ ورعاياهم من القيام بأي اعتداء بحري على أي طرف من الأطراف الموقعة على هذه المعاهدة خلال مدة جريانها، وتحتم على المقيم البريطاني، أو قائد العمارة الإنكليزية التي تتواجد في مياه الخليج العربي مراقبة تنفيذ هذه المعاهدة وعليه، عند الضرورة اتخاذ ما يراه مناسباً من إجراءات للحصول على التعويض

1- Saldanha, op. cit., p. 135.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

www.almajidcenter.org

المناسب للمتضرر من الطرف الذي قام بالاعتداء، وفي الوقت نفسه لم تمنع هذه المعاهدة الشيوخ من استخدام حقهم في الرد على أي اعتداء يتعرضون له، ولكن بشرط إعلام المقيم البريطاني بذلك مسبقاً.

على الرغم من السلبيات التي تتضمنها هذه المعاهدة التي وقعها شيوخ الساحل العربي، فإنها تعد أفضل لحد ما من الاقتراح الذي تقدم به مالكولم في عام ١٨٢٨؛ حيث طالب بأن تكون مصائد اللؤلؤ مناطق حيادية. وعندها اقترح حظر الملاحة فيها خلال فترة محددة من العام، مع ضرورة معاقبة كل من يخالف ذلك. وكان رأي حاكم بومباي واضحاً عندما قال: "إننا نشكل القوة الأساسية في الخليج الفارسي، وإن البعض من السكان سوف يلجأ إلينا من أجل أن نحمي مصالحه، وعلينا في مثل هذه القضايا السير على خط مبدئي لنحصل على أكثر الفوائد في المنطقة "[1].

بعث هينل إلى حكومة بومباي يعلمها بشأن معاهدة الهدنة البحرية المؤقتة، ولكنه في الوقت نفسه أبدى تشككاً من إمكانية نجاح هذه المعاهدة، وتقيد الشيوخ بها. وقد ذكر صراحة أنه لا ينتظر نتائج باهرة من وراء هذه المعاهدة، وأن كل ما هو منتظر منها أنها سوف تحد بعض الشيء من الاعتداءات، وهجمات السلب التي تترك وراءها الكثير من الضحايا؛ ولا سيما وأن الطرف الذي سيتعرض للاعتداء ويسقط له ضحايا لن يستطيع الأخذ بالثأر، وإنما اللجوء إلى السلطات البريطانية وتقديم شكوى، وعندها يتوجب على السلطات البريطانية جمع التعويضات له عن الأضرار التي لحقت به، ولعب دور الوسيط بين القبائل المتنازعة.

وكان المقيم البريطاني يتوقع أن الحد من المنازعات المستمرة بين القبائل البحرية يمكن أن يدفع تلك القبائل إلى تناسي العداوات، ولو بشكل تدريجي بسبب الأرباح التي

١- إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني : سياسة الأمن لحكومة الهند في الخليج العربي، (مرجع سابق)، ص ٣٥.

www.almajidcenter.org

ستعود عليها إذا ما استتب الأمن وعم الهدوء في مياه الخليج العربي، وهذا ما سيجعل شيوخ القبائل يتطلعون إلى تمديد هذه الهدنة إلى السنة القادمة.

بغية الحد من انتشار المعارك البحرية والنزاعات القبلية وحصرها في منطقة صغيرة تسهل السيطرة عليها، اقترح هينل في يناير عام ١٨٣٦ جعل القسم الشرقي من الخليج العربي منطقة خالية من أي سفن عربية مسلحة. وقد تطلب هذا الأمر إقامة خط اصطلاحي يقسم مياه الخليج إلى قسمين، ومطالبة الشيوخ بمنع سفنهم من اجتياز هذا الخط الملاحي الاصطلاحي.

وكان هذا الخط يمتد من جزيرة بو موسى إلى جزيرة صير، ثم إلى الشمال الشرقي على امتداد الخليج العربي بحيث يقسم مياهه إلى قسمين، وقد وافق معظم الشيوخ على ذلك، على عكس الشيخ سلطان بن صقر الذي عارض ذلك بشدة؛ لأن ذلك سيحرمه من إمكانية توجيه سفنه الحربية والاستدارة بها نحو رأس مسندم في خليج عمان لحماية خورفكان.

وبعد مباحثات عاصفة، وأخذ ورد شديدين أخبر هينل الشيخ سلطان بن صقر بمراءاة أنه لن ينظر إلى قطع سفن القواسم الحربية للخط المانع على أنه خرق له على أن يجري إعلام قائد الحامية البريطانية في باسيدو عن ذلك مسبقا. وفي الوقت نفسه تلقى هذا الأخير أمراً من هينل بعدم السماح للشيخ القاسمي بخرق الخط المانع، وعدم تمييزه عن غيره من الشيوخ العرب، ومنع الجميع، دون استثناء من خرق هذا الخط، والتأكد من التزام الجميع بهذا المنع، ولا سيما في الفترة ما بين أكتوبر ويوليو. وما ذلك إلا لأن التجارة البحرية بين الهند ومنطقة الخليج العربي تكون في هذه الفترة في قمة نشاطها وازدهارها.

أخبر المقيم البريطاني الشيوخ العرب بأن تواجد أية سفينة عربية مسلحة في شمال الخط المصطلح سينظر إليه على أنه تواجد بهدف القرصنة. ووجه تحذيراً خاصاً إلى بني ياس

www.almajidcenter.org

من مغبة الإبحار في غير مياه السواحل المتاخمة لمنطقتهم. وقد كان ذلك عقاباً لهم على تحديهم للإنكليز، وتزعمهم مقاومة مسلحة ضدهم عام ١٨٣٥. وهنا ظهر أيضاً دور المتحكم الأول في مصير القبائل العربية، الذي عزته بريطانيا العظمى إلى نفسها.

أصبحت خطة هينل بعد مصادقة حكومة الهند، والحكومة البريطانية عليها مجسدة في الحياة بشكل فعلي. وبعد فترة قصيرة جرت تعديلات على ما سمي بالمنطقة المحايدة، وتم رسم خط ملاحي جديد يمتد من شعم شمالاً حتى نقطة تقع على بعد عشرة أميال جنوبي جزيرة بوموسى[1].

أسفر هذا التقييد عن حصر نشاط العرب خارج منطقة خرامة، التي كانت فيما مضى مسرحاً أساسياً للمعارك البحرية في الخليج العربي. والجدير بالذكر أنه إذا جرى الأخذ بالاعتبار أن السفن الحربية لا تختلف في تسليحها اختلافاً كبيراً عن السفن التجارية فإنه من السهل إدراك المراد من رسم السلطات البريطانية لخطوط الفصل هذه.

كان الاهتمام الأكبر لهذه السلطات مركزاً على حماية السفن التجارية البريطانية، ولم تكن تعير أهمية للسلبيات التي تعرضت لها القبائل المحلية، وكان من أهم هذه السلبيات انخفاض نشاط السفن التجارية العربية، وعزل قسم من الساحل العربي عن العالم الخارجي. الأمر الذي أدى في النهاية إلى انخفاض الاتصال، وانقطاع العلاقات مع العديد من مناطق المحيط الهندي، بما في ذلك الهند. وفي الوقت نفسه أدى تراجع النشاط التجاري البحري للعرب إلى انتشار النفوذ الفارسي، ولا سيما بعد أن جرى رسم الخط المانع؛ إذ تحتم على العرب عندها مغادرة جزر بو موسى، وطنب، مما أدى إلى احتلال الفرس لها.

١- إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني: بريطانيا وإمارات الساحل العماني، (مرجع سابق)، ص ٢٧١.

www.almajidcenter.org

كان من أهداف السلطات البريطانية قطع القواسم وغيرهم من القبائل العربية عن الساحل الفارسي، ولا سيما في نوفمبر عام ١٨٣٢، عندما وقع نزاع بين الشيخ ناصر والحكومة الفارسية. وعندها عمل الفرس على إبعاد هذا الشيخ من بوشهر، فلجأ إلى القواسم طلباً للمساعدة؛ فجند سلطان بن صقر ألفي مقاتل لمساعدته. إلا أن المقيم البريطاني تدخل هنا ومنع السفن القاسمية والمقاتلين العرب من اجتياز الخليج العربي.

وفي عام ١٨٣٧ منع هينل القواسم من مساعدة بني جلدتهم على الساحل الفارسي مرة أخرى بحجة وجود الخط المانع. وبذلك انقطعت صلة الرحم والعلاقات بين السكان العرب المقيمين على السواحل العربية والفارسية للخليج العربي، ولم يعد هناك أي تعاون فيما بينهم. ومن الطبيعي أن هذه السياسة التي انتهجتها السلطات البريطانية لم تكن تستند إلى أواصر الصداقة مع الفرس، وإنما لهدف يسعون لتحقيقه، وهو التوغل مستقبلاً إلى الساحل، والمناطق الجنوبية لدولة الفرس.

التزم العرب بمعاهدة الهدنة البحرية المؤقتة الابتدائية بدقة، بدليل أنه لا توجد تقارير تتحدث عن أي خرق لبنود هذه المعاهدة، حتى بعد انقضاء الفترة المحددة لها، وهو تاريخ ٢١ نوفمبر عام ١٨٣٥ لعدة أشهر. كما لا توجد أية اعتراضات، أو ادعاءات من قبل الشيوخ العرب، وهذا ما دل على موافقتهم الصامتة على فكرة جعل الهدنة البحرية المؤقتة هدنة دائمة.

ونزولاً عند رغبة الشيوخ أنفسهم جرى التوقيع على معاهدة هدنة بحرية ثانية تبدأ من ١٣ إبريل عام ١٨٣٦، وكان الجديد في هذه المعاهدة أن مدتها ثمانية أشهر بدلاً من ستة أشهر، وأنه شارك في التوقيع عليها حاكم أم القيوين، الذي لم يوقع على المعاهدة السابقة؛ لأنه لم يكن يجد نفسه مستقلاً، أي أن توقيع حاكم أم القيوين على هذه المعاهدة يعني أن

www.almajidcenter.org

الشيوخ الأساسيين الذين وقعوا في السابق على الاتفاقية العامة عادوا ووقعوا على معاهدة الهدنة هذه باستثناء شيخ البحرين الذي تهرب من التوقيع على اتفاقيتي الهدنة.

كان عبد الله بن أحمد آل خليفة يرى أنه ليس من الضروري انضمام البحرين إلى هاتين المعاهدتين لسببين على الأقل: الأول أن البحرين – كما يرى شيخها – لم تشارك في المعارك البحرية، ولم تنفذ أية عملية قرصنة؛ والثاني – وهو الأهم – أن حاكم البحرين كان يتوقع قيام سعيد بن سلطان بمهاجمة بلاده في تلك الفترة، ولهذا لم يكن يرغب بتقييد نفسه بالتوقيع على أية معاهدة أو اتفاقية هدنة بحرية[1].

في الخامس عشر من إبريل عام ١٨٣٧ وقع الشيوخ العرب على هدنة بحرية ثالثة. وبذلك تكون الإمارات العربية قد نعمت بهدوء واستتباب للأمن ثلاث سنوات؛ الأمر الذي عاد على المنطقة بنجاحات اقتصادية كبيرة، وعمت الفائدة جميع سكان المنطقة، وكان أول من شعر بهذه الفائدة الشيوخ أنفسهم، الأمر الذي دفعهم للتفكير بتمديد نظام الهدنة في كل عام ثمانية أشهر.

وفي سبتمبر عام ١٨٣٧ تشكل موقف جعل الشيخ سلطان بن صقر يأخذ على عاتقه المبادرة في إجراء تسوية سلمية، وإحلال السلام في المنطقة بشكل دائم. فقد أرسل ممثلاً عنه يدعى محمد بن عيمور إلى هينل لبحث مسألة إنهاء حالة الحرب والنزاع في البحر بشكل دائم. وقد ذكر مبعوث الشيخ القاسمي أن الشيخ يرغب بأن تتوقف قبيلة بني ياس عن مهاجمة سفنه المنتشرة في مياه الخليج العربي، والتي منها تلك التي أبحرت إلى الهند ولم تعد بعد، والتي يمكن أن تتعرض إلى خطورة كبيرة عند انتهاء مدة الهدنة البحرية المؤقتة.

١- إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني : سياسة الأمن لحكومة الهند في الخليج العربي، (مرجع سابق)، ص ٤٣.

www.almajidcenter.org

لم تكن لدى هينل أية تعليمات بهذا الخصوص من حكومة بومباي. ولهذا رد على المبعوث القاسمي بأنه لا يستطيع لا هو ولا حكومته التدخل في الخلافات والمشاكل القبلية. ورأى أن التوقيع على هذا الاتفاق من طرف واحد لن يكون مجدياً؛ نظراً لأن مصالح الشيوخ متباينة ومتغيرة.

لم يكن رد المقيم البريطاني بهذا الشكل مرضياً أو مقنعا للشيخ سلطان بن صقر، ولهذا استمر في مساعيه لإحلال السلام الدائم في مياه الخليج العربي. وقد طرح هذه المسالة أيضاً على هينل أثناء زيارة قام بها هذا الأخير إلى الساحل العربي في عام ١٨٣٨. إلا أن الرد الذي تلقاه الشيخ سلطان بن صقر في هذه المرة لم يكن يختلف عن الرد السابق، عندما صرح المقيم البريطاني بأن الحكومة البريطانية غير مستعدة لإقحام نفسها في اتفاقية كتلك التي يعرضها الشيخ القاسمي. وأكد على أن الهدف الأساسي من الهدنة الحالية هو منع الحكام العرب من إشعال نيران الحرب فيما بينهم أثناء موسم صيد اللؤلؤ. كما أكد هينل أن معاهدة الهدنة بشكلها الحالي تجعل العلاقات بين القبائل المتجاورة أكثر مرونة، ولم يفت المقيم البريطاني التعهد للشيخ القاسمي بسلامة سفنه، الأمر الذي هدأ من مخاوف الشيخ سلطان بن صقر بعض الشيء[1].

والواقع أن إخفاق الشيخ سلطان في إقناع هينل بالعمل على إبرام معاهدة هدنة بحرية دائمة لم يثبط من عزيمة الشيخ؛ إذ اقترح بدلاً من ذلك تمديد مدة معاهدة الهدنة الحالية لسنة كاملة بدلاً من ثمانية أشهر[2]. والواقع أن هذا الاقتراح حظي بموافقة جميع الشيوخ، وجرى في ١٨ إبريل عام ١٨٣٨ التوقيع على معاهدة هدنة جديدة مدتها سنة كاملة، وتؤكد الوثائق أنه لم تقع في هذا العام أية عمليات قرصنة أو سلب من قبل سكان الساحل العربي تستحق الذكر، أو تستدعي تدخلا من جانب السلطات البريطانية.

١- إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني: سياسة الأمن لحكومة الهند في الخليج العربي، (مرجع سابق)، ص ٤٤.

٢- يشار في المراجع العلمية الإنكليزية إلى أن الفضل في التوقيع على معاهدة الهدنة يعود إلى المقيم البريطاني.

www.almajidcenter.org

يتضح من إجراء مقارنة بين وثيقتي المعاهدة العامة ومعاهدة الهدنة البحرية أن الإنكليز كانوا يتطلعون في الحالة الأولى (في المعاهدة العامة) إلى وضع حد لأعمال القرصنة من خلال فرض العقوبات؛ بينما كان هدفهم في الحالة الثانية (معاهدة الهدنة البحرية)، إنهاء هجمات السلب التي تتعرض لها السفن بإنهاء الحروب البحرية. وعلى أية حال تعد معاهدة عام ١٨٢٠ العامة خطوة ضرورية على طريق إحلال السلام في البحر في منطقة الخليج العربي؛ إذ بدونها لم يكن بإمكان الشيوخ المطالبة بنظام هدنة، أو التوصل إلى التوقيع على المعاهدات، ومن ثم تمديدها.

توقف نجاح معاهدة الهدنة الموقعة عام ١٨٣٥ لدرجة كبيرة على استخدام السفن البريطانية الفعال لمبدأ "راقب وضع حداً"، الذي لجأت إليه السلطات البريطانية في هذا الوقت، والذي لعب دوره في إقناع الزعماء العرب بمقدرة السلطات البريطانية على الحفاظ على الأمن في البحر بشكل فعلي، وبدورهم كان الشيوخ العرب على استعداد للتعويض عن أي خرق من رعاياهم لنظام الهدنة في البحر.

يمكن القول دون مغالاة أن بريطانيا العظمى نجحت في تثبيت وترسيخ نفوذها في منطقة الخليج العربي بفضل نظام المعاهدات التي أعدها وطبقها الساسة الإنكليز، وقد استطاع هؤلاء إقناع الشيوخ المحليين أن حكومتهم لن تأخذ على عاتقها مسؤولية حسم خلافاتهم، أو التدخل في حل أية نزاعات تحدث بين الإمارات على الساحل العربي. وهذا لا يبدو غريباً على ضوء السياسة التي انتهجتها بريطانيا آنذاك في القسم الشرقي من شبه الجزيرة العربية؛ إذ أن عقد المعاهدات والاتفاقيات بين حكام المنطقة لم يكن الهدف الذي سعت الحكومة البريطانية أو حكومة بومباي لتحقيقه.

www.almajidcenter.org

وكان على الإنكليز الاستفادة من هذه المعاهدات كنقطة بداية لتوسعهم الحقيقي، وبسط نفوذهم على سواحل الخليج العربي، وكذلك للحيلولة دون ظهور أية قوة يمكن أن تثير أي قلق لبريطانيا في هذه المنطقة.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة... وعطاء مستمر

www.almajidcenter.org

الفصل العاشر

تفكك حلف القواسم القبلي

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة... وعطاء مستمر

www.almajidcenter.org

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة ... وعطاء مستمر

www.almajidcenter.org

تعد الفترة من عام ١٨٣٥ إلى عام ١٨٤٣ فترة هدوء نسبي بالنسبة للساحل العربي؛ إذ لم يقدم الشيوخ الموقعون على معاهدات الهدنة البحرية على أي عمل بحري خاص، ولم ينفذوا هجمات على سفن بعضهم البعض. ولكن ذلك لا يعني أن الفضل بذلك يعود لمراقبة بريطانيا لتنفيذ هذه المعاهدات؛ إذ بعد أن وضعت الصير تحت سيطرتها أخذت تتطلع إلى توسيع نفوذها، وزيادة هيمنتها على مناطق أخرى في الخليج العربي منها شبه جزيرة قطر.

ففي عام ١٨٣٦ وجد المقيم البريطاني أن الأعمال التجارية التي تمارسها البدع (الدوحة) والوكرة، وكذلك العديد، التي اتخذتها قبيلة القبيسات مكاناً مؤقتاً لاستقرارها تنافس شركة الهند الشرقية. ولهذا بدأ يتهم سكانها بممارسة القرصنة. وكدأبهم في مثل هذه الحالة أرسل الإنكليز ثلاث سفن حربية قامت بقصف الموانئ إلى أن "تعهد شيوخها بعدم إيواء القراصنة، وحجز أية سفينة قرصنة ترتاد موانئهم"، ليس هذا فحسب، بل "أخذ الإنكليز ضمانة مالية من شيخ القبيسات، خادم بن نهيان؛ إذ كانوا يشكون في صدقه".

في عام ١٨٣٥ وقع خلاف شديد بين شيخ أبو ظبي خليفة بن شخبوط، وزعيم قبيلة القبيسات، الشيخ خادم بن نهيان انفصل الأخير على أثره عن أبو ظبي، ورحل إلى منطقة العديد، حيث قام بحفر الآبار فيها ، واستوطنها مع عشيرته، وعزم على إنشاء إمارة مستقلة، مما حدا بالشيخ خليفة بن شخبوط إلى إخبار المقيم البريطاني بذلك، والتأكيد له أنه لن يسمح باقتطاع أي جزء من إمارته أو الانفصال عنها. وبعدها علم شيخ أبو ظبي خليفة بن شخبوط أن عناصر من القبيسات تخرج إلى البحر، وتقوم بأعمال سلب وقرصنة، فأخبر المقيم البريطاني بذلك.

عندما وجد المقيم البريطاني أن القبيسات لن يتوقفوا عن أعمال القرصنة "أعطى الإذن" للشيخ خليفة بن شخبوط لإعادة إخضاع هذه القبيلة إلى نفوذه بالقوة. أي بعبارة

www.almajidcenter.org

أخرى عاد الإنكليز مجدداً إلى عملهم المفضل وهو تحريض سكان القبائل على بعضهم دون اعتبار للاتفاقيات والمعاهدات التي أجبروا الشيوخ العرب على توقيعها.

سارع شيخ أبو ظبي باستنفار قواته البرية والبحرية، ووضع خطة للهجوم على العديد براً وبحراً. وفي بداية يونيو بدأ تنفيذ الخطة بأن طوق بقواته بلدة العديد، ثم شن عليها هجوماً كاسحاً، ودمر دورها، ومسحها عن وجه الأرض، وألقى بجثث قتلى القبيسات، التي قدر عددهم بخمسين جثة في الآبار التي حفرها زعيمهم خادم بن نهيان. إلا أن هذا الأخير تمكن مع عدد من أتباعه من اللجوء إلى دبي التي أجارته؛ بينما عاد الآخرون إلى أبو ظبي مستفيدين من فرصة عفو عام أصدره الشيخ خليفة. وعندما علم أفراد القبيسات في دبي بأن من عاد إلى أبو ظبي استعاد ممتلكاته، وأصبح آمناً على حياته سارعوا بالعودة أيضاً إلى إمارتهم الأم، وقدموا الولاء إلى الشيخ خليفة بن شخبوط من جديد[1].

على الرغم من انتهاء قضية القبيسات على النحو المذكور لم يستطع شيخ أبو ظبي مسامحة شيخ دبي على السماح لخادم بن نهيان بالاحتماء في دبي. وعليه انتظر الشيخ خليفة إلى أن خرجت قبيلة البو فلاسا إلى البحر لصيد اللؤلؤ وهاجم دبي في عام ١٨٣٨، واستولى على قلعتها. وما إن علم السكان في البحر بهجوم بني ياس على مدينتهم حتى سارعوا بالعودة من مغاصات اللؤلؤ، واستنصروا القواسم وطردوهم من ديارهم.

عانت دبي حتى عام ١٨٤١ أزمة في تطورها بسبب استمرار الحروب مع القبائل المجاورة، وخروج قسم من قبيلة البومهير من الإمارة لاستيائهم من سياسة مكتوم بن بطي، إلى جانب تفشي وباء الحمى في هذه المنطقة. وعندها وجد الشيخ خليفة بن شخبوط أن الفرصة مناسبة لإعادة الهجوم على دبي، ولا سيما بعد أن ضمن لنفسه موافقة سلطان بن

1-Mann, op. cit., pp. 35-36.

www.almajidcenter.org

صقر على ذلك، وعدم تدخل قبيلة بني قتب، والقبائل الأخرى المجاورة لدبي. وقد أسفر هجوم بني ياس على دبي في هذه المرة عن احتلال المدينة، وإحراق جميع احتياطاتها، واقتلاع أشجارها المثمرة، وتدمير سفنها الراسية في الموانئ.

في هذه الفترة الصعبة على الإمارة لجأ مكتوم بن بطي إلى شيخ القواسم يستنصره، وعلى الرغم من أن الأخير كان موافقاً على مهاجمة الشيخ خليفة لدبي، فقد وافق على نصرة الشيخ مكتوم بن بطي، وأمده بعدد من قواته. وهذا التغيير المفاجئ في موقف الشيخ سلطان بن صقر يفسر بأنه لم يكن يرغب في أن تزداد أبو ظبي قوة، وأن من الضروري أن يبقى مكتوم بن بطي زعيماً على إمارة دبي، التي تعد ثقل موازنة لبني ياس.

إلا أن الأوضاع لم تستمر على هذه الحال. فقد كان من المنتظر أن يجري التوقيع على اتفاقية بين شيخ القواسم، وشيخ دبي. إلا أن مماطلة سلطان بن صقر في هذه المسألة جعلت شيخ دبي يتطلع إلى حل جميع الخلافات مع شيخ أبو ظبي، وإقامة علاقات صداقة معه. وفي بداية عام ١٨٤٣ استقبلت دبي خليفة بن شخبوط، وسرعان ما أخذ مقاتلو دبي يستجيبون لتحريض خليفة بن شخبوط، ويشنون هجمات متكررة على القبائل المتحالفة مع القواسم: بني قتب، وبني غفلة، وبني نعيم، الأمر الذي أثار استياء سلطان بن صقر بشدة[1]، وكادت الحرب أن تندلع بين الإمارتين، إلا أن خليفة بن شخبوط استطاع نزع فتيلها، لعدم رغبته هو أيضاً في أن يقوى شيخ القواسم.

الجدير بالذكر أن الشيخ سلطان بين صقر كان من أكثر شيوخ الساحل العربي تطلعاً إلى عقد هدنة بحرية دائمة، وهو لم يقدم على أي خرق للاتفاقيات المؤقتة، وكان يتقيد بها تماماً، حتى أنه ألقى القبض على عدد من رعاياه من سكان قرية "الخيرة" في عام ١٨٣٧،

١- استولى شيخ دبي أثناء هذه الهجمات على غنائم كثيرة، وعندما حاول شيخ القواسم منع قبيلة بني غفلة من الرد ما كان منهم إلا أن هددوا بالانسحاب من الإمارة، والتحالف مع شيخ أبو ظبي.

www.almajidcenter.org

لقيامهم باعتداء في البحر، وأرغمهم على دفع تعويض إلى كل من تسببوا له بالضرر في أعمالهم التي عدها عدوانية.

وفي عام ١٨٣٨ وقع هجومان بحريان على بعض السفن العربية، وجرى اتهام سلطان، ومحمد بن "صخر" من قبيلة القواسم بالهجومين، إلا أن هذين الشخصين تمكنا من اللجوء إلى عجمان، وهناك رفض شيخها تسليمهما إلى المقيم البريطاني، ومع ذلك تمكن سلطان بن صقر في نهاية الأمر من إجبارهما على دفع التعويض[1].

وفي هذه الفترة شن الشيخ سلطان بن صقر هجوماً على أم القيوين بغرض جعل شيخها تابعاً للقواسم، إلا أنه قام بذلك مع مراعاة دقيقة لمعاهدة السلام العامة، والاتفاقيات المؤقتة، وكان ذلك في الوقت الذي انتهت فيه مدة اتفاقية الهدنة الموقعة عام ١٨٤٠، وقبل تمديدها إلى عام ١٨٤١. وأثناء هجومه على أم القيوين حاصر المدينة من البر والبحر، وكاد أن يحقق نصراً لولا تدخل المقيم البريطاني هينل، الذي عدَّ ذلك خرقاً واضحاً لجميع الاتفاقيات الموقعة في هذه المنطقة. يدل هذا الأمر في الواقع على جوهر السياسة البريطانية الهادفة ليس إلى إحلال السلام، وإنما إلى تأكيد سيطرتها وتحكمها بمصير القبائل المحلية.

اتفاقية الهدنة الدائمة:

رأت حكومة بومباي أن من الممكن، بل من الضروري لها إقامة هدنة دائمة في هذا الوقت، كتلك التي اقترحها الشيخ سلطان بن صقر في السابق، وأن يشارك فيها جميع الشيوخ الذين وقعوا على اتفاقية الهدنة البحرية السابقة. وقد أقدمت السلطات الأنجلو-هندية على هذه المبادرة على الرغم من أن هينل كان يتخذ موقفاً سلبياً من عقد مثل هذه

١ -سمور، زهدي عبد المجيد، (مرجع سابق)، ص ٢٢٧.

www.almajidcenter.org

الهدنة. وقد طالب بعدم عرض الاقتراح على الشيوخ؛ خوفاً من أن يحدث تصعيد جديد في النزاع البري بين أبو ظبي، والشارقة، ودبي.

كان هينل يرى أن اتفاقية الهدنة السابقة تقيِّد هذه القبائل، وفي مقدمتها القواسم، الذين تعد قبيلتهم الأكبر والأقوى بين القبائل، والتي تعتمد في قوتها لدرجة كبيرة على أعمال البحر أكثر من بقية القبائل. إلا أن الحظر التام للنزاعات البحرية حرم القواسم من الاستفادة من تفوقهم، فاضطروا لحماية أنفسهم وتصفية حساباتهم مع جيرانهم في البر فقط؛ حيث كانت قوتهم مساوية تقريباً لقوة أبو ظبي، ودبي.

كان شيخ القواسم يمنع رعاياه أثناء الهدنة من تصفية حساباتهم مع الآخرين بالثأر منهم إلى أن تنتهي فترة الهدنة[1]، وتدل الوقائع على أن مثل هذه الأعمال كانت تحدث في فصل الربيع عندما كانت الهدنة البحرية تشارف على الانتهاء. وفي هذا الوقت كان يتحتم على السفن البريطانية الطواف على امتداد الساحل، وتركيز اهتمامها بشكل خاص على مناطق صيد اللؤلؤ. وفي هذا الوقت أيضاً قام المقيم البريطاني بزيارة إلى المنطقة، واجتمع مع الشيوخ العرب على متن إحدى السفن البريطانية، وكانت اللقاءات تنتهي بتوزيع الهدايا عليهم بمراءاة[2].

في عام ١٨٤٢ حاول هينل معرفة رأي الشيوخ العرب بإقامة هدنة طويلة الأمد، فوجد أنهم غير مستعدين للإقدام على هذه الخطوة في هذا الوقت؛ ذلك أن خليفة بن شخبوط، زعيم حلف قبائل بني ياس، مني بخسائر أثناء الحملة البرية في شتاء ١٨٤١ – ١٨٤٢، ولم يكن مستعداً للموافقة على إجراء أي تعديل على اتفاقية الهدنة. وبقي الوضع على حاله حتى نهاية عام ١٨٤٢، عندما زار المقيم البريطاني الساحل، وأجرى أول جولة

1- Saldanha.op. cit., p. 293.

٢- سمور، زهدي عبد المجيد، (مرجع سابق)، ص ٢٢٩.

www.almajidcenter.org

من المباحثات. وكان ذلك بتوجيه من حكومة بومباي. وتابع المباحثات بعد ذلك مساعده "أ. كمبال"(Kemball)، الذي وجد أن جميع الشيوخ، بمن فيهم خليفة بن شخبوط، يتطلعون إلى عقد هدنة بحرية لمدة عشر سنوات[١].

وأخيراً جرى في الأول من يونيو عام ١٨٤٣ التوقيع على هدنة بحرية لمدة عشر سنوات بحضور المقيم البريطاني هينل. وقد وقع عليها الشيوخ: سلطان بن صقر، عن قبيلة القواسم، وخليفة بن شخبوط ، عن قبيلة بين ياس، ومكتوم بن بطي، عن البو فلاسا، وعبد الله بن راشد، شيخ أم القيوين، وعبد العزيز بن راشد، شيخ عجمان[٢].

وكانت هذه الاتفاقية تشير إلى أن الشيوخ وجدوا فائدة في استتباب الأمن الملاحي، لا سيما فيما يتعلق بصيد اللؤلؤ. وقد جاء في الاتفاقية: إننا نتعهد أمام الممثل الرسمي لبريطانيا بمراعاة الأمور التالية:

١- منع حدوث أي صدام مسلح لمدة عشر سنوات من أول يونيو عام ١٨٤٣ حتى نهاية مايو عام ١٨٥٣.

٢- إنزال العقوبة بكل من يخل بالبند السابق بمجرد وصول معلومات إلى أي شيخ عن عمل هجومي.

٣- يتعهد الشيوخ بإبلاغ المقيم البريطاني، أو قائد الحامية البريطانية في باسيدو عن الإجراءات المراد اتخاذها قبل تطبيق أي نوع من العقوبات كي تكون هذه الأعمال ملبية لتوجيهات السلطات الإنكليزية وممثليها.

٤- يتعهد الشيوخ بالعمل على تمديد هذه الهدنة بعد انتهاء مدتها وجعلها هدنة دائمة، وفي حال الاختلاف على ذلك، يجري إبلاغ المقيم البريطاني العام بذلك مباشرة[٣].

1- Saldanha. op. cit., p. 295.
2- Thomas.op. cit., p. 198.
3- Thomas, op. cit., p. 237;

www.almajidcenter.org

وهكذا صادق هينل على هذه المعاهدة الشبيهة تماماً في محتواها بالاتفاقيات السابقة، والتي جرى التركيز فيها بشكل خاص على تجنب الصراعات البحرية فقط، دون أي ذكر للحروب البرية. إلا أنه خلافاً للاتفاقيات السابقة فقد جرى هنا التعامل بمرونة أكبر في مسألة جمع التعويض عن الخسائر التي تلحق بأي طرف من الأطراف الموقعة عليها.

أما مسألة مراقبة المجال البحري، فكانت – كما في السابق – منوطة بالسفن الإنكليزية المرابطة باستمرار في منطقة الخليج العربي. ومع ذلك فقد حقق هذا النظام نجاحاً انعكست آثاره على تخفيض عدد السفن الحربية البريطانية المرابطة في الخليج. ولهذا اقترحت وزارة البحرية في حكومة بومباي عدم إبقاء أية سفينة في الخليج العربي لمدة تزيد عن اثني عشر شهراً، وأن لا تبقى الطرادات في نوبات طويلة في موانئ غير صحية كموانئ بوشهر، والعديد[1]، كما كان الأمر في الماضي، وأن تبقى في عرض البحر لأطول مدة ممكنة لمنع القرصنة، وحماية الطرق التجارية، فوافق الحاكم العام على هذا الاقتراح، وطلب من المقيم البريطاني عرض خطة، بحيث يمكن للسفن البريطانية مراقبة السفن العربية في الخليج العربي والبحر الأحمر بشكل فعال[2].

سارع هينل بإعداد الخطة التي تلبي هذا المطلب، وكان يرى أن من الضرورة بمكان تشكيل مفارز مراقبة بسفن بحرية، قوام كل مفرزة أربع سفن لمراقبة الساحل العربي في موسم صيد اللؤلؤ. أي رأى ضرورة تركيز الجهود الأساسية على مراقبة السفن العربية في الفترة من بداية يوليو حتى أواخر سبتمبر.

٢٠٧- قاسم، جمال زكريا: الخليج العربي (دراسة لتاريخ الإمارات)، (١٩١٤-١٩٤٧)، القاهرة، ١٩٦٦. ص ١٣٠-١٣١.

١- يكفي القول إن عدد القتلى بين جنود الحامية في خارج كان كبيراً جداً، وإنه في عام ١٨٤٠ انتشر بينهم وباء كاد أن يجبر الإنكليز على مغادرة الجزيرة، وإن المناخ في الأماكن الأخرى لم يكن أفضل.

2- Thomas, op. cit., p. 201.

www.almajidcenter.org

إن ما ساعد على نجاح نظام الهدنة لدرجة كبيرة: تطبيق مبدأ "راقب وضع حداً"، وغياب الوهابيين في هذه المنطقة ما بين عامي ١٨٣٩ و ١٨٤٥ بعد طرد حاميتهم من واحة البريمي عام ١٨٣٩؛ والاستقرار النسبي الذي شهدته عمان في هذه الفترة، والتغيير الجذري في نظرة الشيوخ إلى الأوضاع بعد التوقيع على اتفاقية الهدنة لعشر سنوات.

ويؤكد حتى المؤرخون الإنكليز على التحول الإيجابي في موقف الشيوخ أنفسهم من الانتهاكات البحرية أثناء مناقشتهم لها، ومعاقبتهم لكل من يقوم بهذه الانتهاكات، حتى قبل اللجوء إلى السلطات البريطانية. ومثال على ذلك موقف شيخ عجمان عبد العزيز بن راشد عندما تعرضت إحدى سفن القواسم إلى عاصفة بحرية عام ١٨٤٥، وجنحت إلى شاطئ عجمان، وعندها تعهد الشيخ عبد العزيز بحمايتها، وهدد كل من يجرؤ على الاقتراب منها بالقتل.

ومع ذلك لم تضع هذه المعاهدة حداً نهائياً للنزاعات البحرية. فبعد عام ١٨٤٣ جرى خرق التوازن والسير السلمي للأحداث، واندلع الصراع مجدداً في الصير، نتيجة للعداء المستمر بين القبائل الحليفة لبني ياس والقواسم، وكذلك بسبب انتعاش أعمال الوهابيين في هذه الفترة حيث استولوا على المناطق الجنوبية الشرقية من شبه الجزيرة العربية. هذا إلى جانب أنه كان لأعمالهم صدى في البحر أيضاً.

كما كان لبعض أعمال الإمارات والشيوخ المشاركين في الاتفاقية الأخيرة سلبيات فيما يخص الموقف العام في منطقة الخليج العربي، ولا سيما فيما يتعلق بالصراع على الحكم في البحرين[1]. ومما زاد من تعقيد الموقف العام أنه بعد وفاة فتح علي شاه (أكتوبر عام

١- بغية تثبيت أقدامهم في البحرين في هذا الوقت أخذ الإنكليز يحرضون على الانقلاب الذي أسفر عن وصول ابن أخي الشيخ السابق محمد بن خليفة آل خليفة إلى سدة الحكم، وفرار الحاكم السابق إلى الدمام، حيث أمضى السنوات وهو يسعى لاستعادة الحكم في البحرين.

Thomas, op. cit., p. 203.

www.almajidcenter.org

١٨٣٤)، وحدوث أزمة هرات (١٨٣٧ - ١٨٣٨)، ساءت العلاقات الأنجلو فارسية بشدة، وتوقفت السفن البريطانية عن الطواف في مياه الساحل الفارسي[١]. ومما لا شك فيه أن غياب المراقبة من البحر أثر سلباً على التطبيق الفعلي لبنود معاهدة الهدنة؛ إذ كان العامل الرادع الوحيد في ذلك الوقت هو الشيوخ أنفسهم، الموقعون على المعاهدة. وهذا الوضع شغل ثغرة كانت تهدد باشتعال النزاعات البحرية في أية لحظة.

وقد جرى تأكيد هذه الحسابات النظرية عملياً أثناء النزاع الذي وقع بين الشارقة وأبو ظبي في صيف عام ١٨٤١، عندما قام سكان لنجه بعبور مياه الخليج لنصرة أقاربهم القواسم ضد بني ياس. ونتيجة لذلك كلفت الحكومة البريطانية في الهند هينل بالتوصل إلى اتفاق مع السلطات الفارسية يقضي بمنع القبائل العربية المقيمة على الساحل الفارسي من التدخل في شؤون الصير. وحتى ذلك الحين كانت العلاقات بين بريطانيا وفارس آخذة بالتحسن. وفي أكتوبر عام ١٨٤١ أعيدت العلاقات الدبلوماسية بينهما، وهذا ما جعل السلطات الفارسية تستجيب لمقترحات المقيم البريطاني[٢].

بعد ذلك لم يبق أمام المقيم البريطاني هينل سوى مهمة مراقبة النزاعات البحرية التي تقع في مياه الخليج العربي حيث تسيطر السلطات التركية. وهنا اقترح المقيم البريطاني على حكومة بومباي الحصول على موافقة عامل بغداد نجيب باشا على منح السفن البريطانية حق ملاحقة وأسر سفن القراصنة الذين يلجأون إلى المياه التركية للاحتماء. وعلى الرغم من أن هذا الاقتراح أثار نقاشاً وجدلاً بين السلطات الأنجلو هندية؛ فقد جرى عرضه في نهاية

١- أدت حملة محمد شاه على هرات في عام ١٨٣٧ إلى مغادرة جميع الضباط الإنكليز لفارس. وفي نوفمبر عام ١٨٣٧ أعلن المبعوث الإنكليزي فوق العادة، ماكنيل عن قطع العلاقات الدبلوماسية وغادر البلاد. انظر: إيفانوف، م. س. (مرجع سابق)، ص ١٥٠.

٢- إيفانوف، م. س. (مرجع سابق)، ص ١٥٠-١٥١.

www.almajidcenter.org

الأمر على عامل بغداد نجيب باشا. وجد هذا الأخير في الموافقة على طلب الإنكليز نهاية لادعاءات تركيا بمراقبة شط العرب والسيطرة عليه.

ولهذا لم يكتف نجيب باشا برفض هذا طلب قطعياً، بل إنه صرح بأن جميع السفن الأجنبية - بما فيها الإنكليزية - ستكون عرضة للعقاب إذا ما أقدمت على أي عمل غير قانوني في المياه التركية.

عندما علم الحاكم العام للهند وجهة النظر التي دعت عامل بغداد نجيب باشا لرفض الاقتراح أبدى تفهمه لذلك، بل وموافقته على هذا الرد؛ إذ أن منطق رده هذا ينسجم مع قواعد القانون الدولي من جهة، ومن جهة أخرى لأن ظهور السفن البريطانية في المياه والموانئ التركية، بحجة مكافحة القرصنة سوف يستخدم بالتأكيد كحجة أيضاً من قبل الدول الأوروبية الأخرى المنافسة لبريطانيا لتحقيق أهدافها[1].

شاطر وزير خارجية بريطانيا، بالميرستون (Palmerston) حاكم الهند العام في وجهة نظره هذه. وفي الأول في مارس عام ١٨٤٧، صرح بأنه لا يحق للطرادات البريطانية ملاحقة القراصنة والقبض عليهم في المياه التركية ومعاقبة أحد على ما يقترفه خارج هذه المياه.

والواقع أن هذا التصريح أثار دهشة كبيرة بين موظفي الإدارة الأنجلو هندية، بمن فيهم بالطبع هينل؛ إذ أن السلطات التركية صرحت قبل ذلك بأسابيع قليلة بأنها ستحمي الواردات البريطانية القادمة عن طريق البحر إلى العراق وتركيا، وأنها ستوقف أية سفينة تركية تخالف هذا القرار. والأكثر من ذلك أن السلطان العثماني أصدر فرماناً في ٢٣ يناير عام

1- Kelly, op. cit., pp.391-392.

www.almajidcenter.org

١٨٤٧ منح الإنكليز بموجبه حق تفتيش وإيقاف السفن التركية التي يشتبه بأنها تتاجر بالرقيق[١].

عدا عن ذلك كان المقيم البريطاني يشعر بقلق شديد في هذا الوقت من تطور الأحداث في شبه الجزيرة العربية، حيث كانت القوات المصرية مضطرة للانسحاب وعودة فيصل بن تركي مجدداً إلى الحكم بعد صراع قصير، ولو كان مريراً.

القضية أن المقيم البريطاني هينل حاول في بداية الأربعينات الضغط على محمد علي لإطلاق سراح فيصل بن تركي السعودي المعتقل لديه، آملاً من وراء ذلك استمالة الأمير إلى صف الإنكليز، والحصول على مساعدته مستقبلاً في ترسيخ أقدامهم على الساحل العربي. إلا أن الأمير فيصل لم يعر بالاً للمقيم البريطاني لدى عودته، وبذلك خيب أمله. والأكثر من ذلك أنه بعد أشهر قليلة من عودة الأمير فيصل إلى الحكم وطد نفوذه وأخذ يستعد لاستعادة قوة الوهابيين وبسط نفوذهم على منطقة الساحل العربي[٢].

كانت الظروف والأوضاع الداخلية في البحرين مناسبة جداً لفيصل بن تركي لتحقيق تطلعاته؛ إذ استغل قضية خلع شيخ البحرين عبد الله بن أحمد، وبحجة لعب دور الوساطة أخذ يتدخل بقوة في شؤون القسم الشرقي من شبه الجزيرة العربية[٣].

وبالفعل استطاع تكوين علاقات مع شيوخ الساحل المهادن، الأمر الذي أثار حفيظة هينل الذي أحس بأن كل جهوده باءت بالفشل، فلجأ إلى حكومته يستشيرها في

١- سمور، زهدي عبد المجيد، (مرجع سابق)، ص ٢٣٣.

٢- ما إن عاد فيصل بن تركي إلى سدة الحكم حتى كتب إلى شيوخ الساحل يعلمهم بأنه عازم على إرسال سعد بن مطلق على رأس جيش لغزو إماراتهم وإخضاعها لسلطته.

٣- في خريف عام ١٨٤٣ حاصرت قوات فيصل بن تركي مدينة الدمام التابعة للبحرين الواقعة في شبه الجزيرة العربية، وفي مارس عام ١٨٤٤ استسلمت له الحامية.

www.almajidcenter.org

كيفية معالجة الموقف، فجاء الرد مخيباً لآماله. فقد كانت التعليمات التي تلقاها تنص على عدم مقاومة توسع فيصل بن تركي؛ لأنه أعلن أنه سيكتفي بمراقبة مناطق النفوذ الوهابي السابقة فقط.

ومثل هذا الرد وصل أيضاً إلى شيوخ الساحل العربي، عندما نقلوا مخاوفهم إلى المقيم البريطاني بأن هجوماً وهابياً جديداً يتهددهم. وعندها رد هينل على الشيوخ صراحة بأن لحكومته الآن وجهة نظر من هذه المسألة تختلف عن السابق. وأوضح بأن مسألة الحفاظ على سيادة البريمي والمناطق الأخرى التي بات يهددها الخطر الوهابي، كانت مسألة ملحة وحيوية بالنسبة لبريطانيا في فترة تواجد القوات المصرية في شبه الجزيرة العربية، وإبان حكم صنيعة المصريين، خالد بن سعود؛ أما الآن، وقد غاب خالد بن سعود، والمصريون عن الحلبة السياسية في شبه الجزيرة العربية، فإن الحكومة البريطانية لا ترى ثمة ما يستوجب التدخل في تطوير الأحداث السياسية في شبه الجزيرة العربية[1].

نظر فيصل بن تركي بعين الرضا إلى هذا الموقف الصادر عن الإنكليز نحو الوهابيين. وفي ديسمبر عام ١٨٤٣ بعث برسالة إلى هينل أخبره فيها بأنه سيطر على منطقتي نجد والأحساء تماماً، وأعرب عن رغبته بأن تبقى العلاقات حسنة مع الحكومة البريطانية حاضراً ومستقبلاً. ويبدو أن الأمير السعودي لم يكن أيضاً يرغب في الصدام مع بريطانيا؛ رغبة منه في أن يحقق أهدافه بهدوء ودون إراقة الدماء.

وبدوره رد عليه المقيم البريطاني هينل برسالة ودية أشار فيها إلى موقف حكومته اليقظ من قضايا الأمن البحري في منطقة الخليج العربي، كما أشار في تلك الرسالة إلى أن

١- وجد الإنكليز أن التهديد الدائم من قبل الوهابيين يجعل شيوخ الساحل العربي وسلطان مسقط أكثر ليناً وطواعية اتجاه بريطانيا، انظر:

Kelly, op. cit., pp. 400-42.

www.almajidcenter.org

الحكومة البريطانية لا ترى في زيادة نفوذ الأمير فيصل في هذه المنطقة ما يمنع الشيوخ الذين وقعوا على اتفاقية الهدنة من التقيد بما جاء في تلك الاتفاقية، حفاظاً على الأمن في البحر[١].

كانت العلاقات الإنكليزية – الوهابية مستقرة ظاهرياً على الأقل حتى عام ١٨٤٥؛ إذ لم يكن الوهابيون يملكون من القوة ما يكفي للقيام بهجوم على هذه المنطقة. إلا أنه في بداية عام ١٨٤٥ تحرك جيش وهابي ضخم إلى البريمي وعلى رأسه سعد بن مطلق. وكان سعيد بن سلطان حينها في شرق إفريقيا، وجرى استقبال حار للقائد الوهابي سعد بن مطلق من قبل الشيوخ المحليين الذين وضعوا أنفسهم تحت تصرفه[٢].

إلا أن وصول القوات الوهابية إلى واحة البريمي أثار الهلع في نفس ثويني بن سعيد، الذي كان يحكم عمان في غياب والده سعيد بن سلطان، فقرر التشاور مع المقيم البريطاني بشأن التواجد الوهابي في البريمي، ومطالبة الوهابيين له بدفع الزكاة التي كانت تدفعها عمان للسعودية. وعندها أشار المقيم البريطاني على ثويني بن سعيد بتلبية طلب الوهابيين، وعدم الاحتكاك مع الأمير فيصل إلا في حال الضرورة القصوى، وعلى أن لا يؤثر ذلك أيضاً على استقلالية عمان وسيادتها.

على الرغم من أن هينل أكد لثويني بن سعيد متانة علاقات الصداقة التي تربط الطرفين، فإنه لم يستطع تبديد الكآبة التي شعر بها هذا الحاكم العماني. وفي هذا الوقت أيضاً وقف جميع شيوخ الساحل العربي، باستثناء خليفة بن شخبوط، ومكتوم بن بطي، الذي كان حينها برفقة سعيد بن سلطان في شرقي إفريقيا إلى جانب سعد بن مطلق، الذي طالب ثويني بن سعيد بدفع "الزكاة"، التي كانت تدفعها عمان إلى الوهابيين[٣].

1- Thomas, op. cit., p. 293.
2- Lorimer, op. cit., Vol. 1/a, p. 1074.
3- Kumar, op. cit., p. 401.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

في هذا الوقت أيقن الإنكليز أن الوضع في المنطقة بات خطيراً للغاية، مما يهدد نظام الهدنة مع العرب بكامله. وبالطبع كانت الخطورة الأكبر على عمان، ومما زاد من خطورة الوضع أيضاً أن الحروب الداخلية بين القواسم وبني ياس قد تحولت إلى البحر أيضاً. وعندها عانت السلطات الأنجلو هندية، ومن ثمَّ المقيم البريطاني في هذه المنطقة من بعض الصعوبات؛ إذ كان لا بد من تنفيذ قرار المجلس الرقابي في الهند الصادر عام ١٨٣٤، الذي يمنع تقديم الدعم أو الأموال إلى عمان.

وهذا ما جعل حكومة بومباي تؤجل مؤقتاً تدخلها في الأوضاع المتشكلة في الإمارات العربية وعمان، لمعرفة ما إذا كانت أعمال سعد بن مطلق ستقتصر على تنفيذ مخطط فيصل بن تركي الذي يتطلع إلى استعادة ممتلكاته السابقة، أم أن هذا القائد الوهابي يتطلع إلى التوسع الوهابي بالاستيلاء على أراض جديدة في عمان، وبسط السيطرة الوهابية على إمارات أخرى. وكانت السلطات الأنجلو هندية ترى أنه يحق لها أن تتدخل في سير الأحداث بالشكل الذي تراه مناسباً إذا ما كانت أعمال سعد بن مطلق تهدف إلى التوسع الوهابي[1].

لم يكن الحاكم العام للهند يرغب في توريط الحكومة البريطانية جزافاً في انتهاج سياسة في منطقة الخليج العربي يمكن أن تؤدي لاحقاً إلى إضعاف القوة البريطانية. وحكماً بالظاهر، كان يُخشى من أن يبدأ فيصل بن تركي، أو سعد بن مطلق بتهديد الإنكليز في الوقت الذي ظهروا فيه عاجزين عن مواجهة الوهابيين، والتصدي لهم بقوة. إلا أنه سرعان ما خف التوتر في المنطقة، وجرى التوصل إلى اتفاق بين نائب سلطان مسقط والقائد الوهابي حول الوضع الراهن[2]. وقد أيد هينل هذا الاتفاق، وفي عام ١٨٤٥ صادق عليه "المجلس الرقابي".

1- Thomas, op. cit., p. 294.

٢- وافق القائد الوهابي على الحصول على إتاوة شهرية من مسقط قيمتها ٧ آلاف ريال.

www.almajidcenter.org

ما كاد التوتر في العلاقات بين قبائل المنطقة يهدأ حتى ثارت فتنة ووقع انقلاب في أبو ظبي في شهر يوليو عام ١٨٤٥ قاده عيسى بن خالد، وذياب بن عيسى، وأدى هذا الانقلاب إلى مقتل الأخوين حاكم أبو ظبي خليفة وسلطان بن شخبوط، وتسلم حكم الإمارة قائد الانقلاب عيسى بن خالد. إلا أن هذا الأخير لم يجلس على كرسي الحكم أكثر من شهرين، وعادت الفوضى تدب في الإمارة إلى أن جرى اختيار ومبايعة سعيد بن طحنون بن شخبوط حاكماً على أبو ظبي[١].

أثارت هذه الأحداث قلق المقيم هينل، الذي عمل على منع حدوث أي صدام قبلي في ظل التوسع المحتمل للوهابيين. ولهذا اعترف بسعيد بن طحنون شيخاً على أبو ظبي، ووعده بتقديم المساعدة والدعم. وفي الوقت نفسه حذر المقيم البريطاني والي صحار، حمود بن عزان من مغبة القيام بأي هجوم على أراضي عمان مهما حدث في المنطقة.

وفي هذا الوقت اتبع القائد الوهابي سعد بن مطلق في البريمي، والمناطق المجاورة لها سياسة قاسية تجاه القبائل المحلية، الأمر الذي أدى مع مرور الوقت إلى عزله، وتحول عنه جميع الشيوخ تقريباً باستثناء حاكم أم القيوين. حاول الشيخ سلطان بن صقر انتهاز فرصة استياء الشيوخ من سعد بن مطلق، فأرسل رسالة إلى الأمير فيصل بن تركي يتهم فيها هذا القائد الوهابي بالظلم والاستبداد والابتزاز.

في البداية لم يأخذ فيصل بن تركي هذه الاتهامات بالاعتبار، لا سيما أن سعد بن مطلق أرسل مبالغ كبيرة إلى خزينة الدولة[٢]، وهي المبالغ التي جرى جمعها كضريبة من القبائل المحلية[٣]. إلا أن استمرار ورود مثل هذه الشكاوى ضد القائد الوهابي اضطر الأمير

1-Mann, op. cit., pp. 43-44.

٢- يعود الفضل الأكبر في ذلك إلى سلطان بن صقر صاحب التكتيك المرن، الذي قدم سفينة إلى القائد الوهابي لإيصال هذه الأموال إلى الأحساء بشكل سريع.

٣ - سمور، زهدي عبد المجيد، (مرجع سابق)، ص ٢٣٧.

www.almajidcenter.org

فيصل بن تركي عام ١٨٤٧ لاستدعائه إلى الرياض. بعد رحيل سعد بن مطلق تركت القلاع في البريمي تحت إشراف القائد العسكري محمد بن سيف العجاجي، الذي تمكن من فرض نظام سيطرته على جميع مناطق الواحة ولو بصعوبة بالغة.

وفي هذا الوقت أخذت قبيلة بني ياس التي كانت المنافس القوي الوحيد للوهابيين بين القبائل على الساحل العربي للخليج تراقب هذا القائد الوهابي الجديد، وتدرس تحركاته، وأعماله باهتمام شديد. وعندما اتضح للشيخ سعيد بن طحنون ضعف قوة الوهابيين وقلة إمكانياتهم سارع بالتنسيق مع قبائل بني النعيم، والدوأسر، والظواهر، وحاكم صحار للدخول في صراع صريح ضد السعوديين. في حين سلك شيخ الشارقة، وشيخ دبي منحى مختلفاً تماماً؛ فقد وقفا إلى جانب محمد بن سيف العجاجي لنصرته. ولم يكن ذلك حباً بالوهابيين، وإنما خوفاً من قوة سعيد بن طحنون التي تتزايد باطراد. غير أن استيلاء بني ياس على واحة البريمي[1]، ولا سيما قلاعها أجبر كلا الشيخين على التخلي عن موقفهما الداعم لمحمد بن سيف.

انزعج الأمير فيصل بن تركي مثله مثل السلطات الأنجلو هندية على حد سواء من النجاحات التي حققها شيخ بني ياس. ولهذا ما كان من فيصل بن تركي إلا أن سارع لإعداد حملة ضد البريمي، وجعل على رأسها من جديد سعد بن مطلق ، الذي حكم الواحة مدة ٣٠ عاماً، ويعرف كيف يتعامل مع القضايا المحلية بمهارة تفوق مهارة الآخرين.

واستطاع الوهابيون تطويق قوات بني ياس مدة شهرين فقط، وجرت تسوية قضية البريمي بطريقة سلمية بمساعدة شريف مكة، محمد بن عون، المبعوث الخاص للأمير فيصل ابن تركي. وقد راعت اتفاقية التسوية التي تم التوصل إليها انسحاب بني ياس من جميع قلاع البريمي وتسليمها إلى سعد بن مطلق مقابل السماح لسعيد بن طحنون وقواته بالخروج

١- كانت قوات أبو ظبي في هذه المرة في واحة البريمي ، وبقيت فيها ثمانية أشهر.

www.almajidcenter.org

منها سالمين غير مضامين. والواقع أن شيخ أبو ظبي كان مصيباً في تقديره للموقف المتشكل ، إذ أدرك أن الوقت لا يسير لصالحه، ومن غير المأمول به وصول أية تعزيزات من أي مكان لنصرته على الوهابيين..

بعد تسوية النزاع على البريمي توجه محمد بن عون إلى بوشهر لنقل وجهة نظر الأمير فيصل بن تركي بشأن بسط الرقابة الوهابية على الأراضي والقلاع المجاورة لعمان. إلا أن المقيم البريطاني أوضح لمبعوث الأمير فيصل أنه لا يستطيع مساعدة الوهابيين في ذلك، وبرر ذلك بأن سياسة بريطانيا ترتكز على عدم التدخل في الشؤون الداخلية للقبائل المحلية في البر[1]. وقد جاء هذا الرد ليضعف من موقف السعوديين في البريمي، وعلى الساحل، ولا سيما إن الأمير فيصل لم يشأ الدخول في خلاف مع الإنكليز[2].

عدا عن ذلك قام سعد بن مطلق بزيارة إلى مناطق عمان الشمالية، حيث أيقن تماما إن القبائل هناك تضمر العداء الصريح للوهابيين. وهذا ما حمل القائد الوهابي على الاعتقاد بأن القرار الأمثل والوحيد الواجب اتخاذه في مثل هذه الحالة هو سحب القوة الأساسية من واحة البريمي، وإبقاء حامية صغيرة للدفاع عنها.

وفي هذا الوقت تعرضت البريمي مجدداً إلى حصار فرضه عليها سعيد بن طحنون بالاشتراك مع ثويني بن سعيد الذي أقسم على الانتقام من الوهابيين لتدخلهم في شؤون عمان.

1- Thomas, op. cit., p. 239.

٢- أشار فيصل بن تركي أكثر من مرة إلى أنه يتطلع للإبقاء على علاقات الصداقة التي كانت تربط والده تركي بن عبد الله بالحكومة البريطانية ، معترفاً في الوقت نفسه بقوة هذه الأخيرة.

www.almajidcenter.org

وفي الوقت نفسه قام ثويني بن سعيد بالاستيلاء على صحار، وألقى القبض على حاكمها حمود بن عزان[١]، الأمر الذي حمل ابن أخي الأخير على اللجوء إلى الشيخين سلطان بن صقر، ومكتوم بن بطي يستنصرهما. وعندها وجه الأخيران قوة موحدة إلى صحار، أجبرت ثويني بن سعيد على الانسحاب من المدينة.

استغل الزعيم القاسمي الوقت والمشاكل التي تعاني منها عمان، وتحالف مع الثائر قيس بن عزان، وهاجم شناص واحتلها. ومن جهتها أدانت حكومة بومباي بشدة تصرف ثويني بن سعيد، الذي خالف توصياتها وهاجم صحار، وطلبت من المقيم البريطاني هينل إبلاغ سعيد بن سلطان، المتواجد في زنجبار بالعودة إلى مسقط، وإدانة التصرف الذي قام به ابنه ثويني.

ولكن ما إن وصلت هذه التعليمات إلى هينل حتى جرت مصالحة بين نائب حاكم مسقط، والحاكم الجديد لصحار، قيس بن عزان. وقد عد الأخير ذلك نجاحاً كبيراً له؛ ولا سيما إن حليفه الشيخ سلطان بن صقر قرر مغادرة شناص بسبب اقتراب موسم صيد اللؤلؤ، كذلك لتقديم المساعدة لبني ياس لطرد الوهابيين من البريمي، إذ جرى تحالف بين الشيخ سلطان بن صقر زعيم القواسم والشيخ سعيد بن طحنون، زعيم بني ياس.

وتفسير هذا التحالف الذي حدث بين الشيخين، والذي يبدو غريباً للوهلة الأولى، أن الشيخ سلطان بن صقر كان يقف إلى جانب القوة المهيمنة في المنطقة طيلة فترة حكمه، وكان يميل دائماً إلى المكان الأقوى، والذي يشكل توازن قوى . ويظهر من تطور الأحداث في تلك الفترة أن شيخ القواسم استطاع تعزيز مواقفه في المنطقة بفضل التحالف المفاجئ مع أبو ظبي. وقد تمكنت القوات المتوحدة للشيخين من الوقوف في وجه الوهابيين وطردهم من البريمي، وتسليم السلطة في هذه الواحة إلى قبيلة بني نعيم.

١- سمور، زهدي عبد المجيد، (مرجع سابق)، ص ٢٣٨.

www.almajidcenter.org

أثارت الهزيمة التي لحقت بالوهابيين في البريمي غضب الأمير فيصل بن تركي، الذي قرر الانتقام من القواسم وبني ياس. إلا أنه لم يستطع تجهيز جيشه لإرساله إلى السواحل إلا في عام ١٨٥٠. ففي هذا العام استطاع جمع القوات وتوجيههم إلى عمان وإلى الساحل. وعندما اقترب الوهابيون من قطر، أخذوا يثيرون بوجودهم الرعب بين القبائل المحلية. وعندها آثر الشيخ سلطان بن صقر سبق الأحداث الساخنة والتقرب من الوهابيين، فأرسل مبعوثاً إلى الأمير فيصل بن تركي مفوضاً منه بالإعراب عن "سعادة القواسم بوجود القوات الوهابية في المنطقة".

إلا أن الاستقبال الفاتر الذي لقيه المبعوث القاسمي جعل القواسم وبني ياس يتحالفون مجدداً للوقوف في وجه ادعاءات الأمير فيصل، وعملا أيضاً على أن يستميلوا لجانبهم شيخ البحرين، الذي كان في هذا الوقت يخوض قتالاً ضد القوات السعودية[1].

كان تحالف القبائل ضد الوهابيين ناجحاً؛ إذ كان الجميع يعلم من أجل ماذا يقاتل، وبذلك تمكنوا من إلحاق عدد من الهزائم المخزية بالقوات السعودية، التي أُجبرت أخيراً على العودة إلى الرياض.

بعد ذلك عم المنطقة بعض الهدوء والطمأنينة، شعر به هينل ومساعده كمبال (Kemball)، الذي تناقش مع الشيوخ واستفسر منهم عن رأيهم في تمديد العمل باتفاقية الهدنة بعد انتهائها في ٢١ مايو ١٨٥٣ لمدة محدودة يجري الاتفاق عليها، أو جعلها دائمة. كانت وجهات نظر الشيوخ في هذا الأمر متباينة. ففي حين أبدى حكام دبي، وعجمان، وأم القيوين موافقتهم التامة على ذلك، آثر شيخ القواسم، وشيخ بني ياس إرجاء البت في هذا الموضوع إلى حين زيارة المقيم البريطاني الدورية إلى المنطقة، والتي عادة ما تكون في فصل الربيع من كل عام.

1- Thomas, op. cit., p. 240.

www.almajidcenter.org

يبدو أن هذه الردود جاءت متباينة نتيجة للحالة التي تشكلت على الساحل المهادن في عام ١٨٥٢. فقد تأزم الوضع مجدداً، وكان ينذر باندلاع القتال في البحر بسبب وفاة مكتوم بن بطي حاكم دبي في شهر أغسطس من هذا العام، الأمر الذي أدى إلى حدوث نزاع شديد على الحكم بين أقرب المقربين للشيخ الفقيد، وهم : سعيد بن بطي، أخو الشيخ الفقيد، وأبناء الأخير. وعندها لجأ أبناء سعيد بن بطي إلى سلطان بن صقر طلباً للمساعدة. بينما لجأ سعيد بن بطي إلى سعيد بن سلطان طالباً دعمه. إلا أن هذا الأخير لم يكن حينها يعير هذا الأمر كثير أهمية؛ لانشغاله الشديد بمشاكله في عمان، بل وفي شبه الجزيرة العربية بأكملها.

كان لهذا الموقف الذي اتخذه سعيد بن سلطان أثره على الوضع العام في المنطقة، فقد أدى غياب الجيش العماني إلى تشجيع القبائل العربية على إشعال النزاع فيما بينها، الأمر الذي سرعان ما استغله الأمير السعودي فيصل بن تركي من أجل التوسع الوهابي. ففي يناير عام ١٨٥٣ جعل ابنه عبد الله على رأس حملة قوية من الفرسان الخيالة والفرسان الهجانة ضد عمان، وحاكم الأحساء أحمد السديري معاوناً له. وسرعان ما تمكنت قوات الحملة من الاستيلاء على البريمي وتحويلها إلى قاعدة أساسية للسعوديين. ومنها قرر عبد الله بن فيصل ومساعده أحمد السديري بسط السيطرة الوهابية على كامل عمان والساحل المهادن.

وعندما استقر الأمير عبد الله بن فيصل في معسكره أرسل إلى ثويني بن سعيد، نائب سلطان عمان يطلب منه القدوم إلى البريمي، ممثلاً لوالده السلطان سعيد لإجراء المفاوضات حول أموال الزكاة الواجب دفعها إلى الرياض؛ وكذلك لدفع تكاليف هذه الحملة. وكان من مطالب الأمير عبد الله بن فيصل تسليم السلطة في صحار إلى قيس بن عزان. والواقع أن عبد الله بن فيصل كان يبيت النية لاحتلال أراض في عمان؛ ذلك أنه أخذ بإملاء شروط قاسية على ثويني بن سعيد في محاولة منه لتعجيزه عن الوفاء بالتزاماته مما يشكل مبرراً للأمير عبد الله لتحقيق أهدافه. وبغية منع شيوخ الساحل المتصالح من تقديم

www.almajidcenter.org

المساعدة إلى ثويني بن سعيد بعث الأمير عبد الله بن فيصل لهم برسائل يدعوهم فيها للحضور إلى البريمي لمقابلته.

وصل المقيم البريطاني الجديد كمبال في هذه الأثناء إلى الشارقة على متن السفينة الحربية " كلايف "(Clive) لمناقشة موضوع التوقيع على هدنة بحرية دائمة. وعندما علم أن جميع الشيوخ مجتمعون في البريمي لدى الأمير عبد الله بن فيصل، أرسل لهم خطابات يدعوهم فيها للحضور إلى باسيدو فوراً للتوقيع على معاهدة الهدنة البحرية الدائمة.

كان رد سلطان بن صقر، وحميد بن راشد على المقيم البريطاني أنهما لا يستطيعان الخروج في الوقت الحاضر من البريمي وتلبية دعوته. وفي الوقت نفسه بعث الأمير عبد الله بن فيصل رسالة إلى المقيم البريطاني باسم جميع الشيوخ قال فيها:

"... لقد طلبتُ من شيوخ عمان المتصالح البقاء عندي. وهم مرتبطون معنا، ومن أتباعنا والموالين لنا، ولا يمكنهم اللقاء بكم في الوقت الراهن"[1].

لم يكن المقيم البريطاني كمبال يتوقع مثل هذا الرد المفاجئ، ووجد في نفسه أنه قد آن الأوان للتدخل في سير الأحداث، وقد تعززت رؤيته هذه عندما علم بأن سلطان بن صقر المخلص لسياسته قرر الانضمام إلى الوهابيين مستهدفاً منفعة مزدوجة: الأولى العمل على إعادة حليفه قيس بن عزان إلى السلطة في صحار، والثانية إحكام سيطرته على عجمان وأم القيوين.

بعث المقيم البريطاني برسالة إلى الأمير عبد الله بن فيصل أبدى فيها أسفه لمنع شيوخ الساحل المهادن من الالتقاء بالإنكليز، وبعث برسالة مشابهة أيضاً إلى سلطان بن

١- سمور، زهدي عبد المجيد، (مرجع سابق)، ص ٢٤٠، ٢٤١.

www.almajidcenter.org

صقر، وبغية منع الوهابيين والقواسم من الاستيلاء على مناطق عمان الداخلية، وكذلك بغية تعزيز موقف ثويني بن سعيد الرافض لمطالب الأمير الوهابي عبد الله بن فيصل أمر المقيم البريطاني قادة السفينتين الحربيتين كلايف وتايجر بالطواف باستمرار على امتداد الساحل العماني تأميناً لموقف ثويني بن سعيد من المطالب الوهابية.

لم يرغب عبد الله بن فيصل أن يصل الأمر إلى صدام مباشر مع الإنكليز، فأرسل سعيد بن طحنون إلى مسقط؛ حيث تمكن من التوصل إلى عقد اتفاقية هدنة بين الوهابيين وثويني بن سعيد. بعد ذلك توجه مبعوث شخصي لشيخ أبو ظبي لمقابلة المقيم البريطاني كمبال في باسيدو، وهناك أوضح له المبعوث أن استقلال عمان هو الأساس الذي استندت إليه اتفاقية الهدنة، التي وقعها الوهابيون مع ثويني، وأن هذه الاتفاقية نصت على الاعتراف بالسلطة المطلقة للوهابيين على أراضي عمان الداخلية الممتدة من وادي الجزي بمحاذاة حدود جبال الحجار حتى الساحل الداخلي للباطنة، ورأس الحد، مقابل الاعتراف لثويني بن سعيد بالسلطة على عمان ومسقط ومناطق الشرقية وجعلان[1].

الواقع أن التوقيع على هذه الاتفاقية حقق للمقيم البريطاني كمبال ما كان يصبو إليه، ولو ضمنياً؛ إذ لو أن الوهابيين استولوا على المناطق الداخلية لعمان وسواحلها، لكان من المحتمل جداً أن تندلع الصدامات مجدداً بين القبائل، و لتحولت السلطة إلى حكم فوضوي؛ الأمر الذي كان لا بد وأن يؤثر سلباً على الوضع العام في المنطقة، وعلى العلاقات بين الشيوخ العرب والإنكليز.

ويمكن التأكيد هنا أن الحوادث التي انتهت مؤخراً كانت بمثابة نهاية للوضع المتأزم بين ابن الأمير الوهابي، عبد الله بن فيصل، والمقيم البريطاني كمبال، أو على الأصح

١- كما تعهد حاكما مسقط وصحار بدفع مبلغ ١٢ ألف ريال إلى الرياض سنوياً.

Thomas, op. cit., p. 243.

www.almajidcenter.org

بين بريطانيا ودولة السعوديين في الخلاف على مراقبة إمارات الخليج العربي والسيطرة عليها.

الأحداث اللاحقة تدل على أن شيوخ الساحل عادوا ووضعوا أنفسهم تحت رعاية السلطات البريطانية على الرغم من ميولهم في بعض الأحيان إلى الوهابيين.

معاهدة السلام الدائم في البحر:

اتضح الموقف تماماً عام ١٨٥٣ عندما حضر المقيم البريطاني كمبال إلى الساحل ووجد رغبة شديدة لدى جميع الشيوخ في تحقيق سلام دائم في البحر. ولهذا أجرى التوقيع على معاهدة سلام دائم في البحر في الفترة من ٤ إلى ٩ مايو ١٨٥٣. وقد وقع على هذه المعاهدة: شيخ دبي، سعيد بن بطي، وشيخ عجمان، حميد بن راشد، وشيخ أم القيوين، عبد الله بن راشد[١].

لم يكن نص المعاهدة طويلاً؛ فقد اشتمل على مقدمة قصيرة، وثلاث مواد، وخاتمة. أشارت المادة الأولى إلى وقف الحروب والمعارك البحرية بين الشيوخ الموقعين على المعاهدة ومن يخلفهم، اعتباراً من ٢٥ رجب ١٢٦٩ للهجرة، الموافق ٤ مايو ١٨٥٣ للميلاد. أما المادة الثانية ففيها تعهد الشيوخ بمعاقبة رعاياهم، إذا ما قاموا باعتداء على حياة أو أملاك رعايا الشيوخ الآخرين الموقعين على المعاهدة. أما المادة الثالثة فقد نصت على أنه عند تعرض أي طرف من الأطراف الموقعة على المعاهدة إلى هجوم من طرف آخر موقع على المعاهدة، فعلى الطرف المعتدى عليه ضبط النفس، وتقديم شكوى إلى المقيم البريطاني، أو قائد البحرية البريطانية في باسيدو، الذي عليه القيام بتحصيل التعويض المناسب للطرف المتضرر بعد التأكد من وقوع الاعتداء.

١- إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني: بريطانيا وإمارات الساحل العماني، (مرجع سابق)، ص ٢٧٣.

www.almajidcenter.org

وأشير في خاتمة المعاهدة إلى أنه جرى وضع مهمة مراقبة الأوضاع في البحر والتقيد بتنفيذ بنود المعاهدة على عاتق الحكومة البريطانية، أي بعبارة أخرى أكدت معاهدة عام ١٨٥٣ على خضوع الشيوخ العرب بشكل فعلي للمقيم البريطاني، الذي عزا إلى نفسه الحق في معاقبة أو مسامحة كل من له ضلع بخرق السلام وتعكير الهدوء في البحر، وبات من حق السفن البريطانية طبقاً لهذه المعاهدة القيام بحملات تأديبية ضد من يطلق عليهم اسم "القراصنة" المحليين.

جدير بالذكر أن الحاكم العام للهند صادق على هذه المعاهدة في ٢٤ أغسطس ١٨٥٣، وبذلك باتت هذه المعاهدة أول وثيقة من هذا النوع تحمل توقيع أعلى منصب في الحكومة الهندية البريطانية إلى جانب تواقيع الشيوخ العرب، خلافاً لجميع المعاهدات السابقة؛ إذ كان التوقيع على مثل هذه المعاهدات يقتصر على المقيم البريطاني فقط، الذي يوقع باسم حكومته. وهذا في الواقع يعطي هذه المعاهدة دلالات ومؤشرات مهمة يتضح منها مدى إصرار بريطانيا على فرض هيمنتها على المنطقة، وتثبيت أقدامها فيها، وربط الشيوخ بمعاهدة تكون أشبه "بمنظم" للعلاقات التي أراد الإنكليز رؤيتها على الساحل العربي.

يرى الكثير من المؤرخين أن معاهدة عام ١٨٥٣ هي الصفحة الأولى في عهد السيطرة البريطانية الكاملة على القواسم، وبقية المشيخات الساحلية. وتقديراً لهذه الوثيقة صادقت الحكومة البريطانية على تغيير اسم هذه المنطقة، التي كان الإنكليز وغيرهم من الأوروبيين يطلقون عليها اسم ساحل القراصنة، إلى عمان المتصالحة. ثم أطلقت تسميات أخرى كاسم الساحل المهادن، والساحل المتصالح.

مما لا شك فيه أن التوقيع على معاهدة السلام الدائم في البحر يعد نصراً حقيقياً للموظفين الإنكليز الذين وضعوا في هذه المعاهدة المبادئ الأساسية لتطوير السياسة

www.almajidcenter.org

البريطانية في منطقة الخليج العربي باطراد. وقد كانت لهذه المعاهدة نتائج مباشرة ومحددة في تحقيق عدد من مهام وأهداف سياسة الاستعمار البريطاني، وكان من أهم هذه النتائج: زيادة تأثير السياسة البريطانية على الشؤون الداخلية والعلاقات المتبادلة للإمارات؛ وإضعاف الإمارات؛ وتفكيك الأسر الحاكمة؛ وتجريد الخليج العربي من عروبته وجعله فارسياً؛ وضياع العديد من الجزر العربية من أيدي العرب.

زيادة تأثير السياسة البريطانية على الشؤون الداخلية والعلاقات المتبادلة للإمارات:

عادت معاهدة السلام الدائم على الحكومة البريطانية بالهدوء والطمأنينة في البحر، ولكنها في الوقت نفسه ولدت العنف والنزاعات في البر؛ نتيجة لبقاء السلطة في الإمارات بأيدي شيوخ كانوا كأداة في أيدي الإنكليز. وبات الوضع في المنطقة أشبه بالوضع الذي سعى البرتغاليون لتشكيله في السابق في هذه المنطقة. فهم لم يتدخلوا بشكل مباشر في شؤون سكان الساحل العربي الذين قبعوا تحت الاستعمار، لكنهم شيدوا القلاع القوية، ونصبوا الأبراج. وقد استوعب الإنكليز هذا الدرس، وأعرضوا عن التدخل المباشر في شؤون العرب، ولا سيما في البر.

لقد جاءت معاهدة عام ١٨٥٣ لتلغي مفهوم الحرب "المعترف بها" التي أوضحتها معاهدة عام ١٨٢٠ العامة. ووثيقة هذه المعاهدة الأخيرة مكنت الإنكليز من منع الحروب البحرية بشكل نهائي. ومنذ التوقيع عليها أصبحت المهمة الأساسية للمقيم البريطاني مراقبة تنفيذ بنود المعاهدة بشكل دقيق وصارم. ولتمكينه من ذلك وُضع الأسطول البريطاني الموجود في الخليج العربي تحت تصرفه. ومع مرور الوقت أحال المقيم البريطاني مهمة مراقبة البحر إلى قباطنة السفن البريطانية، الذين أسندت إليهم التعليمات باستخدام القوة دون أي تردد، إذا ما تبين أنه ليس ثمة وسيلة أخرى لمعالجة أي موقف طارئ.

www.almajidcenter.org

وهكذا أصبحت مراقبة وسيطرة الإنكليز على مياه الخليج وموانئه شاملة، الأمر الذي جعل الشيوخ العرب يدركون استحالة استمرار الصراع في البحر، وهذا ما جعلهم ينقلون جميع معاركهم إلى البر. نظر المقيم البريطاني إلى النزاعات البحرية منذ بداية عام ١٨٥٤ على أنها نزاعات بسيطة لا تستحق تدخلاً مباشراً منه، وغالباً ما كان المقيم يسند مهمة التحقيق في الكثير من القضايا وحلها إلى الوكيل البريطاني في الشارقة.

جرت في هذه الفترة أحداث في البحر تستحق الذكر منها أن الشيخ سلطان بن صقر قام عام ١٨٥٥ بمحاولة الهجوم على أتباعه ورعاياه من سكان منطقة الحمرية الواقعة على الساحل بين عجمان وأم القيوين عندما أراد شيخها منازعته على حكمها.

اتفقت قبيلة الشويهيين مع شيخ الحمرية على التخلي عن التبعية للقواسم، ومهاجمة عجمان لإسقاط حاكمها الشيخ حميد بن راشد النعيمي، وعندها ما كان من الزعيم القاسمي سلطان بن صقر إلا أن جهز جيشاً ووضعه تحت قيادة ولده عبد الله، حاكم الشارقة، لمهاجمة البلدة. ومع أن الهجوم كان شديداً، إلا أن المدافعين عن الحمرية تمكنوا من صده وقتل قائده الشيخ عبد الله بن سلطان على مشارف الحمرية مع أكثر من ستين من مقاتليه.

وفي يوم ٢١ مايو عام ١٨٥٥ وصل المقيم البريطاني كمبال إلى المنطقة على ظهر السفينة " كلايف"، فوجد القتال محتدماً بين الطرفين، فتدخل لحله، وأجبر شيخ الحمرية على الاعتراف بالحكم للشيخ سلطان بن صقر، الذي كان قد طعن في السن، وأنهكته الحروب والأحداث. وفي الشارقة اختار الزعيم القاسمي حاكماً جديداً للشارقة يحكم بإمرته، وهو حفيده محمد بن صقر، وبقي ولده إبراهيم يحكم رأس الخيمة وما جاورها بدلاً من أبيه.

www.almajidcenter.org

وهناك حادثة أكثر أهمية وقعت في عام ١٨٥٦، وهي أن سعيد بن طحنون الذي عُزل عن الحكم في أبو ظبي في السنة السابقة، وحل محله ابن عمه زايد بن خليفة بن شخبوط حاول استعادة الحكم مرة أخرى. ففي ١٩ يوليو ١٨٥٦ أرست سفن سعيد بن طحنون على سواحل أبو ظبي؛ حيث نزل مقاتلوه، واستولوا على عدد من المباني القريبة من الساحل، إلا أن سعيد بن طحنون فشل في تحقيق نصر نهائي على زايد بن خليفة، الذي وصلته قوات من عمق إمارته لمساعدته، وعندها تشتتت القوات المهاجمة، وانسحبت بشكل عشوائي من المناطق التي احتلتها.

قام المقيم البريطاني فيليكس جونز (Fwlix Jones)، الذي خلف كمبال في منصبه، بالتحقيق في هذه القضية، ثم رفع تقريراً إلى حكومة بومباي أعلمها فيه بأن التحقيقات أثبتت أن الزعيم القاسمي سلطان بن صقر كان من المشاركين والداعمين للهجوم على أبو ظبي، وأنه جرت سرقة أموال كثيرة من عدد من المنازل. وعليه فقد أصدرت حكومة بومباي قراراً في ٥ سبتمبر ١٨٥٦ رقم ٩٥٤١ اعتبرت فيه شيخ القواسم مذنباً، ويستحق العقاب بسبب مشاركة ودعم رعاياه للهجوم. وبأمر من حكومة بومباي تمت مصادرة السفن القاسمية التي شاركت في الهجوم، وفُرضت على الشيخ سلطان بن صقر غرامة مالية، وتعويض عن الأضرار التي لحقت بالسكان الذين تعرضوا للهجوم[1].

بلغت الغرامة التي فرضها المقيم البريطاني على شيخ القواسم ٢٥ ألف ريال، بالإضافة إلى التعويض عن الأضرار. إلا أن الشيخ سلطان بن صقر لم يكن يملك من المال سوى ٧ آلاف ريال، فتجرى الاتفاق على أن يدفع ما لديه الآن، والبقيّة يدفعها عام ١٨٥٩، وعندما حل موعد الدفع وصل إلى الشيخ ممثل إنكليزي لتحصيل المبلغ. في البداية حاول

1- Saldanha, op. cit., pp. 8, 15, 11, 17.

www.almajidcenter.org

الشيخ سلطان بن صقر التهرب من دفع المبلغ المتبقي عليه، إلا أنه أرغم على دفع ما لديه من أموال، ومع ذلك بقي عليه دفع ٣٠٣ ريالات[١].

تدل هذه الواقعة على أن الإنكليز كانوا قساة وحازمين في فرض الغرامات المالية على الشيوخ وتحصيلها منهم، ولم يكن هذا الأمر بغريب؛ إذ أن قسماً من هذه الغرامات كان يذهب إلى المقيم البريطاني.

ضعف الإمارات وتفكك الأسر الحاكمة:

إذا كانت معاهدة السلام العامة قد أضعفت سلطة وقوة شيخ القواسم، فإن معاهدة عام ١٨٥٣ قد حرمته منها تماماً، وأتمت تفكك حلف القواسم القبلي. فقد منعت هذه المعاهدة القواسم من ممارسة أي عمل كانوا يقومون به في السابق، لا سيما التجارة مع الهند، وشرق إفريقيا، والمناطق الأخرى التي كانت السفن القاسمية تستطيع الوصول إليها، وأصبح من الصعب على هذه السفن حمل أسلحة لحماية نفسها خارج نطاق منطقة محددة في الخليج العربي. وكان من الصعب على السفن التي لا تحمل أسلحة تحمي بها نفسها آنذاك الدخول في عمليات تجارية.

وهذا الأمر أدى بالطبع إلى تراجع التجارة الخارجية التي كانت تمارسها القبائل المحلية في السابق، ثم توقفت تماماً. ومما لا شك فيه أن توقف التجارة انعكس سلباً على دخل الشيوخ الذي قل بشكل كبير، ثم ما لبث أن انقطع تماماً. حتى إن الشيوخ كانوا

١- لم يكتف السلطات البريطانية بذلك . ففي مايو عام ١٨٦٠ جرى إرسال القبطان جور إلى الشارقة لإحضار المتبقي من المبلغ المفروض على شيخ القواسم، انظر:

Saldanha, op. cit., p. 18.

www.almajidcenter.org

عاجزين أحياناً عن دفع الضرائب التي يفرضها عليهم المقيم البريطاني، وهذا ما جعلهم في تبعية تامة للإنكليز.

لقد أدى الانخفاض الحاد في دخل القواسم إلى تمرد أقرباء الشيخ سلطان بن صقر وأحفاده عليه. ولما لم يكن لدى شيخ القواسم مال لدفع الغرامات والتعويضات، فقد اضطر للتخلي عن رعاية إمارتي عجمان، وأم القيوين. ومثل هذه الغرامات أحدثت اضطرابات وعدم استقرار في المنطقة، وأدت إلى انهيار حلف القواسم القبلي بسرعة؛ إذ تخلى القواسم عن شيخهم، ووضعوا أنفسهم تحت سلطة شيخ آخر للتخلص من دفع الغرامات أو التعويضات التي فرضها عليهم الشيخ سلطان بن صقر بطلب من المقيم البريطاني. وهذا ما فعله على وجه الخصوص قسم من قبيلة آل بومهير، والبو فلاسا الذين رحلوا عن الأراضي التابعة لحكم شيخ القواسم وأقاموا في منطقة أخرى[1].

لقد أحدث النقص في الأموال انقسامات حتى داخل الأسر الحاكمة. وفي هذه الفترة لم يكن الشيوخ يصلون إلى الحكم إلا باستخدام القوة بعد أن يقوموا بانقلابات على أقاربهم، وقلما كان الشيخ يصل إلى سدة الحكم بالطرق القانونية. وقد أدى هذا التفكك والانقسام إلى اندلاع الكثير من الحروب والنزاعات، وكثيراً ما كان الحاكم المعزول يهرب من الاعتقال أو القتل، ويجد ملاذاً لدى جاره الحاكم الذي يدعمه ويشعل له فتيل الحرب ضد مغتصب سلطته.

ونظراً لأن الإنكليز كانوا يراقبون البحر ويسيطرون عليه، فقد كان الشيوخ يدركون جيداً أنه من غير الممكن الدخول في حروب ونزاعات بحرية. ولهذا كثيراً ما كانوا يعملون على حل خلافاتهم بالحروب البرية. والواقع أن مثل هذه الحروب والصدامات لم

١- إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني : بريطانيا وإمارات الساحل العماني، (مرجع سابق)، ص ٢٧٧-٢٧٨..

www.almajidcenter.org

تنتهي بين القبائل أو بين شيوخ الساحل العربي إلا عندما ظهرت في المنطقة شركات النفط الإنكليزية.

في بداية الأربعينيات من القرن التاسع عشر انهارت الأحلاف القبلية التي كانت موجودة على سواحل الخليج العربي: حلف القواسم، وحلف بني ياس، بسبب السياسة الاستفزازية التي انتهجتها الحكومة البريطانية في المنطقة. ففي عام ١٨٤١ حدث شقاق في دبي أدى إلى رحيل نحو خمسة آلاف شخص من قبيلة البومهير عنها، وفي العام نفسه شن خليفة بن شخبوط، شيخ بني ياس هجوماً على دبي بعد أن وقع معاهدة صلح مع قبيلة بني قتب ليضمن لنفسه عدم تدخلها في حربه ضد دبي.

عندما شن خليفة هجومه على دبي استنصر شيخها شيخ الشارقة، فوقف الأخير إلى جانبه للتصدي للهجوم، الأمر الذي دفع بالشيخ خليفة للانتقام من شيخ الشارقة بأن بعث عدداً من قواته أغاروا على منطقة الخان الواقعة على الحدود بين الشارقة ودبي ونهبوها. وعندها وقفت رأس الخيمة إلى جانب الشارقة، واشتعلت نيران المعارك في المنطقة كلها.

وبالطبع لم تكن هذه المعارك تشغل بال الإنكليز؛ إذ أنها لم تكن معارك بحرية، ومن ثمَّ فهي لم تؤثر على تجارة شركة الهند الشرقية البريطانية أو تعيقها.

لم تهدأ الأوضاع في المنطقة إلا عندما تراجع الشيخ خليفة بن شخبوط عن ادعاءاته بالسيطرة على الساحل العربي، وركز جهوده كلها للاستيلاء على البريمي.

في بداية عام ١٨٥٨ وقعت حرب قبلية أكثر ضراوة، فقد قام أفراد من البوهيل بهجوم على المزاريع، قتلوا فيه أحد زعمائهم ويدعى فارس بن علي مع ثلاثة آخرين، وسرقوا ٣٠ جملاً وفرساً، ونهبوا العديد من الممتلكات. وعندها بعث شيخ دبي سعيد بن بطي برسالة

www.almajidcenter.org

إلى حاكم الشارقة الجديد، الشيخ محمد بن صقر اتهم فيها رعيته بالسلب والنهب، ثم اشترك مع شيخ أبو ظبي بالهجوم على الشارقة، التي كانت تدعمها رأس الخيمة، الأمر الذي زاد من ضراوة المعارك بين التشكيلين. وأثناء النزاع اضطر الوكيل البريطاني للتدخل، مما ساعد على تهدئة الأوضاع واستتباب الأمن في المنطقة لبعض الوقت.

وفي الشارقة حدث صراع على الحكم في الخمسينيات والستينيات من القرن التاسع عشر، الأمر الذي أدى إلى تقويض قوة القواسم بشكل كبير، ومن ثم انهيار اتحادهم الذي كان في وقت من الأوقات من أقوى الاتحادات. فعندما عين الزعيم القاسمي سلطان بن صقر حفيده محمد بن صقر حاكماً على الشارقة، يحكمها تحت إمرته أثار بذلك حفيظة ابنه خالد، الذي حاول الإطاحة بابن أخيه الشيخ محمد بن صقر وتسلم الحكم. إلا أنه أخفق في ذلك فاضطر إلى اللجوء إلى إمارة أم القيوين كالمنفي[1]. ولكنه لم يتوقف عن محاولته، وتمكن من استمالة قسم من سكان الشارقة إلى جانبه إما من خلال الوعود، أو بالتهديد، وأصبح زعيماً عليهم.

وبذلك انقسمت الإمارة إلى قسمين: الأول بقيادة خالد بن سلطان، والثاني تحت سيطرة شيخها محمد بن صقر. وفي النهاية تمكن الأول من قتل الثاني وألقى بجثته في بئر على أطراف المدينة، وجعل القسم الآخر من الشارقة تحت سلطته. وفي عام ١٨٦٦ توفي الزعيم القاسمي سلطان بن صقر عن عمر يناهز المائة وخمسة عشر عاماً. وعند وفاته استولى ابنه خالد على الحكم في رأس الخيمة عندما هاجم حاكمها الشيخ إبراهيم بن سلطان، الذي كان أول من رفض الإقرار بالزعامة لأخيه، وأعلن انفصاله عن الشارقة، كما أعلن بأن رأس الخيمة إمارة مستقلة بذاتها.

١- إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني : بريطانيا وإمارات الساحل العماني، (مرجع سابق)، ص ٢٧٩.

www.almajidcenter.org

فعندها جهز الشيخ خالد قوة كبيرة وتوجه بها إلى رأس الخيمة واستولى عليها، وتمكن بذلك من فرض سيطرته على إمارتي رأس الخيمة والشارقة، وأعاد توحيدهما تحت قيادته. وبذلك أصبح خالد بن سلطان الزعيم القاسمي الأول خلفاً لوالده. إلا أن ذلك لم يدم طويلاً، فقد قام حاكم أبو ظبي بمهاجمة الشارقة في عام ١٨٦٨، وجرى قتال فردي بين الشيخين زايد بن خليفة، شيخ بني ياس، وخالد بن سلطان، شيخ القواسم أسفر عن إصابة خالد بن سلطان بجرح بليغ أدى إلى وفاته فيما بعد. وتسلم الحكم في رأس الخيمة الشيخ سالم بن سلطان. وفي عام ١٨٦٩ انتقل الحكم إلى حميد بن عبد الله بن سلطان القاسمي الذي أعلن استقلاله التام عن الشارقة.

العمل على جعل الخليج العربي فارسياً:

بعد إبرام معاهدة عام ١٨٥٣ تفككت القوة البحرية للقواسم وبقية القبائل العربية الساحلية، مما أدى إلى إضعافها بشكل كبير، وباتت عاجزة عن مواجهة مطامع إيران في الخليج العربي، ولا سيما نتيجة للمراقبة المفروضة عليها باستمرار من قبل الإدارة البريطانية. وكان لوجود خطوط الفصل (الخطوط المانعة) التي أقامتها بريطانيا السبب في جعل الجزر العربية كجزيرة أبو موسى، وطنب خارج منطقة ملاحة السفن العربية.

وهذا الأمر أدى مع مرور الوقت إلى إضعاف علاقات سكان هذه الجزر مع عرب السواحل. وهذا بدوره أدى إلى استعمارها من قبل فارس. ونظراً لأن الأسطول العربي بات ضعيفاً، فقد عجز القواسم وغيرهم من القبائل العربية عن التصدي للمطامع الاستعمارية لجارتهم القوية فارس، التي تمكنت من الاستيلاء على عدد من الجزر العربية، وزادت من قوتها البحرية.

www.almajidcenter.org

بعد مرور ٣٠ عاماً على التوقيع على المعاهدة العامة جرى أخيراً -حسب رأي الإنكليز- إيجاد حل لمشاكل قبائل الساحل العربي، وطرق فعالة لمنع "أعمال القرصنة". أي بمعنى آخر تمكنت بريطانيا أخيراً من وضع حد للمنافسة البحرية، بما في ذلك المنافسة التجارية التي يقوم بها العرب. إلا أن ذلك لا يعني إطلاقاً أن نظام الهدنة الدائمة كان خالياً من العيوب؛ إذ أن هذه المعاهدة وضعت – دون شك – قيوداً على العلاقات بين الشيوخ الموقعين وغير الموقعين عليها.

وهذا ما يتضح جلياً في رد المقيم البريطاني هينل على سلطان بن صقر عندما طرح عليه هذا السؤال: ما الذي يجب عليه القيام به إذا ما تعرضت ممتلكاته على ساحل عمان إلى هجوم من قبل سلطان مسقط؟ وعندها أجابه هينل بأنه يستطيع الرد على مثل هذا العمل عسكرياً، بشرط استنفاد جميع السبل الأخرى، ومع ضرورة إنذار سلطان[1].

لقد دلت الأحداث اللاحقة على أن الوجود الدائم للعمارة البريطانية في مياه الخليج العربي حال دون تجدد النزاعات البحرية، إلا بما يخدم مصالح بريطانيا في المنطقة، كما إن المعاهدة لم تكن تتضمن بنوداً تنص على حماية الإمارات من الاعتداءات الخارجية، الأمر الذي راعته السلطات البريطانية في نظام الهدنة من حيث المبدأ.

كان الإنكليز يدركون جيداً ما يخدم مصالحهم في المنطقة، ولهذا لم يجد المقيم البريطاني كمبال فيما بعد أية صعوبة في تفسير نص المعاهدة بالشكل الذي يناسبه. فمثلاً عندما لاحظ الشيخ سعيد بن بطي أن التواجد الوهابي على الحدود مع عمان يؤثر على مصالح القبائل العربية على الساحل، ويمكن أن يلحق الضرر بالمصالح البريطانية مستقبلاً، رد المقيم البريطاني على ذلك بأن السياسة العامة لحكومته كانت – ولا تزال – لزوم الحياد وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لهذه المنطقة، وأن اهتمامها الأساسي منصبٌ على الحفاظ

١- سمور، زهدي عبد المجيد، (مرجع سابق)، ص ٢٤٣.

www.almajidcenter.org

على استقلال الإمارات الساحلية والبحرين التي (ترعاها السلطات البريطانية باستمرار)، وتمنع وقوع أي عدوان عليها[١].

في الواقع لم يكن الساسة البريطانيون يضعون أنفسهم أمام مهام معقدة، ولا سيما فيما يخص الوهابيين؛ فقد كانوا يتجنبون الاحتكاك بهم، أو التدخل في شؤونهم الداخلية، خشية وقوع صدام مسلح في البحر وعلى سواحل شبه الجزيرة العربية. كما كانوا يتجنبون الصدام المسلح مع العرب في البر إذا كان ذلك سيكلفهم غالياً، ولا سيما أنهم لم ينسوا الخسائر الجسيمة التي تعرضت لها القوات البريطانية أثناء حملة التأديب التي شنتها على قبيلة بني بو علي. وكل ما قام به الإنكليز من إجراءات حاسمة أنهم أظهروا قوتهم البحرية وضغطوا سياسياً على الوهابيين عندما ظهر تهديدهم للإمارات الساحلية.

على الرغم من التغييرات الجذرية في المواقف والظروف التي شهدها العالم العربي، والعلاقات الدولية النظرية والعملية التي كانت قائمة حتى رحيل البريطانيين عن سواحل الخليج العربي في بداية السبعينات من القرن العشرين، فقد بقي نظام الهدنة الذي وضعته بريطانيا عام ١٨٥٣ ساري المفعول. ويمكن أن ننسب نجاح هذه الهدنة إلى الجهود التي بذلها المقيم البريطاني هينل، السياسي الذكي والماهر الذي كسب ثقة وميول الشيوخ العرب، وتمكن من إقناعهم بضرورة بتمديد الاتفاقيات الأولية عندما كانت مدتها تشارف على الانتهاء، فقد كان يرى أن ذلك يصب في مصلحة بريطانيا دون إنفاق الأموال الباهظة، أو بذل الجهود القتالية المضنية.

ومع ذلك فإنه لم يكن ثمة شك في أن توزيع القوى ونسبتها بين الإمارات الصغيرة والضعيفة، وبريطانيا العظمى، المتطورة مادياً كان له دوره في رسم السير العام للأحداث في المنطقة.

١- سمور، زهدي عبد المجيد، (نفس المرجع)، ص ٢٤٤.

www.almajidcenter.org

استطاعت بريطانيا من خلال معاهدة السلام الدائم في البحر تقسيم الإمارات والمشيخات، وقامت بما يلزم من إجراءات للحيلولة دون توحيدها، ووضعت القوى العاملة في الإمارات العربية تحت أنظارها وسيطرتها، ومنعت السكان من القيام بأي عمل دون موافقتها، على الرغم من أنها لم تكن مرتبطة بأي التزام أو تعهد مع الإمارات. ومع مرور الوقت أصبحت بريطانيا المتحكم بمصير هذه الإمارات، وأخذ موظفوها يتمسكون بأهداب السلطة والحكم متذرعين بحجج مصطنعة كمكافحة القرصنة، ومكافحة تجارة السلاح، ومكافحة الرقيق.

وأقيمت العلاقات في المنطقة أخيراً، وكانت بريطانيا فيها دولة ذات سيادة، بينما كانت الإمارات تابعة لها. وعلى الرغم من الأضرار التي لحقت بالقبائل المحلية وتعرضها للخداع باستمرار من قبل الإنكليز، فإنه يمكن ملاحظة استمرار تعلق الشيوخ بقوة بريطانيا وسياستها. فهم لم يفكروا حتى بإظهار المعارضة، سواء للمقيمين البريطانيين أو لغيرهم من الموظفين في الإدارة البريطانية، أو مخالفة إرادتهم كما فعل، سعيد بن سلطان مثلاً عندما تجرأ على رفض الالتزام بمعاهدة منع تجارة الرقيق في المنطقة، وتذرع بأن ذلك سيكون به بالغ الأثر على دخله.

ويفسَّر موقف الشيوخ هذا بخوفهم على قوتهم البحرية من الانهيار، والتي تعد بالنسبة لهم ولرعاياهم المصدر الرئيس لقوتهم وثروتهم..وقد أدرك الشيوخ أنه في حال تدمير الإنكليز لأسطولهم، فهذا يعني أنهم باتوا عاجزين عن ممارسة أي دور كبير في التجارة، أو منافسة شركة الهند الشرقية على طرق المواصلات التجارية في الخليج العربي والمحيط الهندي. ومما لا شك فيه أن الأسطول العماني الذي كان في ذلك الوقت يعد من أقوى التشكيلات البحرية بدأ يلمس بشكل فعلي نتائج المنافسة الإنكليزية، وهذا ما جعل العرب يفقدون مكانتهم التجارية.

مركز حمد الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

إلا أن الفائدة السياسية الوحيدة التي جنتها القبائل المحلية من نظام الهدنة أنها تحولت وأصبحت كوحدات سياسية حقيقية قادرة على الحفاظ على نفسها ضمن حدودها دون الخوف من امتصاصها أو ضمها بالقوة من قبل الدول المجاورة لها، أو القوى الأكثر منها قوة. كما إنه يجب أن لا يغيب عن البال أنه بات بالإمكان الاستفادة من كامل مواسم صيد اللؤلؤ، التي بدأت تنقضي بأمن وسلام إلى حد ما. فقد كان معظم الشيوخ يتطلعون إلى الوقت الذي يأتي فيه موسم صيد اللؤلؤ، وينقضي دون أن تحدث خلافات، أو تقع صدامات؛ ذلك أن صيد اللؤلؤ أصبح بعد تراجع التجارة المصدر الرئيس لدخل السكان المحليين.

في الواقع لا توجد وثائق رسمية تتحدث عن وقوع أية صدامات عنيفة في البحر بعد التوقيع على معاهدة السلام الدائم في البحر، ويمكن تفسير ذلك بأن قوة الشيوخ في مختلف الإمارات، وفي مقدمتهم القواسم قد انخفضت بشكل كبير، وأصبح سكان المنطقة الذين جرت إزاحتهم تدريجياً عن الطرق التجارية، بل عن الموانئ والمرافئ الصغيرة أيضاً مرغمين على بيع سفنهم ومراكبهم إلى ممثلي أمم أخرى وفي مقدمتهم الهنود الذين مارسوا التجارة تحت رعاية الإنكليز.

عدا عن ذلك تشكلت الأوضاع في الإمارات بشكل كان فيه الفقر أكثر من الغنى، وكانت ظروف المعيشة تسوء باستمرار، وأخذ الشيوخ يلجأون إلى الإدارة البريطانية شيئاً فشيئاً طلباً للمساعدة المالية، وبذلك أصبحوا أكثر تبعية للإنكليز، وباتوا ينفذون كل ما تطلبه منهم السلطات البريطانية، بل ويتمسكون بكل ما يفرض عليهم من الجانب البريطاني.

www.almajidcenter.org

وبالطبع كان يكفي بريطانيا أن يكون شيوخ ساحل عمان المتصالح (أو الساحل المهادن) تحت وصايتها. فمن خلال ذلك كانت تطّلع على جميع أعمالهم وتصرفاتهم، وتعد الاتفاقيات الجديدة، وتطبقها على أرض الواقع لتزيد من تقييد وإخضاع الإمارات العربية لها.

ولم تكن السلطات البريطانية تجد حرجاً في تغريم الشيوخ وأتباعهم، وإجبارهم على تنفيذ مطالبها، الأمر الذي أدى في نهاية الأمر إلى تدخل حقيقي من جانب موظفي الإدارة البريطانية في الشؤون الداخلية للإمارات، وخرق جميع الاتفاقيات والمعاهدات الثنائية. وهذا ما أكده مراراً الموظفون الإنكليز أنفسهم، ومنهم "بادجر"(Badger)، عضو اللجنة التي شكلتها بريطانيا في الستينات من القرن التاسع عشر بغرض تقسيم ممتلكات عمان إلى مسقط وزنجبار.

وقد أكد بادجر- بشكل خاص - أن السياسة البريطانية في منطقة ساحل عمان المتصالح تمتاز بالقسوة والحرص الشديد على إخضاع شيوخ المنطقة إلى نفوذ بريطانيا، وإجبارهم على استعطاف المقيم البريطاني في بوشهر. وقد نصح السلطات البريطانية بالتمسك بأسس التعاون المتبادل الذي نصت عليه المادة الثالثة من معاهدة السلام الدائم في البحر، والتي أعرب العديد من شيوخ الساحل العربي عن موافقتهم عليها، واعترفوا بحكم المقيم البريطاني، ولو بشروط محددة. وقد "حذر بادجر الحكومة البريطانية من أن يتجاوز المقيم البريطاني صلاحياته، مما قد يؤثر على جميع العلاقات الإنكليزية – العربية"[1]، ومن ثمَّ تسقط ثمرة الجهود والوقت الذي بذل للتوصل إلى مستوى معين من العلاقات.

بعد إلغاء شركة الهند الشرقية في عام ١٨٥٨، وتأسيس وزارة شؤون الهند فيما بعد مع مجلس الهند الملحق بها تبين أن الحكومة البريطانية هي المسؤولة عن كامل إرث الشركة، بينما كانت السلطة في الحدود الإقليمية لهذا الإرث في يد السلطات الأنجلو – هندية.

١- سمور، زهدي عبد المجيد، (مرجع سابق)، ص ٢٤٦.

www.almajidcenter.org

وعندما كانت السلطات البريطانية تمارس نشاطها الهادف إلى إخضاع القواسم وغيرهم من القبائل المحلية، أعادت النظر في وضع إدارتها في منطقة الخليج العربي. وعليه جرى رفع منصب المقيم البريطاني إلى مرتبة المقيم السياسي البريطاني، رئيس المقيمية البريطانية التي أنشئت خصيصاً في هذه المنطقة. وعليه أصبح ممثلو المقيم البريطاني في الإمارات يحملون لقب "الوكلاء السياسيين البريطانيين". وإذا ما تعذر لسبب ما وجود مثل هؤلاء كان يجري إيفاد ضابط سياسي بريطاني بشكل مؤقت.

وفي مسقط جرى رفع منصب القنصل إلى مرتبة القنصل العام البريطاني. وأصبح المقيم السياسي البريطاني يعد رسمياً سفيراً في المنطقة، والمقيمية أصبحت سفارة. إلا أنه في الواقع - نظراً لامتلاك المقيم لصلاحيات غير محددة - أصبح الوالي الفعلي، ويحكم كامل منطقة الخليج العربي كمستعمرة بريطانية.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة... وعطاء مستمر

www.almajidcenter.org

الخاتمة

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة... وعطاء مستمر

www.almajidcenter.org

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة ... وعطاء مستمر

www.almajidcenter.org

الخاتمة

تتصف فترة النصف الأول من القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر في تاريخ القواسم بتشكيل حلفهم القوي، الذي تمكن من فرض سيطرته التامة على الصير، وإخضاع عدد من القبائل على الساحل الفارسي، بل تمكن من خوض منافسة ناجحة مع أقوى قوة عربية في المنطقة، وهي عمان.

وكان من الممكن أن يشهد التاريخ قيام دولة تضم جميع القبائل العربية القاطنة على ضفتي الخليج العربي، وكاد أن يتحقق ذلك لولا التدخل السافر من قوة خارجية (قوة الإنكليز) في شؤون القواسم، وغيرهم من القبائل العربية، الأمر الذي أخل بالسير الطبيعي للتاريخ، وأدى بداية إلى القضاء على العرب عسكرياً، ومن ثم تقييدهم بشدة من قبل بريطانيا باتفاقيات، ومعاهدات غير متكافئة.

فأثناء الحملات العسكرية التي شنها الإنكليز على القواسم جرى تدمير سفنهم الحربية، وجميع مراكبهم، التي كانت تستخدم لأعمال التجارة وصيد اللؤلؤ، الذي يشكل المصدر الرئيس لدخلهم. ونتيجة لتلك الحملات لم تعد القبائل العربية قادرة على مواجهة بريطانيا الأكثر قوة، فازدادت فقراً، وأخذت بالانهيار. وفي هذه الأثناء اتبع الإنكليز سياسة "فرق تسد"، التي يحسنون أداءها، فقضوا بذلك على حلف القواسم بشكل كلي، وضموا أراضيهم إلى قوام الإمبراطورية البريطانية.

في عام ١٨٣٨ صرح وزير خارجية بريطانيا الورد بالميرستون علناً قائلاً: "... إن هدفنا في الخليج العربي وضع هذه المنطقة تحت السيطرة البريطانية في البحر، وسد الطريق أمام أية دولة ومنعها من الدخول إليها، ويمكننا خوض صراع سيطرة على المنطقة على أن لا

www.almajidcenter.org

يكون ذلك مكلفاً للغاية "[١]. أما الأساس الذي شكل جوهر السياسة البريطانية في هذه المنطقة فهو السياسة الهادفة إلى تقسيم المنطقة إلى مشيخات وإمارات صغيرة، وتقويض علاقات الصداقة الداخلية، وقطع أواصر الوحدة القبلية، ومن ثم - كنتيجة لذلك كله - إخضاع الإمارات المقسمة إلى الممتلكات البريطانية دون قيد أو شرط.

وكانت الوسيلة لتحقيق ذلك استخدام القوة العسكرية، وانتهاج سياسة عقد "الاتفاقيات"، وفرض التزامات جائرة وغير متكافئة. وكانت الاتفاقيات التي عملت بريطانيا على تكبيل شيوخ المنطقة بها ذات طبيعة تقييدية؛ إذ كانت من حيث الجوهر ملزمة للشيوخ المحليين تجاه بريطانيا، بينما لم تكن ملزمة لهذه الأخيرة في كثير من الحالات.

وعموماً تجسدت السياسة البريطانية تجاه الحكام المحليين في النصف الأول من القرن التاسع عشر في تلك الاتفاقيات والالتزامات، التي فرضها الإنكليز على القواسم، وبقية حكام الساحل العربي بالقوة العسكرية. وكانت هذه الاتفاقيات (الالتزامات) تخالف تماماً مبادئ وقواعد القانون الدولي شكلاً ومضموناً؛ إذ كان الهدف منها تجريد القواسم من حقوقهم المشروعة ومنح الحكومة البريطانية من خلال شركة الهند الشرقية آنذاك حق التصرف، ليس بمنطقة الصير فحسب، بل بمناطق وتشكيلات قبلية أخرى على الساحلين العربي والفارسي.

يشير تحليل الاتفاقيات والمعاهدات التي أبرمتها بريطانيا مع الحكام العرب إلى أن إبرامها تم بعد تجريد بريطانيا حملات عدوانية ضد العرب، وأنها اتفاقيات مبنية على القسر، ويغيب عنها عامل الموافقة والرضا المتبادل، الأمر الذي يعد عادة القاعدة الأساسية لأي التزام أو تعهد متبادل، وهو ما يجب أن يجري التوصل إليه قبل التوقيع على أية وثيقة.

١- سنان، محمود بهجت : إمارة الشارقة، بغداد، ١٩٦٦، ص ١٦.

www.almajidcenter.org

أما المعاهدات والاتفاقيات التي مر ذكرها فيلاحظ أن فيها "عنصر التدخل السافر". وخير دليل على ذلك أنه عند التوقيع على اتفاقية ما بين شيخين أو أكثر يكون ذلك بحضور ممثل بريطاني. وفي كثير من الحالات يقوم هذا الأخير بمهر وثائق الاتفاقية بخاتمه باسم الحكومة البريطانية العظمى وكأن الشيوخ أنفسهم لا يملكون أختاماً خاصة بهم، وهذا ما يؤكده الكثير من النصوص الإنكليزية للوثائق الرسمية التي يحتفظ بها الأرشيف البريطاني.

إلا أن الأمر لا يتوقف عند ذلك؛ ففي حالات عديدة كانت شركة الهند الشرقية تأخذ على نفسها الالتزام، مع أن هذه الشركة لم تكن تملك حق عقد معاهدات دولية، أو التوقيع على اتفاقيات مع بعض الأشخاص الذين لا يمثلون دولهم على المضمار الدولي، والذين كانوا يتطلعون إلى تحقيق مصالح شخصية إما لهم، أو لعائلة ما، أو قبيلة ما، أو لعدد من الأشخاص لا يشكلون دولة لعدم وجود وحدة الأرض، أو الحكومة، أو الجيش لديهم.

تلخيصاً لما سبق يمكن إثبات أن هذه الاتفاقيات لم تكن متكافئة، ولا سيما إنها كانت تفتقر إلى أمور مهمة كالإدارة، وحرية التعبير من قبل أحد الأطراف، أي العرب الذين يتنازلون دائماً أمام الإنكليز. وعادة ما تكون هذه الاتفاقيات "دائمة"، ولا تنحصرُ بمدة زمنية، ولا تَعِد بالحرية، لا حاضراً ولا في المستقبل القريب أو البعيد، بحيث يمكن لأحد الأطراف المتعاقدة أن يتحرر من الالتزامات التي أخذها على عاتقه أثناء التوقيع عليها تحت فوهات المدافع الإنكليزية.

إن الهدف من عقد مثل هذه الاتفاقيات والمعاهدات التي تستطيع بريطانيا التدخل تحت ستارها بشكل نشط في الشؤون الداخلية لعرب المنطقة، هو – حسب تصريح المقيم البريطاني كمبال – وضع حد نهائي للنزاعات البحرية، وفي الوقت نفسه تأمين حرية التجارة الإنكليزية.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

لقد وجد الإنكليز في الخلافات والنزاعات بين القبائل العربية التي تنعكس آثارها على البحر حجة كافية، وسبباً لتدخلهم المباشر في شؤون شعوب الخليج العربي. وقد استخدمت بريطانيا قوتها الحربية الشديدة في المنطقة، وأعطت لنفسها الحق في لعب دور الوسيط أو الحكم في حال حدوث أي نزاع إقليمي. وفيما بعد توسع مفهوم هذا الحق، وتحولت بريطانيا مع مرور الوقت من وسيط إلى قوة وحيدة ملموسة، وقامت بتقسيم الإمارات بما يخدم مصالحها الذاتية، ثم أخذت تحكم وتعاقب هذه الإمارات بالشكل الذي تريده.

تشكلت في تلك الفترة ثلاثة عوامل مرتبطة فيما بينها، جعلت بريطانيا تفرض سيطرتها على المنطقة، وأجبرت العرب على التوقيع على تعهدات، وإقامة علاقات محددة مع السكان المحليين. وهذه العوامل هي:

أولاً: ظهور التنافس التجاري سواء من قبل القواسم أو بقية القبائل العربية، الأمر الذي أدى إلى انخفاض حاد في العمليات التجارية لشركة الهند الشرقية البريطانية في حوض الخليج العربي في أواخر القرن الثامن عشر.

ثانياً: بعد أن بسط الإنكليز سيطرتهم على الهند في أواخر القرن الثامن عشر عملوا على ضمان سلامة الطرق المؤدية إلى الهند، وفي مقدمتها الطريق عبر الخليج العربي.

ثالثاً: ظهور الحركة الوهابية في شبه الجزيرة العربية، التي كان من الممكن أن تتخذ في أية لحظة موقفاً معادياً لبريطانيا، وتضع حداً للتواجد البريطاني في منطقة الخليج العربي.

انطلاقاً من هذه الأهداف الأساسية اتخذت السلطات البريطانية من خلال شركة الهند الشرقية البريطانية جميع التدابير الضرورية، وفرضت رقابة مستمرة على المنطقة

www.almajidcenter.org

مستخدمة الأساليب القتالية بانتظام. وبذلك تمكن الإنكليز من فرض تواجدهم الذي عززوه فيما بعد باتفاقيات وتعهدات فرضوها على الحكام الضعفاء. ومن الممكن اعتبار عام ١٨٢٠، الذي جرى فيه التوقيع على معاهدة السلام العامة الدائمة في البحر علامة بداية بارزة للعهد الذي باتت فيه مسؤولية الأمن عن المنطقة منوطة بالحكومة البريطانية.

ومع ذلك لم يشهد حوض الخليج العربي السلام الحقيقي؛ ذلك أن الإنكليز فهموا الأمن على أنه ضمان حرية الملاحة لسفنهم فقط دون إعارة أي اهتمام لأمن العرب. وقد قال "كمبال" في هذا الخصوص: "إن علاقاتنا مع الحكام العرب لا تشترط تدخلاً من قبلنا لمنع هجوم أحدهم على الآخر..."[1].

وهذا في الواقع يعد خرقاً مباشراً للمادة الرابعة من اتفاقية عام ١٨٢٠ التي تراعي إحلال السلام بين القبائل العربية. وفضلاً عن ذلك، فإن الإنكليز يسعون وراء أهدافهم الخاصة فقط. وخلافاً لجميع الاتفاقيات أقاموا ما يسمى منطقة محايدة ما بين الساحل الفارسي وجزيرتي أبو موسى وصير، ومنعوا أية سفينة عربية من الدخول إليها.

وإذا ما ظهر أن سفينة عربية ما دخلت إلى هذه المنطقة فتتم مصادرتها على الفور، والشيء نفسه يطبق في المياه الإقليمية على السفن العربية، التي يرى الإنكليز أن حمولتها، أو تسليحها يوحي بأنها سفينة للاستخدام الحربي. وباستخدام هذه الذريعة يمكن لقباطنة السفن الإنكليزية مصادرة أي سفينة عربية، بل والضغط في الوقت نفسه على الشيوخ المحليين.

لقد كان المقيم البريطاني يستغل أية فرصة أو ظرف لتوسيع قائمة المحظورات على العرب. ومع مرور الوقت جرى تخصيص منطقة محددة لحركة السفن الحربية التابعة

١- سمور، زهدي عبد المجيد (مرجع سابق). ص ١٤.

مركز همة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

للقواسم وبني ياس، ومنعت من الابتعاد عن الساحل لمسافة تزيد عن مسافة الرؤية بالعين المجردة. وفرض هذا الوضع على سفن البحرين أيضاً، وعندها كانت الموافقة والخضوع الرد الوحيد الذي صدر عن العرب، واعترفت به الحكومة البريطانية وممثلوها. وعلى هذا بنت بريطانيا كامل سياستها، وكان على كل زعيم عربي إعلام السلطات البريطانية كتابياً عن أية عملية حربية ينوي القيام بها ضد جيرانه. وفي غضون ذلك عليه إيضاح الخط الذي سيسلكه، وما هي الأعمال التي يخطط للقيام بها.

تهدف التدابير التي اتخذتها السلطات البريطانية إلى فرض سلطتها وإرادتها على الإمارات الصغيرة التي لا يستطيع حكامها وسكانها إبداء أية مقاومة للإنكليز. وقد صرح الموظفون الإنكليز في هذا الخصوص بأن هدفهم الرئيس يقتصر على تأمين الأمن والهدوء للقبائل المقيمة على ساحلي الخليج العربي. وكثيراً ما كانوا يرددون، برياء، ونفاق هم ومن ورائهم الباحثون والمؤرخون الإنكليز بأن بريطانيا تحمل لشعوب المنطقة السعادة والهناء في الجهود التي تبذلها لضمان السلام والملاحة الآمنة في الخليج.

لقد بذل الإنكليز قصارى جهدهم لعزل هذه المنطقة كلياً عن العالم الخارجي، سواء سياسياً أم اقتصادياً. وحكموا على القبائل العربية بالجوع، والفقر، والجهل. وتمكنت بريطانيا بفضل القوة الكبيرة التي تملكها من جعل فترة النصف الأول من القرن التاسع عشر فترة انهيار لحلف القواسم القبلي وغيره من التشكيلات القبلية على الساحل العربي، وضم هذه المنطقة إلى الإمبراطورية البريطانية الاستعمارية.

www.almajidcenter.org

البيليوغرافيا

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة ... وعطاء مستمر

www.almajidcenter.org

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة ... وعطاء مستمر

www.almajidcenter.org

البيليوغرافيا

١. ١٢*- فاسيليف أ. م. ببلوغرافيا المملكة العربية السعودية، موسكو، ١٩٨٣ .[باللغة الروسية].

٢. كاماروف إ. ن. لينين حول السيطرة البريطانية على الهند- الاستشراق السوفيتي، ١٩٥٥، الرقم ٢ [باللغة الروسية].

٣. ريسنير ي. م. مقتطفات مؤرخة زمنياً عن تاريخ الهند. كارل ماركس، على ضوء مؤلفاته المنشورة، وأقواله عن الهند – جامعة موسكو، ١٩٤٩، الرقم ٤. [باللغة الروسية].

٤. شنينبرغ إ. ل. الرواية الإنكليزية حول التهديد الروسي للهند في القرنين التاسع عشر والعشرين. مذكرات تاريخية، موسكو ١٩٥٠. [باللغة الروسية].

٥. أبو حاكمة، أحمد مصطفى، تاريخ الكويت، الجزء الثاني، القسم الأول، ١٩٧٠ [١٩٧٣].

٦. قاسم، جمال زكريا، مختارات من وثائق الكويت والخليج العربي، الكويت، ١٩٧٢.

٧. عمر، فاروق، مقدمة في دراسات مصادر التاريخ العماني، الخليج العربي، بغداد، ١٩٧٩.

٨. الخليج العربي، قائمة مؤلفات المعرفة، بغداد، ١٩٨٦.

20- The Handbook of the Bombay Archives , compiled by Sanuiv p.Dasai. Department of Archives , Govt. of Maharashtra. Bombay , 1978.

21 - Loraya M. Kabeel. Selected bibliography on Kuwait and the Arabian Gulf. Kuwait. 1969.

* لأسباب فنية يبدأ الترقيم في البيلوغرافيا بالرقم ١٢

www.almajidcenter.org

22- Loraya M. Kabeel. Souree book on Arabian Gulf States : Arabian Gulf in General , Kuwait , Bahrain , Katar and OMAN. Kuwait , 1975.

المراجع :

٢٢ - جموعة وثائق حول امتيازات مقدمة من الحكومة البريطانية إلى شركة الهند الشرقية وبنك لندن، موسكو، ١٨٤٣ [باللغة الروسية].

المخطوطات العربية :

٢٣- الآلوسي، محمود شكري : تاريخ نجد، تحقيق محمد بهجة الأثري، القاهرة ١٤٣٧ هـ.

٢٤- البسام، الشيخ محمد: درر المفاخر في أخبار العرب الأواخر (مخطوط المتحف البريطاني رقم ٧٣٥٨).

٢٥- ابن بشر، عثمان : عنوان المجد في تاريخ نجد، الرياض (بدون سنة).

٢٦- ابن غنام، حسين : تاريخ نجد : (روضة الأفكار والأفهام)، حرره وحققه ناصر الدين الأسد، القاهرة، ١٩٦١.

٢٧- ابن عيسى، إبراهيم بن صالح : تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم، وبناء بعض البلدان من ٧٠٠ إلى ١٣٤٠ هـ، الرياض ١٩٦٦.

٢٨- لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب (المؤلف مجهول)، تحقيق أحمد مصطفى أبو حاكمة، بيروت (بدون عام).

٢٩- السالمي، نور الدين عبد الله بن حميد : تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، القاهرة، المجلد الأول، ١٣٥٠ هـ (١٩٣١، المجلد الثاني، ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٨ م).

٣٠- سرهنك، الميرعلي إسماعيل : حقائق الأخبار عن دول البحار، القاهرة، ١٣١٢هـ.

٣١- السيابي، سالم بن حمود : إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان، بيروت، ١٩٦٥.

٣٢- النبهاني، محمد بن خليفة : التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية. المجلد الأول تاريخ

www.almajidcenter.org

البحرين، القاهرة ١٣٤٢هـ / ١٩٢٣م، المجلد٩ البصرة، القاهرة، ١٣٤٢/ ١٩٢٣، المجلد١٠، المنتفق، القاهرة ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م، المجلد١٢ الكويت، القاهرة ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩م.

٣٣- الحيدري، إبراهيم فصيح بن صبغة الله بن محمد سعد: عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد (المتحف البريطاني رقم ٧٥٦٧)، [بغداد، ١٩٦٢].

وثائق أرشيفية (غير منشورة):

35 - Adnwinste le Afdeling، 1889, 23 B.
36 - Family Archive، Geleynseen Jongh-nr 260 e, Travel to Basra 1645 - 6.
37- Kolonia, Archief.
38- Van de. Oostindische Compagnie (United East – India Company).

BOMBAY ARCHIVES:

39 - Bussora Residency Diaries، 19 vols. (nos. 194- 212).
40 - Secret and Political Department Diaries (1755- 1808), 268 vols.Nos.1- 260، Nos. 14, 17, 19, 33, 41, 66, 164, 165.
41 -Secret Department Diaries (1809- 1820), Nos. 261, 312, 310. 318- 497.
42- Political Department Diaries (1809- 1820) , 180 vols. Nos. 318- 497 No. 38/1762.
43- Selections on pirates in the Persian Gulf (Not indexed), 5 vols., Nos: 71, 73- 76.
44- Selection – 124, vol. 72 (N. 1) proceedings for the year 1816.
45- Summary of the proceedings relative to boats captured in the Persian Gulf, vol. 77/1819- 1820. Minute by Mr. F. Warden.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

DOCUMENTATION AND RESEARCH CENTRE, ABU DHABI:

46 - Extract from a letter from Captain Robert Budden of the Honourable Company‹ s Marine to W. C. Bunce. Dated 31 August 1809 (EB/150).
47 – Revue a Histoire Diplomatique la France et Muscate, Aurouk, A. Muscate.
48 - Boards Collections‹ 17855‹ E/4/651.

INDIA OFFICE LIBRARY:

49 – Bombay secret proceedings 1819, vol. 40, Consultation no. 17 of 14 April; 1819; vol. 41, Consultation no. 37 of 20 Consultation no. 17 of the September 1819. Minutes by F. Warden.
50 – Bombay political Letters Received, vol. 5, 9, 10.
51 – Bombay political proceedings, Range 384, vol. 39, consultation 27 January 1819; Range 385, T. 23, 36, 47.
52 – Gumbroon Diary, 8 vols. , Nos. 7-14.
53 – Factory Records of the Tate East India Company‹ G/29‹Persia and Persian Gulf‹ vols. 20- 32.
54 – Persian Gulf Territories, R/15, Bushire, vols. 11, 18, 21.
55 – Political Residency, Bushire, R/15/1/13-16.
56 – Residency Records, Bushire, ref, R/15/1/20.

INDIA OFFICE RECORDS:

57 – Board Drafts of sec. Letters and Dispatches to India (4/p, & s/5 VOLS. 540- 541).
58 – Bombay political and secret proceedings (Spp / Range 380 vols. 68-75; Range 381/vols. 1-59; / Range 282/ vols. 3-59; / Range 383/ vols. 1-11).
59 – Bombay Secret Letters Received (4/p & s/5/ vols. 302, 303).

www.almajidcenter.org

60 – Correspondence wilt Areas outside India (4/p x s/9/ vols. 6).
61 – European in India / French in India (1/1/vols. 12, 14).
62 – Home Miscellaneous (Home / Misc. / vols. 472, 477, 479).

EGUPTIAN NATIONAL ARCHIVES, CAIRO:

63 – The Hijaz Files-Archival material for the period 1810-1840.

NATIONAL ARCHIVES OF INDIA:

64 – Political Department, Letters No 4, 13, 14, 16, 18, 45, 47 (1803 -1810).
65 – Foreign Department, 1810, Microfilm Reel No. 3.

الوثائق والمراجع (المنشورة):

٦٦- بوديانسكي، ف. ل. : البحرين الحديثة، موسكو، ١٩٧٦. [باللغة الروسية].
٦٧- بوديانسكي، ف. ل. : الكويت الحديثة، موسكو ١٩٧١. [باللغة الروسية].
٦٨- دولة الكويت[١]، موسكو، ١٩٩٠. [باللغة الروسية].
٦٩- إيران الحديثة[٢]، موسكو، ١٩٧٥. [باللغة الروسية].
٧٠ – المملكة العربية السعودية[٣]، موسكو، ١٩٨٠. [باللغة الروسية].
٧١- الشامسي، حميد بن سلطان بن حميد : نقل الأخبار.... أبو ظبي، ١٩٨٦.
٧٢- حنظل، فالح: المفصل في تاريخ الإمارات العربية المتحدة، مجلدان، الإمارات العربية المتحدة، ١٩٨٣.

١- لم يذكر اسم المؤلف والناشر المترجم.
٢- لم يذكر اسم المؤلف والناشر المترجم.
٣- لم يذكر اسم المؤلف والناشر المترجم.

www.almajidcenter.org

73- Admiralty, War office, Intelligence Division, A Handbook of Arabia (ed. By Y. Hogart). Vol. 1, 4, 1916. Vol. 11, n. 1917.
74- "Affairs of the East India Company". L. 1832. "Report from the Select Committee", "Minutes o evidence". 6 Vols.
75- Aitchison، C. U. A collection of Treaties. Engagements and Sanads relating to India and Neighboring Countries. 13 Vols. L. 1929- 1933
76- Anthony, J. D. Historical and Cultural Dictionary of the Sultanat of OMAN and Emirates of Eastern Arabia. Metuchen, U. S. A., 1976.
77- The Asiatic Annual Register. 12 Vols., L. 1800-1812.
78- Badger G. P. History of the imam and Seyyids of OMAN by Salil ibn Razik (1661- 1858). L. 1871.
79- Balfour, E. The Cyclopedia of India and Eastern and Southern Asia. Vol. 111, L., 1885.
80- Bombay Government. Selections from the Records of the Persian Gulf. ، New Series، No. 24،B0mbay Government 1956.81- Bruce, John. Annals of the Honorable East ،Bombay India Company, from their Establishment by the charter of Queen Elizabeth, 1600 to the UNION of the London and English: East India Companies 1707-8. 3 Vols., L., 1810.
82- Brucks, Captain G. B. "Memoir descriptive of the Navigation of the Gulf of Persia ...". Bombay Selections, Vol. 24. Bombay, 1856.
83- Burgess, J. The Chronology of Modern India for Four, Hundred years from the close of the Fifteenth Century. A. D. 1494-1894 Edinburgh, 1913.
84- Danvers, F. C. Report on the India office Records Relating to Persia and the Persian Gulf, L., N. D.
85- East India. Company. A Collection of Treaties, Engagements and Sands Relating to India and Neighboring Countries. Calcutta, 1865.
86- Encyclopedia Britannica. Vol. 7، U. S. A. 1965.

www.almajidcenter.org

87- Gazerreer of the Territories under the Government of the East India Company ... Comp. by E. Thornton. 4 Vols., L., 1857.
88- Fort William-India. House Correspondence and other Contemporary papers Relating thereto (Foreign, political and secret). Vol. 17, 1792- 1795. Delhi, 1955.
89- Herelet, Sir Edward. Treaties, etc., Concluded Between Great Britain and Persia, and Between Persia and other powers, wholly of partially in Force ON THE 1 ST April 1891. Vol. 1., L., 1891.
90- Hurewitze, J. C. Diplomacy in the Near and Middle East, a Documentary Record 1535- 1914. Vol. 1, U.S.A., 1956.
91- Ingram, Edwars (ed.). Two views of British India. The private correspondence of Mr. Dundas and Lord Wellesley, 1798- 1801. 2 vols., L., 1856.
92- Kaye، J. W. The Life and Correspondence of Major General Sir John Malcolm from unpublished Letters and Journals. 2 vols. L. 1856.
93- Letter from Percy Cox، Political Resident in the Persian Gulf to the Foreign Department، Government of India on the boundaries of Kuwait. Government of India، Foreign and Political Department. Simla, 1913.
94- List of Factory Records of the Late East India company. L., 1897.
95- List of Marine Records of the Late East India Company. L., 1896.
96- Martin, M. Dispatches, Minutes and Correspondence of the Marquess Wellesley. 5 vols., L. 1836.
97- Milburh, W. Oriental Commerce or the East India. Trader's Complete Guide. L. 1813.
98- Minto, Countess of (ed). Lord Minto in India: Life and Letters of Gilbert Eliot, First Earl of Minto, from 1807 to 1814, While Governor- General of India. L., 1880.
99 - Ross, E. C. Annals of OMAN by Sirhan bin Said bin Sirhan of the Benu Ali Tribe of OMAN. Calcutta, 1874.
100- Saldanha, J. A. ed. Selections from State Papers, Bombay regarding the East India Company, s Connection with the

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

Persian Gulf, with a Summary of Events, 1600 -1800. Calcutta, 1908.

101- Saldanha, J. A. ed. Précis of Correspondence Regarding the Affairs of the Persian Gulf, 1801- 1853. Calcutta, 1906.

102-Saldanha J. A. ed. Précis of Turkish Arabia Affairs1801-1905.Simla,1906.

103- Saldanha, J. A. ed. Précis on Commerce and Communication on the Persian Gulf, 1801- 195. Calcutta, 1906.

104- Saldanha, J. A. ed. Précis of Nejd Affairs 1804- 1904. Simla, 1904.

105- Saldanha, J. A. ed. Précis of Bahrain Affairs 1854- 1904. Simla, 1904.

106-Saldanha, J. A. ed. Précis of Correspondence Regarding Trucial Chiefs, 1854- 1905. Calcutta, 1906.

107- A Selection from the Dispatches, Treaties and other Papers of the Marques Wellesley. L., 1877.

108- Selections from the Letters, Dispatches and other State Papers Preserved in the Bombay Secretariat (Maratha Series). Vol. 1, Bombay, 1885.

109- Selections from the Letters, Dispatches and other State Papers Preserved in the Foreign Department of the Government of India, 1772-1785. Ed. by G. W. Forrest. 3 vols., Calcutta, 1890.

110- Selections from the Minutes and other official Writings of the Honourable Mountstuart Elphinstone, Governor of Bombay. With an Introductory Memoir. Ed., by G. W. Forrest. L., 1884.

111- Thomas, R. H. (Comp.). Treaties, Agreements and Engagements Between the H. E. I. C. and the Nature Princes, Chiefs and State in Western India, the Red Sea, the Persian Gulf. Also Between H. B. Majesty's Govrt, and Persia, Portugal and Turkey. Bombay, 1851.

112- Thomas, R. H. (Comp. &. ed.) Selections from the Records of the Bombay Government. No. 24, 43. New Series. Bombay,1857. (S. R. B. G.).

www.almajidcenter.org

113-Thomas, R. H. (Comp. &. ed.) Historical and other information connected with the Province of OMAN, Muscat, Bahrein and other places – in the Persian Gulf. Bombay, 1856.

114- Treaties & Undertakings in Force Between the British Government & the Sultans of Muscat & Oman 1825-1914. Calcutta, 1914.

115- Treaties & Undertakings, etc., in Force Between the British Government & the Rulers of Bahrain 1820- 1914. Calcutta, 1914.

116- Warden ‹Francis. "Extract from Brief Notes Relative to the Rise and Progress of the Arab Tribes of the Persian Gulf" in S. R. B. G. No 24. Bombay, 1856.

117- Warden, Francis. "Historical Sketch of the Joasmee Tribe of Arabs from the year 1747 to the year 1819", in S. R. B. G. No. 24. Bombay. 1856.

118- Warden, Francis. "Historical Sketch of the Rise and Progress of the Government of Muscat; commencing with the year 1694-1695 and continued to the year 1819" in S. R. B. G. No. 24. Bombay, 1856.

119- Warden ‹Francis. "Historical Sketch of the Wahabee Tribe of Arabs ‹from the year 1795 to the year 1817" in S. R. B. G. No. 24. Bombay, 1856.

120- Warden, Francis. "Historical Sketch of the Uttoobbee Tribe of Arabs (Bahrein) from the year 1716 to the year 1817" in S. R. B. G. No. 24. Bombay, 1856.

121- Warden ‹Francis. "Sketch of the Proceedings (from 1809 to 1818) of Rahman bin Jabir ‹Chief of Khor Hassan" in S. R. B. G. No. 24. Bombay, 1856.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

www.almajidcenter.org

مذكرات ويوميات، ورسائل رحالة

١٢٢ - الديراني، إبراهيم بن خليل: كتاب "مصباح الساري ونزهة القاري. بيروت، ١٢٧٢/ ١٨٥٥.

١٢٣ - "الدجالي"، كاظم : الشيخ عثمان بن سند البصري، بغداد ١٣٣١هـ/ ١٩١٣ م.

١٢٤ - روث، رودولف سعيد: سلطان عمان خلال حكم السيد سعيد بن سلطان (١٧٩١ - ١٨٥٦)، البصرة ١٩٨٣.

١٢٥ - حمزة، فؤاد : قلب الجزيرة العربية، القاهرة، ١٣٥٢ هـ/ ١٩٣٣م.

126- Brydges H. J. An Account of the Transactions of H. M. Mission to the Court of Persia in the years 1807-11. To which is Appended a Brief History of the Wahauby. 2 vols. L. 1834.

127- Buckingham, y. s. Travels in Assyria, Media and Persia. 2 vols. L. 1830.

128- Burckhardt, J. L. Notes on the Bedouins and Wahabys. L,. 1830.

129- Carruthers, A. (ed.). The Desert Route to India , Being the yournals of four Travellers by the Great Desert Route Between Aleppo and Basra, 1747-1751. L., 1929.

130- Chesney, F. R. The Expedition for the Survey of the River Euphrat.

131- Franklin, W. Observations made on a Tour from Bengal to Persia, in the years 1786-1787. L. 1790.

132- Fraser, J. B. Narrative of a Journey Into Khorasan, in the years 1812 and 1822. L., 1825.

133- Gardane, Comte Alfred de (ed.). Mission du General Gardance en Perse sous le Premier Empire. Paris, 1856.

134- Grier, S. C. Letters of Warren Hastings to his wife. Edinburgh, 195.

135- Hastings, W. Memoirs Relative to the Present state of India. L., 1793.

www.almajidcenter.org

136- Herbert, Sir T. Some years Travel into Africa and Asia the Great. L., 1638.
137- Heude, W. A Voyage Up the Persian gulf, and a Journey Overland from India to England. L., 1819.
138- Irwin, Myles. A Series. Of Adventures in the Course of a Voyage up the red Sea, on the Coast of Arabia and Egypt ..." 2 vols. , L., 1787.
139- Ives, E. A. Voyage from England to India in the year 1754, also A Journey from Persia to England by an Unusual Route. -L., 1773.
140- Marco Polo. The Travels of Marco Polo the Venetian. N. 5, 1930.
141- Murray, H. Historical Account of Discoveries and Travels in Asia from the Earliest Ages to the Present Time. Vol., 111, Edinburgh, 1820.
142- Niebuhr, B. G. The life of Carsten Niebuhr, the oriental Traveler, With an Appendix by J. D. Michaelis. Edinburgh, 1836.
143- Niebuhr, C. Dscription de L, Arabie, faite snr des obcervations propres et des avis recueillis dans les lieux me. Amsterdam, 1774.
144- Niebuhr C. Voyage en Arabie en d, autres pays circonvoisins. Amsterdam, vol. 1, 1776, vol. 2, 1780.
145- Olivier, W. G. Voyage dans I, Empire ottoman et la Perse. 3 vols., Paris, 1801.
146- Palgrave, W. G. Narrative of a year's tourney through Central and Eastern Arabia (1862-1863. 2 vols. L. 1865.
147- Parsons, A. Travels in Asia and Africa... L., 1808.
148- Pelly, L. "A Visit to the Wahhabi Capital, Central ARABIA" Journal Geographical Society. XXXV, 1865.
149- Pelly, L. "Remarks on the Tribes, Trade and Resources around the shore line 0f the Persian Gulf". Transactions of the Bombay Geographical Society. 17. 1863.
150- Pelly, L. "Account of a Recent Tour the Northern portion of the Persian Gulf". Transactions of the Bombay Geographical Society. XVII. 1863.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

151- Penrose, B. Travel and Discovery in the Renaissance 142-1620. Cambridge, 1967.
152- Pires, T. The summa oriental, an Account of the last, from the Red Sea to Japan, written in Malacca and India. Vol. 1. L., 1944.
153- Ruette, E. Memoirs of the Arabian princess. L. 1888.
154- Sadlier, Captain G. F. Diary of a Journey across Arabia from el Khatif in the Persian Gulf, to vambo in the Red Sea, during the Jear 1819. Bombay, 1866.
155- Toreen, O. A. Voyage to Suratte L., 1771.
156- Stocgueler, J. H. Fifteen Months Pilgrimage ... 2 vols., L., 1832.
157- Toreen, O. A. The Route of the Overland Mail to India, from Southampton to Calcutta. L., 1850.
158- Welsted, J. R. Travels in Arabia. VOLS. L. 1838.
159- Welsted, J. R. Travels to the City of the Caliphs... 2 vols., L., 1840.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

الأبحاث والدراسات:

١٦٠ – عبد الله، يا. يو. : الإمارات العربية المتحدة، تاريخ التطور السياسي الدولي (من القرن التاسع عشر حتى بداية السبعينات من القرن العشرين)، موسكو، ١٩٧٨. (باللغة الروسية).

١٦١ – آداموف، ف. : العراق العربي، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، سانت بطرسبورغ، ١٩١٢(باللغة الروسية).

١٦٢ – أنتانوفا، ك. أ. : الاحتلال الإنكليزي للهند في القرن الثامن عشر، موسكو، ١٩٥٨(باللغة الروسية).

١٦٣ – أنتانوفا، ك. أ. : الصراع الإنكليزي الفرنسي على الهند ودور دولة ميسور من ١٧٦٩ إلى ١٧٨٤. " من تاريخ الحركات العامة والعلاقات الدولية "، موسكو، ١٩٥٧ (باللغة الروسية).

١٦٤ – أحمد جانوف، ج. أ. : قضية هرات في القرن التاسع عشر، طشقند، ١٩٧١(باللغة الروسية).

١٦٥ – بيليايف، إ. أ. : العرب والإسلام والخلافة العربية ما قبل القرون الوسطى، موسكو، ١٩٦٥(باللغة الروسية).

١٦٦ – بوديانسكي، ج. ل. : السياسة البريطانية والعلاقات الدولية في حوض الخليج العربي (نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين)، موسكو، ١٩٦٨(باللغة الروسية).

١٦٧ – بنداريفسكي، ف. ل. : البحرين (من تاريخ بلدان الخليج العربي)، موسكو، ١٩٦٢(باللغة الروسية).

١٦٨ – فاسيليف، أ. م. : بوريتانيون الإسلام، الوهابية والدولة السعودية الأولى في الجزيرة العربية (١٧٤٤/٤٥–١٨١٨/ . موسكو. ١٩٦٧(باللغة الروسية).

١٦٩ – فاسيليف، أ. م. : تاريخ المملكة العربية السعودية / ١٧٤٥ – ١٩٧٣/ ، موسكو، ١٩٨٢(باللغة الروسية).

www.almajidcenter.org

١٧٠ - الجبرتي، عبد الرحمن : مصر تحت حكم السلطان محمد علي (١٨٠٨-١٨٢١)، موسكو، ١٩٦٣(باللغة الروسية).

١٧١ - إيفانوف، م. س. : مقتطفات من تاريخ إيران، موسكو، ١٩٥٢(باللغة الروسية).

١٧٢ - إيران، مقتطفات من التاريخ الحديث، موسكو، ١٩٧٦(باللغة الروسية).

١٧٣ - لوتسكي، ف. ف. : التاريخ الجديد للبلدان العربية، موسكو ١٩٦٦(باللغة الروسية).

١٧٤ - ماكلين، د.: سياسة بريطانيا الخارجية بعد السويس، موسكو ١٩٧٢(باللغة الروسية).

١٧٥ - ماخوفسكي، يا. : تاريخ القرصنة البحرية، موسكو، ١٩٧٢(باللغة الروسية).

١٧٦ - ميدفيدكو، ل. إ.: رياح التغيير في الخليج العربي، موسكو، ١٩٧٣(باللغة الروسية).

١٧٧ - التاريخ الجديد للدول الاستعمارية والبلدان التابعة، المجلد١، موسكو ١٩٤٠(باللغة الروسية).

١٧٨ - التاريخ الجديد لبلدان المشرق، المجلد١و٢، موسكو ١٩٥٢(باللغة الروسية).

١٧٩ - تاريخ الهند الجديد، موسكو، ١٩٦١(باللغة الروسية).

١٨٠ - بيرشيتس،أ.إ. : عرب شبه الجزيرة العربية، موسكو، ١٩٥٨(باللغة الروسية).

١٨١ - بيرن، ج. : اكتشاف الجزيرة العربية، خمسة قرون من السفر والأبحاث، موسكو، ١٩٧٠.(باللغة الروسية

١٨٢ - بولو، م.: كتاب ماركو بولو، موسكو، ١٩٥٥(باللغة الروسية).

١٨٣ - سيرمياتنيكوف، س.،. : مقتطفات عن الخليج العربي، سانت بطرسبورغ، ١٩٠٧ (باللغة الروسية).

١٨٤ - تومانوفيتش، ن. ن. : الدول الأوروبية في الخليج العربي من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر، موسكو، ١٩٨٢(باللغة الروسية).

١٨٥ - شتينبرغ، إ. : الحرب بين الإنكليز وميسور في التسعينات من القرن الثامن عشر، قضايا تاريخية، ١٩٤٨، العدد ١(باللغة الروسية).

١٨٦ - شتينبرغ، إ. ل. : الرواية الإنكليزية عن التهديد الروسي للهند في القرنين التاسع

www.almajidcenter.org

عشر والعشرين، مذكرات تاريخية، ١٩٥٠، المجلد ٣٣(باللغة الروسية).
١٨٧ – شفاكوف، أ. ف. : نشوء الجزيرة العربية، موسكو، ١٩٦٠(باللغة الروسية).
١٨٨ – عبد الرحيم، عبد الرحيم عبد الرحمن : الدولة السعودية الأولى [: ١١٥٨ – ١٢٣٣هـ/ ١٧٤٥ – ١٨١٨]. ، القاهرة، ١٩٦٩.
١٨٩ – العابد، صالح محمد : دور القواسم في الخليج العربي، بغداد ١٩٧٦.
١٩٠ – العابد، صالح محمد : موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي، بغداد، ١٩٧٩.
١٩١ – العابد، فؤاد سعيد : سياسة بريطانيا في الخليج العربي، الكويت، الجزء الأول، ١٩٨١.
١٩٢ – أبو حاكمة، أحمد مصطفى : محاضرات في تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصور الحديثة، القاهرة، ١٩٦٧.
١٩٣ – أبو حاكمة، أحمد مصطفى : تاريخ الكويت، الجزء الثاني، القسم الأول ، الكويت، ١٩٧٠ [١٩٧٣].
١٩٤ – أبو علية، عبد الفتاح حسن: الدولة السعودية الثانية [١٢٥٦ – ١٣٠٦هـ/ ١٨٤٠ – ١٩٨١]. ، الرياض، ١٩٧٤.
١٩٥ – العقاد، صلاح : الاستعمار في الخليج الفارسي، القاهرة، (بدون عام) [١٩٥٦].
١٩٦ – العقاد، صلاح : التيارات السياسية في الخليج العربي، القاهرة، ١٩٧٤.
١٩٧ – أمين ، عبد الأمير محمد : القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر، بغداد، ١٩٦٦.
١٩٨ – البوريني،أحمد قاسم : الإمارات السبع على الساحل الأخضر، بيروت، ١٩٥٧.
١٩٩ – الدباغ، مصطفى مراد : جزيرة العرب: موطن العرب ومهد الإسلام، بيروت، ١٩٦٣.
٢٠٠ – الداود، محمود علي : محاضرات عن التطور السياسي الحديث لقضية عمان، القاهرة، ١٩٦٤.
٢٠١ – زلوم، عبد القادر : عمان والإمارات السبع، بيروت ١٩٦٣
٢٠٢ – إبراهيم، عبد الفتاح :على طريق نجد، بغداد، ١٩٣٥.

مركز همة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

٢٠٣ - إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني : بريطانيا وإمارات الساحل العماني، دراسة في العلاقات التعاهدية، بغداد[1].

٢٠٤- إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني : سياسة الأمن لحكومة الهند في الخليج العربي، الرياض، ١٩٨٢.

٢٠٥ - إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني : السلام البريطاني في الخليج العربي ١٨٩٩-١٩٨١ دراسة وثائقية، الرياض ١٩٨١.

٢٠٦- إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني : حكومة الهند البريطانية والإدارة في الخليج العربي، دراسة وثائقية، الرياض ١٩٨١.

٢٠٧- إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني : التوسع الإقليمي الإيراني في الساحل العماني، البصرة، ١٩٧٨.

٢٠٨- إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني : علاقات ساحل عمان ببريطانيا، دراسة وثائقية، الرياض، ١٩٨٢.

٢٠٩- قاسم، جمال زكريا : دولة آل بو سعيد في عمان وشرق إفريقيا (١٧٤١-١٨٦٤)، القاهرة، ١٩٦٧.

٢١٠- قاسم، جمال زكريا : الخليج العربي (دراسة لتاريخ الإمارات)، (١٩١٤-١٩٤٠)، القاهرة، ١٩٦٦.

٢١١- متولي، محمد : حوض الخليج العربي، القاهرة، المجلد الأول ١٩٧٠، المجلد الثاني ١٩٧٤.

٢١٢- النجار، مصطفى عبد القادر : التاريخ السياسي، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، بغداد ١٩٧٨.

٢١٣- نوفل، سيد : الخليج العربي والحدود الشرقية للوطن العربي، بيروت ١٩٦٩.

٢١٤- نوفل، سيد : الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية،

١- لعل الصحيح أن مدينة النشر هي البصرة، وسنة النشر: ١٩٧٨. المترجم.

www.almajidcenter.org

القاهرة، ١٩٦٧.

٢١٥- نورس، "علاء الدين "[١] : السياسة الإيرانية في الخليج العربي إبان عهد كريم خان ١٧٥٧-١٧٧٩، بغداد، ١٩٨٢ .

٢١٦- عمر، فاروق : تاريخ الخليج العربي في العصور الوسطى الإسلامية، بغداد، ١٩٨٥.

٢١٧- الريحاني، أمين : نجد وملحقاتها، الرياض، ١٩٨١.

٢١٨- هيفاء عبد العزيز : غزاة في الخليج، بغداد[٢].

٢١٩- سعيد، أمين: الخليج العربي في تاريخه السياسي [ونهضته الحديثة]. بيروت، ١٩٦٣.

٢٢٠- سعيد، أمين : تاريخ الدولة السعودية، الرياض ١٩٨٣.

٢٢١- السامرائي، أحمد : إيران والخليج العربي، بغداد، ١٩٨٦

٢٢٢- سمور، زهدي عبد المجيد : تاريخ ساحل عمان السياسي في النصف الأول من القرن التاسع عشر، الكويت، ١٩٨٥ [يقع الكتاب في جزأين].

٢٢٣- سنان، محمود بهجت : تاريخ قطر العام، بغداد، ١٩٦٦.

٢٢٤- سنان، محمود بهجت : إمارة الشارقة، بغداد، ١٩٦٦.

٢٢٥- سنان، محمود بهجت : أبو ظبي واتحاد الإمارات العربية، ومشكلة البريمي، بغداد، ١٩٦٩.

٢٢٦- سامي سعيد الأحمد : تاريخ الخليج العربي، بغداد، ١٩٨٥.

٢٢٧- [النجار، مصطفى عبد القادر]. : تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، البصرة، ١٩٨٤.

٢٢٨- التكريتي، سليم طه: الصراع على الخليج العربي، بغداد ١٩٦٦.

٢٢٩- التكريتي، سليم طه: المقاومة العربية في الخليج العربي، بغداد، ١٩٨٢.

٢٣٠- الحدود الشرقية للوطن العربي ، دراسات تاريخية، بغداد، ١٩٨١.

٢٣١- الخصوصي، بدر الدين عباس : دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، الجزء الأول، الكويت، ١٩٨٤.

١- هكذا ورد الاسم ولعل الصحيح نورس، علاء موسى كاظم المترجم.

٢-هكذا ورد الاسم والعنوان ولعل الصحيح هو: الربيعي، هيفاء عبد العزيز : غزاة في الخليج : الغزو الهولندي للخليج العربي والمقاومة العربية: دراسة تاريخية، الموصل، ١٩٨٩.

www.almajidcenter.org

232- Abdullah M. The United Arab Emirates: A Modern History. H., 1978.
233- Abu Hakima, A. M. History of Eastern Arabia Rise and Development of Bahrain and Kuwait (1750- 1800). Beirut, 1965.
234- Abu Hakima, A. M. The Modern History of Kuwait, 1750-1965. Montreal, 1982.
235- Adamiyat, F. Bahrain Islands. A Legal and Diplomatic Study of the British-Iranian Controversy. N. Y. 1955.
236- Albaharna, H. M. The Arabian Gulf States. Their legal and Political states and their international problems. Beirut, 1975.
237- Aldington, R. Wellington, Being an Account of the Life and Achievement of Arthur Wellesley, 1-st Duke of Wellington. L., rep., 1946.
238- Algar, H. Mirza Malkum Khan, a Study in the History of Iranian Modernism. California, 1973.
239- Amin, A. A. British Interest in the Persian Gulf, 1747-1778. Heiden, 1967.
240- Anderson, M. S. The Eastern Question, 1774-1923, a Study in International Relations. H., 1966.
241- Andrews, S. Eighteenth Century Europe, the 1630-s (?) to 1815. H., 2nd imp. , 1966.
242- Anthony, J. D. Arab States of the Lower Gulf: people, politics and petroleum. L., 1975.
243- Ashkenazi, T. "The Anazah Tribes". South- Western Journal of Anthropology. New Mexico, 1948.
244- Ballard, G. A. Rulers of the Indian Ocean. H. m 1927.
245- Batrik, A. H. Turkish and Egyptian Rule in Arabia (1810-1841). Ph. D. Thesis, London University, 1947.
246- Bears, G. D. British Attitudes Towards India, 1784-1858.L., 1961.
247- Belgrave. Ch. The Pirate Coast. L., 1966.
248- Belgrave, L. Welcome to Bahrain. L., 1973.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

www.almajidcenter.org

249- Bourrienne, L. A. F. Memoirs of Napoleon Bonaparte. N. Y. , 1891.
250- Brendon, J. A. Dictionary of British History, L., 1937.
251- Brucks, Captain G. B. "Memoir descriptive of the Navigation of the Gulf of Persia". Bombay Selections, Vol. XXIY. Bombay, 1856.
252- Busch, B. G. B. Britain and the Persian Gulf 1894-1914. Berkley California, 1967.
253- Bu erfield(?), H. The peace Tactics of Napoleon. 186-1808.Cambridge, 1929.
254- Cadell, Sir Patrick. History of the Bombay Army. L., 1938.
255- Cambridge History of the British Empire. The Delhi, 2nd rep., 1963.
256- Cambridge History of the British Empire. The Cambridge,1961.
257- Corancer, L. A. Histoire des Wahabis depuis leur origine jusgu, a la fin de 1809. p., 1810.
258- Cottrell, A. J. (ed.) The Persian Gulf States: A General Survey. Baltimore, 1980.
259- Coupland, Sir Reginald. Britain and India 16- 1945. L., rev. ed., 1946.
260- Coupland, Sir Reginald. East Africa and it' s Invadors, from the Earliest Times to the Death of Seyyid Said in 1856. Oxford, rep. 1961.
261- Coupland, Sir Reginald. The Goal of British Rule in India. L., 1948.
262- Curzon, G. N. Persia and the Persian Question. 2 Vols., L. 1892.
263- Danvers, F. Ch. The Portuguese in India. Being the History of the Rise and Decline of their Eastern Empire. 2 vols. , L. ; 1894.
264- Dodwell, H. H. The Founder of Modern Egypt: A. study of Muhammad Ali. Cambridge, 1931.
265- Edwards,F.M. George Forster Sadlier (1789-1859) of the 47th Regiment. The First European to cross Arabia". Journal of the Royal Central Society, XLIV, 1957.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

266- Edwards, H. S. Russian Projects Against India from the CzarPeter to General Skobelefe. L., 1850.
267- Embree, A. T. Charles Grant and British Rule in India. L.,1962.
268- Faroughy, A. The Bahrain Islands (750- 1951). N. Y., 1951.
269- Forrest, D. The Tiger of Mysore, the Life and Death of Tipu Sultan. L., 1970.
270- Furder, H. "The Overland Route to India in the seventeenth and Eighteenth Centures". Journal of Indian History. Vol. XXIX, P. II, August 1951.
271- Graham, G. S. Great Britain in the India Ocean, a Study of Maritime Enterprise 1810- 1850, Oxford, 1967.
272- Hamilton, A. A New Account of the east India, ed sir W Foster. Vol. 1, L., 1970.
273- Hawley, D. The Trucial States. L., 1970.
274- Hay, R. The Persian Gulf States., W., 1959.
275- Hopwood, D.(ed.) The Arabian Peninsula. Society and Politics., 1972
276- Hoskins, H. L. British Routes to India. L., 1966.
277- James, W. The Naval History of Great Britain 1793-1827. vol. IV, L. 1886.
278- John Company at Work, a Study of European Expansion in India in the Late Eighteenth. Cambridge, USA, 1948.
279- Kaye, J. The Administration of the East India Company. A History of India Progress. L., 1853.
280- Khan, M. H. History of Tipu Sultan. Calcutta, 1951.
281- Kelly, J. B. "The Persian Claim to Bahrain". International Affaire, vol. 33. N^{O} 1, L., 1957.
282- Kelly, J. B. Bahrain Policy in the Persian Gulf (1813-1843). Thesis for a Ph.D., London University, 1956.
283- Kelly, J. B. Eastern Arabian Frontiers. L., 1964.
284- Kelly J. B. Britain and the Persian Gulf 1795- 1880. L. 1968.
285- Kumar, R. India and the Persian Gulf Region 1858- 1907. L., 1965.
286- Landen, R. G. Oman since 1856. Princeton, 1967.

www.almajidcenter.org

287- Lockhart, L. "Nadir Shah' s Campaigns in Oman 1737-1744". Bulletin of the School of Oriental and African Studies, vol. VIII, p. 1, L. 1936
288- Lockhart, L. Nadir Shah' a Critical Study based mainly upon Contemporary Sources. L. 1938.
289- Lockhart, L "The Menace of Muscat and its Consequences in the Late 17th and Early 18th Centuries". Journal of Asiatic Review, No 42, 1946.
290- Lockhart, L The Fall of the Safavi Dynasti and the Afghan Occupation of Persia. Cambridge, 1958.
291- Longrigg, S.M. Four Centuries of Modern Iraq. Beirut, New imp. , 1968.
292- Lorimer J. G. Gazetteer of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia. 2 vols. Calcutta, 1915.
293- Low, Ch. R. History of the Indian Navy 1613- 1862. 2 vols. L., 1877.
294- Malcolm, Sir John. Sketches of Persia, from the Journal of a Traveller in the East. 2 vols., new ed. L., 1828.
295- Malcolm, Sir John. The History of Persia form the most Early period to the present Time. 2 vols. L., 1815.
296- Malcolm, Sir John. The political History of India from 1784 to 1823. 2 vols. L., 1826.
297- Mann K. C. Abu Dhabi. Birth of an oil Sheikdam. B eirut, 2 nd ed., 1969.
298- Mansur, Shaikh (Maurizi, Vincenzo). History of Seyd Said, Sultan of Muscat together with an Account of the Countries and people on the Shores of the Persian Gulf particularly of the Wahabees. L., 1819.
299- Mariowe, J. The Persian Gulf in the Twentieth century. L., 1962.
300- Miles, Colonel S. B. Countries and Tribes of the Persian Gulf. 2 vols., L., 2nd imp., 1966.
301- Misra, B.B. The Central Administration of the East India Company, 1773- 1834. Manchester, 1959.
302- Moyse- Barlett, H. The pirates of Trucial Oman. L., 1966.
303- Mukherjee, P. The Rise Fall of the East India Company. Berlin, 1958.

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

304- Parkinson, C. N. War in the Eastern Seas, 1793- 1815, L., 1945.
305- Parkinson, C. N. Trade in the Eastern Seas, 1793-1815. L., 1966.
306- Philips, W. Oman. A Histry. L., 1967.
307- Philups, C. H. The East India Company 1784-1834. Manchester, 1940.
308- Philby, H. Arabia.L., 1930.
309- Al-Qasimi, S. M. The Myth of Arab Piracy in the Gulf. L. 1986.
310- Al-Qasimi, S. M. Arab "Piracy" and the East India Company Encroachment in the Gulf 1797-1820. -- D. Thesis, University of Epeter, 1985.
311- Richmod, Admiral Herbert. The Navy in India, 1763-1783.L., 1931.
312- Roderts, p. e. history of British India under the Company and the Crown. Oxford, 3rd ed., 1958.
313- Saleh, Z. Mesopotamia (Iraq) 1600-1914, a study in British Foreign Affairs. Baghdad, 1957.
314- Shneidman, J. L. "The proposed Invasion of India by Russia and France in 1801". Journal of Indian History, Vol. XXXV, August 1957.
315- Sutherland, L. S. The East India Company in Eighteenth Century Politics. Oxford, 1952.
316- Sweet, L. E. "Pirates or Politics? Arab Societies of the Persian or Arabian Gulf, 18th century". Ethnohistory, vol. 11, no 3,L., 1964.
317- Sykes, P. A. History of Persia. 2 vols. L. 1921.
318- Vidal, P. S. The Oasis of al-Hasa. N.Y. 1955.
319- Villiers, A. The India Ocean. L., 2nd imp., 1953.
320- Weitzman, S. Warren Hastings and Philip Francis. Manchester, 1929.
321- Williams, J.B. British Commercial policy and Trade Expansion, 1750- 1850. Oxford, 1972.
322- Wilson, A. T. The Persian Gulf. Oxford, 1954.

www.almajidcenter.org

323- Wilson D. "Memorandum Respecting the pearl Fisheries of the Persian Gulf". Journal of the Royal Geographic Society, III, 1833.
324- Winder, R. B. A History of the Sa'udi State from 1233/ 1818-13008/1891. Ph.D. Thesis, Princeton University, 1950.
325- Winder, R. B. Saudi Arabia in the Nineteenth Century. N.Y., 1965.
326- Wood, A. C. A History of the Levant Company. L., rep., 1964.
327- Woodruff, ph. The Men Who Ruled India. 2 vols., L., 1955-1957.
328- Zwemer, S. M. Arabia: The Cradle of Islam. L. 1900.

ملاحظة) وردت أسماء وعناوين في الوثائق والمراجع لم تجري الإشارة إليها في متن الكتاب المترجم

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة... وعطاء مستمر
مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

فهرس الموضوعات

تقديم ٥
مقدمة المترجم ٧
المقدمة ١١

الفصل الأول: دراسات تاريخية: مراجع البحث

الفصل الثاني:الخليج العربي في القرنين السابع عشر والثامن عشر:

المواصفات العامة للخليج العربي ٨١
الموانئ التجارية الأساسية في الخليج العربي ٩٧
التوسع التجاري للدول الأوروبية ١١٤

الفصل الثالث: العلاقات السياسية في الخليج العربي في القرن السابع عشر والنصف الأول من القرن الثامن عشر

أولاً - توسع الدول الأوروبية..... ١٢٩
ثانياً - : القوة العمانية ١٤٤
ثالثاً – الخليج العربي في مخططات فارس..... ١٥٨

الفصل الرابع: تشكيل حلف القواسم ودوره (١٧٤٧ – ١٨٠٠)

الوصف العام للقواسم:
أصل القواسم ونسبهم ١٧١
طبيعة التشكيل القبلي للقواسم ١٧٥

www.almajidcenter.org

الظروف الطبيعية لمنطقة القواسم ١٨٠
الوضع الاقتصادي للقواسم ١٨٣
العلاقات القاسمية – العمانية..... ١٨٧
المرحلة الأولى (١٦٢٤-١٧٤٩)..... ١٨٧.
المرحلة الثانية (١٧٤٩-١٨٠٠)..... ١٨٩
نشاط القواسم على الساحل الشرقي للخليج العربي ٢٠١
العلاقة بين القواسم وبريطانيا
سياسة بريطانيا في الخليج العربي في منتصف القرن الثامن عشر ٢١٠
الصراع بين القواسم وبريطانيا (١٧٧٨ – ١٧٩٧) ٢١٦

الفصل الخامس: القواسم في فترة تبعيتهم للوهابية (١٨٠٠ – ١٨١٨)

تثبيت سلطة الوهابيين..... ٢٣٤
خلع الشيخ سلطان بن صقر..... ٢٤٥
العلاقات القاسمية – العمانية : (١٨٠٠ – ١٨١٩) ٢٥٤
المرحلة الأولى (١٨٠٠ – ١٨٠٤) ٢٥٥
المرحلة الثانية (١٨٠٤ – ١٨٠٦) ٢٦٤
المرحلة الثالثة (١٨٠٦ – ١٨١٩) ٢٦٨

الفصل السادس: الصراع بين القواسم وبريطانيا على منطقة النفوذ في منطقة الخليج العربي (١٨٠٠-١٨١٠)

التنافس الأنجلو فرنسي في منطقة الخليج العربي..... ٢٨٩
الصراع بين القواسم وبريطانيا : (١٨٠٤ – ١٨٠٦) ٣٠٢

www.almajidcenter.org

العلاقات القاسمية ـ البريطانية: (١٨٠٧ ـ ١٨٠٩) ٣٢١
الحملة البريطانية على القواسم (١٨٠٩ – ١٨١٠) ٣٣٩

الفصل السابع: التنافس بين القواسم وبريطانيا / ١٨١٠ – ١٨١٩/

استئناف القواسم لنشاطهم البحري..... ٣٦٣
اتفاقية بوشهر عام ١٨١٤ ٣٧٤
مهمة بردجز – بروس..... ٣٨٥
الإعداد لحملة عسكرية جديدة ضد القواسم..... ٤٠٠

الفصل الثامن: الحملة العسكرية البريطانية ضد القواسم / ١٨١٩ – ١٨٢٠/

المرحلة الأولى من الحملة..... ٤٢٩
الاتفاقيات الأولية والمعاهدة العامة عام ١٨٢٠ ٤٤٣
المرحلة النهائية للحملة ونتائجها..... ٤٦٩

الفصل التاسع: العلاقة القاسمية البريطانية من ١٨٢٠ حتى ١٨٣٥

مناورات الإنكليز السياسية..... ٤٩٣
ازدياد الصراع القبلي في البحر..... ٥٠٧

الفصل العاشر: تفكك حلف القواسم القبلي

اتفاقية الهدنة الدائمة..... ٥٣٤
معاهدة السلام الدائم في البحر..... ٥٥٣

www.almajidcenter.org

زيادة تأثير السياسة البريطانية على الشؤون الداخلية والعلاقات المتبادلة للإمارات..... ٥٥٥
ضعف الإمارات وتفكك الأسر الحاكمة..... ٥٥٨
العمل على جعل الخليج العربي فارسياً..... ٥٦٢
الخاتمة..... ٥٧١
البيليوغرافيا..... ٥٧٩

تمت الترجمة بعون الله وحمده

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
www.almajidcenter.org

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة... وعطاء مستمر

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
ص.ب.: 55156 . دبي . الإمارات العربية المتحدة
هاتف: 00971 4 2624999 / 00971 4 2625999 فاكس: 00971 4 2896950
www.almajidcenter.org - E-mail: info@almajidcenter.org

www.almajidcenter.org